



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة والتطبيق

تأليف

الدكتور أحمد مطلوب

الدكتور حسن البصير

طبعة ثانية

١٩٩٩

مكتبة
م. ش. ن. ج. ع. ج.

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة والتطبيق

تأليف

الدكتور كامل حسن البصير

الدكتور أحمد مطلوب

الطبعة الثانية

حقوق الطبع محفوظة لدى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

البلاغة من علوم اللغة العربية، وقد كانت السبيل المنفسي إلى فهم كتاب الله وكلام العرب؛ ولذلك أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة ووضعوا فيه دراسات كثيرة أسست بالأصالة والمنهج السديد؛ ولولا جنوح الحياة الأدبية في القرون المتأخرة إلى التقليد لكانت البلاغة نابضة بالحياة تزداد الأدب بكل بدع، ولقيت معلما من معالم التطور والتجديد؛ ولكن ما أصاب الأدب من ذبول أورتها جمودا عميقا في شروح التلخيص وبعض ما عرف من كتبها في تلك العهود؛ وقد قامت محاولات جادة في هذا العصر لإعادة الحياة إلى البلاغة وربطها بالأدب الحديث، ولكن تلك المحاولات لم تنجح كثير أآلتها لم تكمل ما بدأه السابقون وإنما انصرفت إلى وضع الشائع من غير أن ننسج الموضوعات أو نحاول بحثها من جديد؛ وإل من أسباب ذلك أن بعض أصحاب تلك المحاولات لم يصنعوا درسها، وكان المرحوم أمين الشولي أقدرهم على التمهوض بالبلاغة لولا وفورته عند منهج فن القول؛

وطالب اللغة العربية في الكلية لا يحتاج إلى رسم المنهج غير حاجته إلى الأصول التي تدير سبيله وتبصره بمواقع الكلام؛ وأول ما ينبغي أن يهتد الأسس العامة التي تقوم عليها البلاغة كما استقرت في علومها الثلاثة : المعاني والبيان والبيوع، ومن هنا كان منهج الدراسة بكتابات الآداب في جامعات القطر العربي، يقوم على معالجة هذه العلوم الثلاثة إلى جانب المهاد التاريخي الذي يكشف عن نشأة البلاغة وتطورها ليكون الطالب على يقين من أمر هذا الفن الذي نشأ ملاحظات عامة ثم استوى علما ذا قواعد وأصول؛ وهذا الكتاب أربعة أبواب :

الأول : نشأة والتطور؛ وقد شمل مقدمة في تاريخ البلاغة العربية وتطورها، ودراسة المؤثرات فيها كالقرآن الكريم وكتب التفسير واللغة والنحو والأدب والفلسفة، وما نتج عن ذلك من التباين تماثلا في المدرسة الكلامية والمدرسة

الادبية: واحتوى هذا الباب دراسة تاريخية لمصطلحي القصيدة والبلاغة وتطورهما خلال القرون:

الثاني : علم المعاني، وقد ضمّ البحث في تعريفه ودراسة أهم موضوعاته كالخبر والانشاء والتقديم والتأخير والفصل والوصل والقصر والابجاز والاختاب والملاوة:

الثالث : علم البيان، وقد شمل تعريفه ودراسة تشبيه والمخيفة والمجاز والاستعارة والتكابة والتعريض:

الرابع : علم البديع، وقد تضمن نشأته وأهم المحطات القبلية والحديثة: وتوزعت هذه الأبواب على ثلاثة فصول دراسة ليكون للطلبة متسع يتصرفون فيه إلى استيعاب الأصول وتلوق النصوص ومعرفة ما فيها من فنون:

كتبته الجاين : الأول والثاني ، وحرر زميلي قد كثر كمال البصير الجاين : الثالث والرابع ، وكان الالتزام واضحا بالتمهيد التحليلي واعتناء النصوص البليغة ووضع التطبيقات والتعريفات في نهاية كل باب ليكون ذلك عوناً للطلبة على فهم الأصول وتلوق النصوص: ولم يقلل الكتاب بالتعريفات الكثيرة وإنما كان الاختلاف بما يقرب الصورة ويخدم الهدف ليطلق الطلبة بعد ذلك إلى رحاب أوسع بعد أن يتروّعوا بالمعرفة ويتقوا أساليب العرب ويتلوهوا عن القول:

لقد أخذت أبواب هذا الكتاب من تقديم أصولها، لأن المنهج المقرر يلزم ذلك ، ولأنّ نقل التقديم فيها لو كان خطرات للتعديد، وهذا ما نعى إليه القواعد العلمية ، حتى إذا ما تلقى الطلبة هذا التقديم ووجدوا في قلوبهم القدرة على التعمق ساروا في طريق البحث وفي غلوهم نور من ثمرات وفي قلوبهم ليس من التعديد : وبعد فهذا كتاب فيه من التقديم أصوله ومن التعديد تطبيقاته ، ولن يكون قلصاً إلا بعد أن يحسن الطلبة الانتفاع به، وبعد أن يقوموا الاسئلة ما فيه من أود، وما لكمال إلا لله تعالى :

الأول من كانون الثاني ١٩٨١م

الخامس والعشرون من صفر ١٤٠١هـ

الباب الاول النشأة والتطور

الفصل الأول

المراجع

المبحث الأول

نشأة وتطوراته

النشأة :

إن الباحث حينما ينظم فيفور الأول البلاغة العربية قبل عهد التنوين والتأليف يجد أن العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النحوية التي أحاطهم حل فهم الشعر وتلقوه وتلقه : والامة التي أنجبت الشعراء النحوي والخطباء المصانيع لابد أن تعرف المعاني التي يختصها الشعراء وترسمها الخطباء ، وإذا كان كثير من الأحكام النحوية قبل الاسلام لم يصل اليها مع ما وصل من شعر وعطب وأمثال ، فإن بعض تلك الأحكام تناقلتها الالسن وتداولتها الكتب ، وقد وصف القرآن الكريم العرب بأنهم أصحاب بيان فقال سبحانه وتعالى : «الرحمن» : «علم القرآن» : «خلق الانسان» : «خلق الله البيان» (١) . وقال عن حسن كلامهم وشدة أسره وتأثيره في النفوس : «ومن الناس من يسمعك قوله في الحياة الدنيا» (٢) : «وصف قوليد بن النخيلة القرآن وقال : «والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الالسن ولا من كلام الجن ، وإن له خلابة» ، وإن عليه لخلابة» ، وإن أهله لشعر ، وإن أسفله لخلق» (٣) .

ويمكن ان يستدل الباحث على ان العرب عرفوا كثيراً من الأحكام النحوية قبل الاسلام بأمرين :

الأول : «خلق لا يمكن إنكاره ، وهو انه لا يُصدقني ان الشعر وصل إل ما وصل اليه في ذلك العهد ، وإن الخطابة بلغت قروتها ، وإن اللغة انحلت صوريتها

(١) سورة الرحمن ، الآية ١ - ٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠٤ .

(٣) في سورة ابن هشام ج ١ ص ٢٢٠ : «والله ان لقوله خلابة» ، وإن أسفه لخلق ، وإن فرقه ليجتازوه .

من غير أن يكون هناك عقل مدبر لكل ذلك، ومن غير أن تكون هناك أصول عامة تعارف عليها الشعراء، والشكليون وساروا عليها فيما نظموا أو قالوا، ومهما تحدثوا يحاكون عن الطريقة الصافية والنفوس السليمة، ومهما وصفوهم بالعبثية والذكاء، فإن العقل ليفكر أن يكون ما كان من غير ثقافة ودُرّة، ولما عند نفسي، لهم الطريق والفتح أمامهم سبل القول:

الثاني : قلّي وهو ما أثر عنهم وما جاء عن خطباتهم ووصف خطيبهم: وقد كان الخطباء يحذرون ببيانهم ويصفون بأنفسهم، ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن النضر زوّى عليه قصدي رأى من دماسته والصره وقلته، فقال النعمان: «نسمع بالعدي لا أن نراه»، فقال : «أيت القم، أن الرجال لا تكلم بالقفران (١) ولا تؤزن بلليزان، وليست بمسوك يضي بها (٢)، وإنما المرء بأصغريه : بقلبه ولسانه ، أن حال حال بحتان، وإن قال قال ببيان (٣) : وكان ضمرة خطيباً فلما شاعراً شريفاً سيداً، وكان يحكم ويقرر بالأسجاع:

واستدل الجاحظ من ألفاظ «القي» و«البكي» و«المحصر» و«الفهم» و«الخطل» و«السهب» على أن العرب قبل الإسلام عرفوا كثيراً من عيوب البلاغة والخطابة، وقال : «وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف، والمليح والحمس، والقيح والسميح، والخفيف والثقيل، وكلمه عربي، وبكل قد تكلموا، وبكل قد تمارسوا وتعايروا، فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت فلم ذكروا القبي والبكي»، والمحصر والفهم، والخطل والسهب، والشدق والضحيق، والهماز والثرثار، والكثار والقلار؟ ولم ذكروا المجر والقلر، والمليحان والخطيط، وقالوا تلفّاعة، وفلان

(١) القفران : جمع قفّر، وهو مكبال.

(٢) المسك : بالفتح وسكون السين : البعد، وسي بذلك لأنه يسك فيه الشيء إذا

جمل مقدماً.

(٣) البيان والقيح ج ١ ص ١٧١ - ٢٢٧.

بشعر في خطبه (١)؟ وقالوا فلان بخطي في جوابه ويحتمل في كلامه ويناقض في غيره؟ ولولا ان هذه الامور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سميت ذلك لبعض البعض الآخر بهذه الاسماء (٢).

ووصفوا كلامهم في اشعارهم فجعلوها كبرود العصب، وكاخلخل والمخاطف والسيجاج والوشى واشياء ذلك. (٣) ووصفوا شعرائهم واصفوا عليهم القبا كاللهليل والرقش والمثقب والمثخل والمثخل والآفوه والناثبة، وهذه الارصاف تتصل بالحكامهم النقدية ويلحقهم الذي ميزوا به بين شاعر وشاعر.

وكان بعض الشعراء يعنون بأشعارهم ويضعونها قبل ان يليحوها بين الناس، واشهر زهير بن ابي سلمى بالحوليوات وتبعه في ذلك الخطيئة وغيره ممن اعتصموا بتفخيخ الشعر ونجويده، وكان الخطيئة يقول : وغير الشعر الحولي المحككة وقال الاصمعي : زهير بن ابي سلمى والخطيئة واشباههما عبيد الشعر لانهم للشعر ولم يذهبوا فيه مذبح للطيرعين (٤). وقال الجاحظ : «وكذلك كل من جرد في جميع شعره ووقف عند كل بيت قائله وأعاد فيه النظر حتى يفرج آيات القصيدة كلها مستوية في الجودة» (٥). وقال واصفا هؤلاء الشعراء : «ومن شعراء العرب من كان يلح القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (٦) وزمنا طويلا، ويرده فيها نظره، ويحبل فيها عقله، ويقلب فيها رأيه اليها ما لعلته وتبها على نفسه فيجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عياراً على شعره، اشتافا على أدبه واحرازاً لما خورك الله تعالى من نعمته، وكانوا يسمون تلك القصائد : الحوليوات، والمثقلات، والمثقحات، والمحكيات، ليصير قائلها فعلا خنيلداً وشاعراً مقلداً» (٧). وقال : «ومن تكسب

(١) المثل : هو المثل وهو الكلام العامد الكثير السهب : كثير الكلام.

وجل نهار : كثير الكلام الطنابة والطناع : كثير الكلام.

(٢) البيان ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٣) البيان ج ١ ص ٢١٢.

(٤) الشعر والشعراء ج ١ ص ٧٨.

(٥) البيان ج ٢ ص ١٣.

(٦) كريتا : تاما.

(٧) البيان ج ٢ ص ٩.

شعره، والتمس به صلوات الاشراف والقادة وجوائز الملوك والياد في قصائد
تسليين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنع زهير الخطبة
واصحابها، فاذا قالوا في غير ذلك أعطوا حق الكلام وتركوا الجهد، ولم ترهم
مع ذلك يستعملون مثل تدبرهم في طوال القصائد في صنعة طوال الخطب، بل
كان للكلام البات عندهم كالقنصب اقتلوا عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم
فيه: وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا إلى الرأي في معظم التدبير، وتنهات الأمور
ميتوه (١) في صنوبرهم وقيلوه على انفسهم فاذا قوته الثفاف وأدخل الكثير، وقام
على الخلاص أبرزوه بمككا مقحعا، ومعنى من الأندلس مهباء (٢) :

إن وثوق الشعراء عند قصائدهم ليقيموها ويعيدوا النظر فيها بدل على الفرج
القديمة التي كان الشاعر نفسه يمارسها قبل أن يلقه السامعون: وما يتصل بالقد
فإن الاسلام ما كان شاعرا من أحكام يتألفها الشعراء وما كان يدور في أسواق العرب:
وفي كتب الادب والقد كثير منها يتصل بالعاني واللغة والقافية.

ومن النوع الأول - اتصل بالعاني - ما روي عن حكومة أم جندب الطائفة
بين امرئ القيس وعلمة الفحل، فقد فسكت علقمة حينما قال في وصف فرسه:
فأدركهن لاسيا من عسانه - بسر كبر الرايح المتعطب (٣)
على زوجها امرئ القيس الذي قال:

فلنزجر الهوب والساق حرة - بسوط منه وقع أخرج مهباء (٤)
وقد سأل امرؤ القيس أم جندب: بم فضلك علي؟ فقالت: فرس علقمة أجود
من فرسك، قال: وبماذا؟ قالت: لك زجرت وحركت ساقيك وضربت بسوطك،
فما علقمة فقد اخرك فرسه ثانيا من عاتك لم يضربه بسوط ولم يصبه (٥) :

(١) ميتوه : قالوه.

(٢) مهباء ج ٢ ص ١٢ - ١١.

(٣) الرايح : السحاب، المتعطب : الجائل مره.

(٤) أخرج : ذكر تمام، مهباء : سرع.

(٥) الرايح ص ٢٨ - ٢٩.

وماجرى بين القابلة وحسان بن ثابت والخنساء، فقد روي أنهم كانوا يفرغون القابلة قبة حمراء من آدم يسوق عكاظ فتأتيه الشعراء وتعرض عليه اشعارها وكان أول من أنشده ذات يوم الأعمى، قال قصيدته التي مطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال
ومسؤولي وماترد^١ سؤالي
ثم أنشده حسان بن ثابت:

لنا الحفلات لفر^٢ بلعن بالضحى
وأسيافنا يقطرون من نجدة وما
ولدتنا بني. الخنساء وابني محرق^٣
فاكرم بنا حالا واكرم بنا ابنا

فقال القابلة: أنت شاعر ولكلك أقلت جفالك وأسيافك، وفطرت بمن ولدت ولم تضر بمن أنجبك (١). وأنشده الخنساء في هذا المجلس قصيدتها:

تلى بعينيك أم بالعين عوار^٤
فقال لها القابلة: لا والله، لولا أن سبكت أبو بصير، أنشدني أنا قلت: انك
أشعر للجن والانس: فقال حسان: والله، لأنا أشعر منك ومن أهلك وجفك:
فقبض القابلة على يده ثم قال: يا ابن أختي، انك لا تحسن أن تقول مثل قولي:
فمالك كالسبل الذي هو مفركي^٥ وان قلت ان المتأني عنك واسع
ثم قال لخنساء: أأشبه، فأنشده، فقال: والله ما رأيت أختي أشعر منك،
فقالت الخنساء: والله، ولا رجلاء (٢).

ومما اتصل بالثقة كلمة «الصغيرة» في بيت المسيب بن علس:

ولقد اتاني لهم^٦ عند أذكاره
يتأجر عليه الصغيرة مكدم (٣)
فلما سمع طريقة هذا البيت قال: «استوف الجبل» لأن «الصغيرة» مئة في عتق
ثلاثة لألجير (٤):

(١) التوقيع من ١٥٢، والمصنف في الأديم من ٣.

(٢) الشعر والشعر ج ١ من ٣١٤.

(٣) التاجي: الجبل الصغيرة: مئة في عتق الثقل المكدم: التليط أو الصاب.

(٤) التاجي: الجبل الصغيرة: مئة في عتق الثقل المكدم: التليط أو الصاب.

ولما يمتلئ بالقرآن ما ذكرناه عن الثابتة، فقد قالوا: إنه لم يفتقر أحد من شعراء
طبقة الأولى الأخرى في قوله :

نَسِ آلَ مَيْمَةَ رَاحِجٍ أَوْ مَقْدِيٍّ حِلْجَانُ ذَا زَادٍ وَلِهَيْسَرٍ مَزُودٍ
زُصِمَ السَّوَارِحُ أَنْ رَحِلَتْ لِحْجَا وَبِذَاكَ خَيْرَنَا قَرَابُ الْأَسْوَدِ
وفي قوله :

سَطَّ قَصِيفٌ وَلَمْ تَرِدْ اسْفَاظُهُ فَتَوَلَّاهُ وَاتَّقَاهُ بِالسَّيْدِ
بِخُضْبٍ رَخِصٍ كَانَ بِنَانَهُ عَنَّمْ بِكَادٍ مِنَ الطَّاقَةِ يُعَقِّدُ
لقد تم اللبنة فحب عليه ولم يأت، وجعلوا يغيرونه وهو لا يفتقر ما يغيرون، قالوا
جارية : إذا صرت إلى ثقافة فرطى، قلنا قالت : «الغراب الأسود» و«يُعَقِّدُ»
«الهادي» و«مزود» علم طائفة فلم يعد فيه، وقال : «لنمت الحجاز وفي شعري
صعد» و«رحت عنها وأنا أشعر الناس» (١) : وقال عمرو بن العلاء : «حِلْجَانُ
مِنَ الشُّعْرَاءِ كَأَنَّا يُتَوَبَّانُ : ثَابِتٌ وَبِشْرٌ ابْنُ خُلَازِمٍ ، فَأَمَّا ثَابِتٌ فَدَخَلَ بِشْرٌ
فَشَنَّى بِشْرَهُ فَخَفَنَ فَلَمْ يَعُدْ لِلْأَوْدَادِ ، وَأَمَّا بِشْرٌ ابْنُ أَبِي خَازِمٍ فَقَالَ لَهُ
نَعْرُ سَوَادٌ : إِنَّكَ تُكْفَوِي . قَالَ : وَمَا الْأَوْدَادُ ؟ قَالَ : تَوَلَّكَ :

«سرتن طول الشعر بسلي» وبشي نظما ثبت جدام
ثم قلت :

إِسْمَاعِيلُ نَوْمًا فَيَسُوا عَلِينَا نَقْدَاهُمْ إِلَى الْبَلَاءِ الشَّامِ
قال : ثبت خطي، ولست بعائد (٢) :

وذكر أبو هلال العسكري أن القدماء أشاروا إلى الفصل والوصل في الكلام،
قال : «وكان أكتهم بن صبيح إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكاتبه: الصلوا بين
نحن معنى مطلق، وصلوا إذا كان للكلام معجونا بعبارة بعضه بعضا: وكان الخلو

(١) اللوح ص ٤٤ - ٤٦.

(٢) الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٠، واللوح ص ٨٠.

ابن أبي شمر القسافي يقول لكاتبه المرفس: اذا نزع بك الكلام إلى الابداء بمن غير ما أنت فيه فالصل بينه وبين تبعته من الالفاظ ، فانك اذا حدثت كرسلا بنير ما يحسن أن تحلف به ففرت القلوب عن وجهها ، ومكنته الاسماع ، واستظفك فرواقه (١):

وشك بعض الباحثين في هذه الروايات (٢) ، ولكننا مع هذا الشك نقرر ان هذه الروايات تعكس جانباً من فهم العرب للفقه في مرحلة الثنوين الأولى ، ولما بعد حين أن تصور مثل هذه الاحكام قبل الاسلام رأينا كثيراً من الدلائل في قولنا دعينا إليه: يضاف إلى ذلك ان هذه الروايات ليس فيها التعليل القائم على الشقفة العلمية لكي نذكرها وانما هي احكام عابرة أطلقها الشعراء والمحكمون ، معتمدين على الفلوق الشطري الذي عرف به العرب: وكان شعراء الجولان بعد ان انتهى عصر الكلاهم وازدهر الشعر الثنائي في القرن السادس قبل الميلاد يصنعون بعض الاحكام التي تعبّر عن رأي ذاتي أبعد ما يكون من القاعدة العلمية، ومعنى ذلك أن الشعراء شاركوا في حركة الفقه الفتييم، فلم لا ينطبق ذلك على العرب وهم أهل علم وفواية وفوق ورواية، ولهم خطب رائعة وشعر يديع؟

واذا ما انتقلنا إلى العصر الاسلامي رأينا ايدان العربي بالفرقان الكريم واعتناقه الاسلام كان حكماً قديماً أدركه بلوقه السليم وفطرته الصافية، ورأينا الرسول الكريم محمداً - صلى الله عليه وسلم - يحنى عنابة عظيمة بأحاديثه وخطبه، وقد أقر عنه انه كان يقول ولا يقول "أحدكم: عبثت نفسي، ولكن لبقول: القديس نفسي"، كراهية أن يضيف السلم الخبث إلى نفسه (٣): وكان يستمع إلى الشعر ويقول: وان من قبيان لسعراء: وكان الطفلاء الراشدون والصحابة يستمعون إلى الشعر ويديون رأيهم فيه،

(١) كتاب الصلحين ص ١١٠.

(٢) ينظر لأرجح الفقه الايدي مع العرب ص ١١٩ ودروس في شلغة ونظورها ص ١٠.

(٣) الخيران ج ١ ص ٣٣٥.

وإذا ما نظرنا إلى العصر الأموي وأبنا الحياة الأدبية تزدهر ، وكان الخلفاء يفتنون النجاشي ويستمعون إلى الشعراء ويعلقون على بعض ما يسمعون ، ومن ذلك أن ابن قيس الرقيات أشهد عبد الملك بن مروان قصيدته التي يقول فيها :

يا لسلق شاج فوق مغسوقه عل جبين كائنه السلب
فلما سمع عبد الملك ذلك غضب وقال له : « قد قلت في مصعب بن الزبير :

ألمأ مصعب شهاب من الله نجلت من وجهه القلما
فأعطيت اللوح بكشف الغم وجلاء الظلم ، وأعطيتني من اللوح مالا فخر فيموه
اعتدائي الشاج فوق جبیني الذي هو كالذهب في التضارة » (١) .

وكان للؤديون يقومون بدور عظيم في تعليم اللغة وأدبها ورسم القواعد العامة التي تنفي إلى اثنان اللغة وثقوتها : وكان هؤلاء اللؤديون يخواصون في موضوعات كثيرة ، وليس من شك في أن النصيحة والبلاغة كانت من تلك الموضوعات : وشهد القرن الثاني للهجرة حركة أدبية واسعة ، وكانت الخواص ترعرع بالعلماء ، وبلغت حركة التدوين والتأليف ذروتها في العصر العباسي الأول ، وظهرت كتب التفسير واللغة والأدب والتأريخ تحمل تراثا ضخما حافلا بكل طريف ، وكانت لبلاغة أحد العلوم التي اهتم بها العرب منذ عهد مبكر ، وقد دأبتهم إلى العناية بها أهداف ومؤثرات كثيرة :

الاهداف :

إن الحياة الجديدة التي عاشها العرب بعد أن خرجوا من جزيرتهم دفعتهم إلى العناية باللغة والأدب ، لأنهم وجدوا تحديات كثيرة تعرضت لها العربية بعد أن دخل في الإسلام قوم أرادوا علمه وتكريسه دولة العرب . وكانت الجهود العظيمة التي بذلها المخلصون إيذاها بظهور علوم اللغة التي اعتلت تتطور جيلا بعد جيل حتى أصبحت سامقة لا تقدر عليها هرج الأعاصير :

(١) لغة الشعر من ٢١٤ .

وقد تطافرت أساليب وأعداد كثيرة دفعت العرب إلى الخوض في الدراسات
البلغية ، ويمكن تلخيصها في :
١ - الفرض القديني :

وهو عقيدة القرآن الكريم الذي كان معجزة تعدى إلى الناس والجن ، ولكي
يرجعوا على أصحاره ويفهموا آياته واسلوبه يستطيعوا الاحكام منه التجهوا إلى
البلغة باسعين لغواً وتوضيحين اسمائها لتكون لهم عروة على فهم القرآن ،
وكان هذا الفرض من أهم الأهداف التي دفعتهم إلى البحث والتأليف فيها ، وقد
أشار أبو حنبل العسكري إلى هذا الهدف السامي بقوله : « اعلم - عحكك الله الخير
وداك عليه وفيه لك وجعلك من اعله - أن أعنى العلوم بالعلم وأولاه
بالحفظ بعد المعرفة بالله - جل تنزهه - علم البلغة وسعرة الفصاحة الذي به
يعرف إعجاز كتاب الله تعالى فاطن بالغنى ، القاهدي إلى سبيل الرشد ، المذلول به
على صديق الرسالة وحصة النبوة التي دفعت اعلام الحق وأقامت سائر الدين ،
وزالت شبه الكفر ببراهينها ، وعككت حجب الشك يقينها . وقد علمنا أن الانسان
إذا اخل علم الحرية وأهل " بمعرفه الفصاحة لم يقع عليه باعجاز القرآن من جهة
محصنة الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب ، وماشحت من الإعجاز البديع
والاختصار الطيف ، ونسجت من الخلاوة ، وجعله من رونق الطلاوة ، مع سهولة
كلمه وجزالتها وحنونها وسلاستها إلى غير ذلك من محاسن التي عجز الخلق عنها
وتحيرت عقولهم فيها ، وإنما يعرف إعجازه من جهة عجز العرب عنه ونقصهم
عن بلوغ غايته في حسن وبراعته وسلاسته ونصاعته وكال مداليه وصفاء ألفاظه ،
ولبيح لعمري بالقفيه القويم به ، والقارىء المتهتدى بهديه ، والتكلم المثار اليه
في حسن مناظرته وقام آله في مجادله وشدة شكيبته في حجاجه ، وبالغربي الصليب
والقرشي الصريح أن لا يعرف إعجاز كتاب الله - تعالى - إلا من الجهة التي
يعرف منها الزمجي والتبلي ، أو الله يستدل عليه بما استدل به الجاهل القبي : فينبغي
من هذه الجهة أن يقدم القياس هذا العلم على سائر العلوم بعد توحيد الله - تعالى -

ومعرفة هذه والتصدق بوجوده ووعيده إذ كانت المعرفة بصحة النبوة تثلو المعرفة بالله جلّ اسمه (١).

٢ - الغرض التعليمي :

وهو تعليم الناشئة اللغة العربية ومعرفة أساليبها بعد أن اتصل العرب بأسم شيء وأدى ذلك الاتصال إلى فساد اللغة ودخول النحن فيها. يضاف إلى ذلك أن كثيراً من المسلمين كانوا بحاجة إلى تعلم العربية وبلاغتها ليفهموا القرآن الكريم وليحشوا في ظل دولة لغتها العربية. وكانت المنصورة المكتبية في كثير من الأحيان السبيل الموصول إلى المناصب الرفيعة وكان على من يسعى إلى تسننها أن يكون كاتباً له في الأدب وغنونه يد طوي وله أسلوب رفيع. فلكي يتعلم العربي الناشئ في بيئة امتزجت فيها اللغات بثقته ويصبح قادراً على التعبير الحسن والنظم الرائع وإنشاء الرسائل، ولكي يتعلم المسلم لغة دينه ولغة الدولة التي يعيش في ظلها، ولكي يحصل الناس إلى أرقى المناصب وأعلى الرتب - كان عليهم جميعاً أن يتفخوا العربية، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة لغاتها وتراكيبها ومعانيها وأساليبها، وبالإضافة إلى السبل التي توصل إلى هذه الغاية وتخلعها .

٣ - الغرض الثقافي :

وهو تمييز الكلام الحسن من الرديء والموازاة بين التصانيف والخطب والرسائل : وبالإضافة تبيين اللغة كثيراً لأنها تقدم له الآلة التي تبيته على تفهم والحكم، ولذلك نجد القدماء ينفون عناية كبيرة بها ، ويلفتون الكتب فيها ، وقد أشار العسكري إلى المهديين التعليمي والثقافي بقوله : «ولها العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ومناقب معروفة ، منها أن صاحب العربية إذا أتى بطلبه وفرط في التماسه فكانت فضيلته وعلمته به وذيلة فوائده حتى على جميع محاسن وعصبي سائر فضائله ، لانه إذا لم يفرق بين كلام جيد وآخر رديء ، ولطف حسن وآخر قبيح ،

(١) كتاب الصالحين ص ١ - ٢ .

وشعرنا هو وآخر بلاد ، بأن جهله وظهر قصصه : وهو أيضا إذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشئ رسالة وقد فاتته هذا العلم مزج التصور بالكثير وخط الغرور بالغرور واستعمل الوحش في الفكر ، فجعل نفسه موزنة الجاهل وغيره للعامل كفاضل ابن جحدر في قوله :

حلفت بما أُرسلت حول همرجلة خلقتها شيطم
وما شرفت من تنويفه بها من وحى الجن زيمزيم^(١)

والله ابن الأعرابي قال : إن كنت كاذبا فاقه حبيك : وكما ترجم بعضهم كتابه إلى بعض الرؤساء : «مكرمة نريونا ومحبوبة سربنا ، فقل على سخافة عقله واستحكام جهله ، وخمرة الغريب الذي افته ولم يفهمه ، وحطه ولم يرفعه ، لا فاته هذا العلم وتختلف عن هذا الفن :

وإذا أراد أيضا تصنيف كلام متكور أو تأليف شعر منظوم وتخطى هذا العلم ماء اختياره وقيحت آثاره فيه ، فأنط الرديء المرفول وترك الجيد المقبول ، فقل على تصور فهمه وتأخر معرفته وعلمه^(٢) :

ويصل بهذا الغرض رواية الأدب وجمرة الجيد الذي يروى والردى الذي يهني أن يطرح : وقد اشار العسكري إلى ذلك بقوله : «وقد قيل : اختيار الرجل قطعة من عقله ، كما أن شعره قطعة من علمه : وما أكثر من وقع من علماء العربية في هذه الرقيلة ، منهم الأصمعي في اختياره قصيدة المرقش :

هل بالنيار أن تجيب صمم لو أن حبوا فأنطقا كلهم
ولا عرف على أي وجه صرف اختياره إليها وما هي بمستقيمة الوزن ولا موافقة لثوري ولا سلسة القطف ولا جودة السبك ولا ملائمة النسيج ، وكان للفضل يختار من الشعر

(١) أُرسلت : أُرسلت المخرجة : المدة التي تقضى : الطريق البسم : شرفت : بذت .

تنويفه : المفاوز والأرض الواسعة : الرعي : الصيد المتنبي .

زيمزيم : صوت الجن .

(٢) كتاب الصحاح من ٢-٣ .

ما قبل تناول الرواة له ويكثر الغريب فيه ، وهذا خطأ من الاختيار ، لان الغريب لم يكن في كلام الأئمة وفيه دلالة الاستكراء والتكلف (١) :

وكانت هذه الأهداف دافعا قويا حفزهم إلى الخوض في دراسة البلاغة والتأليف فيها ، وكانت هذه الأهداف غرض المؤلفين جميعا ، ولانكاد نجد كتابا من كتب البلاغة واعجاز القرآن يخلو من الاشارة اليها ، ولعل ماثلنا من مقدمة كتاب الصائغين ، لابي هلال العسكري يوضح الغرض ويخدم الفكرة ويعين على تصور المواقف الكثيرة التي كان لها الفضل الكبير في ظهور كتب البلاغة.

وقد تفاوتت جهود كثيرة على وضع أسس البلاغة وأصولها ، ويمكن ان نلمس ذلك في المفسرين والاصوليين ، والقوانين والنحاة ، والشعراء والكتاب ، والفلاسفة والتكلميين . وكانت كل طبقة من هؤلاء تطلق في كثير من الاسس وتلقي في أهداف واضحة المعالم ، وان كان رجالها يخطئون في تصورهم للبلاغة المؤلفات :

أثرت في نشأة البلاغة وتطورها عدة عوامل أهمها :

القرآن الكريم :

كان القرآن الكريم ذا أثر عظيم في البلاغة ، وقد شغل الناس به وأعطوا بتدبرونه ويوضحونه معانيه ويتحدثون عن ألفاظه وتراكيبه ومعانيه من فنون وقف العرب أمامها مبهورين . وكانت البلاغة من العلوم التي أولوها عناية كبيرة وجعلوها وأحد العلوم بالتعلم وأولاهم بالتحفظ - بعد المعرفة بالله جلّ تبارك وتعالى - لان الانسان اذا اغفل علم البلاغة وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما نصّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب وما شجعه به من الايجاز اليدع (٢) وذهبوا أبعد من ذلك فقال عمرو بن عبيد عن البلاغة أنها وما يقع بك اللجة ، وعدل بك عن النار ، وما يصيرك بمواقف رشداً ومواقف غيهاً (٣) :

(١) كتب الصائغين ص ٢

(٢) كتاب الصائغين ص ١٠

(٣) التمام والتحقيق ج ١ ص ١٦٩

وكان تأثير القرآن واضحاً في اتخاذه مدار الدراسات البلاغية ، وكانت آياته
 هيئات الشاهد البلاغي الرابع . وكانت إحدى آياته مدعاة إلى أن يؤلف أبو عبيدة
 «معجم القرآن» . يقول : «أرسل إليّ الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج
 إليه سنة ١٨٨٨ ، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فاذن لي ، فدخلت عليه وهو
 في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه ، وفي صدره فرش عالية
 لا يمرّني إليها إلا على كعسي وهو جالس عليها فسلمت عليه بالوزارة ، فردّ
 وضحك واستدعاني حتى جلست إليه على فرشه ، ثم سألني وأعطاني وبسطني
 وقال : أنتدني ، فأنتدته فطرب وضحك ، وزاد نشاطه . ثم دخل رجل في
 روى الكتاب له عينة فأجلسه إلى جاني وقال له : أعرف هذا ؟ قل : لا ،
 قال : هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة ، أقدمناه لتفليد من علمه : فدعا له
 الرجل وفرشه لنفسه هذا ، وقال لي : في كنت إليك مشتاقاً ، وقد سألته عن
 صلاتك ، أنتأذن لي أن أعرفك بها ؟ فقلت : هات . قال :

قال له - عز وجل - : « تَحْلِكُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ » (١) ، وإنما يضع
 القواعد والأبعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : إنما كنتم الله تعالى فحرب
 على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرئ القيس :

أبفتني والمشرقني مضاجعي ومعدنة زُرِّي كتابي أقوال
 وهم لم يروا القول قط ، ولكنهم لما كان أمر القول يهولهم أوعدوا به : فاستحسن
 الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك أن أضع كتاباً في القرآن
 في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه . فلما رجعت إلى البصرة عملت
 كتابي الذي سمّيته «الجزء» (٢).

وانتهى ابن خلدون إلى أن ثمرة علم البلاغة إنما هي في فهم الإعجاز من
 القرآن ، لأن الإعجاز في ولقاء الدلالة منه يجمع مقتضيات الأحوال متطوِّرة ومفهومة ،

(١) سورة الصافات ، الآية ٦٤ .

(٢) معجم الأدباء ج ٧ ص ١٦٦ - ١٦٧ .

وهي أعلى مراتب الكلام مع الكمال فيما يختص بالإنفاذ في انتظامها وجودة وصفها ، وهذا هو الإعجاز الذي تقتصر الأنعام عن إدراكه (١) :

وكانت مسألة إعجاز القرآن أثر كبير في تطور البلاغة العربية ، وكان للكلمون أول من بحثوا في الإعجاز ، واحتفظت وجهات النظر في ذلك واشتدت سبل القول ، لأن الوصول إلى ذلك صعب ، وتحديد البلاغة في كتاب الله أصعب ، ولكنهم - مع ذلك - مضوا يطمسون بلاغة القرآن ويبينون إعجازه ، فكانت دراساتهم أحسن مصدر للبلاغة وأجلّ مورد لمن أراد أن يتلوق الكتاب العزيز وينهم إليه : ومن أشهر الذين عتوا بهذه المسألة أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (- ٢٣٠٦هـ) الذي ألف كتاب « إعجاز القرآن في نظم وتأليفه » ، ولم يصل هذا الكتاب التعرف للوضوحات التي عابها وإن كان يبدو من العنوان أنه يتحدث عن أسلوب كتاب الله وإعجازه في النظم والتأليف :

ومنهم أبو الحسن علي بن عيسى الرمائي (- ٢٣٨٦هـ) صاحب رسالة « التذكرة في إعجاز القرآن » وقد ذهب إلى أن القرآن معجز ببلاغته ، وهو أعلى طبقات الكلام ، وأبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطاطي (- ٢٣٨٨هـ) مؤلف رسالة « بيان إعجاز القرآن » ، وقد رأى أن البلاغة ترجع إلى جمال لفاظ القرآن وحسن نظمه وسر معانيه وتأثيره في النفوس :

ومنهم أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (- ١٤٠٣هـ) الذي ألف كتاب « إعجاز القرآن » وهو من الكتب المهمة ، وقد ذهب الباقلائي إلى أن كتاب الله معجز لأنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب .

والقاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد آبادي (- ١٤٦٥هـ) الذي كان الجزء السادس عشر من كتابه « المنى في أبواب التوحيد والعدل » عاصمًا بإعجاز القرآن . وقد ذهب إلى أن القرآن معجز بنظمه ، وهي الفكرة التي بني عليها عبد القاهر الجرجاني كتابه « دلائل الإعجاز » .

وهذه الكتب وغيرها تعدّ من أهم مصادر دراسة البلاغة ، لأنها تعرضت لأسلوب القرآن الكريم وتكلّمت على أساليب العرب في الكلام وقد كان أثرها عظيماً في تطور البلاغة واستقلالها عن الدراسات الأدبية والتفنية ،

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

وتتصل بالقرآن وآثره المفسرون، وهم الذين يتفكرون في كتاب الله تعالى ويفسرون ألفاظه ويوضحون معانيه ويبينون مقاصده وأهدافه ، ويشرحون ما فيه من قيم رفيعة ونظرات عميقة، ويظهرون قنون القول فيه وروعة البيان ، ولكني أستطيع المفسر أن يقوم بهذا كله لا بد من أن يطلق على علوم اللغة العربية بهذا الترتيل القول ويغوص على معانيه: والبلاغة إحدى الوسائل المهمة التي تكشف أسرار الإعجاز وتوجه الآيات التي لا يمكن حملها على الظاهر؛ وقد شعر المفسرون بهذا العمل العظيم فأخذوا يضعون لدراساتهم القرآنية مقدمات بلاغية أو يفتشون في معانيها حينما يتحدثون عن الآيات وبلاغتها، وصاروا يتهجون إلى أهمية ذلك؛ ويتضح ذلك في مقدمة تفسير الطبري وتفسير الكشاف للزمخشري، فقد أشارا إلى أهمية معرفة البلاغة لأن القرآن عربي وأسلوبه عربي، ولكي تكون آياته واضحة ينبغي معرفة أساليب العرب وقنون القول عندهم؛ وقد نعى السكاكي على المفسر الذي لا يعرف من البلاغة شيئاً، قال: «الوقوف على تمام مراد الحكيم - تعالى وتقدس - من كلامه مفتقر إلى علمين العلمين - المعالي والبيان - كل الانقضا، فالويل كل الويل لمن يتعاطى تفسير وهو فيهما راجل، (١)».

وأصبحت كتب البلاغة ميلا تفضي إلى رهاب القرآن، ومعلم يتهتدي بها القارئون ويستعين بما فيها من مضامير مشرقة ولمحات بديعة المفسرون ومن هنا كانت البلاغة مقدمة الدراسة كتاب الله والتفسير وإدراك فصاحته وبلاغته، وصار الأئمة لا يقتنعون على تدريس كتب التفسير إلا بعد أن يلم طلابهم بطرف من البلاغة وغنوها كما فعل يحيى بن حمزة الطوسي حينما ألف كتابه «الطرز المضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز» ليكون عوناً لمن شرع في دراسة تفسير الكشاف عليه :

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧.

وكتب التفسير كلها كتصلي بالبالغة، ولعل أهم تفسير علي بالبالغة والكشافه
 بخار الله محمود بن عمر الرمضاني (١٠٢٨هـ) الذي جمع فيه كثيراً من قرون
 البالغة واستعان بها في فهم كلام الله وإظهار مآله من روعة وجلال:
 ويتصل بالقرآن الكريم الأصوليون وهم أصحاب الصناعة القانونية في فهمهم
 للشرع الإسلامي من كتاب الله وحديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -
 واستخراج أصول التشريع. وقد أثر هؤلاء في البالغة، وفي كتبهم بحوث مستفيضة
 من الخبر والإنشاء، والحقيقة والتجارب، وهي بحوث تدل على استتار علم أصول
 الفقه بها .

ومن الكتب التي صبت بالبالغة وأثرت فيها كتب الرسالة للإمام محمد بن
 أحمد بن الشافعي (١٠٢١هـ) ، وكتاب التتميد في أصول الفقه لأبي الحسين
 محمد بن علي بن الطيب البصري المتزلي (١٠٣٦هـ) وكتاب المستصطفى من علوم
 الأصول للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (١٠٥٥هـ) ، وكتاب الأحكام
 في أصول الأحكام لأبي الحسن علي بن أبي علي سيف الدين الآملي (١٠٦٣هـ).
 القويون والنفحة :

ومن الذين أثروا في نشأة البالغة وتطورها القويون والنفحة، وقد كانت لهم
 يد طول في ذلك، وظل دورهم مشهوراً منذ عهد التتويج واستطاعوا أن يسيطروا
 على مناهج التدريس وبرفروا لواء المحافظة على السنة وبردوا المحدثين وما غلبوا
 إليهم. وأخبار الخصومة بين الشعراء والقويين والنفحة مستفيضة، من ذلك أن ابن
 أبي اسحاق اعترض على القزويني لرفع (مجلد) في قوله:

وعفّ زمان يا ابن مروان لم يَدْعَ من لال إلا مسحاً أو مجلف
 فقال: علام رفعت «مجلد» ؟ فرد القزويني: على مايسوءك وينزوك، علياً أن
 لقول وعليكم أن تتأولوا (١) وكان الخليل بن أحمد يقول لابن مناذر: «إنا أئم
 معشر الشعراء تبع لي وأنا سكان السفينة، إن قرظتكم ورضيت فوالكم نلقم

(١) طلائع قصول الشعراء ج ١ ص ١٦ وما بعدها.

والأقدم قال ابن منظور: «والله لأقولن في الخليفة قصيدة استطاع بها ولا
أحتاج إليك فيها عنده ولا إلى غيرك» (١).

وكانوا يستهينون بالحقاء ولا يقبلون أحكامهم، قال أبو أحمد العسكري:
«الغيرة أبو بكر محمد بن يحيى قال: حدثني علي بن عباس قال: رأيته البحرى
وسمي دفر قال: ما هذا؟ قلت: شعر الشمرى. قال: وإلى أين تضي: قلت
أترأى علي أبي العباس أحمد بن يحيى: قال: رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام ظم
أز له علماً بالشعر مرغياً ولا تقلداً له ورأيتك يمشي أحياناً صالحة ويبيدها إلا أنها
لا تستوجب التريد والاعجاب بها» (٢). ووقف بعض القائلين بوجه القويين
والحقاء أيضاً وسخروا منهم كابن الأثير الذي قال وهو يتحدث عن ابن جني
«لكن النصيحة والبلاغة غير من الشعر والإعراب» (٣).

إن هذا الصراع بين القويين والحقاء والشعراء أمثال الأدب ودفع الجميع إلى
البحث والتفكير فكانت للكتب العظيمة والآراء السديدة: وإذا كان موقف الشعراء
يسم بالغلاة، فإن القويين والحقاء أترأى في البلاغة، وكانت لهم وقفات محدودة
والفتايات بلغة دخلت كتب البلاغة فيما بعد. ومن أقدم الذين اعتنوا باللغة
وشواردها والنظر في الشعر واستخلاص قواعده معمر بن المثنى (٢٠٨هـ) المعروف
بأبي عبيدة، وفي كتابه «مجاز القرآن» كثير من الإشارات إلى فنون البلاغة وأساليب
التصوير.

ومنهم أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (٢١٦هـ) الذي كانت له
آراء نقدية وبلاغية تمثل ذروة وفوق عصره، ويوضح ذلك في كتابه «مفردات الشعراء»:
«وفي الآراء الكثيرة التي تناولتها كتب البلاغة والتلذذ».

(١) الأتالي ج ١٨ ص ١٨١.

(٢) المصون في الأدب ص ٤.

(٣) للتلذذ ج ١ ص ٣٨٢.

وأبو العباس محمد بن يزيد البرد (٢٨٥هـ) الذي ذكر كثيراً من فنون البلاغة في كتابه «الكامل»، وكان كلامه على التشبيه من أوسع ما عرف في عهده، وناصر عدة البلاغيين حينما درسوا هذا الفن وقسموه ومثلوا له :
 وأبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) الذي كان كتابه «الصاحي» من أهم كتب المفريين التي عرضت لموضوعات البلاغة، ولعله أول من تحدث بوضوح عن الخبر والإنشاء حينما قسم الكلام إلى: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحطيس، وتثني وتعجب (١)؛ وتحدث عن موضوعات كثيرة أخرى كالخليفة والجاز، والمخطف والاختصار، والزيادة والتكرار، والتقديم والتأخير، والإعراض والإيحاء، والتهكم، والكتابة، والإفراط، والإستطراد، والتأكيد، وغيرها.

ومن النحاة الذين كانت كتبهم مادة خصبة للبلاغيين أبو بشر عمرو بن عثمان ابن قنبر (١٨٠هـ) صاحب الكتاب المشهور .
 وأبو زكريا يحيى بن زياد القرطبي (٢٠٧هـ) ، مؤلف «معاني القرآن» .
 وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ) صاحب «تواضع الشعر» .
 وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ - أو ٤٧٤هـ) صاحب «دلائل الإعجاز» ، و «أسرار البلاغة» .

وقد كانت لكثب هؤلاء النحاة أثر في البلاغة لأنها عنت بالأساليب اللغوية وذكرت كثيراً من المصطلحات التي دخلت في كتب البلاغة وأصبحت مصطلحات علمية .

الشعراء والكتائب :

وأثر «الشعراء» في البلاغة، وقد كانوا يعنون بالقول ويعودون أشعارهم ويفحصونها منذ عهدهم الأول، وقد دلت الملاحظات ليبانية على أنهم كانوا أصحاب ذوق ومعرفة يحدد الشعر ورويته : ونما ذوقهم حينما تقدم بهم الزمن وكثرت ملاحظاتهم حتى إذا ما جاء العصر العباسي ودخل للعرب حياة جديدة تطورت نظرهم إلى

(١) ينظر الصاحي من ١٢٩ وما بعدها.

الشعر وإعراكمهم لما فيه من روعة وجمال أو تصنع وتطبع : وقد رُوِيَ أن بشارة
ابن برد كان يثمد الشعر ويثبر إلى جيده ورويته ، وأشد قول الشاعر :

وقد جعل الأعداء يتضموننا وتطبع فينا السن وعيون
ألا إنما ليل ، عصا غير راة إذا غمزوها بالأكف تلين
قال : والله لو زعم أنها عصا مخ أو عصا زيد ، لقد كان جعلها جانية غشة بعد
أن جعلها عصا ، ألا قال كما قلت :

ودعجاء المحاجر من معد كان حديثها نمر البنان
إذا قامت شيتها تنسنت كان عظامها من غيران (١)
وقال : «لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شين بشين في بيت
واحد حيث يقول :

كان قلوب الطير رطباً وباساً لدى وكرها العتاب والخشف ليالي
أعمل نفسي في تشبيه شين بشين في بيت واحد حتى قلت :

كان منار القبع فوق رؤوسنا وأسباقنا ليل نهوى كواكبه (٢)
ولي كتب الأدب كثير من هذه الأحكام التي تدل على مكانة الشعراء في العصر
العباسي وتوجيههم التقدي والبيان. قال ابن المعتز : «البديع اسم موضوع للفنون من
الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء بالغة والشعر التقديم فلا
يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو» (٣). وقال ابن رشيق القيرواني : «أهل صناعة
الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وغير وما أشبه ذلك ، ولو
كانوا دونهم بدرجات ، وكيف وأن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ؟ وقد كان
أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يمحرون مع خلف الأحمر حلبة هذه الصناعة ، أعني
التقد ، ولا يشقرون له خبائراً لفائده فيها وحذقه بها وإجادته لها» (٤).

(١) الأتالي ج ٣٠ ص ١٥١.

(٢) الأتالي ج ٣ ص ١٩٦.

(٣) البديع ص ٥٨.

(٤) الصلة ج ١ ص ١١٢.

وكان ابن المعتز (- ٢٩٦هـ) الشاعر عباسي أكثر شعراء تأثيراً في البلاغة، فقد وضع كتابه «البدیع» الذي تحدث فيه عن خمسة فنون من البديع هي: الاستعارة والتجنيس والمطابقة وردعجاز الكلام على ما تقدمها والذهب الكلامي وتوكلهم على ثلاثة عشر فناً وسماها «عناصر الكلام» وهي: الالفاظ، والاعتراس، والرجوع، وحسن الخروج، والتأكيد المدح، وتباعد المعارف، والتهزل يراد به الجحد، وحسن التضمين، والتعريض والكتابة، والأفراط في الصفة، وحسن التشبيه، ولزوم مالا يلزم، وحسن الابتداء، وكانت هذه الفنون عمدة البلاغيين فبنوا عليها كتبهم وذكرها ما قاله ابن المعتز وأضافوا إليها فنوناً كثيرة.

ومن الشعراء الذين كانت لهم مشاركة في البلاغة الشريف الرضي (- ٤١٦هـ) صاحب «تلخيص البيان في معجزات القرآن» و «المعجزات النبوية» وابن رشيق القيرواني (- ٤٦٣هـ) مؤلف «العمدة في عناصر الشعر وآداب وتقده» و «مراعاة الذهب»:

وابن سنان الخفاجي (- ٥٩٦هـ) مؤلف «سر النفاضة»:

واسامة بن منقذ (- ٥٨٤هـ) صاحب «البدیع في نقد الشعر».

وابن أبي الأصم المصري (- ٦٥٤هـ) مؤلف «تحرير التحبير» و «بدیع القرآن». وكان للكتاب أثر واضح في البلاغة، فقد صيغوا كثيراً من بحوثها بصورة أدبية لما امتازوا به من أدب رفيع وفوق سائر. وهم الذين قال الجاحظ عنهم: «أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن مفعولاً وحشياً ولا سائطاً موقفاً» (١). وقال ابن رشيق: «الكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملهم تصنيفاً وأحلامهم ألفاظاً وأطقمهم معاني وأندرهم على تصرف وأبعدهم من تكلف» وقد قيل: للكتاب دعاوين الكلام (٢).

(١) البيان ج ١ ص ١٣٧.

(٢) العمدة ج ٢ ص ١٠٦.

وأحدث الكتابة مكانة مرموقة منذ العصر الأموي وكان عهد العهد الكتاب
(- ٨١٢م) من انتهت إليهم رئاسة الكتابة في ذلك العهد . وكان ابن القطيع (- ٨١٢م)
من أثر في البلاغة وأثقلت عنه كثير من الأقوال فيها . ولكن أبا جعفر جبريل بن
بحر الجاحظ (- ٨٢٥م) من أكثر الكتاب تأثيراً في البلاغة ، وفلسفة بما ذكره
في كتبه ولا سيما «البيان والبيان» و «المجربون» من فنون البلاغة وأباليب بلغة
وأصبحت دراسته لمسائلها أساس البلاغيين وإن كان لم يحثها على طلبها بقوم على
التحديد الدقيق والتقسيم المنطقي الذي عرفه كتب المتأخرين .
ومن الكتاب الذين أثروا في البلاغة قدامة بن جعفر (- ٨٣٧م) مؤلف
«نقد الشعر» .

وابن وهب الكتاب صاحب «البرهان في وجوه البيان» وهو الكتاب الذي طبع
نفسه باسم «نقد الشعر» والسبب إلى معاصره قدامة بن جعفر .
وأبو هلال العسكري (- ٨٤٥م) مؤلف «كتاب الصناعات» أي : صناعات
الشعر والشعر .

وابن تالها البغدادي (- ٨٨٥م) مؤلف «البيان في تشبيهات القرآن»
و«غياة العينين» الأثير (- ٨٣٧م) صاحب «الثلث السائر في أدب الكتاب»
والشاعر و «الجامع الكبير» و «الإستزادة» .
وشهاب الدين محمود الحلبي (- ٨٧٢م) صاحب «حسن الترميل إلى صناعة
الترسل» .

المكلسون :

وأثر المكلسون في نشأة البلاغة وتطورها ، والمكلسون أصحاب الصناعة الكلامية
في يحثهم القرآن الكريم وتدلّياتهم على إعجاز واستنباط المنطق منه والاحتجاج بونه .
وقد ظهر أثرهم مبكراً ، وكان البصرة أظهر فرقة آلت في البيان والجدلية في فن

القول: وأما صحيفة بشر بن النضر (٢١٠هـ) من أقدم الآثار في ذلك (١)، وقد تحدث فيها عن فن القول وأوضح فيها كثيراً من القضايا التي أصبحت صفة للبلاغيين والفقهاء، من ذلك كلامه على الاستعداد للإنتاج الأدبي والاهتمام بتخزين اللفظ والمعنى وتحديد المثلث الذي يمر بها الأديب، وأولها منزلة البليغ الثاني يكسو عباراته جمالاً يرجع إلى رشاقة اللفاظ وعذوبتها وجزالتها وسهولتها ووضوح المعاني واتساعها. وثانيها منزلة من لم تسقط طبعته باللفاظ للامتعة والقراءة الجيدة والمعاني الرقيقة، وعليه أن يتأنى ويؤجل الكتابة إلى وقت نشاطه وفراغ ياله، فإن كان له في الأدب طيبة حقاً ولاء الكلام وانتالت عليه اللفاظ والمعاني، ثالثها: منزلة من شح طبعه وانضبت بتأنيق القول عنده، وهذا لا يأتي بمجد للكلام مهما جلول أو تكلف، وجرى به أن يترك صناعة الأدب وينحول إلى غيرها. وفي الصحيفة حديث عن مطابقة الكلام لمتنقى الحال، والمطابقة من أهم شروط البلاغة. ومن المتكلمين الذين شاركوا في البلاغة وفن القول وأصل بن عطاء (١٢١هـ) وعمرو بن عبيد (١٤٤هـ) وسهل بن هارون (١٧٣هـ) والجاحظ الأديب المعتبر. وقد طبع هؤلاء وغيرهم البلاغة بطابع عقلي يعتمد على الاستدلال والدقة في التحديد والتفصيل.

وألّف بعض فلاسفة المسلمين في البلاغة والفقه، ولكنهم كانوا يفرغون من بحر أرسطو جاليساً، ويلخصون كتابيه «الشعر» و«الخطابة». فقد اختصر كتاب الشعر الكليني (٢٥٢هـ) ولخصه أبو نصر الفارابي (٣٣٩هـ)، ولابن سينا (٤٢٨هـ) رسالة في معاني الشعر، ولابن الهيثم (٤٣٠هـ أو ٤٣٢هـ) رسالة في صناعة الشعر، ولابن رشد (٥٩٥هـ) تلخيص لشعر أرسطو.

ولكن الفروق العربي رفض مثل هذه الدراسات لأنها لا تحكّم الفنون في الأدب وقد صرح البحتري بذلك فقال:

(١) الصحيفة في البيان ج ١ ص ٣٥ وكتب الصائغين من ١٢١.

كلتمونا حدود منطقكم في الشعر تكفي عن صدق كلبه
 ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق مانوعه وما سيبه
 والشعر لم يح تكفي اشارته وليس بالهكذا طوكت خطبه
 وتار ابن الأثير (١٠٦٣٧) على أساليب الفلسفة ورأى في أميائها من أمثال الفارابي
 وابن سينا رجلا أصلهم أرسطو وأفلاطون (١)؛

(١) ينظر لعل الشعر ج ١ ص ٣١٠

البحث الثاني المدرسة البلاغية

كانت المراحل الأولى في البلاغة كثيرة منها الأدبية ومنها الكلامية ، وقد أدى هذا الاختلاف في التأثيرات إلى أن تنجس البلاغة لتجاعين أطلق عليهما اسم «المدرسة الكلامية» و«المدرسة الأدبية». وأمر هذين الاتباعين أو المدرستين قديم ، وقد نبه أبو هلال العسكري إلى منهجين في دراسة البلاغة ، فقال :

«وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب التكلمين وإنما قصدت فيه قصد صناعة الكلام من الشراء والكذاب ، فلهذا لم أطل الكلام في هذا الفصل» (١) . وقال السيوطي وهو يترجم نفسه : «وردت البحر في سبعة علوم : التفسير والمحيط والفقه والشعر والماني والبيان والبدع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة» (٢). ولم تكن معالم هذين الاتباعين واضحة ما وجدنا العسكري يصرح بها في عهد مبكر ، ورأينا السيوطي بعده يقرون بتفسير بأنه درس البلاغة على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. فما خصائص كل مدرسة ؟ ومن أشهر أعلامها ؟

المدرسة الكلامية :

كان للفلسفة وعلم الكلام أثر في الفكر العربي والإسلامي ، ولم يسلم علم من العلوم من الأثر الفلسفي والكلامي ، وكان لبلاغة نصيب عظيم من ذلك الأثر هورتت الصلة منذ عهد مبكر بينها وبين المنطق والفلسفة ، وأخذت هذه الصلة تزداد قرناً بعد قرن حتى بلغت أوجها في القرن السادس للهجرة وما بعده. وقد انعكس ذلك في العلوم البلاغية ، فكانت المدرسة الكلامية التي اهتمت بالتحديد للذائق والتفهم للعقل ، وجعل التعريف جامعاً مانعاً ، واستعمال أساليب التكلمين

(١) كتاب الصناع من ٩

(٢) الحسن الخوافرة ج ١ ص ١٥٥ وما بعدها.

في بحث الموضوعات وحصرها، والأكثار من الالفاظ الفلسفية والمنطقية، وقد ساقى
 البلاغيون كثيراً من القولات (١) عند القول في الملكة حين وردت في تعريف
 القصاحة والبلاغة. وما صدروا به البيان من بحوث الدلالات الوضعية والعقالية.
 وأدخلوا فيها بعض مسائل الفلسفة الطبيعية والآلية والعقلية كالإكلام في الألوان
 والطبوع والروائح والحواس الإنسانية وعقدها، والوهم والخيال والفكرة والحس
 المشترك والأسباب والسيات وغيرها. وأدخلوا فيها من الالفاظ الفلسفية والكلامية
 الشيء الكثير، مما لا صلة له بالبحث البلاغي الذي يعتمد أول ما يعتمد على اللوق
 السليم.

ومن شواهد الأثر الفلسفي في هذه المدرسة الإقلال من الأمثلة الأدبية، لأن
 رجالها اعتصموا بالتحديد المنطقي والحصر والتقسيم، فكانوا يذكرون لكل قاعدة
 شاعداً واحداً أو مثالا قصيراً. ولينهم وقفوا عند ذلك، فهم كثيراً ما يذكرون
 أمثلة لأجمال فيها، لأن صحة الشاهد أو المثال عندهم أصل كل شيء، أما جماله
 وما يبعث في النفس من احساس أو شعور فلي ظم بوجهها عنايتهم إليه، ولعل اعتصام
 المتأخرين منهم بالاختصار وتلخيص الكتب للتقدمة كان سبب الإقلال من الأمثلة
 والشواهد والأكتفاء بالقلة وأصرها وبما يتسجم مع أنوائهم التي سيطرت عليها
 شرعة العقلية، وغير مثال على ذلك كتاب «التلخيص» للخطيب القزويني
 (٥٧٣٩هـ) الذي أوجز فيه مباحث البلاغة التي ذكرها السكاكي (٦٢٦هـ) في
 كتابه «مفتاح العلوم» فأصبحت جافة لا تنفع كثيراً بما اضطره إلى شرح كتابه
 بالأبصار ودفع الآخرين كالغضائلي وبيهاق الدين السبكي وعصام الدين الأسفراييني
 وغيرهم إلى شرحه أيضاً.

وشاعت المدرسة الكلامية في المناطق الشرقية من الدولة الإسلامية حيث ينفطن
 غلبت من الفرس والترك والفرس، وكانت عوارزم أكبر قبضات التي ظهر فيها

(١) النول : صفة من الصفات تجعل كل شيء كالمقولات الصغرى : الكتب والكتبية .
 والاصح والاكثار والترك والوضع والمك والفضل والاختصار .

أقطاب هذه المدرسة كفضيل الدين الرازي (- ٥٠٦هـ) صاحب « نهاية الإيجاز في فريضة الاعجاز » والسكاكي صاحب « مفتاح العلوم » .

وأهم كتبها « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجرجاني و« نهاية الإيجاز في فريضة الاعجاز » للرازي و « مفتاح العلوم » للسكاكي و « المصباح في اختصار المفتاح » لبيروني بن مالك و « تلخيص المفتاح » و « الإيضاح » للقرطبي و « عروض الأفراح في شرح تلخيص المفتاح » لبهاء الدين السبكي و « المطول على تلخيص » و « المختصر » لسعد الدين التستري و « مواهب المفتاح في شرح تلخيص المفتاح » لابن حنوب المغربي ، وغيرها من شروح التلخيص الأخرى .

المدرسة الأدبية :

كان القرآن الكريم من أهم العوامل التي طبعت بحوث البلاغة بطابع أدبي يعتمد على الفنون الرفيع قبل اعتماده على التحديد والتقسيم : وكان للكتاب والشعراء أثر واضح في البلاغة ، فقد صنفوا كثيراً من موضوعاتها بصفة أدبية لما امتازوا به من أدب غزير وفوق سليم : وكانت نتيجة تلك العوامل أن اتجهت البلاغة منذ عهد مبكر اتجاهاً أدبياً وسلكت طريقاً بعيداً عن المدرسة الكلامية ، وكانت لها خصائص واضحة تميزها عن المدرسة الأخرى ، ومن ذلك أنها لم تهتم كثيراً بالتحديد والتقسيم وإن جئنا إلى ذلك فعل غير محقق وتقالا والزام التصحيح القائم للأصول المنطقية ولم تهتم بالتباس التعقيدات ومسائل الفلسفة بل تلبستها وحملت عليها وحاربتها ، وكان ابن الأثير أحد أقطابها من الذين أنكروا ادخال الأساليب الفلسفية في البحث ، قال : « اعلم أن ذلك الحصر كمال لا جزئي ، ومحال أن تحصر جزئيات اللغز ، وما يفرغ عليها من التفرعات التي لا نهاية لها ، لا جرم أن ذلك الحصر لا يستفيد بمرسته صاحب هذا العلم ولا يفتقر إليه فان القيلوي القبادي راعي الأبل ما كان يصر

شيء من ذلك بلهمه ولا يخطر بباله، ومع هذا قاله كان يأتي بالسحر الحلال إن قال شعراً أو تكلم نثراً (١).

ومن خصائص المدرسة الأدبية استعمال المقاييس الفنية في الحكم على الأدب ولذلك نجد هامزة نستطيع التحليل ومرة لا نستطيع ذلك، وترجمه إلى اللوق والاحساس الفني. ومن ذلك أن أسلوب كتبها سهل لا يحتاج إلى عناء كبير في فهمه كما يحتاج في قراءة كتب المدرسة الأخرى، وسبب ذلك أن معظم رجلاً عاشوا في بيئات عربية كالعراقي والشامي ومصر، وكانوا إلى جانب ذلك شعراء أو كتاباً. أما رجال المدرسة الكلامية فقد عاشوا في بيئات أعجمية فقلبت على كتبهم العجمة ولم يكونوا أدباء بل كانوا من الفلاسفة والمفكرين:

وأشرف رجال المدرسة الأدبية في ذكر الشواهد والأمثلة، وكانوا يذكرون القاعدة أو التعريف ثم يأتون بالأمثلة الكثيرة. ولم تكن الأمثلة منصودة على الجملة أو بيت الشعر وإنما تعدتها إلى القطعة الشعرية والرسالة الأدبية. ويتضح هذا في جميع كتب المدرسة، فابن المعتز - مثلاً - يذكر تعريف الاستعارة أو التشخيص ويورد بعد ذلك أمثلة كثيرة ويفرق بين الحسن والرديء، وتبعه البلاغيون الآخرون في هذا المنهج كأبي هلال العسكري في «كتاب الصناعتين» وابن رشيق في «العقد» وأسامة ابن منقذ في «الديع في نقد الشعر» وابن الأثير في «الملل السائر» و«الجامع الكبير» وابن أبي الأصم المصري في «تحرير التحبير»:

ولقد سادت هذه المدرسة في المناطق الوسطى من العالم الإسلامي كالعراق والشام ومصر وشمال أفريقيا.

وأهم كتبها التي تضمنت خصائصها كتاب «الديع» لابن المعتز و«كتاب الصناعتين» للعسكري و«العقد» لابن رشيق و«سر الصناعة» لابن سنان البخاري و«أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني و«الديع في نقد الشعر» لابن منقذ، و«الملل السائر» و«الجامع الكبير» لابن الأثير و«ديع القرآن» و«تحرير التحبير»

(١) الملل السائر ج ١ ص ٣١٠.

لاين أي الاصحح و حسن التوصل إلى صناعة القوسل، لشهاب الدين الحلبي .
هاتان هما المبرستان البلاغيان ، وقد كانت لكل واحدة منهما خصائص عامة ،
ولكن هل يمكن وضع فاصل بين الذين اتجهوا اتجاها عقليا والذين نهجوا نهجا
ادبيا؟ ليس من الممكن ذلك لان البلاغي الواحد كثيراً ما يمزج بين الطريقتين
ويستفيد من الاتباعين ، فالجاحظ مثلاً - وهو رأس فرقة الاعتزالية سميت
الجاحظية - نراه يميل إلى الفن ويحكم القوم في كثير من الاحيان ، وأبو هلال
المسكزي مع تأكيدده انه لن يتبع طريقة التكميلين نراه يتجه نحوهم في تقسيماته
وتبويبه ويجري في مضمارهم ويطلبهم افراضهم . وكان عبد القاهر الجرجاني يميل
مرة إلى المدرسة الكلامية في كتابه «دلائل الاعجاز» ويتجه إلى المدرسة الادبية في
كتابه «أسرار البلاغة» ، وهو في كتابه الاول يجادل جدلاً منطقياً فيكرر اساليب
أهل الجدل كتقوله : «إن قلتم قلنا...» و «كيف لا يكون الامر كذلك...» و
«ما هو إلا كذا وكذا...» وهو في كتابه الثاني أدب يعتمد إلى التحليل الفني وإبراز
ما في الكلام من بلاغة وجمال لانه لا يريد ان يدافع دفاعاً عقلياً كما دافع عن القرائن
في كتابه «دلائل الاعجاز» .

ومن جمعوا بين الطريقتين في كتاب واحد يحيى بن حمزة الطوسي (- ٧٤٩هـ)
صاحب «الطرارز المتضمن لاسرار البلاغة وحقائق الاعجاز» ، فهو في القسم الاول
منه يسير على منهج أدبي واضح فيه التحليل والاكتار من الأمثلة ، وهو في القسم
الثاني من الكتاب يتبع طريقة المدرسة الكلامية في تصنيف موضوعات البلاغة وعرضها ،
وفي الجدل وتقديم الأدلة ، ولقد يكون سبب ذلك انه في هذا القسم تعرض لاصحار
القرائن ، وهو ما يدفع الباحث إلى النظر العقلي ورد الشبهات بالأدلة والبراهين .
هذا ما كان من أمر البلاغة العربية قديماً ، أما اليوم فان للتفكير الحديث يتطلب
الاستفادة مما سبق لبناء بلاغة جديدة تعتمد على ذوق العصر وتستند إلى مظاهر من
ادب وفنون :

الفصل الثاني الفصاحة والبلاغة المبحث الأول الفصاحة

لفظة «الفصاحة» ما شاع وعرفه العرب بعلومه التفوي قيل أن تأخذ اللفاظ دلالتها الفنية : ونجد لها في المعاجم دلالتين :

الأولى : لغوية تقوم على المعنى الأول الذي وضعه العرب واستصلوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والتقد . ففي لسان العرب : «يوم فصيح : لا غيم فيه ولا قمر» .

أنصح الذين : ذهب الباء عنه . فصيح الذين : إذا أخذت عنه الرغبة : قال لطفة قلبي :

أروه فازدروه وهو عسوق ويضع أعله الرجل الفصح
فلم يخلوا مصائبه عليهم ونحت الرغبة الذين الفصح
أنصحت الشاة والناقة : خلص لبنها . أنصح الصبح : بدأ ضوءه واستبان ،
وكل ما وضع فقد أنصح ، وكل واضح فصيح . ويقال : قد فصحت الصبح ،
أي بان لك وغلبك ضوءه . فصحة الصبح : هجم عليه .

الثانية : دلالة تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه البلاغيون ،
ففي لسان : «الفصاحة : البيان ، فصَحَّ الرجل فصاحة» فهو فصيح من قوم
فصحاء وفصاح وفُصح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصاح : رجل فصيح
وكلام فصيح ، أي : بليغ .

لسان فصيح ، أي : طلق . وقد جاء في الشعر في وصف العجم : أنصح ، يريد
به بيان القول وإن كان بغير العربية ، كقول أبي النجم :
أعجم في آذانها فصحا

يعني : صوت الحبل انه اصم ، وهو في آذان الأذن فصيح بين :

وقصَّحَ الأعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهمه عنه . وقيل : جاءت
ال لغة حتى لا يلحن . أفصح كلامه أفصاحاً وأفصح تكلم بالفصاحة وكذلك القصي .
يقال : أفصح قصي في منطقته أفصاحاً اذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم .
أفصح الاعمى : اذا فهمت كلامه بعد غشته . أفصح عن الشيء أفصاحاً اذا بيته
وكشفه : فصَّح الرجل وفصَّح اذا كان عربيّ اللسان فلزاده فصاحة . وقيل
فصَّح في كلامه وفصَّاح : تكلف الفصاحة . يقال :

ما كان فصيحاً ولقد فصح وهو الين في اللسان والبلاغة : والفصح استعمال
الفصاحة وقيل : تشبه بالفصحاء .

وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصح ، فالقصح كل ناطق ،
والاعجم كل مالا يتقن .

الفصح في اللغة المنطوق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديته :
أفصح الكلام وأفصح به وأفصح عن الامر : الفصح في كلام العامة : المغرب .
وفي هذا يتضح معنى البيان والظهور في كلمة «الفصاحة» ، ليس هذا المعنى
بعيداً عن الدلالة الأولى ولا عن المعنى الذي اصطلح عليه علماء البلاغة ، وهو
رقة الالفاظ وجمالها ، وبيان التعبير ووضوحه .
في القرآن والحديث :

لو مضينا نبحث عن لقيقة «الفصاحة» في ثرائنا لرائدناها في قوله تعالى حكمة
عن نبيه موسى - عليه السلام - : «وأنبي هرون» هو أفصحُ مني لساناً (١)
وفي الحديث النبوي الشريف : «أنا أفصح العرب بيد أبي من قرش» (٢) و«فقر

(١) القصص ٢٤ .

(٢) قال عبد الله بن رواحة في طبع الرسول - صلى الله عليه وسلم - :
لو لم تكن في آيات ميثمة كانت فصاحته تنيلك بالضمير .

له بعد ذلك فصيح وأعجم :، وفرد أصحاب الحديث بأن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - أراد بالتفصيح بني آدم ، وبالأعجم إليهم : (١) :

ولا تخرج لفظة «التفصيح» في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عن معناها القوي وهو الظهور والبيان . وحينما دخلت هذه اللفظة الترجمات البلاغية والتفدية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما ، بل لم يروا بأنها في أن يستعملوا أحدهما مكان الأخرى كما فعل أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٢٥هـ) الذي لم يضع حداً فاصلاً بين اللفظتين وإنما اجراءهما بمعنى واحد في مواضع كثيرة من كتابه « البيان والتبيين » ، الجاحظ :

عرف الجاحظ البلاغة بقوله : «وقال بعضهم - وهو أحسن ما اجتنيته ودونته : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسبق معنى لفظة ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظة إلى سمك أسبق من معناه إلى قلبك» (٢) : وفي هذا التعريف التفاهة القصاحة بالبلاغة ، والنقص على امتزاجهما .

والقصاحة - عنده - واسعة المعنى ، ولذلك نراه يتحدث عنها وعن الالتفات كثيراً ، وتعدّ إشارات في كتابه «البيان والتبيين» من أوسع ما وصل إلينا من عهد التصوين الأول . ويرى أن الالتفات جسيمة بالرعاية والاعتناء ، يقول : «وقد يستغنى الناس القاطن ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع القناب أو موضع القنر المنقوع والعجز للظاهر . والناس لا يذكرون السب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر الظلم ، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام : والساعة وأكثر خاصة لا يفتشون بين ذكر الظلم وبين ذكر الغنى ، ونقط القرآن الذي عليه نزل

(١) النهاية في غريب الحديث واللاتر ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١١٥ .

انه اذا ذكر الابهصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سمع مساوات لم يقل الارضين :
 ألا تراء لا يجمع الارض أرضين ولا السمع أسماعا . والجاري على لقواه القلعة
 غير ذلك لا يتفقون من الالفاظ ما هو الحق بالذكر وأول بالاستعمال (١) .
 وتكلم على تناثر الحروف فقال : ولما في اقتران الحروف كان الجيم لا تقارن
 اللام ولا القاف ولا الطاء ولا القين بتضميم ولا بتأخير ، والراء لا تقارن القاء ولا
 العين ولا الصاد ولا الذال بتضميم ولا بتأخير . وهذا باب كبير وقد يكفي بذكر
 القليل حتى يستدل به على الغاية التي إليها يجرى (٢) .

وتحدث عن تناثر الالفاظ فقال : ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتناثر وإن كانت
 مجموعة في بيت شعر لم يستطع النشد انشادها إلا ببعض الاستكراه ، فمن ذلك قول
 الشاعر :

وقبر حرب بمكان لمصر وليس قسرب قبر حرب قبر
 ولما رأى من لا علم له أن أحدا لا يستطيع أن يشد هذا البيت ثلاث مرات
 في نسق واحد فلا يتحج ولا يتلجج ، وقيل لهم : إن ذلك إنما اعراه إذ كان من
 اشعار الجن ، صدقوا بذلك .

ومن ذلك قول ابن سبج :

لم يطرها والحمد لله شبي وانكت نحو عزف قدسره ذبول
 فتلشد التصف الأخير من هذا البيت فالتك متجد بعض الفاظه يتبرأ من بعض (٣)
 وينبغي أن تكون الالفاظ متماثلة متلازمة كي لا يقع بينها التناثر فتصبح كأولاد
 علة ، يقول : هوأشدي أبر العاصي ، قال : أشدني غطف الأحمر في هذا
 المعنى :

(١) البيان والبيان ج ١ ص ٢٠ .

(٢) البيان والبيان ج ١ ص ٦٩ .

(٣) البيان والبيان ج ١ ص ٦٥ .

وبعض فريض القوم أولاد حكمة يكند لسان الناطق المحفوظ (١)
وقال أبو العاصي : وأشدني في ذلك أبو القيلة الرباعي :

وشعر كبر الكيش فرقى بينه لسان دعسي في الفريض دجيل
فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرها وكانت القاط البيت من الشعر لا يقع بعضها
عائلة ليطس كان بينها من التافر ما بين اولاد التملات . واذا كانت الكلمة ليس
مرفها الى جنب أختها مترجبا موائقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر
مؤونة .

قال : وأجود الشعر ما رأته متلاصم الاجزاء سهل للخروج ، فاعلم بذلك أنه
قد أفرغ الفراخا واحدا ، وسبك سبكاً واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري
على اللسان .

ولما قوله : «عبر الكيش» فاعلم ان أن يمر الكيش يقع متفرقا غير مؤلف
ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفكة متباينة
ولينة للمخاطف سهلة ، وتراها مخططة متباينة ومتناثرة مستكرهة تشق على اللسان
وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة وروطة مرابة ، سهلة للقام خفيفة على
اللسان حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف
واحد . (٢)

ويرى أن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عاميا وسائعا سويا ، فلكذلك لا ينبغي
أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون الشكل بدويا أمرايا ، فان الوحشي من الكلام
يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوي رطانة السوي (٣) .
لقد اغم المحقق بالانفاذ اهتماما عظيما وأولاهها عناية كبيرة ، وقد دفعه
هذا الاهتمام الى أن يقول : «واللهي مطروحة في الطريق يعرفها النجسي والعربي

(١) أولاد حمة : هم بنو رجل واحد من ليهات شي .

(٢) البيان ج ١ ص ٦٦ .

(٣) ينظر البيان ج ١ ص ١٤٤ .

والعموي والقروي والمثني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة
المخرج ، وكثرة الراء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب
من النسيج وجنس من التصوير (١) :

وعن بعض الباحثين أنه يهمل ال ال لفظ كل الليل ، وأنه لا يرى للمعنى كبير
أهمية ، والواقع أنه متى باللفظ وأعطاه نصيبه من الاهتمام ، وشغل بالالمعنى
والتصوير الأدبي الذي يقول عنه : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من
التصوير » وهذه نظريته التي شرحها عبد القاهر الجرجاني وسماها « نظرية
النظم » ، فلاحظ اعتم بالالفاظ والمثاني والتصوير مع انه يرى أن بعضهم لا يخل
الا بالمعنى وحده كأي عمرو الشيباني الذي يرى أن المعنى متى كان رائقاً حسناً
خل كذلك في أية عبارة وضع فاليقان :

لاتحسبن الموت موتاً قبل فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موتاً ولكن ذاك انقطع من ذاك للذل السؤال

استحسنهما أبو عمرو على حين ليست عليهما مسحة من جمال سوى الوزن :
وحابه الملاحظ ورأى أنه صرف في تقديرهما ، وقال : « وانما رأيت أنهما عمرو
الشيباني وقد بلغ من استجاذبه لخلين الشيبين ونحن في السجد يوم الجمعة أن كلّف
رجلاً حتى أحضره ذوات وقراطسا حتى كتبهما له ، وأنا أزعم أن صاحب هذين
الشيبين لا يقول شعراً أبداً ، ولولا أن أدخل في الحكم بعض لفظك
لرعت أن ابنه لا يقول شعراً أبداً » (٢) .

لقد اعتم الملاحظ باللفظ ولكنه لم يهمل المعنى ، ولذلك فليس صحيحاً ماذهب
اليه بعضهم وهو أن الملاحظ كثر من جهوده لخدمة الالفاظ ، ولأجله خاض عبد
القاهر الجرجاني غمار هذا البحث : ويرى الدكتور محمد منظور أن كل آراء معهد
القاهر تنحصر في مسألتين :

(١) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

(٢) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

الاولى : انكره لما رآه الجاحظ من أهمية فصاحة الالفاظ باعتبار تلك الفصاحة صفة في النطق ذاته، ثم لورثته على مذهب أبي هلال العسكري الذي يرد جودة الكلام إلى صفات لفظية ألف عند الشكل.

الثانية : تعليله جودة الكلام بخصائص في النظم (١).

وعجالة الجاحظ «لأنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير» وما نقله عبد القاهر من اعتماده بالصياغة والصناعة، خير ما يفند هذا الرأي، لأن عبد القاهر سار على خطى الجاحظ ونقل مصطلحه في التصوير وقال : «وليس التجارة عن ذلك بالصورة شيئا نحن ابتدعناه فبتكره منكرو بل هو معتزل مشهور في كلام العرب وبكتيك قول الجاحظ «لأنما الشعر صناعة وضرب من التصوير» (٢) : فالجاحظ من أصحاب الصياغة، ولذلك تستطع عنه مهمة الاهتمام بالشكلية والالفاظ، وإن كان كثير الاعتناء باللفظ واختيار ما يؤدي المعنى أدلة حسنة، وهذه مهمة الأدب الذي يقدّر قيمة الكلام ويبدل في سبيله أعظم الجهود، وقد كان الجاحظ أدبياً كبيراً وعالماً قديراً، فحسني بالالفاظ كما عني بالمعاني وكان له الفضل في تصوير نظم الكلام.

ابن قتيبة :

وتحدث ابن قتيبة (٣٧٦هـ) عن الالفاظ، وذكر أن الشعر أربعة أصرب :

١ - ضرب منه حسن لفظ وجاد معناه ، كقول القائل في بعض بني أمية (٣) :
 في كفه عيزران ويحبه عيني من كفه أروع في حريقه قسم
 يخطي حياء ويغفسي من مهابته فما يكلم إلا حين يشم
 وكقول أوس بن حجر :

(١) ينظر في الميزان الجديد ص ١٢٩.

(٢) دلائل الاعتبار ص ٣٨٩.

(٣) كلما في الشعر والشعراء، وفي نظمنا الحزين الكفاني من أبيات يسبح بها عبد الله بن

عبد الملك بن مروان، والبيتان في ديوان الفرزدق ج ٢ ص ١٧٥ (طبعة مكتبة صادر).

وعنه في ملحج زين العابدين رضي الله عنه .

أبدا النفس ليعملني جزءا إن الذي يحلرسن لحد ولما
٢ - وغرب منه حسن لفظه وحلا فانا أنت فثقت نجد هناك غائبة في
المنى كقول القائل :

ولما قطبنا من دنى كل حاجة ومـح بالاركان من هو طسح
وحدثت على حدب النهار وحالك ولم ينظر القادي الذي حوراع
انحلا بأطراف الاحديث يننا وسالت بأعنان الطي الاباطح
يقول ابن قتيبة : وهذه الالفاظ كما ترى أحسن شيء مـخارج ومطامع ومقاطع ، وإن
نظرت إلى ما تحتها من المنى وجدته : ولما قطعنا أيام دنى واستطعنا الاركان وعالينا
أبدا الانقضاء ، ومضى الناس لا ينتظر القادي الرائح ابتدأنا في الخديث وسارت
الطي في الاباطح (١).

وتحده قول الملوط :

إن الذين غشوا بلبك غافروا وكثلاً بعينك لا يزال معينا
لخضن من عبراتهم وقلن لي : ماذا بقيت من الهوى وقينها (٢)
٣ - وغرب منه جاد معناه وقصرت الفظة عنه كقول ليد بن ربيعة :
ما عاتب المرأة الكريم كلفه والمرء يصلحه الجليس الصالح
٤ - وغرب منه تأخر معناه وتأخر اللفظ ، كقول الاعشى في امرأة:
وفدوها كالأحسسي غذاء دائم السوطي
كما ذهب براجيسا رد من عمل الشحلي
ولم يشر ابن قتيبة إلى لفظه «التصاحف» في كتابه «الشعر والشعراء» ولكنه استعمل
كلمة «الاتفاضة» ويرى أن الحديث ليس له أن يتبع المتقدم في استعمال وحشي
لللكام ككثير من أبيات ميبوه، ولا أن يسلك فيها بقول الأساليب التي لا تصح

(١) شعر وحشره ج ١ ص ٦٦ وبعد مدح الخراسي غير هذا الرئي فهو يراد
من أيدع الشعر وأدبه وقد عليها تحليلا جديلا (يسطر دلائل الإيجاز ص ٥٨) .

(٢) لبيد في ديوان حرير ص ٥٢٨ وهذا من قصيدة في صعد الاغفل.

في الوزن ولا يحل في الاسماع . يقول : « وهذا يكثر ، وفيما ذكرت منه ما ذلك
 هل ما أردت من اختيارك أحسن الروي وأسهل الالفاظ وأبعدا من التقيد
 والاستكراه والقرها من أنهم العوام . وكذلك اعترض بالخطيب اذا خطب والكتاب
 اذا كتب فانه يقال : « أسير الشعر والكلام المطمع » يراد الذي يطمع في « ثله من
 سمعه وهو مكان النجم من يد الثول » (١).

وفي كتابه « أدب الكاتب » حديث عن الالفاظ والانهاء ، ولكنه لا يسميها
 « فصاحة » وإنما هي قواعد يستعين بها الكاتب . وعقد في كتابه « صيون الاخبار » بابا
 سماه « كتاب العلم والبيان » تحدث فيه عن الاعراب والجن والشافق والغريب
 والبيان والالفاظ التي تقع في كتب الامان والعهود والخطب . وهو في هذه الابواب
 والقصول ليس كالمجاسط الذي أرسى كثيرا من قواعد الفصاحة ووضع أسسها
 التي تتردد في كتب البلاغة والفن .

البرد :

وليس فيما كتب البرد (- ٢٨٥) إشارة إلى الفصاحة وإن كان يفضل أن
 تكون الالفاظ جزلة (٢).

لعلي :

ولا فيما كتب أبو العباس علي (- ٢٩١) الذي أشار إلى جزلة الالفاظ (٣) :

ابن المعتز :

ولا فيما ألف ابن المعتز (- ٢٩٦) صاحب كتاب البليغ .

لداعة :

وتحدث لداعة بن جعفر (- ٣٣٧) عن ثمت اللفظ ، وقال ينبغي أن يكون
 سهلا مخارج الحروف من مواضعها ، عليه روثق الفصاحة مع الخطر من

(١) الشعر والشعر ج ١ ص ١٠٢ .

(٢) التكميل ج ١ ص ١٢ .

(٣) قواعد الشعر ص ٥٩ .

البهاثة (١)؛ وذكر حبوب القبط وهي :

١ - أن يكون ملحونا وجاريا على غير سبيل الأعراب والقلة:

٢ - وأن يركب الشاعر منه ما ليس يستعمل إلا في قسرة:

٣ - ولا يتكلم به إلا نادراً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب

- رضي الله عنه - زهيراً بمجانيته له وتكنبه لياه فقال : «لا يبيع حوشي الكلام»:

٤ - ومن حبوب القبط المداخلة، وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً
بمجانته لما فقال : «وكان لا يعاقل بين الكلام». وهي ليست مداخلة الشيء في الشيء

لأنه محال أن يتكرر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض أو فيما كان من جنسه ،
وإنما يكون الانكسار فيما يدخل بعينه فيما ليس من جنسه وما هو غير لائق به (٢) :

ابن وهب :

وفي كتاب «البرهان في وجوه البيان» (٣) لأبي الحسين إسحاق بن إبراهيم بن

سليمان بن وهب الكتاب اشارات إلى جزالة القبط وسخافته وركاكته : ولم يحدد

معاني هذه المصطلحات واكتفى بالتفصيل وقال : «ولما جزالة القبط فكقولها :

وال علوك يا ابن عمّ محمد رحمان : غيرة الشمس والاعلام

فلما تبت رعتة وأذا غصفا سأت عليه سيوفك الأحلام

وأما سخافة القبط وركاكته فمثل قول الآخر :

يا عتب سبني أما لك ديسن حتى متى قلبني لديك رحمن

فلما صبور لكل ما حيلتني وأنا الشقي البائس للمكسين (٤)

(١) نقد الشعر ص ٢٦ .

(٢) نقد الشعر ص ٢٠٦-١٩٦ .

(٣) هو انص الكامل للكتاب المطبوع باسم «نقد الشعر» المنسوب إلى فائدة بن جعفر .

(٤) البرهان في وجوه البيان ص ١٧٧ .

وقال عن التصحيح : «وأما التصحيح من الكلام، فهو ما وافق لغة العرب ولم يخرج عما عليه أهل الأدب، والتصحيح ذلك وضع الشعر، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة، وذكر المستعمل منها والشاذ والهدل: وحق من يشأ في العرب أن يستعمل الاختلاف بلسنتهم، ولا يخرج من جملة القاصيهم، ولا يقع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحقوه» (١).

وليس في هذه الاشارات ما يوضح رأي صاحب البرهان في القضاة كما عرفها النجاشي ومعاذروه:

العسكري :

وذكر أبو هلال العسكري (- ٨٣٩٥) رأيين في القضاة :

الاول : ان القضاة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلاهما لان كل واحد منهما هو الابانة عن المعنى والاظهار له. يقول : «لما القضاة فقد نكح قوم : انها من قولهم : اقصح فلان عما في نفسه اذا اظهره، والشاهد على انها هي الاظهار قول العرب : اقصح الصبح اذا اضاء، واقصح اللبن اذا انجلت عنه وغره فظهر، واقصح ايضا، واقصح الاعرجي اذا اهان بعد أن لم يكن يقصح وبين، واقصح اللسان اذا عير بما في نفسه واظهره على جهة الصواب دون الخطأ، واذا كان الامر على هذا فالقضاة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وان اختلف اصلاهما» (٢).

الثاني : انهما مختلفان، وذلك ان القضاة تمام آفة البيان فهي مقصورة على التفت، لان الآفة تتعلق بالتفت دون المعنى، والبلاغة انما هي انتهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى. يقول : «وقال بعض علمائنا : القضاة تمام آفة البيان، فلهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى قاضيها اذ كانت القضاة تتضمن الآفة، ولا يجوز على الله تعالى الوصف بالآلة ويوصف كلامه بالقضاة لما يتضمن من تمام البيان»

(١) البرهان ص ٦٥٢.

(٢) كتاب المناجاة ص ٧.

والدليل على ذلك أن الالتماع والتماس لا يسميان فصيحين لقصان أكتهما عن أكلة الحروف.

وقيل : فزياد الأصجم، لقصان آلة نطقه عن أكلة الحروف ، وكان يعبر عن «الحمار» بالحمار، فهو أصجم وشعره فصيح لتمام بيانه (١).

ووضح الأمر بقوله : ومن الدليل على أن القصاحة تتضمن القفط والبلاغة تناول المعنى ، أن اللفاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليفاً إذ هو مفهم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه ، وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليفاً إذا كان واضح المعنى ، سهل القفط ، جيد السبك ، غير مستكره فح ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الأسمين شيء لما فيه من إضاح المعنى وتقويم الحروف (٢) . وهذا هو رأيي ، أما الرأي الأول فقد عرّفه : لأن بعضهم يلعب إلى ذلك ، وعند فصلا في تمييز الكلام تحدث فيه عن صفات الالتقاط الحسنة ، وانتهى إلى أن الكلام إذا جسع العلوية والجزالة والسهولة والرصانة مع السلامة والقصاحة ، واشتمل على الروتن والطلاوة ، وسلم من الحيف في التأليف ، وبعد عن مساحة التركيب ، وورد على فهم القالب - قريحته ولم يردّه ، وحل السمع للعيب استوعبه ولم يمجده ، وانفس قبل الطيف وتنبو عن القليظ (٣) .

وأعطى الالتقاط أهمية كبيرة ، لأنه ليس الشأن في إبراء المعاني ، لأن المعاني يعرفها الفرج والمعجمي والفروني والبدوي ، وإنما هو في جودة القفط وصفاته ، وحسنه وبهاؤه ، ونزاعته وقبائه ، وكثرة طلاوته وماله مع صحة السبك والتركيب ، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون على هذه الأوصاف ، وهو ما أشار إليه الجاسط من قبل ، ولكنه جعل التصوير أساس البيان :

(١) كتاب الصائغين ص ٧.

(٢) كتاب الصائغين ص ٨.

(٣) كتاب الصائغين ص ٥٧.

ابن سنان :

وعند ابن سنان الخطابي (- ١٦٦هـ) في كتابه سر القصص : فصولا طيالة تحدث فيها عن صفات الحروف ومداخلها ، ونصاحة القطة القردة والالفاظ المولقة :

والنصاحة عند - : « الظهور والبيان » (١) والفرق بينها وبين البلاغة « أن النصاحة مقصورة على وصف الالفاظ والبلاغة لا تكون الا وصفاً للالفاظ مع المعاني . لا يقال في كلمة واحدة لا يدل على معنى يفضل عن مثلها بلغة وان قيل فيها فصيحة ، وكل كلام يبلغ فصيح . وليس كل فصيح بلغة » (٢) .

ولكي تكون القطة الواحدة فصيحة ينبغي ان تتوفر فيها بعض الشروط ، قال « ان النصاحة على ما قلنا لست للالفاظ اذا وجدت على شروط عدة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على نصاحة تلك الالفاظ وبحسب الوجود منها تأخذ القسط من الوصف ويوجد انفرادها تحت الاطراف والذم . وتلك الشرط وتقسّم قسمين فالاول منها : يوجد في القطة الواحدة على انفرادها من غير أن ينضم اليها شيء من الالفاظ وتؤلف معه .

والقسم الثاني : يوجد في الالفاظ المنظومة بعضها مع بعض » (٣) .
فاما الذي يوجد في القطة الواحدة فثمانية أشياء :

الاول : أن يكون تأليف تلك القطة من حروف متباعدة المخارج ، وعلة ذلك أن الحروف التي هي اصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولاشك في أن الألوان الثمانية اذا جمعت كانت في النظر احسن من الألوان المتطابقة ، ولهذا كان البيضاء مع السوداء احسن منه مع الصفرة .

(١) سر القصص ص ٥٩ .

(٢) سر القصص ص ٦٠ .

(٣) سر القصص ص ٦٥ .

ومثال التأليف من الحروف المتباعدة كثير جلّ كلام العرب عليه ، فأنما تأليف الحروف المتقابلة فمثل «المقطع» ، ولقد روى أن الخليل بن أحمد الفراهيدي قال : «سمعت كلمة شغواء هي المقطع» وانكرنا تأليفها . وقيل : إن امرأيا سئل من نأته فقال : تركتها ترمى المقطع ، (١) . وقال ابن سنان : «والحروف الخلق مزبة في القبح إذا كان التأليف منها غلط . وأنت تترك هذا وتنظيحه كما يشح عندك بعض الامزجة من الألوان وبعض النغم من الأصوات» (٢) . الثاني : أن يكون لتأليف الفتحة في السبع حسن ومزية على غيرها وإن تساوى في التأليف من الحروف المتباعدة كما تجد لبعض النغم والألوان حسنا يفسد في النفس ويترك بالبصر والسمع دون غيره من حسه . ومثاله في الحروف «ع.ذ.ب» فإن السامع يجد قولهم «العكيب» - اسم موضع - وه عذبة» - اسم امرأة - وه عذب وعذاب ، وه عذّب» وه عطيات» مالا يجده فيها يقارب هذه اللفاظ في التأليف . وليس سبب ذلك بعد الحروف في المخرج لفظ ولكنه تأليف مخصوص مع البعد ، ولو قد تمت لئال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى في التقديم العين على اللام لضرب من التأليف في النغم بقسمة التقديم والتأخير . وليس يخفى على أحد من السامعين أن نسبة النغم حسنا أو فناء أحسن من تسميته عساروجا ، وإن أغصان البان أحسن من صالح للشوحط (٣) ، ومن الكلمات اللطيفة الجميلة «تفاح» وقد استعملها المتنبي فقال :

إذا سارت الأحداج فوق نباله تفاح منك الغائبات ورائده (٤)
وهي في غاية من الحسن ، وقيل : إن المتنبي أول من لطف بها على هذا المثال ، ومثال ما يكره قول المتنبي :

(١) مر القصيدة ص ٥٧ .

(٢) مر القصيدة ص ٦٧ .

(٣) الشوحط : شعر يتخذ منه النسي .

(٤) الرد : العود ، أو الأس ، أو شعر طيب الرائحة .

مبارك الاسم الحُسْرُ القلب كَرِيم الحُرْسِي شَرِيف القَسْب (١)
فانك تجد في « الحُرْسِي » تأليفاً يكرمه السمع ويبتو عنه ، وأين كلمة «القَسْب» من
هذه النقطة اللغوية ؟

الثالث : أن تكون غير متحركة وحشية كقول أبي تمام :

لقد طلعت في وجه مصر بوجه بلا طائر مستح ولا طائر كهل
فان «كهل» هنا من غريب اللغة ، ودُّوي أن الاصمعي لم يعرف هذه للكلماتها
ليست موجودة إلا في شعر بعض الهذليين وهو قوله :

قل أن ملني جلوه أو أجاره رباح بن سعد رده طائر كهل
وقيل : إن الكهل الضخم ، وهي لفظة ليست فيجدة التأليف لكنها وحشية
غريبة لا يعرفها مثل الاصمعي ولهذا اعتد الخذاق من الشعراء على اختيار أسماء
المنازل والبناء في القزل وتجنبوا مالا يحسن لفظة ، وعابوا على جرير قوله :

وتقول يَتَوَزَّعُ قد دبت على العصا هلاً هزت بطيرنا يَتَوَزَّعُ
وذكروا أن الوليد بن عبد الملك قال له : أفسدت شعرك : «بوزع»

وقد قال ابن سنان : «وأنا أكثر» من قول كبير بن عبد الرحمن صاحب حركة :
وما دوحه بالخزون طيلة التري يمحج القدي جشجاشا وعسرارها
ذكر «الجشجاش» لأنه اسم غير مختار ، ولو لم يكن ذكر غيره كان عندي أيقن وأوفق ،
ولا أحب أيضاً تسمية أبي تمام صاحبه - علاقة - ونداءه بالترخيم في قوله :
قف بالطلول الدارسلت علاقة أضحت حبال قطينهن رقائلا
وإن كان الروي قاده إلى ذلك ، فليست شعري من حظر عليه القوافي واقتصر به على
قائه دون غيرها من الحروف» (٢).

(١) كَرِيم الحُرْسِي : كَرِيم النفس.

(٢) سر القاصدا ص ٧٦.

الرابع : أن تكون الكلمة غير سالطة عامة، ومثال العامة قول أبي تمام :
جلبت والثلث مبدٍ حُرٌّ صفحته وقد تكثرَعَمَنَ في أقاله الأجلُ
فإن «تعرعن» مشتق من أَسَمَ «لوعون» وهو من أَلْفَاظِ العامة ، وعادتهم أن يقولوا :
«تعرعن قلاله إذا وصفوه بالجيرة .

ومنه قول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة :

أقام قوام الفين زبغ فضاه وألصق كسي الجرح وهو فطير
لفظة «فطير» عامة مبتذلة .

ومنه قول أبي تمام :

قد قلت لما لجَّ في صداه أعطف على صيدك يا قابري
فإن «قابري» من أَلْفَاظِ عوام النساء .

ومن ذلك لفظة «أوجعها» في قول ابن نباتة :

فقد رلعت أبصارها كسل بلدة من الشوق حتى أوجعها الاختادع
واللفظة «الجورب» في قول المتنبي :

تسترق الكفة قنوده ومنكبه وتكتفي منه ربح الجورب الخلق

الخاص : أن تكون الكلمة جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة . ويدخل
في هذا القسم ما يذكره أهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف القاسد في الكلمة ، وقد

يكون ذلك لاجل أن اللفظة بينها لغير عربية كما أنكروا على أبي التيس نوله :

وجناح منصوص تحبف ريشه ريب الزمان تحبف للقراض

وقالوا : ليس «القراض» من كلام العرب ، ولم يسمع عنهم إلا مشتق .

وقد تكون الكلمة عربية إلا أنها قد عُبِّرَ بها عن غير ما وضعت له في عرف اللغة ،

كما قال الجعزي :

يشق عليه الريح كل عتبة جيوب النمام بين يكر وأيم

فوضع «الأيم» مكان «اليب» وليس الأمر كذلك ، ليس «الأيم» القريب في

كلام العرب ، إنما «الأيم» التي لا زوج لها يكرأ كانت أو ثيبا :

ومن ذلك قول البحري:

شَرَطِيَّ الْأَصْلَافِ إِنْ قِيلَ اشْطَرَطَ وَصَدَّقَنِي مَنْ إِذَا صَالَتِي قَسَطَ
وَأَرَادَ بِقَسَطٍ عَدَلَ ، لِأَنَّ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ، وَأَنَا يَقَالُ «أَقْسَطُ»
إِذَا عَدَلَ وَ«قَسَطَ» إِذَا جَارَ ، وَمَنْ قَوْلُهُ تَعَالَى : «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ
حَقَبًا» (١) .

وقد يكون على جهة الخلاف من الكلمة كقول رؤية بن العجاج:

فَوَاطِئًا مَكَّةَ مِنْ وَرَقِي الْحَمَا

يريد الحمام .

وقد يكون على وجه الزيادة في الكلمة مثل أن تشيع الحركة فيها لتصير حرفاً ،
كما قال الشاعر:

وَأَنْتَ عَلَى الْغَوَاةِ حِينَ تَسْرَمُنِي وَحِينَ عَيْتِبَ السَّرْجَاكَ بِمَسْرَاجِ
لِي : بِمَسْرَحٍ .

وقد يكون إيراد الكلمة على الوجه الثاني القليل ، كقوله «باعت» التي جاءت
رؤية شاذة في قول البحري .

متحيرين لمباغت متعجب بما يرى أو لما ظفر مستأمل
والعربي المستعمل «بُئِيتُ الرَّجُلُ بِبُئِيتُ فُهِرَ مِجْهُوتُ» .

ويدخل في هذا القسم ما يسمى بالضرورة الشعرية من إظهار التضعيف ، أو مدّ
للتصور ، أو قصر الملمود ، أو تأنيث المذكر على بعض التأويل ، أو صرف مالا
ينصرف وغير ذلك .

السادس: أن لا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره ، فإذا أوردت وهي
غير مقصود بها ذلك المعنى تبعث وإن كملت فيها الصفات ، كقول الشريف الرضي:
أَعَزُّ عَلَيَّ بَانَ أَرَاكَ وَقَدْ عَمِلْتَ مِنْ جَانِبِكَ مَقَاعِدُ الْعَمُوكِ
فإيراد مقاعده في هذا البيت صحيح ، إلا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا

(١) البين ١٥ .

الثاني، لاسباب اضافته إلى من يحمل الحاشية فيهم وهم «المركبة»، ولو الشرد فكان الأمر سهلاً فلما اضافته إلى ما ذكره قلبها ليح لأخطاء به:

السايق : أن تكون الكلمة معدلة غير كثيرة الحروف فلأنها متى زادت على الألفاظ المعتادة العروقة لبعث وخرجت عن وجه من وجوه القصاحة: ومن ذلك قول أبي نصر بن نباته:

فياكم أن تكلفوا عن رؤوسكم ألا أن مفاتيحين القلوب
فمفاتيحين كلمة غير مرغية لطولها.
ومنه قول أبي تمام:

فلا فريجان اتصالاً بعسلما كانت معترس عيرة ونكاح
مستجبت ونبتها على استساجها ماحولها من تفترة وجمال
قوله «استساجها» روى لكثرة الحروف وعروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الألفاظ إلى التشاذ القاصر.

ومنه قول القتيبي :

إن الكسريم بلا كسرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها (١)
ف «سويداواتها» كلمة طويلة جدا .

الثامن : أن تكون الكلمة مصفحة في موضع غير بها فيه عن شيء لطيف أو حفي أو قليل أو ما يجري مجرى ذلك ، فلأنها تحسن به: ومن ذلك قول صر بن أبي ربيعة :

ولباب فخير كنت أرجو طلوعه وروح رعيان وتوهم سر

وهذا تصغير مختار في موضعه، فلما الأسماء التي لم يعلق بها إلا مصفحة كاللجين والربا فليس للتصغير فيهما حسن يذكره لأنه غير مقصود بهما ما ذهب إليه ابن سنان ، ومعظم هذه الشروط تدخل في فصاحة الألفاظ الثلاثة ، والاخلال بها قد يؤدي إلى زيادة القبح والتأخر في الكلام، لأنه حين تكون الألفاظ مجتمعة تحتاج إلى دقة

(١) سويداء القلب : حبه، وجسمها سويداوات.

في التركيب واختيار التلخيص منها . يقول ابن سنان متحدثا عن الشرط الاول :
 "أن الاول منها أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج ، وهذا
 يمتنع في التأليف ، وببانه أن يمتنع انظام تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام
 كما أمرناه بجنب ذلك في القفزة الواحدة ، بل هذا في التأليف ممتنع ، وذلك ان
 اللفظة المفردة لا يمتنع فيها من تكرار الحرف الواحد أو تقارب الحرف مطلقا
 يمتنع الكلام المؤلف إذا طال واتسع (١) .
 وما فتح قول أبي تمام :

فلجد لا يرضى بان ترضى بأن يرضى المأمول منك الا بالرضى
 ومنه قول الآخر :

وقبر حارب يمكن قفسر وليس قسرب فيسرحرب غير
 ومنه قول المتنبي :

ولسعتني في غمرة بعد غمرة صوح لها منها عليها شواهد
 وأما الثاني من شروط اللفظة المفردة فيكون في التأليف إذا ترادفت الكلمات
 المختارة فيوجد الحسن فيها أكثر وتزيد طلاوته على مالا يجمع من تلك الكلمات
 الا التليل ، وهذا يرجع الى القفزة بانفرادها وليس لتأليف فيه الا ما أثاره التواتر
 والترادف .

وكذلك الثالث والرابع من الأقسام لاحقة للتأليف بهما ، وإنما يفتح إذا كثرت
 فيه الكلام الوحشي أو العامي .

وأما الخامس فالتأليف به علة وكهنة ، لأن اعراب القفزة تبع لتأليفها من
 الكلام وعلى حكم الموضع الذي وردت فيه ؛

وأما السادس فالتأليف فيه تعلق بحسب إضاءة الكلمة إلى غيرها ، فإن التبع
 يختلف بحسب ذلك ؛

(١) سر الصناعة ص ١٠٧ .

وأما الساج فلا حلقه التأليف به، إلا أن ظهور قبحه أجل إذا تردت فيه الكلمات
الطوال

وأما الثامن فلا حلقه التأليف به إذ كان لا يتعدى للكلمة باقتراحها .
ودراسة ابن سنان للنصاحة من ألحاص الدراسات، ولا يكاد التأخرون يخرجون
عنها في شكل ما ألفوا أو اختصروا أو شرحوا.
عبد القاهر .

وكانت النصيحة والبلاغة والبراعة والبيان ألقاظاً مترادفة عند عبد القاهر
البرجاني (٤٧١ هـ أو ٤٧٤ هـ)، وكلها يعبر بها عن وفصل بعض القائلين على
بعض من حيث تطفوا وتكلموا وأخبروا السامعين من الأغراض والمقاصد، وراسوا
أن يعلمهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم (١).

والألفاظ عنده خدم للعالي وأوعية لها تتبعها في حسنها وجمالها أو قبحها
ورداءها، يقول: «ولئن تجدد أئمن طائراً، وأحسن أولاً وآخرأ، وأهدى إلى الإحسان،
وأجلب للاحتسان من أن ترسل للعالي على سجيبتها وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ،
فلها إذا تركت وما تريد لم تنكس إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المارغى إلا ما يزينها .
فإذا أن تضع في نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي
أنت تعرض الاستكراء، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم. فإن ساعدك الجدة
كما ساعد في قوله .

أودعاني أنت بما أودعاني

وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله .
وأجندتم من بعد اتهام داركم
وقوله .

عن "الاحتمام فإن كسرت حياقة" من حالهم فقامهم حياهم

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٥ .

ذلك ولا اطلقت آية العيب (١) :

إنّ الصراحة تكون في المعنى وليس للكلمة المفردة كبير قيمة ، وكثيراً ما تستعمل
القطعة في موضع فتكون حطوة الخرس عذبة ، وتستعمل في موضع آخر تفقد تلك
القيمة ، وإنما كان ذلك لأنّ الريبة التي من أجلها تصيغ اللفظ في شأنها هذا بأنه
يصح مزية تحدث بعد أن لا تكون وتظهر في العلم من بعد أن يدخلها النظم . وهذا
شيء أن أنت طلبته فيها وقد جئت بها إقراءاً لم ترم فيها نظماً ولم تحدث لها تأنيفاً
طلبت محالا . وإذا كان كذلك وجب أن تعلم نظماً أن تلك الريبة في المعنى دون
اللفظ (٢) .

فالألفاظ عند عبد القاهر لا تفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث
هي كلم مفردة ، وإنما تثبت لها القطعية وعلاقتها في ملائمة معنى اللفظ للمعنى التي
تليها وما أشبه ذلك مما لا يتعلق له بصريح اللفظ : وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة
تروك وتأتسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر
كتلفظ «الأعرج» في بيت الحماسة :

للفت نحو المني حتى وجدني
وجئت من الأصغاء ابناً وأعددا (٣)

وبيت الجعفي :

وإني وإن بلفظي شرف العسني وأعتقت من رقي للطامع أتعدي
فإن لها في هذين البيتين مالا يخفى من الحسن ، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام :
يادعز قوم من أتعديك فقد أضجبت هذا الآتام من عزرك
فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنفيس والتكثير أضغاف ملوحت هناك من
الروح والخفة والابتناس والبهجة .

(١) إمرار البلاغة ص ١٩ ، وينظر دلائل الإعجاز ص ١٠٩ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٠٧ .

(٣) الأعدمان : عرقان في جاني الفتى قد غلبا وبضا ، واليت : صليحة الفتى

ومن أعجب ذلك لفظه «الشيء» فأنك تراها مقبولة حسنة في موضع وضعها مستكرهة في موضع، وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة:
ومن ملأه عنده من شيء غيره إذا راح نحو الجعرة اليلس كالذئب
وإلى قول أبي حنيفة التميمي:

إذا ما تقاضى المرأة يوماً ولبسة تقاضاه شيء لا يحصل التقاضيا
فأنك تعرف حسنها ومكانها من القبول، ثم انظر في بيت المتن:
لما أتتك المذكار أبغضت معبه لمعوكه شيء عن السلوران
فأنك تراها تفل وتغفل بحسب نيلها وحسنها فيما تقدم.

ومن سر هذا الباب أنك ترى اللفظة المستارة قد استعيرت في عدة مواضع ثم
ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تنبعث في الباقي، مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظه
والجسر في قول أبي تمام:
لا يطع المرء أن يجتأب لجسه بالقول ما لم يكن جسراً له للعمل
وتلوه:

بصرت بالراحة العظمى فلم ترها ثنالك إلا هل جسر من الثمبي
تري لها في الثاني حسنا لاتراء في الأول، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرقي:
قولي: نعم، ونعم إنك قلت واجبة

قالت: عسى وعسى جسر إلى تسمي

فترى لها لطفًا وخلافة وحسن ليس النفل فيه بقليل.
ويستحي عبد القاهر إلى أن الكلمة لو كانت إذا حسنت من حيث هي لفظ وإذا
استحقت للزينة والشرف، استحقت ذلك في ذاتها وعلى افتراءها دون أن يكون
السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم لما اختلف بها الحال والكلمات
أما أن تحسن أبدأ أولاً تحسن أبدأ . (١)

ولعل القرض الديني كان دافعاً إلى هذا الرأي، لأن كلمات القرآن الكريم عربية
نطق بها الشعراء والخطباء وتداولها الناس، وليس لها مزية وهي مفردة لا يضمها

(١) دلائل الإعجاز ص ١٣٨ ، ١٦٢ .

سلك يوحه بينها ويجمع مفرقتها ، ولكي يظهر عبد القاهر إعجاز القرآن ويرد
ما كان يشيع في البيئات المختلة اتجه إلى نظرية النظم ليدل بها للمالك ويقتدر أنه
للمختلطين وبوقف طعنات الحاقدين.

ولم يلف عند الاهتمام بالنظم وإنما اعتم بالتصوير الأدبي الذي لا يكون إلا
ترتيب الألفاظ والتأليف بينها، يقول: «ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل لتصوير
والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ
فيه كالقصة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار، فكما أن محالا إذا أنت أردت
النظر في صوغ الخاتم وفي جودة العمل وردائه أن تنظر إلى قصة الخطة لذلك
الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل وذلك الصنعة، كذلك محال إذا أردت
أن تعرف مكان الفضل والزية في الكلام أن تنظر في مجرد معناه. وكما أنا لو فضلنا
خاتما على خاتم بأن تكون قصة هذا أجود أو قصة أنفس لم يكن ذلك تفضيلا له
من حيث هو خاتم، كذلك ينبغي إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه أن لا يكون
تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام» (١).

فبعد القاهر يرى أن لتصوير الأدبي قيمة كبيرة، ولذلك أطال الكلام في «أسرار
البلاغة» على الوسائل التي تجعل الصورة حسنة مقبولة، وفصل القول في نظرية
النظم، وذهب إلى أبعد من ذلك ورأى أن في الاستعارة ما ليسكن يباه الأبعد العلم
بالنظم والوقوف على حقيقته. يقول متحدثا عن الاستعارة في بيت الشاعر:
سألت عليه شعابُ الحبي حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
«فإنك ترى هذه الاستعارة على لفظها وخرابها إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث
انتهى بما شئخي في وضع الكلام من التقديم والتأخير، ونجدها قد ملحت والطف
بمعاقرة تلك وموازرت لها. وإن شككت فاعسدي إلى الجازين والظرف فآزل» كلام
منها عن مكانة الذي وضعه الشاعر فيه قتل «سألت شعاب الحبي بوجوه كالدنانير
عليه حين دعا أنصاره» ثم انظر كيف يكون الحسب وكيف يذهب الحسن

(١) دلائل الإعجاز ص ١٩٦.

والخلاوة وكيف عدم أرحمك التي كانت وكيف تلعب النشوة التي كنت تجدعاه (١) ،
 إن الفصاحة عنده لا تكون إلا بتروخي معاني النحو ، أي النظم ، والألفاظ لا تزيد
 حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه في التركيب . فلو أنك
 عدت إلى بيت شعر أو فصل أثر فعددت كلماته عدّاً كيف جاء وانقضى وأبطلت
 نفسه ونظائره الذي عليه بني وفيه أفرغ المعنى وأجرى ، وظهرت تربيته الذي
 بخصوصيته أفاد كما أفاد ، وبسطه الخصوصي أبان للراد نحو أن تقول في وقتك نيك
 من ذكرى حبيب ومترله : مترل فلما ذكرى من نيك حبيب أخرجه من كمال
 البيان إلى حال التلهيان ، وأسقطت نسبة من صاحبه ، وقطعت الرحم بينه وبين
 منته ، بل أحلت أن يكون له الصاق إلى قاتل ونسب يخص بمكلم (٢) :

واللهي إلى الحكم بالخطأ حل من قصر الفصاحة على الكلمات من حيث هي
 ألفاظ منطوقة وأصوات مسجوعة ، والأدب لا يطلب النظم بحال ، وإنما يطلب المعنى
 فإذا ظهر به فاللفظ معه وإزاء ناظره ، ولذلك لم تكن الفصاحة عنده من صفات
 المقررات من غير اعتبار التركيب .

إن عيب القاهر ربط بين الفصاحة والنظم ولذلك لم يُطل الكلام على شروط
 الفصاحة كما فعل معاصره ابن سنان الخفاجي ، ولكنه مع ذلك لا ينكرها كل الإنكار ،
 ونراه يقول في خاتمة كتابه «دلائل الإعجاز» : «واعلم أن لا تأتي أن تكون مطابقة
 الحروف وسلامتها كما يفل على اللسان دافعاً فيما يوجب التفضيلة ، وأن تكون بما
 يؤكد أمر الإعجاز ، وإنما الذي تنكره وتُفَرِّقُ رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به
 وحده ويعمله الأصل والعمدة فيخرج إلى ما ذكرنا من شذاعات » (٣) ، فهو لم ينكر
 فصاحة الألفاظ ونظمها ولكنه لم يرد أن يفسر الإعجاز بها ، ولذلك لم يدرسها كما

(١) دلائل الإعجاز ص ٧٨ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٤ .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٤٠ ، فل - بتشديد الهمزة - رأيه : فحده وعظمه .

فعل الآخرون ولم يُعْنَ بها عبارة تظهر ميزتها وتأثيرها في الكلام (١) .
السرازي .

عرف لخير الدين الرازي (٥٦٠هـ) الفصاحة بأنها «علوم الكلام من التفعيد» (٢)
وهي - حسبه - متصل باللفظ ، لأن الإفادة اللفظية يستحيل لطرفي الكلام
والفصاحان إليها ، فإن السامع للفظ إما أن يكون علماً بكونه موضوعاً لسماعه أو لا
يكون . فإن كان علماً به عرف مفهومه بسماعه ، وإن لم يكن علماً به لم يعرف منه شيئاً
أصلاً .

وحصر البحوث المتعلقة بالدلالة اللفظية في امرين .

الاول : ان الفصاحة والبلاغة لا يجوز عردهما الى الدلالة اللفظية .

الثاني : ان الفصاحة وان كانت غير عائدة الى الدلالة اللفظية ، لكن من الامور
العائدة الى جوهر اللفظ والى دلالاته الوضعية ما يفيد الكلام كلاً وجزئاً وجمالاً (٣) .
وهذه فكرة عبد القاهر التي بنى عليها نظريته في النظم ، ويرى بها الذين السبكي
أن الرازي يميل الى ان الفصاحة راجعة الى الالفاظ والمعاني (٤) .

ابن الاثير :

وكان غياث الدين بن الاثير (٥٦٣٧هـ) أوضح من السابقين تصوراً ولفهاً
لفصاحة ، وقد اعتم بها اعتماداً عظيماً وصحح كثيراً من الآراء في كتابيه «الكتل»
والسائر في ادب الكتاب والشاعر ، «والجامع الكبير» . يقول عن الفصاحة : «اعلم
ان هذا باب متعلق على الواجب ومسلك متفرع على النافع ، ولم يزل العلماء من
قديم الوقت وحديثه يكتفون القول فيه والبحث عنه ، ولم أجد من ذلك ما يعزك

(١) ينظر الفصل الثالث «اللفظ والمعنى» في كتابنا «عبد القاهر الجرجاني - بلاغيته بقدسه» ص ٨٧ - ١١٨ .

(٢) نهاية الاختار ص ٩ .

(٣) نهاية الاختار ص ١١ .

(٤) عروض الاكواح - شروح التفهيم ج ١ ص ١٣٥ .

عليه الا القليل . وغاية ما يقال في هذا الباب : ان القصاحة هي الظهور واليان
في أصل الوضع اللغوي ، يقال : ألصق الصبح اذا ظهر . ثم اهتم يقفون عند
ذلك ولا يكشفون عن السر فيه (١) . ولا تبين القصاحة بهذا القول لانه يعترض
عليه بوجوه من الاعتراضات :

الاول : انه اذا لم يكن اللفظ ظاهراً يبين لم يكن فصيحاً ، ثم اذا ظهر وتبين صار
فصيحاً .

الثاني : انه اذا كان اللفظ القصيح هو الظاهر اليقين قد صار ذلك بالنسبة
والاضافات الى الاشخاص ، فان اللفظ قد يكون ظاهراً لزيد ولا يكون ظاهراً
لعمره ، فهو اذاً فصيح عند هذا وغير فصيح عند هذا . وليس كذلك ، بل
القصيح هو فصيح عند الجميع لا خلاف فيه بحال من الاحوال ، لانه اذا تحقق
حد القصاحة وعرف ما هي لم يبق في اللفظ الذي يختص به خلاف :

الثالث : انه اذا جيء بلفظ قبيح ينبر عنه السمع وهو مع ذلك ظاهر بين ، ينبغي
أن يكون فصيحاً ، وليس كذلك لان القصاحة وصف حسن اللفظ لا وصف قبيح ؛
فهذه الاعتراضات الثلاثة وارادة على قول القائل : ان اللفظ القصيح هو الظاهر
اليقين . ومعنى ذلك ان ابن الاثير لا يأخذ بهذا القول الذي اثار حيرة فعضي بحث عن
تعريف للقصاحة ، ويحقق القول فيها . وقد شرح المسألة بوضوح فقال ان المقصود
: ان للكلام القصيح هو الظاهر اليقين ، ان تكون القاطعة مشهورة لا يحتاج فهمها
إلى استخراج من كتاب لغة ، وانما كانت بهذه الصفة لانها تكون مأثورة الاستعمال
بين ارباب النظم والنثر دائرة في كلامهم ، وانما كانت مأثورة الاستعمال دائرة
في الكلام دون غيرها من الالفاظ لمكان حسنها ، وذلك أن ارباب النظم والنثر
غلبوا اللغة باعتبار قاطعها وسيروا ونسبوا فاختاروا الحسن من الالفاظ فاستعملوه
وتقوا القبيح منها فلم يستعملوه ، فحسن الالفاظ سبب استعمالها دون غيرها

(١) لقل السائر ج ١ ص ٦٤ .

واستعمالها دون غيرها سبب ظهورها وبطلانها ، فالنصيح من الالفاظ هو الحسن .
 قال قيل : من أي وجه علم أرباب النظم والنثر الحسن من الالفاظ حتى استعمالوه
 وعلموا القبيح منها حتى تفوه ولم يستعملوه ؟

ليل لهم : إن هذا من الامور المحسوسة التي شاهدها في نفسها ، لان الالفاظ واحدة
 في حيز الاصوات ، فالذي يستلذه السمع منها وببيل فيه هو الحسن ، والذي
 يكرهه وينفر عنه هو القبيح . ألا ترى ان السمع يستلذ صوت الليل من الظهور
 وصوت الشجور وببيل اليهما ، ويكره صوت القرباب وينفر عنه ، وكذلك يكره
 تيق الحمار ولا يجد ذلك في صهيل الفرس ، والالفاظ جارية هذا المجرى فانه
 لا اختلاف في أن لفظ « الرقة » و « الديمة » حسنة يستلذه السمع ، وان لفظ « البعاق »
 ليبيح يكرهها السمع . وهذه اللفظات الثلاثة من صفة الطير ، وهي تدل على معنى واحد ،
 ومع هذا فالتك ترى لفظي « الرقة » و « الديمة » وما جرى مجراهما مألوفة الاستعمال
 وترى لفظ « البعاق » وما جرى مجراه متروكاً لا يستعمل ، وان استعمال قائما
 يستعمله جاهل بخليفة النصيحة أو من قوله غير سليم .

لقد ثبت ان النصيح من الالفاظ هو « الظاهر القين » ، واما كان ظاهراً بينا
 لانه مألوف الاستعمال ، واما كان مألوف الاستعمال لمكان حسنة ، وحسنه مدرك
 بالسمع ، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لانه صوت بألف من مخرج الحروف ،
 فما استلذه السمع منه فهو الحسن وما كرهه فهو القبيح ، والحسن هو الموصوف
 بالنصيحة والقبيح غير موصوف بالنصيحة لانه طبعها لمكان قبحه . ولو كانت
 النصيحة لأمر يرجع الى المعنى لكانت هذه الالفاظ في الدلالة عليه سواء ليس
 منها حسن ومنها قبيح ، ولما لم يكن كذلك علم انها تخص اللفظ دون المعنى .
 وابن الاثير لم يفصل بين اللفظ والمعنى في هذا القول واما خص اللفظ بصفة هي له
 والمعنى يجيء فيه غيباً وبها .

واشار الى النصيحة عند المتقدمين فقال : « وقد ذكر من تفضلني من علماء
 البيان للالفاظ المفردة خصائص وحيات تصف بها ، واعتقروا في ذلك ، واستحسن

أحدهم شيئا فخرت فيه وكذلك استبح الآخر شيئا فخرت فيه ، ولو حققوا النظر ووقفوا على السر في اتصال بعض اللفاظ بالحسن وبعضها بالقبح لما كان بينهم خلاف في شيء منها (١) .

ورد رأي من ذهب إلى أن كل اللفاظ حسن وقال : « ومن يبلغ جهله إلى أن لا يفرق بين لفظة «النصن» ولفظة «الملوح» ، وبين لفظة «المدامة» ولفظة «الاستنط» ، وبين لفظة «السيف» ولفظة «الخشيل» ، وبين لفظة «الأسد» ولفظة «القدوكس» ، فلا ينبغي أن يخاطب ولا يخاب بجراب» بل يترك وشأنه كما قيل : « اتركوا الجاهل بجهله ولو اتقى الجمر (٢) في رحله» وما مثاله في هذا المقام إلا كمن يسي في صورة زجاجة سوداء شوهاء الخلق ذات عين حمرة وثقة خفيفة كأنها كلرة وشعر نطط (٣) كأنه زبينة ، وبين صورة رومية يضاء مشربة بحمرة ذات عند أسيل وطرف كحيل ، وبسم كأنما نظم من اقح ، وطرة كأنها ليل على صباح . فإذا كان باتسان من مقام النظر أن يُسَوَّى بين هذه الصورة وهذه فلا يعد أن يكون به من مقام النظر أن يُسَوَّى بين هذه اللفاظ وهذه . ولا فرق بين النظر والسمع في هذا المقام فإن هذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب . ثم قال : « ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للالفاظ في الإذن ثمة لذينة كنسمة أولار ، وصوتا منكرا كصوت حمار ، وأن لها في القم أيضا حلولة كحلولة العسل ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى التلعات والطعوم » (٤) .

وذكر أن ابن منان قد تحدث عما يتعلق باللفظة الواحدة من الأوصاف ونسبها عدة أقسام — كما مر — وفيما قاله ابن منان لا حاجة إليه ، لأن تبادل المخارج

(١) اللؤلؤ المبرح ١ ص ١٤٤ .

(٢) الجمر . مايس من الدرة في الجمر أي الجمر : لو تجر كل ذات سخط من السباع

(٣) الشعر النطط : التصير الجهد .

(٤) اللؤلؤ المبرح ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

يشمل معظم اللغة العربية ، وإن جريان القطة على العرف العربي ليس مما يوجب لها حسا ولا لبا ، وإنما يفتح في معرفة استعمالها بما ينقله من الالفاظ ، وإن تصغير الكلمة بما لا حاجة إلى ذكره لأن المعنى يسوق إليه . أما الأوصاف الأخرى التي ذكرها ابن سنان فقد قام عليها ابن الأثير بحثه في الالفاظ قليل منها ما قبل ورفض ما رفض ، وشرح تلك الأوصاف بما يخفى عن كثير من الكتب ، وكانت دراسته من أوسع الدراسات وأصفها ولم يأت بعده من أضاف إليها ، واتجهت الكتب إلى التلخيص والقضاء على الزعة الأدبية التي التفت بها دراسة ابن الأثير .

السكاكي :

وعندما قسم السكاكي (٥٦٦ هـ) البلاغة إلى علومها لم يعقد للتصانيف فصلا وإنما تكلم عليها بعد أن انتهى من علم البيان ، وذكر أنها قسمان : -

الأول : راجع إلى المعنى وهو خلوص الكلام من التعليل .

وشرح تعليل الكلام وقال : هو أن يعثر صاحبه الفكر في متصرفه ويشيك الطريق إلى المعنى ، كقول الفرزدق :

وما مثله في النبل إلا مُعَلِّكاً أبو أمه حيُّ أبوه يقاربه
وكقول أبي تمام :

تأنيبه في كبد السماء ولم يكن كائنين ثانٍ إذ هما في الغبار
أما غير المقتد فهو أن ينتج صاحبه الفكرة الطريق ويهده (١) .

ثاني : راجع إلى اللفظ ، وهو :

١ - أن تكون الكلمة عربية أصيلة ، وعلامة ذلك أن تكون على السنة النصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدوّر واستعمالهم لها أكثر ، لا بما أحدثها اللواتيون ولا بما أعطت له العامة .

٢ - وأن تكون أجري على قوانين اللغة :

٣ - وأن تكون سليمة من التناقض :

(١) خنطح العلوم ص ١٩٩ - ١٩٥ .

وجعل النصاحة غير لازمة للبلاغة التي حصر مرجعها في المعاني والبيان، ولم يجعل للنصاحة مرجعاً في شيء منهما، وهو في ذلك يتابع عبد القاهر والقرظي الذين نظرا إلى النظم ولم يوليا النظم المفرد أهمية كبيرة.

ابن مالك :

واعصر بدر الدين بن مالك (٥٦٨٦هـ) القسم الثالث من «مفتاح العلوم» وتكلم على النصيحة وأطلق عليها اسم البديع الذي قال عنه وهو معرفة توابع النصيحة وعرفت النصيحة بأنها «صوغ الكلام على وجه له توفيق بتمام الألفاظ لمعناه وتبيين المراد منه» (١). وقسمها إلى معنوية ولفظية، وذكر ما في «مفتاح العلوم» من صفاتها، ثم قسم المعنوية إلى مختصة بالألفاظ والتبيين ومختصة بالتزيين والتحسين. وهذه الأنواع الثلاثة هي علم البديع عند الآخرين:

القرظيني :

وحينما جاء الخطيب القرظيني (٥٧٣٩هـ) وجد الطريق ممهداً فأخذ عن علماء البلاغة المتقدمين ورتب بحث الألفاظ ترتيباً علمياً خالف فيه السكاكي ويدر الدين، لأنه اتخذا مقدمة البلاغة، وفي هذه المقدمة التي كانت كشفاً عن معنى النصيحة والبلاغة وانحصار علم البلاغة في المعاني والبيان - تكلم على صفات الألفاظ وما ينبغي أن تكون عليه. وكان بحثه ابتدائياً باتخاذ النصيحة مقدمة لعلوم البلاغة بعد أن كانت موضوعاً تشيع فيه الحياة (٢).

بدأ القرظيني مقدمته بقوله : « لتأس في تفسير النصيحة والبلاغة أقوال مختلفة لم أجد - فيما بلغني منها - ما يصلح لتعريفهما به ولا ما يشير إلى الفرق بين كون الموصوف بهما الكلام وكون الموصوف بهما التكلم ، فالأولى أن تقتصر

(١) الصباح ص ٧٥.

(٢) ينظر القرظيني ودرج التلخيص ص ٢١٩-٢٨٣.

على تلخيص القول فيهما بالاعتبارين : (١). وهذا غير صحيح ، لأن البلاغين اعتبرا بهما ووضعوا لها حدوداً وفرقوا بينهما ، وكانت بحوث الجاحظ وقدامة وأبي حلال وعبد القاهر وابن سنان وابن الأثير من أروع ما كتب وأبدع ما خطه يد بلاغي ناذر ، وما مقدمة القزويني إلا خلاصة هذه الدراسات ، فكيف لم يترك عبد القدامة تعريفاً للقصة أو البلاغة يمكن التكون إليه ، ولعله في ذلك متأثر بدعوى عبد القاهر الذي يقول : « لم أزل منذ خملت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى القصة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان القزويني من هذه العبارات وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والأشارة في خفاء ، وبعضه كالتنبه على مكان الخفية ليطلب وموضع التدفين ليبحث عنه فيخرج » (٢) ويقول : « أنا لم تَرَ هؤلاء قد رغبوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاماً للآخرين ويتدارسوه ، ويحكم به بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى ويفرقوا به على غرض صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عن بيان له وتفسير ، إلا علم القصة فأنك ترى طيفات من الناس يتداولون فيما بينهم القاطع لتقديمه وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً أو يستطيعوا أن يسألوا عنها أن يذكروا لها تفسيراً يصح » (٣).

وهذا صحيح في عهد التأليف الأول وعند عبد القاهر الذي لم يفرق بين المصطلحين ، لأنهما عنده يعبر بهما عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث تفقوا وتكلموا واعتبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراسوا أن يعلموهم ما في قلوبهم ويكشفوا لهم عن غمائر قلوبهم (٤) ، أما القزويني فالأمر عنده مختلف ، لأن مصطلحات البلاغة استقرت في عهده وأصبح للقصة والبلاغة محتوى واضح .

والقصة والبلاغة عند القزويني تقع كل واحدة منهما صفة لمعين :

الأول : الكلام كما في « قصيدة لصبيحة أو بليغة » و « رسالة فصيحة أو بليغة »

(١) الأيضاح ص ٢.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٦٨.

(٣) دلائل الإعجاز ص ٣٥٠.

(٤) دلائل الإعجاز ص ٣٥.

الثاني : المتكلم كما في «شاعر فصيح أو بليغ»، و «كاتب فصيح أو بليغ».
وتحدث عن فصاحة لفظة المفردة ، وقال ان الفصاحة تقع صفة للمفرد فيقال
«كلمة فصحة» ولا يقال «كلمة بليغة». ووضع لفظة للمفردة شروطا هي غلوصها
من :

١ - تناثر الحروف : والتناثر منه ما تكون الكلمة بسببه متاعبة في النقل على المسان
كما روي أن أمربيا سئل عن ذلك فقال : «تركبتها لزعمي المصنع» .
ومنه ما دون ذلك كلفظة «مستخرجة» في قول امرئ القيس :

غدا نراها مستخرجات إلى العلى فضل العفاس في مقتدى ومرسل
ولم يشرح القزويني هذا التناثر ولم يذكر حله ، وكان ابن سنان قد حله بقوله :
«وحلة هذا والفصحة وهي ان الحروف التي هي أصوات تجري من السمع بحرى
الالوان من البصر ولا شك في أن الالوان الثابتة اذا جمعت كانت في المنظر أحسن
من الالوان المتغيرة ولهذا كان البيضاء مع السواد أحسن منه مع الصفرة لقرب
مايته وبين الأصفر وبعد مايته وبين الأسود ، واذا كان هذا موجوداً على هذه الصفة
لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المولفة من الحروف المتباعدة هي
العلة في حسن النقوش اذا خرجت من الالوان المتباعدة» (١) .

لقد جمعت لفظة «المصنع» القبح من أطرافه ، لان جميع حروفها حلقية ، وحرف
حلقى واحد يمتد على الكتل فكيف اذا اجتمع الفاء والعين والطاء في كلمة واحدة؟
ولفظة «مستخرجات» - وان كانت أنحف منها - ثقيلة لتوسط الشين التي هي
من الحروف المهموسة الرخوة بين اللام التي هي من المهموسة الشديدة والزاي التي هي
من الجهورية الرخوة. ويرى الفراء أن امرأ القيس لو قال : «مستخرجة» لزال الثقل .
٢ - الترابية : وهي ان تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها فيحتاج في معرفته
إلى البحث في كتب اللغة ، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي أنه سخط عن خبره
فاجتمع عليه الناس فقال : «مالككم تكأكلهم عليّ تكأكلكم على ذي جنة افرقعوا
عني» .

(١) سر الفصاحة ٢٦.

لو يخرج له وجه بعد كما في قول العجاج :

وناسحاً ومترساً مترجماً

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « مترجاً » حتى اختلف في تخرجه ، فقبل : هو من قولهم السيف « سريجة » منسوبة إلى ابن يقال له سريج ، يريد أنه في الاستواء والندقة كالسيف السريجي . وقبل من السراج ، يريد أنه في البريق كالسراج ، وهذا يقرب من قولهم : « سرج وجهه » أي : حسن ، و« سرج الله وجهه » أي يهجه وحسنه .

وهذا بحث اهتم به النقاد والبلاديون كابن سنان الذي عاب القين يكثر من الوحشي الغريب في كلامهم وذكر ما وقع فيه بعضهم فخرج كلامه عن القضاة وبعد عن القهم (١) . وكابن الأثير الذي يرى أن الوحشي ليس للمضجع من اللفاظ وإنما هو قسبان : غريب حسن ، وغريب قبيح (٢) .

٣ - مخالفة القياس اللغوي : كقول الرازي :

الحمد لله العليّ الأجلّ الواسع القسطير الكريم الشجر
فان القياس « الأجل » بالادغام .

ولم يوضح مخالفة القياس ، وكان ابن سنان قد تكلم عليه ووضحه وأدخل فيه كل ما ينكره أهل اللغة ويردّه علماء النحو من التصرف القاسد في الكلمة (٣) . ووضع الغزويني قاعدة لفظة الفصيحة فقال : « ثم علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون اتصال العرب الوثوق بعربيتهم لها كثيراً أو أكثر من استعمالها ما يستعملها » (٤) .

وبعد ان اكتملت من شروط اللفظة الفصيحة تحدث عن فصاحة الكلام وهي :
١ - خلوصه من ضعف التأليف : ومثل له بقوله : « ضرب علامة زبداء »
فان رجوع الضمير إلى المفعول متأخر لفظاً يمنع عند الجمهور لئلا يلزم رجوعه إلى ماهر متأخر لفظاً ورتبة ، وقبل يجوز لقول الشاعر :

(١) من الفصاحة ص ٧٥ .

(٢) لكل السراج ١ ص ٥٧ ، ١٥٥ ، ١٦٣ .

(٣) من الفصاحة ص ٨٢ - ٩١ .

(٤) الأيضاح ص ٤ .

جزى ربه عني عهدي بن حاتم نجواه الكلاب العاويات وقد فعل
٢ - الثائر: وهو أن تكون اللفاظ بسببه متناهية في القتل على اللسان متناهية كما
في البيت الذي انشده الجاحظ :

وقبر حارب بمسكان قفر وليس قمر حارب قمر حارب قمر
ومنه ما دون ذلك كقول أبي تمام :

كريم من أمدحه أمدحه والوري معي وإذا ما لته لكه وحدي
وسب الثائر في « أمدحه » ما بين الماء والماء من تناثر لآلهما حلقان ، وتكرار
الكلمة في الشرط والجزاء .

٣ - التعقيد : وهو أن لا يكون ظاهر الدلالة على المراد به وله سببان :

الأول : ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يخلل الكلام ولا يدري السامع كيف يتوصل
منه إلى معناه كقول القرظقي :

وما مثله في الناس إلا ملكاً أبر أمه حي أبوه بفشاربه
ووضع القرظقي قاعدة للكلام الخللي من التعقيد القضي وقال له : « مما سلم نظمه
من الخلل فلم يكن فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو ضمير أو غير
ذلك إلا وقد قامت عليه قرينة ظاهرة لفظية أو معنوية (١) . وهذا ما تكلم عليه
عبد القاهر وسماه « التعقيد » أو « فساد النظم » (٢) وأدخله ابن سنان في بحث
التقديم والتأخير (٣) ، وعدّه ابن الأثير من المعاطلة للمعنوية التي يسيها التقديم
والتأخير (٤) .

الثاني : ما يرجع إلى المعنى وهو أن لا يكون في النظم الذهن من المعنى الأول
إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه والمراد به ظاهراً كقول العباس بن الأحتف :

سأطلبُ بَعْدَ الدارِ حنكمَ لظربوا وتسكب عيناوي الدموعَ لشجسلا

(١) الإيضاح ص ٦٠ .

(٢) أسرار البلاغة ص ١٦٩ .

(٣) سر القصة ص ١٢٥ .

(٤) النكت السارحة ص ٢٦٩ ، ج ٢ ص ٢٤ وما بعدها .

كأن يسكب السموع عما يوجهه الفراق من الحزن ، وأصاب ، لأن من شأن
البكاء أن يكون كتابة عنه كقولهم : « أبكاني وأضحكني » أي : أصابني وسرتني ،
كما قال :

أبكاني الدهر ديا وبسا
أضحكني الدهر بما يرضي
ثم طرد ذلك في قتيضه فأراد أن يكأن عما يوجهه صوام الثلاثي من السرور بالجمود
لأنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقاً من غير اعتبار شيء آخر ، وانعطف لأن
الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها فلا يكون كتابة عن السرور
والما يكون كتابة عن البخل كما قال الشاعر :

ألا أن عينا لم تجدد يوم واسط عليك بجري فمعها لجمود
وضبط القزويني الكلام الخالي من التعبد وقال عنه : « ما كان الانتقال من معناه
الأول إلى معناه الثاني الذي هو المراد به ظاهراً حتى يتخيل إلى السامع أنه فهمه
من حائق اللفظ » (١) .

وأضاف إلى ذلك خلوص الكلام من كثرة التكرار ، كقول المتنبي :

وتسكنني في غمرة بعد غمرة سبوح لما منها عليها شواهد
وخلوه من تنابع الإضافات ، كقول ابن بابك :

حسانة جرحا حومة الجندل اسجعي قالت برأى من سعاد ومسبح
وكان الصاحب بن عباد قد أشار إليه بقوله : « أباك والإضافات المتصاعدة فإنها
لا تحسن » ويرى القزويني أن هذا الشرط لا يؤخذ به دائماً ، لأن ذلك أن أغنى
باللفظ إلى النقل على اللسان فقد حصل الاحتراز عنه وإلا فلا تخل بالتصاعدة ،
وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أكرم بن أكرم بن أكرم يوسف
ابن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم » . وهذا رأي عبد القاهر الذي قال : « ولكنه إذا
سلم من الاستكرام ملح ولفظ » .
وما حسن فيه قول ابن المعتز :

(١) الإيضاح ص ٦٠ .

وكانت تدبر الراج أهدي جاكز عناق دنائير الرجوه . مـ صلاح
وما جاء فيه حتماً جديلاً قول الدالكي يصف ظلاماً له :

ويذكر الشعر مثل عمر ماضي وهو على أن يزبد مجتهد
وعمر ماضي السريفي وذلك مرثياً . و العاصي الشافعي منشد (١)
وما يتصل بالانفاط المركبة . طنون التي سماها البلاغيون ، المحسات النقطية
وهي خطبة الاعصية في مرادة الانفاط ، وينبغي أن توضع في بحث الفصاحة لأن
ها تأتيراً في الكلام . وإنما تابع عمروني صاحب « مفتاح العلوم » فتحدث عنها في
ليدعم طاعته استنهاها ليرادي وأثر نقلاً . وقد سبق إلى ذلك علماء البلاغة كثيرون
الأكبر الذي قسم الفصاحة النقطية قسمين :

الأول : في النقط للقرعة .

الثاني : في الانفاط المركبة ، وهي السجع ، والتصرع ، والتجنيس ، والتوصيف
و ترم ما لا يلزم ، والتمويه ، واختلاف صيغ الانفاط ، وتكرار الحروف .
هذه مرادة البلاغيين للفصاحة أما القاد فقد تحدثوا عن دقة الانفاط وإيجازها
وسهولتها وجبراتها وفنائها وغريبها وغير ذلك مما لجده في كتب البلاغة والنقد ،
وهو حديث فيه طرافة وجدوة يسميها ذكره البلاغيون عن الفصاحة وأوصافها .

(١) الألفباص ص ٨٤ ودلائل الإيجاز ص ٨٢ .

المبحث الثاني البلاغة

كلمة «البلاغة» من الكلمات التي شاع استعمالها في كتب الادب ، وكانت هي والصراحة صنوان استعمالان معاً او تستعمل الواحدة في موضع الاخرى .
في اللغة :

والبلاغة - في اللغة - الانتهاء والوصول ، وفي لسان العرب : «بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً : وصل وانتهى . تبلغ بالشئ : وصل إلى مراده . البلاغ ما يبلغ به ويوصل إلى الشيء المطلوب . البلاغ : ما بلغت ، والكفاية . الابلاغ : الايصال . بلغت المكان بلوغاً : وصلت اليه ، وكذا اذا شارفت عليه .

وأشار ابن منظور إلى المعنى الاصطلاحي فقال : «البلاغة : الفصاحة . والبلغ والبلغ : البليغ من الرجال . ورجل بليغ وبليغٌ وبلغٌ : حسن الكلام فصيحاً بليغ بمرارة لسانه كقوله ما في قلبه ، والجميع بلغاء ، وقد بليغٌ بلاغة : صار بليغاً . وليس في هذا القول غير للمعنى العام للكلمة ، فهي - أولاً - الانتهاء والوصول إلى الغاية ، وهي - ثانياً - الفصاحة ، أي ان الكلمتين مترادفتان . وهذا رأي معظم النحويين والبلاغيين الأوائل .
في التركيب :

ولرغمنا هذه القطة في التراث العربي لأربابها شائعة معروفة ، وقد جعلت لفظة «بلغ» في قوله تعالى : «فأعرض عنهم ، وأعرض عنهم ، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً» (١) .

يقول الراسب الاسفهاني في تفسيرها : «البلاغة» يقال على وجهين : أحدهما أن يكون بليغاً بليغاً ، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف : صواباً في موضوعه لغة ،

(١) سورة القصص ، آية ٢٨ .

وطناً بمعنى التصود، وصدقاً في نفسه: ومنى اعترم وصف من ذلك وكان ناقصاً في البلاغة.

والثاني : أن يكون بليغاً باعتباره القائل والمقول له وهو أن يقصد القائل أمراً فبرده على وجه حقيق أن يتبله المقول له. وقوله تعالى : فقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً يصح حملُه على المعين، (١).

وذهب الرميشري ملعباً نفسياً في تفسيرها ، وأشار إلى تأنيدها رمزاً في قوله : قل لهم قولاً بليغاً مقترناً في قلوبهم يقتضون به اعتماداً ويستشعرون من الخوف استشعراً ، (٢).

في الحديث :

وليس في الحديث الذي - صل الله عليه وسلم - ما يشير إلى هذا المعنى مع كثرة ما جاء من مشتقاتها في كلامه (٣). فقد ورد عنه قوله : **«أن الله يفضي البليغ الذي يخلل بلسانه»** . وجاء عنه انه عاب فيه الثقاتين والثرثارين والذي يخلل بلسانه يخلل البقرة بلسانها (٤).

في التراث :

ولا تكاد نمر على بليغنا في فترة صدر الاسلام ، وحينما جاء العصر الاموي نجد معاوية بن ابي سفيان يسأل صحار بن عياض : **«ما هذه البلاغة التي فيكم ؟»** قال : **«شيء نجيب به صدورنا فضله على ألسنتنا»** . وقال له معاوية : **«ما تمدون البلاغة فيكم ؟»** قال : **«الايجاز»** . قال له معاوية : **«وما الايجاز ؟»** قال صحار : **«ان نجيب فلا نخطي»** ، وتقول فلا تخطي» (٥).

وفي كتاب **«اليان والبيان»** تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم ، فقد قيل لقارسي : **«ما البلاغة ؟»** قال معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لبيداني : **«ما البلاغة ؟»**

(١) لغزوات في غريب القرآن ص ٦٠.

(٢) الكشاف ج ١ ص ٤٠٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٤٢.

(٤) اليان والبيان ج ١ ص ٢٣١.

(٥) اليان ج ١ ص ٩٦.

قال : حسن الاقتضاب عند البلاغة ، والفرارة يوم الاطالة . وقيل الهندي : ما البلاغة ؟
قال : وضوح الدلالة وانتهاز القرعة وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الفن :
« جناح البلاغة البصر بالحجة ، والفرقة بمواضع القرعة » (١) .

وفسرها عمرو بن عبيد (- ١٤٤ هـ) في أول الامر تفسيراً دينياً حين قيل
له ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة ، وحصل بك عن النار ، وما يصرك مواقع
وذلك وعواقب فيه . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن
يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال :
ليس هذا أريد . قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن معشر الأنبياء
بكاء ، أي قليلو الكلام ، ومنه قيل رجل بكى » . وكانوا يكرهون أن يزيد
الرجل على قوله . قال السائل : ليس هذا أريد . قال كانوا يخالفون من فنة القول
ومن مقطعات الكلام مالا يخالفون من فنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال
السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك تريد تخير القنط في حسن الافهام ؟
قال : نعم . قال : لك اذا لو تبت لفرير حجة الله في حقول المكلفين وتخفيف
للزوجة على السامعين وتزيين تلك المعاني في قلوب الربدين بالاقفاط المستحسنة
في الآذان ، القبول عند الاذعان ولعبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن
قلوبهم بالمروعة الحسنة على الكتاب والسمعة ، كنت قد لو تبت لفصل الخطاب
واستحققت على الله جزيل الثواب (٢) .

وقال الاصمعي (- ٢١٦ هـ) عن البليغ انه : « من طبق للفصل والختاك من
الفسر » (٣) :

وقال الخطابي (- ٢٢٠ هـ) أن : « كل من أنهك حاجته من غير إعادة ولا
حسنة فإظهار ما يحسن من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٤) :

(١) البيان ج ١ ص ٨٨.

(٢) البيان ج ١ ص ١١١ ، ونظر عميد الاخبار ج ٢ ص ١٢٠ .

(٣) البيان ج ١ ص ١٠٦ .

(٤) البيان ج ١ ص ١١٣ .

الملاحظ :

ولم يعرفها الجاحظ (٢٠٥هـ) بعد أن ذكر كثيراً من تعريفاتها ، واكتفى بأن اختار قولاً أعجبه . يقول : « وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتبيته ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك » (١) .

وليس في هذا التعريف ما يشير إلى المعنى الاصطلاحي الذي حددته القياسيون والملاحظ في كل ما ذكر لا يوضح بين الفصاحة والبلاغة حتماً ، فكثيراً ما نادى مترادفين ، وهما عنده اليان بمعناه الواسع قبل أن يفيد المتأخرون .
المبرد :

والمبرد (٢٨٥هـ) رسالة صغيرة سماها «البلاغة» أجاب فيها عن رسالة أحمد ابن الواثق الذي سأله : «أي البلاغتين أبلغ ؟ أ بلاغة الشعر أم بلاغة الخطب والكلام المنثور والسمج وأيهما عندك - أعزك الله - أبلغ ؟ » .

وأجاب المبرد : «إن حتى البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار للكلام وحسن النظر حتى تكون الكلمة مقاربة لاعتها ومعانده شكلها ، وأن يقرب بها التبيد ، ويخلف منها الفضول » (٢) .

ومصطلح «البلاغة» في هذه الرسالة لا يعني العلم المعروف ، وإنما سر لطيف لبعض معانيها . وإذا لم نجد فيها ما نطمح إليه فلأننا نستطيع القول أن المبرد أراد من «أطلق «البلاغة» على بعض رسائله .

العسكري :

ويظهر مصطلح البلاغة بوضوح في «كتاب» الصناعيين «الذي هلال العسكري (٣٩٥هـ) الذي قال : «إن» أحن القول بالتعلم ولولادها بالتحفظ بعد المراجعة بالله - جل ثلوه - علم البلاغة ومعرفة الفصاحة » (٣) وقال : «البلاغة من علومهم

(١) اليان ج ١ ص ١١٥ .

(٢) بلاغة ص ٥٩ .

(٣) كتاب الصناعيين ص ١ .

بلغت المكان ، اذا انتهت اليها وبلغتها غيري ، وبلغ الشئ متناه والبالغة في الشئ :-
 الانتهاء الى غايته ، فسيت البلاغة ، بلاغة ، لانها تنهي المعنى الى قلب السامع ،
 فيفهمه . وسيت البهتة بلغة لانك تبلغ بها فتصلي بك الى ما غرقها وهي البلاغ
 ايضا ، (١) والهدى رأيه في تعرضها ، وأخذها بقوله : «البلاغة : كل ما تبلغ
 به قلب السامع فتسكنه في نفسه كتسكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض
 حسن » (٢) .

والبلاغة - عتده - من صفة الكلام لا من صفة المتكلم ، ولذلك لا يجوز
 ان يسمى الله بليفاً ، إذ لا يجوز ان يوصف بصفة موضوعها الكلام . وتسميه المتكلم
 بالله بليغ توسع وحقيقته أن كلامه بليغ كما نقول : «رجل محكم» وتعني
 أن لقوله محكمة . قال تعالى «محكمة» بالغة ، (٣) فجعل البلاغة من صفة المحكمة
 ولم يجعلها من صفة الحكم ، الا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بالله
 بليغ كالحقيقة .

وفي كتاب الصائغين وابن :

الاول : «أن القصاحة والبلاغة ترجمان الى معنى واحد وان اختلف اصلاهما ،
 لان كل واحد منهما انما هو الالبانة عن المعنى والاظهار له .

والثاني : ان القصاحة والبلاغة مختلفتان ، ذلك ان القصاحة تمام آلة البيان فهي
 مقصورة على اللفظ لان الالة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة انما هي
 انهاء المعنى الى القلب فكأنها مقصورة على المعنى (٤) .

ابن سنان :

وحاول ابن سنان الخفاجي (١٦٦هـ) ان يحدد البلاغة ويرسم معالمها غير
 انه لم يأتي بالكلمة القاصلة والتعريف الجامع المانع : ولم يك وحده الذي فعل ذلك

(١) كتاب الصائغين ص ٩ .

(٢) كتاب الصائغين ص ١٠ .

(٣) انظر .

(٤) كتاب الصائغين ص ٧ .

فقد سررت بالبلاغة معرفة كانت كثيرة نقلها البلخسط في «البيان والتبيين» وأبو هلال في «كتاب الصائغين»، ولذلك أشار إلى اضطراب القوم في حديثها والوقوف على كتبها وقال: «وقد حدثنا الثامن بالبلاغة يحدود إذا حطقت كانت كالرسوم والعلامات وليست بالحدود الصحيحة». فمن ذلك قول بعضهم دلجة دالة، وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصراً فلا وحدها يحيط فليس ذلك بممكن للدخول الإشارة من غير كلام بلفظ به تحت هذا الحد (١).

ولم يعرف البلاغة، وإنما فرّق بينها وبين الفصاحة وقال: «والفرق بين الفصاحة والبلاغة، أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للالفاظ مع المعاني: لا يقال في كلمة واحدة لا تتدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصحة، وكل كلام بليغ فصيح، وليس كل فصيح بليغ» (٢). لقد وضع ابن سنان حداً فاصلاً بين المصطلحين، وحصر الفصاحة في الالفاظ والبلاغة في المعاني والالفاظ، وأصبحت الفصاحة شرطاً للبلاغة وأحد جزئيهما. وهذه النظرة حسنة، ولكنه أطلق الفصاحة على موضوعات البلاغة وسعى كتابه بسر الفصاحة ومعنى ذلك أنها تشمل الالفاظ والمعاني. وقد أوضح ذلك بقوله: «و في البلاغة اقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحر وإذا كانت الفصاحة شرطاً وأحد جزئيهما فكلامي على المقصود - وهو الفصاحة - غير متميز إلا في الموضع الذي يجب بيانه من الفرق بينهما على ما قدمت ذكره، فأما ما سوى ذلك فعام لا يختص، وخليط لا ينقسم» (٣).

وابن سنان حينما يتنقل إلى تأليف الكلام يظل مرتبطاً بالحديث عن الالفاظ، لأن البلاغة أن توضح الالفاظ موضعها حقيقة أو مجازاً، تنديماً أو تأخيراً، قلباً أو حقناً، وغير ذلك مما فصل القول فيه.

(١) سر الفصاحة ص ٦٠

(٢) سر الفصاحة ص ٦٠

(٣) سر الفصاحة ص ٦١

ولم يفرق عبد القاهر (١٧٩١هـ) أو (١٧٧٤هـ) بين المصطلحين ، لأنهما يجر بهما عن الفضل بعض القائلين على بعض من حيث لفظوا أو تكلموا واختيروا السامعين عن الأغراض والمقاصد ، وراموا أن يظهروهم ما في قلوبهم ، ويكشفوا لهم عن خبائير قلوبهم (١) .

والنصاحة والبلاغة والبراعة والبيان تأتي مترادفة عنده ، ومعنى ذلك أن الحدود بينها لم تتضح ، وأن هذه المصطلحات لم تستقل وأخذ معناها بالتدقيق .
القرآني :

ولم تأخذ لفظة «البلاغة» دلالتها المعروفة عند فخر الدين القرآني (٦٠٦هـ) وهي عنده : «بلغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه من الاختراز عن الإيجاز والمخل والاطالة للبيان» (٢) ولكنه ربط النصيحة والبلاغة بالمعنى ، وكما منحى عبد القاهر في فهمها . ابن الأثير :

وقال ابن الأثير (- ٦٣٧هـ) أن الكلام يسمى بليغاً لأنه بلغ الأوصاف المنطوية والمعنوية ، والبلاغة شاملة للاتفاظ والمعاني وهي أخص من النصيحة كالإنسان من الحيوان وليس كل حيوان إنساناً ، وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً وولم يفرق بينها وبين النصيحة من وجد آخر غير الخاص والعام ، وهي أنها لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فإن لفظة المفردة لا تمت بالبلاغة وتمت بالنصيحة إذ يوجد فيها الوصف المخصص بالنصيحة وهو الحسن ، ولما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لفظها من المعنى المفيد الذي ينظم كلاماً (٣) .

السكاكي :

وحينما قسم السكاكي (٦٦٩هـ) البلاغة ووضع معانيها في كتابه «مفتاح العلوم» عرّفها تعريفاً دقيقاً وقال : «هي بلوغ التكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٥ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٩ .

(٣) المثل للشرح ١ ص ٦٩ .

بنوعية خواص التراكيب حقها ، وإيراد التشبيه والمجاز والكتابة على وجهها ، (١) :
وبهذا التصريف أدخل مباحث علم المعاني وعلم البيان ، وأخرج مباحث البديع
لأنه وجوه يؤول بها لتحسين الكلام وهي ليست من مرجعي البلاغة .

وبالبلاغة طرفان : أعلى وأسفل متباينان تباينا لا يترامى لأحد نراهما ويتبعهما
مراتب متفاوتة تكاد تقوت الحصر ، فمن الأسفل تبتدىء البلاغة ، وهو القدر
الذي إذا قلص منه شيء اتضح ذلك للكلام بأصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد
متصاعدة إلى أن تبلغ حد الأصحار ، وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه .

ولم يتركف القصاحة واكتفى بتقسيمها إلى قسمين : قسم راجع إلى المعنى ،
وقسم راجع إلى اللفظ ، ولم يجعلها لازمة للبلاغة التي وحصر مرجعيتها في المعاني
والبيان . وقد أشار القزويني إلى ذلك بقوله : « وجعل القصاحة غير لازمة للبلاغة ،
وحصر مرجع البلاغة في القنين ، ولم يجعل القصاحة مرجعاً لشيء منهما » (٢)
وقال الشافعي : « لم يجعل البلاغة مستلزماً للقصاحة ، وحصر مرجعها في
المعاني والبيان دون التثنية والصرف والتحو » (٣) ، ورأى أن مرجعها إلى هذه العلوم
جديها لا إلى مجرد المعاني والبيان .

والكن السكاكي - مع ذلك كله - رأى أن البلاغة بمرجعيتها والقصاحة بتوجهها
« مما يفسد الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين » (٤) ، ولذلك
نراه حينما حلل بعض الآيات القرآنية أخذ من مرجعي البلاغة ومن القصاحة مقياساً
لإظهار ما فيها من صور بيانية ، ومن روعة وتأثير في الشغوس .

القزويني :

« كان الخطيب القزويني (- ٥٧٣٩هـ) آخر من وقف عند البلاغة من الشعراء
ومميز بين بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم فقال عن الأولى : « أما بلاغة الكلام فهي
مطابقة لقصص الحال مع فصاحته » و« مقتضى الحال مختلف ومقامات الكلام

(١) مفتاح العلوم ص ١٩٦ .

(٢) الأيضاح ص ٢٤٠ .

(٣) الطول ص ٣ .

(٤) مفتاح العلوم ص ٢٠٠ .

مماثلة ، ، مقام التكبير يبين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يبين مقام التقييد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ومقام التقصير يبين مقام خلافه ، ومقام الفصل يبين مقام الوصل ، ومقام الانجاز يبين مقام الانساب والمساواة ، وكذا عطف الذكي يبين عطف الغي ، وكذا النكل كلمة مع صاحبها مقام . وتطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه عبد القاهر النظم ، (١) .

وقال عن الثالثة : فوالها بلاغة التكلم فهي ملزمة بفنن بها على تأليف كلام بليغ ، (٢) .

وقرر ان كل بليغ - كلاماً كان أم متكلماً - فصيح ، وليس كل فصيح - بليغاً ، وأن البلاغة في الكلام مرجعها الى الاحراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام للتصحيح من غيره .

والسّم البلاغة الى ثلاثة أقسام ، فكان ما يحترز به عن الخطأ علم المعالي ، وما يحترز به عن التقييد المنوي علم البيان ، وما يعرف به وجوه تصحيح الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ومصاحته علم البديع . قال البلاغة - عنه - ثلاثة :

١. علم المعالي

٢. علم البيان

٣. علم البديع

ولم يخرج البلاغيون المشهورون عن هذا التعريف والتضمين ، واصبح مصطلح البلاغة يضم هذه العلوم الثلاثة .

(١) الانشراح ص ٢٠ ، والمختصر ص ٢٣ . - ٢٢ -

(٢) الانشراح ص ١١ .

الباب الثاني

علم المعاني

١٠

١١

الفصل الأول

المعاني

علم المعاني من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ، أو ذكر وحذف ، أو تعريف وتكبير ، أو قصر ، أو فصل ووصل ، أو إيجاز وإطناب ومساواة .

وليس في كتب البلاغة الأولى إشارة إلى هذا العلم ، ولا تعرف أحداً استعمله وسمى به قسماً من موضوعات البلاغة قبل السكاكي (- ٥٦٦ هـ) . وكان الأوائل يستعملون مصطلح « المعاني » في دراساتهم القرآنية والشعرية ، فيقولون : « معاني القرآن » أو « معاني الشعر » ، ويخلطون من ذلك أسماء الكتب ، وليس في هذه المصطلحات ما يتصل بالبلاغة أو أحد علومها .

ولعل عبارة « معاني النحو » التي وردت في المناظرة التي جرت بين الحسن بن عبد الله بن الرزيان المعروف بأبي سعيد السمرائي (- ٥٣٦ هـ) وأبي بشر متى بن يونس في مجلس الوزير أبي الفتح بن جعفر بن القرامت كانت من أقدم الاشارات إلى هذا المصطلح بمعناه القريب من البلاغة . قال السمرائي : « معاني النحو منقسمة بين حركات القطف ومساكنه ، وبين وضع الحروف في مواضعها المنتظمة لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ، وتوحي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك ، وإن زاح شيء عن هذا التمت فإنه لا يخلو من أن يكون سائفاً بالاستعمال النادر والتأويل الجعيد أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرته » (١) .

وعقد أحمد بن فارس (- ٥٣٩٥ هـ) في كتابه « المعاني » باباً سماه « معاني الكلام » (٢) وهي عند لعل العلم عشرة : خبر واستخبار ، واسر ونهي ، ودعاء وطلب ، وعرض وتخفيض ، وتفن وتعجب : وبذلك يكون ابن فارس أول من أطلق مصطلح « معاني الكلام » على مباحث الخبر والانشاء التي أصبحت فيما بعد أهم فصول علم المعاني .

(١) الامتاع والثلاثة ج ١ ص ١٢١ ، ومجمع الادب ج ٣ ص ١١٧ .

(٢) المعاني ص ١٧٩ وما بعدها .

المبحث الأول

نظرية النظم

وكان لنظرية النظم اثر كبير في ظهور هذا اللون من الدراسات ، والنحاة العرب يد طولي في دراسة الكلام وتحليله والوقوف عند الجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير ، أو ذكر وحذف . ولعل سيويه (- ١٨١٠هـ) كان من اقدم الذين وقفوا عند هذه الجوانب ودرسها بعض في فصول كتابه الشهير وأبراه ، ولكن سيويه والنحاة لم يسموا هذه البحوث نظماً وإنما هي لو اُخذت سر عليها العرب في كلامها أو انشائها . ولا نستطيع ان ننسب اليهم بعد ذلك نظرية النظم التي حاول بعض المعاصرين أن يربطها بهؤلاء النحاة ربطاً وثيقاً ليجرد البلاغيين الاصاله والتجديد مع إيماننا بأن الموضوعات التي بنيت عليها هذه الفكرة كانت تحوية محضه ، وقد استفاد منها البلاغيون وطوروها وصوروها احسن تصوير .

وإذا أردنا ان نطمس فكرة النظم لينتهي ان نطمسها في كتب النحوي بعد ان رأينا ارتباطها بكتب النحوي . واقدّم إشارة عثراً عليها في الكتب العربية عبارة ابن القفج (- ١٤٤٣هـ) التي اشار فيها الى صياغة الكلام . قال : «فانما خرج الثامن من أن يكون لهم عمل وأن يقولوا قولاً بديعاً، فليعلم الواصفون الخيرون ان احدهم وان احسن والبلغ ليس زائداً على ان يكون كصاحب قصص وجد باقوتاً ووزرجناً ومرجلاً فنظمه فلاكده وسموطاً واكائيل ووضع كل فعلاً موضعاً وجمع الى كل لون شبيه بما يريده بذلك حسناً فسمي بذلك صائفاً رقيقاً ، وكصياغة الذهب والقضبة صتموا فيها ما يعجب الناس من الخلق والآلية ، وكان التحل وجدت ثمرات المرجيا الله طيبة وسلكت سبلا جعلها الله ذللاً فعصار ذلك شفاء وطعاماً وشراباً منسوباً اليها مذكوراً به امرها وصنعها: قَسَمَنَ جرى على لسانه كلام يستحسنه او يستحسن منه فلا يعجبين به اعجاب الخلق للبتدع ، فانه انما اجتهاد كما وصفناه (١) »

(١) الادب الصغير - آثار ابن القفج ص ٢١٩ ، رسائل البلد ص ٦٠٥

واعلم البلاغيون هذا الكلام وادبروه في كتاباتهم من غير أن يشيروا إلى ابن المقفع : قال الجاحظ (٢٥٥ - ٢٥٥) : «لما شعر صناعة وضرب من التسج وجنس من التصوير» (١). وحدث عن النظم في كتبه وسعى أحدها ونظم القرآن ، قال : «كما حيث كتابي في الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبلغ تركيبة» (٢). وقال : «وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صادق ، نظمته البديع قلدي لا يقتصر على مثله العبادة مع ما سوى ذلك من الدلائل التي جاء بها من جاء به» (٣) ، والجاحظ في هذين النصين وغيرهما يؤمن بأن القرآن الكريم معجز بنظمه ومافيه من بلاغة تأسر القلوب .

وكان مسألة اعجاز القرآن أثر في بلورة فكرة النظم ، وقد ذهب قوم من المتكلمين إلى أن وجه الاعجاز هو ما تشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب وتكرهم في مطالعته ومقاطعته وغوامضه . وزعمت جماعة منهم إلى أن وجه الاعجاز في مجروح الأعرين : النظم ، وكونه في أعلى درجات البلاغة .

ولأبي عبدالله محمد بن يزيد الواسطي (٢٥٦ - ٢٥٦) كتاب في اعجاز القرآن سماه «اعجاز القرآن في نظمه وتأليفه» ، ولا يعرف عنه شيئا مع أن عبد القاهر الجرجاني شرحه مرتين ، لأن الأصل وشرحه لم تصل وإن كان العنوان يدل على أنه عالج مسألة النظم وأقام عليها إعجاز كتاب الله .

وفي كتب الاعجاز التي وصلت حديث عن النظم ، ولكنه لا يطور الصور فولا يوضح الهدف ، وإنما هو ومضات في الطريق سار عليها البلاغيون ، فابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (٢٥٨ - ٢٥٨) يرى أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح اللفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني ، ويقول إن «محمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الالفاظ

(١) الحيوان ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) الحيوان ج ١ ص ٩ .

(٣) الحيوان ج ١ ص ٩٠ .

التي تشمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه أما تذكّر المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وأما ذهاب الروق الذي يكون منه سقوط البلاغة (١). ويرى أبو الحسن علي بن عيسى الرمائي (٢٣٨٦هـ) أن أعلى مرتبة في حسن البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتقبله النفس قبل البرد (٢). ويرى أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (٤٠٣هـ) أن كتاباته معجز بالنظم، لأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، يقول: «فما شأو نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى عليه ولا امام يُقتدى به، ولا يصح وترويح مثله كما يفرق الشاعر البيت الفاجر، والكلمة الشاردة، والمعنى الفد الغريب، والشئ القليل العجيب (٣)». ويقول: «ليس الأعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها واحكام رصفها، وكونها على وزن ما أتى به الذي - صلى الله عليه وسلم - وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومتروية في الوجود، وليس لها نظم سواها (٤)». ويقول عن القرآن: «وهو معجزة الرسول - عليه السلام - دال على نبوته من ثلاثة أوجه: أحدها ما به من عجب النظم وديع الرصف، وأنه لا تقدر لاحد من الخلق على تأليف مثله ولا تأليف صورة منه أو آية بقدر صورة...» (٥).

وكان كلام القاضي عبد الجبار الأسدي آبادي (٤١٥هـ) أكثر وضوحاً حينما رأى أن القصاحة والبلاغة يتزمان على ضم الكلمات وتجانسها، قال: «اعلم أن القصاحة لا تظهر في أفراد الكلام بالقسم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع القسم أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواصفة التي

(١) بيان اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٢٦.

(٢) تنبكت في اعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن ص ٩٨.

(٣) اعجاز القرآن ص ١٦٩.

(٤) كتاب الفهد ص ١٥٩.

(٥) تنبكت الانصار نقل القرآن ص ٥٩.

تداول النظم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع . وليس هذه الأنقسام الثلاثة رابع ، لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها ، ولا بد من هذا الاختيار في كل كلمة ، ثم لا بد من اعتبار مثل في الكلمات إذا نظم بعضها إلى بعض ، لأنه قد يكون لها عند الانضمام صلة ، وكذلك لكيفية إعرابها وحركاتها وموقعها . فكل هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية القصيدة بهذه الوجوه دون غيرها .

فإن قال : فقد قلّم إن في جملة ما يدخل في القصيدة حسن المعنى ، فهلاً اعتبر نوه ؟ قيل له : إن المعاني وإن كان لا بد منها فلا تظهر فيها الزينة ، ولذلك نجد المعبرين من المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق . هل أنا أعلم أن المعاني لا يقع فيها ترديد فاذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الانقضاء التي يعبر بها عنها . فإذا صححت هذه الجملة فالذي تظهر به الزينة ليس إلا الإبداء - الاختيار - الذي يختص بالكلمات أو التقديم والآخر الذي يختص بالموقع أو الحركات التي تختص بالإعراب ، فبذلك تلغ المباشرة . ولا بد في الكلامين اللذين أحدهما أفصح من الآخر أن يكون إنما زاد عليه بكل ذلك أو ببعضه ولا يمنع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أفصح منها إذا استعملت في غيره ، وكذلك فيها إذا تغيرت حركاتها . وكذلك القول في جملة من الكلام . ثم قال : وهذا يبين أن التعبير في الزينة ليس بنية اللفظة ، وإن التعبير فيه ما ذكرناه من الوجوه . فإما حسن النظم وحلوة القول لهما يزيد الكلام حسناً على السمع لأنه يوجد فضلاً في القصيدة (١) .

ذلك ما كانت عليه نظرية النظم قبل القرن الخامس الهجري ، وليس في النوال الملاحظة ومن جاء بعده فكرة والمصلحة عنها إلا ما كان من كلام القناصي حينما جاز الذي ربط القصيدة بالنظم ونفى عليه وأبه في اصحاب القرآن .

(١) للمص ج ٢٦ ص ١٩٩ وما بعدها .

لقد وضحت هذه النظرية وبلت مدافعا على يد عبدالقاهر الجرجاني (١٢٧١هـ أو ١٢٧٤هـ) الذي أطال الكلام عليها ، وسنرى موضوعات التقديم والتأخير ، والذكر والحذف ، والتعصر ، والفصل والوصل ، والتعريف والتذكير : معاني النحو أو النظم : والنظم - عنده - تعليق الكلام بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض (١) ، أو هو نوعي معاني النحو . وقد حصر موضوعاته بقوله : « واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوائمه وأصوله ، وتعرف متاعبه التي نهجت فلا تخرج عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تغل بشيء منها ، وذلك أن لا تعلم شيئا يتغيه النظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه فينظر في التعبير إلى الوجوه التي تراها في قولك : زيد متعلق هو زيد متعلق ، وه متعلق زيد ، وه متعلق زيد وه زيد المتعلق ، وه المتعلق زيد وه زيد هو المتعلق ، وه زيد هو متعلق » .

وفي الشرط والجزاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : « إن تخرج أخرج » ، و « إن خرجت خرجت » ، و « إن تخرج فأنا خارج » ، و « أنا خارج إن خرجت » ، و « أنا إن خرجت خارج » .

وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك : « جاءني زيد مسرعا » ، و « جاءني يسرعا » ، و « جاءني وهو مسرعا » ، أو « هو يسرعا » ، و « جاءني قد أسرعا » ، و « جاءني وقد أسرعا » ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ويحي به حيث ينبغي له .

وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلاما من ذلك في خاص معناه نحو أن يحي : « وما في نفي الحال » ، و « ولا » إذا أراد نفي الاستقبال ، و « وإن » فيها يرجح بين أن يكون وأن لا يكون ، و « وإذا » فيها علم أنه كائن .

(١) دلائل الاعجاز ص (ص) .

وينظر في الجمل التي ترد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو ، من موضع الفاء وموضع القاء من موضع ثم ، وموضع الواو من موضع أم ، وموضع لكن من موضع هل .

ويصرف في التصريف والتذكير ، والتقديم والتأخير في الكلام كله ، وفي الحذف والتكرار ، والاضمار والإظهار ، فيصح كلاماً من ذلك مكانه ويستعمل على الصحة وعلى ما ينبغي له .

هذا هو السبيل ، فليت يواجه شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ومخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ويتوصل تحت هذا الاسم ، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه وضع في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساد أو وصف بمنزلة وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وتلك الفساد وتلك المنزلة وتلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يتصل في أصل من أصوله ويتصل باب من أبوابه . (١)

فمعاني النحو أو النظم تشمل : الخبر ، وأركان الجملة وما يتعلق بالسند والسند إليه من شرط وحال ، وتشمل الفصل والوصل ومعرفة مواضعهما ومعاني الواو والفاء وثم وبل ولكن ، وتشمل التصريف والتذكير ، التقديم والتأخير ، الحذف والتكرار والاضمار والإظهار والفرق بين هذه الأساليب ليس فرقاً في الحركات وما يطرأ على الكلمات ، وإنما في معاني العبارات التي يحدتها ذلك الوضع والنظم الصحيح ، وتلك ليست السند في معرفة قواعد النحو وحدها ولكن فيما تؤدي إليه هذه القواعد والأصول . وقد يكون أحدها لا يعرف التسميات الحقيقية لموضوعات النحو ، ولكنه يعرف القرون بينها ويحس بمعانيها حينما يسمعها ، شأنه في ذلك شأن البدوي الذي عاش بعيداً عن المصطلحات وما يسمي به كتب النحو ، غير أنه كان يفهم ما يسمع ويميز بين أسلوب وآخر .

(١) دلائل الإحصاء ص ٦٥ - ٦٦ .

وليست الزينة بالغة ومعركتها ، لأن ذلك لا يؤدي إلى التفاوت بين الكلام ، ولا من أجل العلم بأنفس القروق والوجوه فنسند إلى اللغة ، ولكن للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يصنع فيها . وليست بسلامة الحروف ، وإنما بالنظم الذي يعطي الكلمات والإعراب معنى دقيقا .

والنظم مراتب ، فمنه ما لا ترى الزينة فيه إلا بعد قراءة القطعة الشعرية كقول البحري :

هلولنا غمرائب من قد نرى فما إن رأينا انفتح ضمريا
هو السرّ أهدت له الخائطا تَ عَزَمًا وشكّا ورأيا صليا
تفقل في غلتي مسؤدد سماحا مرجسى وياسا ميا
فكالسيف إن جته صارخا وكالبحر إن جته مستيا
ففي هذه الأبيات تلاخقت الصور وضُمَّ بعضها إلى بعض .

ومنه ما يهجم الحسن عليك من دفعة واحدة حتى يحرف من البيت الواحد مكان الشاعر من الفضل وموضع من الخلق ، ويشهد له بالفضل حتى يعلم أن البيت من قبل شاعر فحل وانه خرج من تحت يد صانع .

ومن النظم ما يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع ، وذلك أن تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض ويشد لرباط لأن منها بأول ، وإن يحتاج في الجملة إلى أن توضع في النفس وضعا واحداً أو أن يكون الخلال فيها حال البالي يضع يميني حال ما يضع يساره هناك . ومنه ما لا يحتاج إلى فكر وروية لكي ينظم ، بل سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عند إلى لآل فخرطها في سلك لا يبغي أكثر من أن يجمعها للفرق ولكن نفيد أشياء بعضها إلى بعض لا يريد في نفيد ذلك أن نجىء له منه هيئة أو صورة بل ليس إلا أن تكون مجبوعة في رأي العين ، وذلك إذا كان المعنى لا يحتاج أن يصنع فيه شيء غير عطف لفظ على مثله . ولا بد أن يظهر المعنى إذا تغير النظم ، وفي ذلك مجال رحب يجوز فيه التشوُّن (١) .

(١) التفصيل في نظرية النظم يراجع الفصل الثاني من كتاب «مد الشعراء البحراني» -

لقد وضح عبد القاهر أصول « علم المعاني » في كتابه « دلائل الإعجاز » وسمّاه « النظرية أو معاني النحو » . وليست معاني النحو الا علم المعاني الذي عرّفه السكاكي بقوله : « هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما ينطفي الحال ذكره » (١) .

جمود النظرية :

كان السكاكي (- ٨٦٦٦) أول من أطلق مصطلح « علم المعاني » على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر النظم أو معاني النحو . ومع أنه لم يطلق ذلك على بعض مباحث البلاغة أحد غيره الا أن الباحث ليجاز حينما يجد مصطلحي « المعاني » و « البيان » قبله . فالزهري (- ٨٥٣٨) يشير اليها في الكشف ويقول وهو يتحدث عن التفسير : « ولا يفرص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين يختصين بالقرآن وما : علم المعاني وعلم البيان » (٢) . وكلامه غير واضح ، لانه كثيراً مايرد على المصطلحين وكثيراً ما يطلق مصطلح « البيان » على البلاغة كلها ، يضاف إلى ذلك أنه لم يضع حدّاً بين موضوعات المعاني والبيان . وعلّة ذلك أنه لم يكن يبحث في البلاغة حينما ألف « الكشف » وانما كان يفسر القرآن الكريم ويوضح ما فيه من معانٍ رفيعة ومن روعة وجمال وتأثير في النفوس . وكان يستخدم مصطلحات البلاغة وفنونها لقصوره إلى هذه الغاية ، ولذلك توزعت في الكتاب ولم يجمعها جامع أو يحددها منهج واضح ونراء . أحياناً يسمي البلاغة « بديها » ففي تفسير قوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا فضيلة بالغدي بما رآه حَسَنًا تَجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مَهْتَدِينَ » (٣) يقول : « هذا من الصفة البديعية التي تبلغ بالمجاز الكثرة العليا ، وهي أن تساق كلمة سابق المجازة (٤) » .

(١) مفتاح العلوم ص ٧٧ .

(٢) الكشف ج ١ ص (٥٤) .

(٣) البقرة ١٦ .

(٤) الكشف ج ١ ص ٥٣ .

ويخالف أحياناً ما تعارف عليه البلاغيون فيجعل الالتفات من إتيان ويقول في العلول
من لفظ الثانية إلى لفظ الخطاب : « قلت : هذا يسمى الالتفات في علم البيان » (١).
وذكر الدكتور شوقي ضيف أن القرنخري أول من ميز بين المصطلحين وتسم
البلاغة إلى معاني وبيان ، وأن السكاكي تأثر به في هذا التقسيم (٢) ، ولكن ما ذكرناه
ومابضمه تفسير للكشاف لا يؤيد هذا القول ، وإن كانت عبارة القرنخري توحي
بذلك قبل البحث والتدقيق.

وذكر فخر الدين الرازي (٥٦٠٦ -) مصطلحي « علم البيان » و « علم المعاني »
ولكن لم يعرفهما أو يوضحهما ولم يحدد موضوعاتهما . يقول وهو يتحدث عن
الخبر : « ولكن الخبر هو الذي يتصور بالصور الكثيرة ، وتظهر فيه الصفات
العجيبة والأسرار الغريبة من علم المعاني والبيان » (٣) . وعادة « من علم المعاني
والبيان » غامضة لأنهم منها لا معنى عام هو البلاغة ، أما معنيهما التي حصرها
السكاكي فلم يشر إليها ، وهو في ذلك يتابع القرنخري الذي ذكر المصطلحين
من غير أن يعرفهما أو يفصل بينهما .

ويكرر السكاكي بعض العبارات مثل « صناعة علم المعاني » و « علماء علم المعاني »
و « أذهان الرافعة من علماء المعاني » و « أئمة علم المعاني » (٤) ، ولكنه لم يحدد معانيها
أو يذكر علماء علم المعاني وأئمة . ولم نعر في تاريخ البلاغة على علماء اختصوا
بهذا العلم ويبحثوا فيه كما فعل السكاكي في « مفتاح العلوم » إلا ما لاحظته من وقوف
عبدالقاهر الجرجاني على « معاني الشعر » في كتابه « دلائل الإعجاز » و « البيان في
كتابه » أسرار البلاغة » ولكن هذا الوقوف لا يعني أنه ميز بينهما ، لأن موضوعات
البلاغة عثت مختلط في الكتابين ، وإن كان الأول أقرب إلى علم المعاني والثاني أقرب
بعلم البيان :

(١) الكشاف ج ١ ص ١١ .

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ .

(٣) نهاية الإيجاز ص ٣٦ .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٨١ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ .

ولأننا لم نستطع أن نثبت مفهوم المعاني قبل السكائمي مع ما جاء في « اكتشاف »
 و « نهاية الإيجاز » نقرر أنه أول من قسم البلاغة إلى معاني وبيان وعصنات ، وحدّد
 موضوعاتها وأسس قواعدها ، وأنه أول من أطلق على الموضوعات المتعلقة بالنظم
 مصطلح « علم المعاني » وعلى الموضوعات التي تبحث في الصورة والخيال - التشبيه
 والجزاز والكتابة - مصطلح « علم البيان » ، وأنه أول من سمّى غير هذه البحوث
 عصنات أو وجوداً مخصوصة بعمار إليها لقصد تحسين الكلام ، وقسمها إلى ما يختص
 بلغني وما يتعلق بالقطف ، ولم يُسمها بذيما ، وكان بشر الدين بن مالك (- ٨٦٨٦)
 صاحب « المصباح » هو الذي أطلق عليها هذا المصطلح وتابعه الخطيب التبريزي
 والمتأخرون .

وكان للسكائمي منهج في بحث موضوعات « علم المعاني » اختلف عن كل ما
 أتى في كتب البلاغة الأولى ، وقد قرر - كما قرر غيره - أن كلام العرب قسمان :
 الخبر والمطلب ، ولذلك قسم المعاني إلى قانونين ..

الأول : يتعلق بالخبر :

والثاني : يتصل بالمطلب :

وقسم القانون الأول إلى أربعة فروع :

الأول : في تفصيل اعتبارات الأسناد الطبري ، تكلم فيه على أنواع الخبر وأغراضه
 ومؤكده وخروجه على مقتضى الظاهر .

الثاني : في تفصيل اعتبارات السند فيه ، تكلم فيه على حذف وذكره ، وتعرفه
 وتكثيره ، واضماره ، وكونه معرفة سواء أكان موصولا أم اسم إشارة أم معرفة
 بالالف واللام أم بالأضافة . وتحدث عن نعت المعرف ، وتأكيده السند فيه ، وبيانه
 وتفسيره ، وعلته ، والحالة التي تقتضي السط والتفصيل وتكثيره ، وتقديره على السند
 وتأخير ، وانصره ، وخروجه على مقتضى الظاهر ، والإضافات .

الثالث : في تفصيل اعتبارات السند ، تكلم فيه على حذف وذكره ، وإفراد ،
 وكونه فعلا ، وتقيده وترك تقيده ، وكونه متكررا ، ثم تحدث عن تخصيصه وتركه ،

وكونه اسماً معرفاً، وكونه جملة فعلية واسمية وظرفية، وتكلم على تقديمه وتأخير^١ه
وعقد في هذا الفن فصلاً يتحدث فيه عن الفعل، وتركه وإثباته، وتركه مفعوله
وآثاره، وانحياز الفاعل وإظهاره. وتحدث عن اعتبار التقديم والتأخير مع الفعل،
والحالات المختلفة لتقيد الفعل بالشروط.

الرابع : في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل، والابتداء والاطتباب، والنصر
وتقسيم القانون الثاني إلى خمسة فصول هي: التمهيد، والاستفهام، والأمر، والتوبيخ،
والنداء.

ويعد أن آكل بحث الخبر والطلب تحدث عن استعمال الخبر موضع الطلب
واستعمال الطلب موضع الخبر، وذكر أسلوب الحكم في خاتمة البحث (١).

(١) ينظر البعثة عند السكاكي ص ١٤٠ وما بعدها.

البحث الثاني

نقد المنهج

لقد بحث السكاكي «علم المعاني» بهذا المنهج وقسمه هذا القسم ، وبوجه هذا التوزيع الذي تنضج فيه التركة المنطقية . ويلاحظ أنه قدّم البحث في الخير مع أن كثيراً من الموضوعات التي تحدث عنها فيه لا تخص الخير وحده وإنما هي مشتركة بينه وبين الطلب . وقد علل سعد الدين التفتازاني (٥٧٩٢هـ) ذلك بقوله : «وإنما ابتدأ بأبحاث الخير لكونه أعظم شأنًا وأعم فائدة ، لأنه هو الذي يتصور بالصور الكثيرة وفيه تقع الصياغات المعجبية ، وبه تقع غالباً - المزايا التي بها التضاضل ، ولكونه أصلاً في الكلام ، لأن الإنشاء إنما يحصل منه بالاشتقاق كالأمر والنهي ، أو قل كـ «يس» و«نعم» و«بعث» و«أشريت» ، أو زيادة أدلة كالاستظهار والتعني وما أشبه ذلك».

ثم قدّم بحث أحوال الاستناد على أحوال المسند إليه والمسدّد مع أن النسبة متأخرة عن الطرفين ، لأن علم المعاني يبحث عن أحوال المنطق الموصوف بكونه مسنداً إليه ومسنداً . وهذا الوصف إنما يتحقق بعد تحقيق الاستناد ، لأنه عالم بسند أحد الطرفين إلى الآخر لم يصير أحدهما مسنداً إليه والآخر مسنداً . والتقدم على النسبة إنما هو ذات الطرفين ولا يبحث لنا عنها ، (١).

ومهما حاول أنصار هذا المنهج أن يوجهوه فإن البلاغة التي تليق بها الأدب ولتحكم بها عليه لا يمكن أن يعمل منهج بحثها هذا التحليل ، وإن يصطنع لها اصطفاً بعيداً عن روحها الأدبية . ولكن هل يجع السكاكي في هذا المنهج ؟ وهل استطاع أن يصير موضوعات علم المعاني حصراً دقيقاً ؟

الواقع أنه لم ينجح في هذا التقسيم الذي بناء على المنطق وحده ، فحصر به موضوعات علم المعاني حصراً غير كافٍ لشمولها كل حياة ، وباعد بينها وبين ما يتطلبه الفن الأدبي الذي ينبغي أن يحصد - أول ما يحصد - على النحو التالي:

(١) المنطق ص ١٣.

والموضح ذلك تقول أن السكاكي قسم مباحث المعاني حسب ركبي الجملة -
 للسند اليه والسند - وعلى هذا الأساس ذكر التقديم - مثلاً - في السند اليه
 مرة وفي السند ثارة أخرى . وفصل مثل هذا بالموضوعات الأخرى كالتأخير ،
 والخلف والذكر ، والتعريف والتكثير وكان من المدة أن يبحث كل موضوع بحثاً
 مستقلاً فيتكلم على التقديم والتأخير في فصل والذكر والخلف في ذلك ، والتعريف
 والتكثير في ثالث ، وبذلك تجمع أوصال الموضوع الواحد في بحث يستوفي أجزائه
 ويجمع شتاه . أما أن يوزع أقسام الموضوع الواحد هذا التوزيع ولهذا ذكره في كل
 باب نظماً بغيره لا لتجدي نقماً ، فما لا يمكن الأخذ به والتحويل عليه . والمقارنة بين
 ما كتبه السكاكي وما كتبه عبد القاهر أو ابن الأثير يتضح من غير إفساد هذه المباحث
 وجوره عليها . فيعد أن كنا نقرأ في دلائل الإعجاز أو مثل السائر موضوعات
 فيها عرض وتحليل وجمع لأطراف الموضوع الواحد جسماً يخرج الدارس منه بفكرة
 واضحة وقائمة كبيرة - بعد هذا كله - نقرأ في مفتاح العلوم موضوعات
 تناثرت أطرافها في عدة أبواب لا يخرج الدارس منها إلا بصورة حائلة ، وتوابع
 جامدة ، وأئلة مبسرة . وقد يلجأ لكي يكون لفكرة صحيحة إلى أن يلم شتات
 الموضوع الواحد ويضم بعضها إلى بعض ، وفي هذا اضطلاع بجهد وإفساد للبلغة
 والتدقيق .

وكانت ثمرة ذلك أن يثر السكاكي الموضوعات والبلغة زونتها ، وأصبحت
 لا لتجدي نقماً إلا بالرجوع إلى عدة أصول يلجأ شتاتها وتوحيد أجزائها .
 أما بحث خروج الكلام على منطوق الظاهر كوضع المفسر موضع الظاهر ، ووضع
 الظاهر موضع المفسر ، والاتفات في السند اليه فليس دقيقاً ، لأن هذه الفنون لا تخصه
 وحده وإنما تدخل السند أيضاً . وقد أشار السكاكي إلى ذلك بقوله : «واعلم أن هذا
 النوع أصنى قلل للكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص السند اليه (١) وكان ينبغي
 أن يضع لكل لون من هذه الفنون بحثاً يفصل القول فيه تفصيلاً .

(١) مفتاح العلوم ص ٩٥

وتكلم على اتصال المضارع مكان الماضي في الحالات اللغوية لتفيد الفعل بالشرط مع أن الاخبار عن الفعل المضارع أو المستقبل نوع من الانطباع كما صرح به البلاغيون .

وهذا فصلا لفعل وما يتعلق به من ترك والتأني ، وإظهار والتعظيم ، والتقديم والتأخير مع أن الفعل مستد وكان ينبغي أن يبحث في باب المستد ويدكر أنه يأتي فعلاً واسماً وجملة .

ولكننا لابد أن نحدد السكاكي اتباعه إلى اشتراك كثير من الباحثين في ذكرها في المستد والمستد إليه ، فقد أشار - وهو يتحدث عن الحالة اللغوية لقصر المستد إليه على المستد - إلى أن القصر لا يختص بالمستد إليه وإنما يدخل للمستد أيضاً ، ويجري بين القاعل والمفعول ، وبين المفعولين ، وبين الحال وذو الحال ، وبين كل طرفين ، يقول : وأعلم أن القصر كما يكون للمستد إليه على المستد يكون للمستد على المستد إليه ، ثم هو ليس مختصاً بهذا الين بل له شيوخ وله تفريعات ، فالأولى أن نفرد للكلام في ذلك فصلاً وتذكره إلى تمام العرض لما سواه في قانوننا هذا ليكون إلى الوقوف عليه أقرب (١) .

هذا ما يتعلق باتخاذ كلمة الجملة أساساً في تقسيم مباحث علم المعاني ، أما ما يتعلق بالوضوحات نفسها فقد ذكر التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والفصل والوصل ، والابتداء والإعقاب ، والتعريف ، والتكثير ، والتقصير ، في القانون الأول أي في باب الخبر . وليس في هذا دقة ، لأن هذه الوضوحات تدخل الطلب كما تدخل الخبر وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك بقوله : « انه لا يجوز أن يكون نظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى لا يكون له ذلك المعنى في الخبر ، وذلك أن الاستفهام استخبار ، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك . فإذا كان كذلك كان محالاً أن يفرق الحال بين تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام فيكون المعنى إذا قلت : أزيد قام ، خبره إذا قلت : أقام زيد ؟ » ثم لا يكون هذا الافتراض في الخبر .

(١) ملحق العلوم ص ٩١

ويكون قوله : زيد قام ، و قام زيد سواء ، ذلك لأنه يؤدي إلى أن تستعمل
امراً لاسيما فيه إلى جواب ، وإن تستعمله المعنى على وجه ليس عنده عبارة بنية
لك بها على ذلك الوجه (١) ويقول : « وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء
بالنكرة في الاستفهام فليظهر الخبر عليه » (٢) .

ولم يأخذ السكاكي برأي عبد القاهر مع أنه اعتمد على كتابه وجردها من
الترعة الأدبية وأحالها هياكل بتضميناته للتطبيق.

والعجب أن الخطيب القزويني وسعد الدين الفخازني وغيرهما من الشراح
تابعوا السكاكي في هذا التضمين مع أنهم ذكروا أن الموضوعات التي بحث في الخبر
تدخل الطلب أيضاً . يقول القزويني بعد أن ذكر أحوال المسند : « كثير مما ذكر
في هذا الباب والذي قبله غير مختص بهما كالذكر والحذف وغيرهما : والقطن إذا
أقضى اعتبار ذلك فيهما لا يقتضي عليه اعتباره في غيرهما » (٣) . واعاد هذا القول في
كتابه « الإيضاح » بعد أن ذكر أحوال الاسناد والمسند إليه والمسند وأحوال متعلقات
الفصل والقصر ، وقال : « ما ذكرناه في هذه الأبواب الخمسة السابقة ليس كله
مختصاً بالطريق بل كثير منه حكم الاستفهامية حكم الخبر ، يظهر ذلك بأدنى تأمل » (٤)
وقال الفخازني : « إن الاسناد الانشائي أيضاً أما مؤكداً أو مجرداً عن التأكيد ، وكذا
المستد إليه أما مذکور أو محذوف ، مقدم أو مؤخر ، معرف أو منكر ، إلى غير ذلك ،
وكذا المسند اسم أو فعل ، مطلق أو مقيد بمفعول أو بشرط أو غيره ، وانتملاقات
أما متقدمة أو متأخرة ، مذكورة أو محذوفة ، واسمائه وتعلقه أيضاً أما بقصر أو
بغير قصر : والاعتبارات الناسبة في ذلك مثل ما مر في الخبر ، ولا يخفى عليك
اعتباره بعد الإحاطة بما سبق » (٥) .

ولكن البلاغيين سحروا بمنهج السكاكي وساروا عليه من غير أن يحاولوا إصلاحه
إلا ما صدر عنهم من ملاحظات لا تعد البلاغة عن جوهره كثيراً ، ونرى - إذا

(١) دلائل الإيجاز ص ١٠٨

(٢) دلائل الإيجاز ص ١٠٩

(٣) التلخيص ص ١٢٤

(٤) الإيضاح ص ١٠٩

(٥) القول ص ٢٤٦

ما أردنا أن نعيد ترتيب مباحث علم المعاني في كتاب مفتاح العلوم - أن يبحث
 الخبر والإنشاء في باب مستقل وتذكر أنواعهما وأساليهما، ثم تبحث الجملة في
 باب آخر. يجمع أجزاءهما، ويكون التقديم والتأخير فصل ، وللتذكر والحذف فصل
 ثانٍ ، وللتشكيك والتعريف فصل ثالث ، وللتنصير وأنواعه وطرقه فصل رابع ، وللتقييد
 للسند والسند إليه فصل خامس. ولا بد من بحث الفصل والوصل ، والابحاز والاختاب
 في بابين مستقلين. وهذه الطريقة لجميع ما قرره السكاكي ونعت الحياة في هذا الفن
 ليكون صالحاً للدراسات الأدبية.

وليس بغريب أن نذكر إلى هذا النهج قد بحث المتقدمون البلاغة بما هو قريب
 منه وكان لأعلامهم كأبي حلال وابن رشيق وابن سنان وعبد القاهر وابن الأثير
 مناهج سليمة وبحوث طريقة ذات نفع عظيم وأثر كبير ، لأنهم لم يبحثوا الموضوعات
 في فصول كثيرة وإنما جمعوها جميعاً دفئاً ، وبذلك جاءت كتبهم آية في الإبداع ،
 وكانت بحوثهم غاية في الوضوح والجلال .

وكان الخطيب القزويني (٥٧٣٩هـ) أوضح منهجاً من السكاكي ، والمعاني عنده
 وعلم يعرف به أحوال القنط العربي التي بها يطابق مقتضى الحال (١) . وقد رفض
 تعريف السكاكي وهو تتبع خواص لراكيب الكلام في الافادة وما يتصل بها من
 الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي
 الحال ذكره (٢) ، لأن النتيج ليس بعلم ولا صادق فلا يصح تعريف شيء
 من العلوم به .

وحصر علم المعاني في ثمانية أبواب :

الأول : أحوال الاسناد الخبري ؛

الثاني : أحوال السند إليه ؛

الثالث : أحوال السند ؛

الرابع : أحوال منتهكات الفعل ؛

(١) الايضاح ص ١٢

(٢) مفتاح العلوم ص ٧٧

الخامس : القصر .

السادس : الانشاء .

السابع : الفصل والوصل .

الثامن : الإيجاز والإطناب (١) .

وجه القصر أن الكلام إما خير أو انشاء ، لأنه إما أن يكون لشيء خارج تطابقه أو لانتفاقه أو لا يكون لها خارج ، الأول الخير ، والثاني الإنشاء . ثم الخير لابد له من استناد ومستند إليه ومستند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى . ثم المستند يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع ، ثم الاستناد ، والمتعلق بكل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس . والانشاء هو الباب السادس . ثم الجملة إذا قرئت بأخرى فتكون ثنائية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع ولفظ الكلام البالغ إما زائد على أصل المراد لقائده أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .

وهذا المنهج يختلف قليلاً عن منهج السكاكي ، وهو أقرب إلى الكمال ، لأن التزويدي ضم للروضعات المشابهة في فصول مستقلة ، وكان في بحثه الصق بالبالغة وروحها من صاحب «مفتاح العلوم» الذي مررتها كل معزق . وصيغر هذا المنهج على البلاغيين وظلت كتبهم تقسم علم اللغوي هذا التقسيم ، ولم يخرج عنه معظم المتأخرين والمحدثين .

وإذا كان علم اللغوي قريباً من النحو أو هو نوعي معاني النحو فإنه يختلف عنه في معالجة الروضعات ، وقد قلنا في ذلك عند القاهر انتهى إلى أننا لا نريد لللغوي الأول وإنما لللغوي الثوري وهي عنده معنى اللغوي ؛ ولخص المتأخرون قائمة علم اللغوي فقال بهاء الدين السبكي : «ولم يك تقول . أي قائمة لعلم اللغوي فإن القواعد والمركبات علمت بالعلوم الثلاثة - اللغة والنحو والصرف - وعلم

(١) ينظر كتاب (التزويدي وشروح الطينيس ص ٢٥٧) وما بعدها .

المعاني خالصة من علم النحو؟ كلا أن غاية التحوي أن يترك الفردات على ما وضعت
له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالموضع مما تنطوت به أقراننا للكلم
على توجه لا تنتهي وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني، والتحوي - وإن ذكرها -
ليور على وجه إجمالي يتصرف فيه اللفظي تصرفاً خاصاً لا يصل إليه التحوي ؛ وهذا كما
أن معظم أصول الفقه من علم اللغة والنحو والحديث وإن كان مستقلاً بنفسه .
وأعلم أن علم أصول الفقه والمعاني في غاية التداخل فإن الخير والإنشاء اللذين
يتكلم فيهما المعاني هما موضوع غالب الأصول وإن كان ما يتكلم عليه الأصولي
من كون الأمر للوجوب والنهي للتحريم ومسائل الإنحياز والعموم والخصوص
والإطلاق والتقييد والأجمال والتفصيل والتراجيح كلها ترجع إلى موضوع علم
المعاني ، وليس في أصول الفقه ما يفرد به كلام الشارع عن غيره إلا الحكم الشرعي
والقياس وأشباه سيرة (١) .

وهذا ما أمثال الكلام عليه عبد القاهر الذي قال إن الصحة في الكلام هي الخطورة
الأولى ، أما الخطورة الثانية فهي فهم الكلام واستخلاص ما فيه من المعاني الثرائي التي يدل
عليها ، ولذلك كان وعلم المعاني ضرورياً في فهم الأساليب البلاغية بعد أن
تقد النحو رونقه وجماله وأصبح قواعد لا تُمنى إلا بالأعراب والبناء، والعوامل،
والجمل للمعاني الذي لا ينضم اللغة بقدر ما يعرفها عن النحو والأزدهار.

(١) عروض الإقراء - شرح الخليلي ج ١ ص ٥١-٥٢ .

الفصل الثاني

الخبر

البحث الاول

أمره

ظهرت دراسات هذا الموضوع في رحاب الكلام ، وكان لمسألة خلق القرآن أثر في ذلك ، وقد بنى المعتزلة رأيهم على أساس أن القرآن أمر ونهي وغير ذلك مما ينفي عنه صفة القدم التي ذهب إليها معظم المسلمين .
وقد ظهر في بيئة الاعتزال رأيان في صدقه وكذبه :

الرأي الاول : ينسب إلى أبي اسحاق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام (- ٢٢٦هـ) وخلاصة هذا الرأي ان صدق الخبر مطابقة حكمه لاعتقاد الخبر صواباً كان أو خطأ ، وكذبه مطابقة حكمه له . واحتج بوجهين :

احدهما : أن من اعتقد أمراً فاعبر به ثم ظهر غيره بخلاف الواقع يقال : ما كذب ، ولكنه خطأ . كما زوي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت فبين شأته كذلك « ما كذب ولكنه وهم » .

الثاني : قوله تعالى : « والله يشهد أن المنافقين لكاذبون » (١) كذبتهم في قولهم « أنك لرسول الله » وإن كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يحفظوه ورد الخطيب القزويني على الوجه الاول بأن النبي تصد الكذب لا الكذب بدليل تكذيب الكافر إذا قال : « الاسلام باطل » وتصديقه إذا قال : « الاسلام حق » : فنقول السيدة عائشة « ما كذب » مثلك بما كذب صديقاً .

وأجاب عن الوجه الاول بوجه :

احدها : أن للنبي تشهد شهادة وأطاعت فيها قلوبنا ألسنتنا ، كما يترجم عنه « أن ،

(١) المنافقون ١ ، والاية : « ولما جاءك المنافقون قالوا : نشهد الله لرسول الله ، ومن يعلم أنك لرسوله ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون » .

والإمام، وتكون الجملة اسمية في قولهم : « انك لرسول الله » فالتكذيب في قولهم
« نشهده وأدعائهم فيه المراءاة لاني قولهم » انك لرسول الله » .

لأنها : أن التكذيب في تسجيبتهم اخباره شهادة ، لأن الاخبار اذا خلا عن
المراءاة لم يكن شهادة في الحقيقة .

لأنها : ان المعنى لكاذبون في قولهم : « انك لرسول الله » عند انفسهم لاعتقادهم
انه خبر على خلاف ما عليه حال الخبر عنه :

قراي الثاني : ينسب إلى أبي عثمان الجاحظ (- ٢٥٥هـ) ، وفيه ذكر انحصار
الخبر في الصدق والكذب ، وزعم أنه ثلاثة أقسام : صادق ، وكاذب ، وغير
صادق ، ولا كاذب . فالخبر الصادق هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق ،
والخبر الكاذب هو الذي لا يطابق الواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق . أما الخبر
الذي ليس بصادق ولا كاذب فهو أربعة أنواع :

١. الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق :

٢. الخبر المطابق للواقع بلا اعتقاد .

٣. الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق .

٤. الخبر غير المطابق للواقع بلا اعتقاد (١) .

وانضمت هذه الأبحاث إلى كتب البلاغة والادب : (يقال ابن قتيبة) (- ٢٧٦هـ)
وهو يتحدث عما كان في زمانه من معارف انضمت بعضهم : قول الكلام أربعة :
أمر ، وغيره ، واستخبار ، ورغبة : ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي : الأمر ،
والاستخبار ، والرغبة ، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر (٢) :
وقسم طيب (- ٢٩١هـ) قواعد الشعر إلى أمر ، ونهي ، وغيره ، واستخبار (٣) :

(١) ينظر الايضاح ص ١٢ - ١٥ ، وشروح الطخيس ص ١٢٦ وما بعده .

(٢) أدب الكاتب ص ٤ .

(٣) قواعد الشعر ص ٢٥ وما بعدها .

أثير الحسين اسحاق بن ابراهيم بن وهب الكلام إلى خير وطلب، وقال:
 بر كل قول أئمت به مستنده مالم يكن عنده، كقولك: «قام زيد» وقد أئمت
 به بقيامه: «والطلب: كل ما طلبه من غيرك» (١).

وعند احمد بن فارس (٢٩٥-٣٠٥) في كتابه «المصاحي» باباً سماء «معاني
 كلام» وهي عند أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، وودعه وطلب
 عرض وتحفيض، وتعين وتوجب. وقال في تعريف الخبر: «أما أهل اللغة فلا
 يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلام: يقول الخبره أخبره والخبر هو العلم. وأهل
 النظر يقولون الخبر ما جاز تصديق قائم أو تكليفيه وهو إقناعه المصاحب أمر أي
 ماض من زمان أو مستقبل، أو دائم» (٢).

معرفة:

وكان البلاغين المتأخرين وقد عند الخبر ودلائله، وقد علموا في بحثه إلى منهج
 المتحررة وأدخلوا فيه الباحث الفلسفية والعقائدية فقال نصر الدين الرازي (٦٠٦-٦٠٦)
 أنه «القول القضي بتصريحه نسبة معلوم إلى معلوم بالنفي أو بالإثبات ومن حده
 بأنه للحصول للصدق والكذب المعلومين بالصدق والكذب واقع في الدور مرتين» (٣)
 وعرض السكاكي (٦٢٦) أقوال السابقين في تعريف الخبر والنسبة وذهب
 إلى أن الخبر والطلب مستثنان عن التعريف الحدّي (٤). أما الخطيب القزويني
 (٦٣٩) فقد ذكر آراء السابقين كالنظام والملاحظ ولكنه أشد برأي الجمهور
 وقال في بداية بحثه للخبر: «اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب
 فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيهما، ثم اختلفوا فقال الأكثر منهم صدقه مطابقة
 حكمه الواقع، وكليه عدم مطابقة حكمه له. هذا هو المشهور وعليه التعويل» (٥).
 وإلى ذلك ذهب معظم شراح التلخيص (٦):

(١) البرهان في وجوه البيان ص ١١٢.

(٢) المصاحي ص ١٢٩.

(٣) نهاية الإيجاز ص ٣٧.

(٤) ملتحاح العلوم ص ٧٨-٧٩.

(٥) الايضاح ص ١٢.

(٦) شروح التلخيص ج ١ ص ١٨٣.

وصفة القول أن "الخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وهذا التعريف يصدق على كل كلام يؤخذ من غير النظر إلى فاعله ؛ والأخبار التي وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - والحقائق العلمية والبدهييات التي لا يشك فيها ، لا يمكن أن تحتمل الكذب مع أنها أخبار عن شيء ، ولذلك تخرج من هذا التعريف ، أما غيرها من الأخبار ، فهي قابلة للتصديق والتكذيب من أي إنسان صدرت لأنها تنظر إليها ، لا للمات القائلين ؟
أخبره :

لجملة الخبرية معنى يحدده تركيبها ، فإذا اطلعت خالية من أي تأكيد كانت لها دلالة ، وإذا أكدت بمؤكد واحد ، أو أكثر كانت لها دلالة أخرى . وقد اتفق العرب إلى ذلك في أطلاقتهم الخبر ، وأشار عبد القاهر إلى هذه الاختلافات فقال : «واعلم أن ما أغضى الطريق إلى معرفة مانحن بصدده أن هناك فروقا خفية تجهلها العامة وكثير من الخاصة ، ليس أنهم يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر ، بل لا يدرون أنها هي ولا يعلمونها في جملة ولا تفصيل . روى ابن الأثيري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس (١) وقال له : اني لأجد في كلام العرب حشواً . فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك ؟ فقال : أجد العرب يقولون : «عبد الله قائم» ثم يقولون : «ان عبد الله قائم» ثم يقولون : «أن عبد الله قائم» فالألفاظ متكررة والمعنى واحد . فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ . فتولهم «عبد الله قائم» أخبار عن قيامه ، وتولهم : «إن عبد الله قائم» جواب عن سؤال سائل وتولهم : «ان عبد الله لقائم» جواب عن التكرار متكرر قيامه . فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني . قال : فما أثار المتفلسف جواباً :

وإن كان الكندي يذهب هذا عليه حتى يركب فيه ركوب مستظهم أو معروض فما ظلك بالعامة ومن هو في عداد العامة ممن لا ينظر شبه هذا ببالة (٢) :

(١) يريد به البرد .

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٤٢ .

فالتخبر ثلاثة أصروب :

الأول : الابتدائي ، وهو الخبر الذي يكون غالباً من المؤكيدات لأن المخاطب غيالي للذهن من الحكم الذي تضمنه . ومن ذلك قوله تعالى : يَقَالُ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا (١) . وقوله : وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِالَّذِي وَالرَّسُولَ وأخيراً ، ثم يقول فريقٌ منهم من بعد ذلك : (٢) ومنه قول النبي :

أنا الذي نظر الأعشى إلى أنبيى وأسمعت كلماتي من به صتمت
أفام صله جنوني عن شواردها وسهر الخلق جرأها ويختصم
ففي هذه الأمثلة إلقاء الخبر إلى مخاطب غيالي للذهن من حكمه ، ولذلك جاءت من غير توكيد .

الثاني : الظاهري ، وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته ، أو هو كما قال السكاكي : وإذا أُلِّهاها إلى طالب لها متحير طرفاها عتده دون الاستناد فهو منه بين بين ليقفه عن ورطها الخيرة استحسن تجربة المغد بإدخال اللام في الجملة أو وإن (٣) ومن ذلك قوله تعالى : وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ، قال ياموسى إن اللام يأنفرون بك ليقتلوك فإخرجني لك من القاصحين (٤) وقوله : إِذْ قَالُوا: لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُ (٥) . ومنه قول جرير :

إن العيون التي لي طرفها حنّورٌ
وقول البحري :

هل يجلبس إليّ عطفك موافق
فبت قلبك أقول فيه وسمع

(١) الأنبياء ٦٢ .

(٢) النور ١٧ .

(٣) معاني العلوم ص ٨١ .

(٤) القصص ٢٠ .

(٥) يوسف ٨ .

في هذه الأمثلة أكد الخبر بإحدى أدوات التأكيد، مثل «إن» في الآية الأولى والبيت الأول، واللام في الآية الثانية «ليرسف» والنون في «يصلبن» وللمؤكد في كل منها واحد.

الثالث : الإنكارى ، وهو الخبر الذي ينكره المخاطب انكاراً يحتاج إلى أن يؤكد بأكثر من مؤكد : ففي قوله تعالى : «وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون . إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا : انا اليكم مرسلون . قالوا ماأنتم إلا بشر ، وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا : ربنا يعلم أننا اليكم لمرسلون» (١) . حيث قال أولاً : «أنا اليكم مرسلون» وقال ثانياً «انا اليكم لمرسلون» حينما ازداد انكارهم ولذلك أكد به «إن» أولاً وباللام ثانياً ليزيل عنهم ذلك الشك والافتكار ومنه قوله : «إنكم لذائقو لعذاب الأليم» (٢) .

ومنه قول الحسامي :

إن لنصلح من يجعل قوماً وتقيم سائمة العدو الأصمير (٣)
ومنى نجد يوماً لفساد عشيرة نصلح وإن نزل صالحاً لا نفسير
وفي هذه الأمثلة مؤكّدان «إن» و«اللام» .

مؤكداته :

لخبر مؤكّدات كثيرة منها :

١. «إن» : وهي التي تنصب الاسم وترفع الخبر ، ومنها قوله تعالى : «ياأيها الناس إن وعد الله حق» (٤) ، وقوله : «ياأيها الناس اتقوا ربكم إن زكوة الساعة شيء عظيم» (٥) وقول الشاعر :

(١) يس ١٢-١٦ .

(٢) الصافات ٣٨ .

(٣) السائمة : سائمة الغنم . الأصمير : المكبر .

(٤) طه ٥ .

(٥) الحج ١ .

إنّ التي زعمت فؤادك ملها خلقت هوائك كما خلقت هوى لها
وقول البحرى:

شرقا بني العباس إنّ أباكم عمّ لثني وعصبه المنفرع
إنّ القنبلة الذي استلّفه عمر وشفع إذ غد بشنفع
والإنّ «أثر في العبارة غير التوكيد»، وفي «دلائل الإعجاز» (١) أشارت إلى مواقعها
في الكلام، ولكن الذي يتصل بالموضوع، التأكيد كما في بيت أبي نواس:

عليك باليأس من الناس إنّ غنى تفكك في اليأس
يقول عبد القاهر معلقا عليه: «لقد ترى حسن موقعها وكيف قبول النفس لها،
وليس ذلك إلا لأن الغالب على الناس أنهم لا يحملون أنفسهم على اليأس ولا يدعون
الرجاء والطمع ولا يعرف كل أحد ولا يعلم أن الغنى في اليأس، فلما كان كذلك
كان الموضوع موضع فقر إلى التأكيد فلذلك كان من حسناتها ترى. ومثلها قول محمد
ابن وهيب:

أجارتنا إنّ التفتت باليأس وصبر على استنوار دنيا باليأس (٢)
حرمان أن لا يسلطنا (٣) بملّة كريما وأن لا يحوجاه إلى الناس
أجارتنا إنّ القداح كزاد (٤) وأكثر أسباب الشجاع من اليأس
هو كما لا يخفى كلام مع من لا يرى أن الأمر كما قال بل ينكره ويعتد خلافا لمعظم
أنه لم يلقه الأ والمراء لحلوه وتبعه على تعرض الناس وعلى الطلب» (٥).

٢: أن: وهي التي تنصب الاسم وترفع الخبر، كقولهم تعالى قل: «إِنَّمَا يُؤْمِنُ
(١) دلائل الإعجاز ص ٢١٣، وما بعدها، ونظر نهاية الإعجاز ص ١٣٧ وما بعدها، والطرز ج ٢
ص ٢٢٠.

(٢) الأيأس: هو التصويت عند الطلب ليستدر لين إلتاقه وتلقاها.

(٣) أي: اليأس والصبر حرمان.

(٤) القداح: جمع قدح - بالكسر قيا - وهي الأكلام التي يستعملون بها في الجماعة الحظ.

(٥) دلائل الإعجاز ص ٢٥٠.

إلى أنما إلهكم إله واحد» (١) وقوله: «لأن لم يستجيبوا لك فأعلم أنهم مبغضون»
 «أمرأتهم، ومن أكل من ثمر هواه يضر هدي من الله»، «إن الله لا يهدي
 القوم الظالين» (٢).

ولم يحد بعضهم «أن» من الإكذابات لأن ما بعدها في حكم التوكيد المقصود
 هو تأكيد النسبة لا المسند ولا المسند إليه، ولكن ابن هشام يقول: «أن» تكون حرف
 تركيد تنصب الاسم وترفع الخبر، والأصح أنها فرع عن «إن» المكسورة (٣).
 ٣. «كان» وفيها التشبيه للمؤكدات كانت بسيطة وإن كانت مركبة من كاف التشبيه
 و«أن» فهي متضمنة لأن فيها ماضٍ وزيادة. كقوله تعالى: «وأصبح الذين آمنوا
 مكانه بالأمر يقولون وي» «كان» الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
 لولا أن من الله علينا لطف بنا، وي» كأنه لا يخلص الكافرون» (٤) وقول بكر
 ابن الطناح:

نراهم ينظرون إلى السماي كما نظرت إلى الشيب الخلاج
 يحدون العيون الي شوزأ كأي في عيونهم السماح
 ٤. لكن: تأكيد الجميل، وقيل: تأكيد مع الاستدراك، وقيل: أنها لتوكيد
 دائما مثل «أن» (٥): ومنه قوله تعالى: «والك لا يهدي من أحببت ولكن الله
 يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين» (٦).

وقول النبي:

فلا تعبوا إن السيف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

(١) الأنبياء، ١٠٥.

(٢) القصص ٥٠.

(٣) مني الشيب ج ١ ص ٣٩.

(٤) القصص ٨٢.

(٥) مني الشيب ج ١ ص ٣٩١، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤٠٥.

(٦) القصص ٥٦.

٥: لام الابتداء؛ وتفيد تأكيد مضمون الجملة، ولهذا لحقوها في باب «إن» من صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدتين. ومنه قوله تعالى: «إن ربي لسميعٌ الدعاء» (١).

٦. الفصل: وهو من مؤكدات الجملة، وقد نص سيوريه على أنه يفيد التأكيد وقال في قوله تعالى: «إن تترني أنا أقتل» منك مالا وولدا» (٢) «إن ضمير الفصل»^٣ ووصف لبياء في الترتي» يزيد تأكيداً (٣).

٧. أمّا: وهي حرف شرط وتفصيل وتوكيد، ومنه قوله تعالى: «إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة» فما فوقها، فلما الذين آمنوا فليعلمون أنه الحق من ربه، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً (٤).

ولكن ابن هشام قال: هو أمّا التوكيد فقل من ذكره ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري فإنه قال: «أمّا» في الكلام أن تعليه فصل توكيد تقول: «زيد ذاهب» فإذا قصدت توكيد ذلك وأنه لا عالة ذاهب وأنه يصدد اللعاب وأنه من عزيزة قلت: «أما زيد فذاهب» ولذلك قال سيوريه في تفسيره: «مهما يكن من شيء فزيد ذاهب». وهذا التفسير مذكور في كتابين كونه توكيداً، وأنه في معنى الشرط (٥) ومنه قول الشاعر:

ولم أرَ كاللعروف أما مثلك
فحكمت وأما وجهه فجيصل^٦
٨. قد: وهي حرف تعليل، ومنه قوله تعالى: «ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم» (٦). وقوله: «قد أفلح المؤمن» الذين هم في صلاتهم عاشقون (٧). وقول القنع الكندي:

(١) إبراهيم ٢٩.

(٢) الكهف ٢٩.

(٣) الكتاب ج ١ ص ٣٩٥، وينظر البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠٩.

(٤) البقرة ٢٦.

(٥) معنى اللبيب ج ١ ص ٤٢.

(٦) آل عمران ١٠١.

(٧) المؤمنون ١-٢.

بما ينبغي في الدين قومي وإنما
أشدّ به ماعد أخلّوا وضبطوا
ديوني في إثبات تكسبهم حتمًا
ثغور حقوق ما أطاقتوا بها مستدًا

٩ - السين : وهي حرف يخص بالمضارع ويخلصه للاستقبال - كقوله تعالى :
«أولئك سيرحهم الله» (١) فالسين قيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد
كما تؤكد الوعد في قوله : «سأقسم منكم يومًا» (٢) .
ومنه قول المتنبي :

سبلم المجتمع من قسم جلسه بأنني خير من تعطي به قدّم
١٠ - القسم : وهو عند النحاة جملة يؤكد بها الخبر ، حتى أنهم جعلوا قوله
تعالى : «والله يشهد إنّ للناقين لكافرين» (٣) ، قسمًا وإن كان فيه إخبار إلا أنه
لا جاء تأكيدًا لخبر سمي قسمًا (٤) :

والقسم أحرف هي : إباء والراء والياء ، والياء هي الأصل لدخولها على كل قسم به .
ومنه قوله تعالى : «والقضي والقيل إذا سجا» (٥) ، وقوله : «والذين والذين»
وطور مبتين ، وهذا الجليل الأمين» (٦) وقوله : «قالوا نافع نفعًا تذكر يوسف»
حتى تكون حصرًا أو تكون من هؤلاء الذين» (٧) ، وقوله : «ونافع لا يكيدن»
أصنامكم بعد أن ثولوا مكديرين» (٨) .
ومنه قول ابن أبي ربيعة :

فوائد لا أخري وإن كنت طويًا يسع رمين الجمر أم بسمسان

(١) التوبة ٧١ .

(٢) مكي القيب ج ١ ص ١٣٨ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١١٨ .

(٣) النافقون ١ .

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٠ .

(٥) القصص ١ - ٢ .

(٦) السين ١ - ٣ .

(٧) يوسف ٨٥ .

(٨) الأنبياء ٥٧ .

١١ - قولاً التوكيد : وهذا التيقن والحقيقة، ومن ذلك قوله تعالى: «وَلَنْ لِّمُتَعَلِّمٍ مَّا قَرَرَهُ» ليسيجن "وليكولن" من الصاغرين (١)، وقوله: «لَتَسْمَعَنَّ» بالثامية (٢) ومنه قول الشاعر:

لأستهلنَّ الصعب أو أتوك المنسى فما الثقات الأسال الأصابر
١٢ - لن : يؤول بها لتأكيد النفي، كقوله تعالى: «وَلَمَّا جَاءَ مَرْسَىٰ لَيْلَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ» قال: رب "لرني أنظر" اليك، قال: لن تراني، ولكن النظر إلى الجبرير كان اسطر مكانه فسوف تراني (٣) :
ومنه قول الطرماح :

لقد زادني حباً لنفسي أنسي بغيض إلى كل امرئ غير طائر
وأني شقي بالانعام وإن نرى شقياً بهم الأكسريم الشمايل
١٣ - الظروف الزائدة : وهي كثيرة منها الباء كما في قوله تعالى: «وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ» (٤) .

ولول معن بن أوس :
ولست بعالم ما حبيت لستكر من الأسر لا يضي إلى مثله مثل
و«وَيَنْ» كقوله تعالى: «وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرْدِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا» (٥) ، ولوله : «ماترى في حكايتي الرحمن من تفاوت» (٦) .
ومنها قول زهير :

ومهما تكن عند امرئ من خيلة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

(١) يوسف ٢٢ .

(٢) شلق ١٥ .

(٣) الأعراف ١٨٣ .

(٤) ق ٢٩ .

(٥) الأنعام ٥٩ .

(٦) لك ٣ .

١٤ - حروف التثنية : ومنها «أاء» حرف استفتاح وتكثر قبل القسم ، كقول أبي

صخر الهلالي :

لَعَنَ وَالَّذِي أَبْكِي وَأَضْحَكُ وَالَّذِي لَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ
لَقَدْ تَرَكْنِي لِحَدِّ الْوَحْشِ أَنْ لَرَى

الْبَقِينَ مَشَهَا لَا يَرَوْهُمَا أَنْتَفَرُ

و«أاء» الاستفاحية ، كقوله تعالى : «أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ» (١) ، وقوله :

«أَلَا إِنَّ لَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٢) :

ومنه قول العري :

أَلَا قِي سَيْبِلُ الْجَدِّ مَا أَنَا فِصَاعِلُ عَقَافُ وَالِدَامُ وَمَجْدُ وَنَالُ

(١) البقرة ١٢ .

(٢) يونس ٦٢ .

البحث الثاني

المغزاة

الخبر خرمان أصليان هما:

الأول: قائلة الخير، ومعناه افادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الكلام، وهذا هو الأصل في كل خبر، لأن قائلة تقديم المعرفة أو العلم إلى الأكتفين ومن ذلك قوله تعالى: «الله نور السموات والأرض»، «مكتل» غيرة كشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويتضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم (١). وقوله: «تبارك الذي تزلزل السموات والأرض» على عبده ليكون للعالمين نذيراً. الذي له ملك السموات والأرض ولم يخذلوا وكذا ولم يكن له شريك في الملك، وعلى كل شيء قدير. فتقدره قدير. واتخذ من عبده آية لا يخفون شيئاً وهم يحسبون ولا يحسبون لأنفسهم خيراً ولا ينفوا ولا ينسأ كون مونا ولا حياة ولا نشورا (٢).

ومنه قول الشاعر:

فلا الجود يعني لك والجد مكبول ولا البخل يعني لك والجد مكبول
وقول أبي نواس:

ذكر الكرخ نزع الأوطان نصبا صبورة ولات لوان
ليس لي مستعبد ينصر على الشو في إل أوجر هناك يحسن

الثاني: لازم القائلة، وهذا الفرض لا يقدم جديداً للمخاطب وإنما يفيد أن المتكلم عالم بالحكم، ومن ذلك قولنا لصديق: «فلانكم صعد أس» فالمخاطب يعلم ذلك

(١) النور ٢٥

(٢) الفرقان ١-٣

ولكن الغرض من هذه الجملة اختياره أن يتحدث عطف بذلك : ومنه قول المتنبي مخاطباً سيف الدولة الحمداني ومادحاً شجاعته وبطلانه :

تنوس بك الخيل الوكود على الدرى وقد كثُرَتْ حول الوكود الطامع
وسيف الدولة يعلم ذلك ، وقول أحد الشعراء مخاطباً :

ونفتاني في كسل لا يد تحسك وترعم أني لست كفه لثاكا
ولكن الخير كثيراً ما يخرج عن خلاف مقتضى الظاهر ، يقول السكاكي : وهذا
م أنك ترى اللطيف السحر في هذا القن يغنون الكلام لأهل مقتضى الظاهر
كثيراً (١) .

ومن ذلك :

١ - أن يتزل غير السائل منزلة السائل إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر
فيستوفى له استشفاف التردد الطالب ، كقوله تعالى : ولا تخاطبني في الدين
ظلموا أنهم مفتركون (٢) ، وقوله : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة
بالسو (٣) . قال القزويني : وسلوبك هذه الطريقة شعبة من البلاغة فيها دقة
ومعوض ، وروى عن الأصمعي أنه قال : كان أبو عمرو بن العلاء ، وأخف الأحمر
يأتیان بشرأ قيسمان عليه بغاية الاعظام ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما
ويتشدهما ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الزوال ثم ينصرفان ، فأيام
يوماً قالوا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في ابن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما :
قالا : بلغت أنك أكثرت فيها من الغريب . قال : نعم ، إن ابن قتيبة يتناصر بالغريب ،
فلحييت أن أورد عليه ما لا يعرف : قالوا : فأنشدكما يا أبا معاذ ، فأنشدتهما :
بكثيراً صاحبي قبل الهجير . إن ذلك التجاع في التكبير
حتى فرغ منها ، فقال له خلعت : لو قلت يا أبا معاذ مكان وإن ذلك للتجاع : :

(١) مفتح العلوم ص ١٨٢ ونظر الإيضاح ص ١٩ .

(٢) عروة ص ٢٩ .

(٣) يوسف ص ٥٢ .

«بكرًا فالنجاح» كان أحسن: فقال بشار : إنما بيننا أعرابية وحشية ، فقلت :
 «إن» ذلك النجاح ، كما يقول الأعراب البنويون ، ولو قلت : «بكرًا فالنجاح»
 كان هذا من كلام المرلدين ، ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى التصديق ،
 فقام خلف فقبل بين عينه :

فهل كان ماجري بين خلف وبشار يحضر من أبي عمرو بن العلاء - وهم من
 فحولة هذا الفن - إلا اللطف المعنى في ذلك وخفاؤه (١) :

٢ - أن يتزل غير المنكر إذا ظهر شيء عظيم من الأدوات الابتكار ، ومنه قوله تعالى :
 «ثم إنكم بعد ذلك لنكون» (٢) ، وقد أكد اثبات الموت تأكيدين - وإن كان
 مما لا ينكر - لتزليل المخاطبين منزلة من يبلغ في الابتكار الموت لتصادمهم في الفظة
 والإعراض عن العمل لما بعده ، ولهذا قيل : «بنون» «بنون» «بنون» ومنه قول
 حجل بن لطفة :

جاء شبيب عارضاً ومعه : إن بني عمك فيهم رماح
 فإن مجيئه هكذا مدلاً لا يشجاعه قد وضع رماحه عارضاً ، دليل على إعجاب شديد
 منه واعتقاده أنه لا يقوم إليه من بني عمه أحد ، كأنهم كلهم عزل ليس مع أحد
 منهم رمح .

٣ - أن يتزل المنكر منزلة غير المنكر ، إذا كان معه ما إن تأمله ارتدع عن الابتكار ،
 كما يقال لمنكر الإسلام : «الإسلام حق» ، وعليه قوله تعالى : «لأريبن فيه» (٣)
 وقوله : «ثم إنكم يوم القيامة تبعون» (٤) . وقد أكد اثبات اليقين تأكيداً واحداً
 - وإن كان مما ينكر - لأنه لما كانت أدلته ظاهرة كان جليهاً بأن لا ينكر .

(١) الأيضاح ص ١٩ ، ويظهر دلائل الإيجاز ص ٢١١ ، ومفتاح العلوم ص ٨٢ .

(٢) المؤمنون ١٥ .

(٣) البقرة ٢ .

(٤) المؤمنون ١٦ .

الأغراض الخجولة :

الأصل في الخير أن يلقى الفرعين هبا : فائدة الخير ، ولازم الفائدة ، غير أنه كثيراً ما يخرج عن خلاف مقتضى الظاهر : ولكنه لا يقتصر على ذلك وإنما يخرج مجازاً إلى أغراض كثيرة فهم من السياق وقرائن الأحوال ، ومن ذلك :
١ - اظهار الضعف : ومنه قوله تعالى : « قال رب أنى وأعز المقام منى واشتغل لرأس شيا (١) » ، وقول الشاعر :

إن الثماتين - ويأخذها - قد أخرجت سعي إلى ترجمان
وقول أبي نواس :

دب لي السقام مقلدا وعلاوا واراني أسوت عضواً لعضوا
٢ - الاسترخاء : ومنه قول إبراهيم بن المهدي مخاطباً للآمون :

أبيت جرمًا شيباً وأنت لعضو لعضو أغل
فان عضوت قمن ولان فسلت قمدل
وقول الآخر :

سالي حيلة إلا رجائي لعضو إن عضوت وحن طلي
٣ - تحريك القصة : ومنه قوله تعالى : « الذين أحسنوا الحسنى وزيادة » (٢)
٤ - اظهار التخصر : ومنه قول أعرابي يرثي والده :

وأيما دعوت الصبر بملك والأسى أجلب الأسى طوعاً ولم يجيب الصبر
وقول المتنبي :

أجست بأرض مصر فلا ورتي تلج بي الركاب ولا أماسي
وقوله في الرثاء :

الحزن يفتلق والجمال يردح والقلب بينهما عصي طبع
بتأوهان صرع عيون مهدي هذا يحيي بها وهما يترجيع

(١) ميم ٤ .

(٢) بولس ٢٦ .

- ٥- المدح : ومنه قول الثابتة الديلمي :
- فأنتك شمسٌ والملكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منها " كوكب
- ٦- الفخر : ومنه قول عمرو بن كلثوم :
- إذا بلغ القطامُ ذنا صبي " فخرٌ له الجبابرة ماجدٌ
- وقول أبي فراس الحمداني :
- إنما إذا اشتدَّ الزمما " نٌ ولب غطبٌ زادهم
- النيت حبول بيوتنا " عكده الشجاعة والكرم
- لنا المدايسى السبو " ف ، وقلدى حمر النعم
- هذا وهذا دأبنا " يؤدى دمٌ ويُسرق دم
- وقول الشريف الرضي :
- لنير القل مني القل والتجنب " ولولا القل ما كنت في العيش أرغب
- وقور فلا الأظنان " تأسر عزمتي " ولا تمكر الصبياء في حين الشرب
- ولا تعرف القحشاء إلا بوصفها " ولا أنطق العوداة والقلب مخضب
- ٧- التوبيخ : ومن ذلك قولنا نترك الصلاة : « الصلاة ركن من أركان الإسلام » ،
- ٨- التحذير : ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « أيقظي الحلال
- إلى الله العتاق » .
- ٩- الأمر : ومنه قوله تعالى : « والطلاقات يترقبن » (١) وقوله : « والرائدات
- يترقبن » (٢) ، فإن السابق يدل على أن الله تعالى أمر بذلك لأنه خبره .
- ١٠- النهي : ومنه قوله تعالى : « الآية » (٣) إلا للطهرون (٤) :

(١) البقرة ٢٢٨ .

(٢) البقرة ٢٢٣ .

(٣) الواقعة ٧٩ .

- ١١ - الرعد : ومنه قوله تعالى : «سُكِّرْتُمْ بَآيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ» (١) ؛
- ١٢ - الرعد : ومنه قوله تعالى : «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٢).
- ١٣ - الدعاء : ومنه قوله تعالى : «إِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٣) ، أي : أَعِزَّنَا عَلَى عِبَادَتِكَ وَتَقُولُنَا : «عَفَا إِلَهَ عَنَّا» ؛
- ١٤ - الإنكزار والتهكيت : ومنه قوله تعالى : «وَدُنِيَ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» (٤) ؛
- ١٥ - النعي : ومنه قولنا : فوددتك عندنا ؛
- ١٦ - الإنكزار : ومنه : «مَالَهُ عَلَى حَقِّ» .
- ١٧ - النفي : ومنه : «لَا بَأْسَ عَلَيْكَ» .
- ١٨ - التعظيم : ومنه : «سُبْحَانَ اللَّهِ» ؛
- وربما كَانَ الْقَطْعُ خَبْرًا وَالْمَعْنَى شَرْطًا وَجَزَاءً ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّا كَاشَفُو الْعَظَامَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ» (٥) ، فَظَاهِرُهُ خَبَرٌ ، وَالْمَعْنَى أَنَّ إِنْ تَكْشَفُ عَنْكُمْ الْعَظَامُ تَمُوتُوا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ : «الْعَالِقَانِ» مَرْتَانًا (٦) ، وَالْمَعْنَى : مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ مَرَّتَيْنِ فَلَيْسَ بِهَا بَعْلٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ يَسْرَحُهَا بِإِحْسَانٍ (٧) .

(١) فصلت ٥٢ .

(٢) الشعراء ٢٢٧ .

(٣) القاسم ٥ .

(٤) الدعاء ٤٩ .

(٥) الدعاء ١٥ .

(٦) البقرة ٢٢٩ .

(٧) تنظر الفرائض المظهر للجليلة في المصنف لاين فارس ص ١٢٩ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٢٠ .

الفصل الثالث

الإنشاء

المبحث الأول

الامر والنهي

الإنشاء :

الإنشاء كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته لانه ليس للقول لفظه قبل التعلق به واقع خارجي يطابقه أو لا يطابقه : وهذا ما اعتمد عليه القدماء حينما فصلوا بين الخبر والإنشاء فقال القزويني : « ووجه الحصر أن الكلام إما غير أو إنشاء ، لانه إما أن يكون النسبة خارج تطابقه لولا تطابقه ، لولا يكون لها خارج ، الأول الخبر ، والثاني الإنشاء (١) .

أقسامه :

والإنشاء قسمان :

الأول : الإنشاء العيني ، وهو ما يستلزم مطلوباً غير حاصل ذات للطلب ، وهو خمسة أنواع : الامر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء .

الثاني : الإنشاء غير العيني : وهو ما لا يستلزم مطلوباً ، وله أساليب مختلفة منها :

١ - صيغ المدح والذم : ومنها « نعم وبنس » كقوله تعالى : « إن تبنوا الصدقات فتعسكم وإن تخلوها ولأنوها المقراء فهو غير لكم ويكثر عنكم من ميثاقكم والله بما تعملون خير » (٢) ، وقوله : « ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » (٣) ، وقوله : « يدعون ضراء أقرب من نفعه ليس الولد وبنس العشير » (٤) .

وقول زهير في مدح هرم بن سنان :

نعم لمرأى هرم لم تمر آفة إلا وكان مستراح لها وزراً
ومنها : « جلدا ولا جلدا كقول جرير :

(١) الإنشراح ص ١٣ .

(٢) البقرة ٢٧١ .

(٣) النحل ٣٠ .

(٤) الملح ١٣ .

بالعباد جيل^١ الرمان من جيل^٢ وحيداً ساكن^٣ الرمان من^٤ كلاً
وحيداً نفحات^٥ من يمانية^٦ تأتلك من فيكر الرمان أحياناً
ومنها الأكل المحولة إلى «أكل» مثل: «كبرت» كلمة تخرج من أفعالهم^٧ (١):
٢ - العجيب: وله صيفتان فياستان هما: «ماأفله» كقوله تعالى: «أفليل^٨
الإنسان ما كثره» (٢) «ولوله: «لما أصبرهم على الشر» (٣). وقول الشاعر:
لما أكره^٩ الإصوان حين لعدتهم ولكنهم في التابات قيسل^{١٠}
وقول الآخر:

بقي تلك الأرض ما طيبة الربى وما أحسن^{١١} المصطاف^{١٢} والقرى^{١٣}
و«أفليل» به كقوله تعالى: «أسمعهم وأبصروا يوم يأتوننا» (٤) وبني ساعياً
كقولهم: «لله حرة ماله».

٣ - القسم: ويكون بالولو والفاء والياء، كقوله تعالى: «والضحى، والليل
إذا سجاء» (٥) «ولوله: «لما أفلك الله علينا» (٦). ولولا: «أقسم بالله
في برى»:

ومن صيغ القسم التي تأتي كثيراً «لعمري» كقوله تعالى: «لعمرك إنهم لي
سكروا لهم بغيرهم» (٧):
وقول الشاعر:

لعمرك ما أبري^{١٤} وفي لأزجل^{١٥} على أينما نضو^{١٦} النية أول^{١٧}
٤ - الرجاء: وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الزرع. والحرف للوضع
له «لعل»^{١٨}، كقوله تعالى: «فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به

(١) الكعب ٥.

(٢) من ١٧.

(٣) الطور ١٦٤.

(٤) مر ٣٨.

(٥) المص ١-٢.

(٦) يوسف ٩١.

(٧) الحجر ١٢.

صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَتَرَلْ عَلَيْهِ كُنْزٌ لَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكُكَ ، إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ ، وَاقْدُ
حُلْ مَحْكُورٌ شَيْءٌ وَكَيْلٌ (١) .
وقوله ذي الرمة :

لَعَلَّ الْخَلْدَ لِلنَّمْعِ بِعُقُوبٍ رَاحَةٍ مِنْ الْوَجْدِ أَوْ بِخُفْيِ لَحْيِ الْبَلَابِلِ (٢)
لِأَمَّا الْإِقْعَالُ الَّذِي تَسْتَعْمَلُ فِي هَذَا الْأَسْلُوبِ هُوَ : «عَسَى» ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «عَسَى
أَنْ يَأْتِيَ بِالْقَتْلِ أَوْ أَسْرِ مِنْ عِندِهِ» (٣) ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ
صَيِّ الْكَرْبِ الَّذِي أَسْبَغَ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ قَرَجٌ غَرِيبٌ
وَآخَرُ ، مِثْلُ : آخِرُ مُحَمَّدٌ أَنْ يَقُومَ ،
وَالْخُلُوقُ ، مِثْلُ : وَخُلِقْتَ السَّمَاءُ أَنْ تَطْرُقَ ،
وَيَسَمَّى هَذِهِ الثَّلَاثَةُ «أَفْعَالُ الرَّجَاءِ» ،

٥ - صِيَغُ الْفُتُوحِ : مِثْلُ : «بَعَثَ» وَ«اشْتَرَبَتْ» وَ«وَجَّهَتْ» وَ«قَبِلَتْ» .

وهذه أساليب غير ، لكنها لا يراد بها الأفعال لأنها لا تحتمل الصدق والكذب ،
ولذلك لم توضع مع الخبر ، ولا يهتم البلاغيون بهذه الأساليب الإنشائية لفظة الأفعال
المتعلقة بها ، ولأن معظمها أخبار قللت من معانيها الأصلية ، أما الإنشاء الذي يعنون
به فهو الظللي لما فيه من تهنئة في القول لمخرجه عن أغراضه الحقيقية إلى أغراض
مجترية تفهم من سياق الكلام .

وأساليب الإنشاء الظللي خمسة هي : الأمر والتخييل والاستفهام والتمني والثناء ،
الأمر :

وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالتزام ، أَوْ كَمَا قَالَ الظُّهَلِيُّ :

(١) عروة ١٢ .

(٢) البديع : جمع بديع ، وهو بهم

(٣) الألف ٥٥ .

وهو صيغة تستلحي الفعل ، أو قول يضيء عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء ، (١) : وله أربع صيغ هي :

١ - فعل الامر : كقوله تعالى : «وَأَلْبِسُوا الصَّلَاةَ وَأَكْثُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» (٢) ، وقول الخطبة :

«دَعِ الْمَكَارِمَ لِأَرْحَلٍ يُبْغِيئُهَا وَأَفْعِدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الظَّالِمُ الْكَاسِي»
٢ - المضارع المقرون بلام الامر : كقوله تعالى : «الْمُتَّقِينَ» فوسَّعَ مِنْ سَعَتِهِ (٣) .
وقول أبي تمام :

«كَلَّا فَلْيَجْلُ الْخَطْبُ وَلْيَدْعِ الْأَمْرُ» فليس لعين لم يَبْغِضْ مَاؤُهَا عُدُوَّ
٣ - اسم فعل الامر : كقوله تعالى : «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَبْتَغِ غَيْرُكُمْ مِنْ» فكل
إذا اعتديتم ، (٤) أي : ارموا أنفسكم :

ومنه «صه» بمعنى اسكت ، ومنه «كفف» و«آمين» بمعنى : «استجب»
و«بله» بمعنى «دع» و«رويه» بمعنى «أهله» و«زال» بمعنى «الزل» ، و«أدرك»
بمعنى «أدرك» :

٤ - المصدر النائب عن فعل الامر : كقوله تعالى : «وَالَّذِينَ إِحْسَانًا» (٥)
وقول قطري بن النجماء :

فصبرا في سجال الموت صبرا فما قيل الخلود بمسطباع
وقد يخرج الامر عن معناه الأصلي : - وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء
والإلزام إلى معاني أخرى تفهم من سياق الكلام ، ومن هذه الأغراض المجازية :
١ - الدعاء : وهو القلب على سبيل التضرع ، كقوله تعالى : «وَبِأَعْيُنِنَا»

(١) الطراز ج ٢ ص ٢٨١ .

(٢) النور ٥٩ .

(٣) الطلاق ٧ .

(٤) الدابة ١٠٥ .

(٥) البقرة ٨٣ .

والوالدي" (١) - ويسميه ابن فارس «الخالدة» (٢) : ومنه قوله تعالى : «وَبَيْنَا
 إِتْمَانًا سِمِينًا مِّمَّا يُبْدِيهِ لَكُمْ إِتْمَانًا كَانُوا بِهِ يَسْتَكْبِرُونَ» (٣) ، «وَبَيْنَا لَكُمْ لُتْفًا مِنَّا
 وَكُنْتُمْ عَنْ سَبِيلِنَا وَتُفَاهَا مَعَ الْإِبْرَةِ» (٤) . وقوله : «وَأَعَدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» (٥) .
 ومنه قول المتنبي :

أَزَلَّ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكَيْفِهِمْ فَاثْتُ الَّذِي صَبَّرَنِي لِي حُسْنًا

٢ - الاتمسك : وهو الطلب الصادر عن المتساوين خذراً ومترلاً على سبيل
 التلطف كقول ابن زيدون :

دُوسِي عَلَى الْعَهْدِ مَا عِنَّا بِمَحَافِظَةٍ فَالْحَرُّ مِنْ دَانَ اتِّصَالًا كَمَا دَهِنَا
 ٣ - التمني : وهو الطلب الذي لا يُرجى وقوعه ، كقول عنترة :

يَا دَارَ عَيْلَةٍ بِالْجَوَادِ تَكَلِّسِي وَعَيْسِي صَبَاحًا دَارَ عَيْلَةٍ وَاسْلَمِي
 وقول امرئ القيس :

أَلَا لَيْبُهَا الْقِيلُ الْقَطْرِيلُ أَلَا الْجَلِيلُ بِصَبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَنْزِلِ
 وقول النمر بن

عيا موتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ نَيْمَةٌ وَيَا فُلْسُ جَدِّي إِنَّ دَهْرَكَ هَازِلٌ
 وقول ابن زيدون :

وَيَا نَيْمَ الصَّبَا بَلِّغْ نَحْيَنَا مِنْ لَوْ عَلَى الْبَعْدِ حَيًّا كَانَ بِحْيَنَا

٤ - النصيح والأرشاد : وهو الطلب الذي لا إلزام فيه وإنما للنصيحة الخالصة
 كقوله تعالى : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَابَعْتُمْ بَيْنَ أَلْسِنِكُمْ فَقُتِبُوا فَكُتِبُوا وَلِيَكْتُبَ
 بَيْنَكُمْ كِتَابٌ بِالْعَدْلِ» (٥) ، وقوله : «وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ» (٦)
 وقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

(١) نوح ٢٨ .

(٢) الصاسي ١٨٨ .

(٣) آل عمران ١٩٣ .

(٤) القانتما ٦ .

(٥) البقرة ٢٨٢ .

(٦) البقرة ٢٨٢ .

كفنا فليختر من طلب الاعادي ومثل مراك فليكن الطسلاط
 ٥ - التخيير : وهو الطلب بان يختار المخاطب بين امرين أو أكثر ، كقول بشار :
 قمش واحداً أوصل أخاك فانه مغرور ذكبي مرة ومجانيسه
 ٦ - الإيحاء : كقوله تعالى : هو كذّبوا واشتروا بغيري لستم الخيط الأبيض
 من الخيط الأسود من الشجر (١) : وقال القزويني : ومن احسن ما جاء به
 قول كثير :

اسبي بنا أو احسن لا ملومة لدينا ، ولا مقلبة إن قلت (٢)
 أي : لا أنت ملومة ولا مقلبة .

ووجه حبه اظهار الرضا بوقوع الداعل تحت لفظ الامر حتى كانه مطلوب أي
 مهما انتوت في حفي من الاساءة والاحسان ، فأنا راض به غاية الرضا فساميني
 بهما ، وانظري هل تفاوتت ، حالي معك في الحالين (٣) .

٧ - التعجيز : وهو الطلب بما لا يقدر عليه المخاطب كقوله تعالى : « يا معشر
 آلن والانس إن استطعتم ان تصفدوا من أنظار السموات والأرض فأنفدوا
 لا تصفدوا ولا سلطان » (٤) ، وقوله : « إن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
 فأنزل بسورة من منزه وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » (٥)
 وقول الشاعر :

أروني بخيلا طال عسراً يخله وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل
 ٨ - التهديد : كقوله تعالى : « اصلوا ما نتمم إله بما تعملون بصير » (٦) وقوله :

(١) البقرة ١٨٧ .

(٢) مقلبة منكرومة بنهضة قلت : تكومت وانفتت

(٣) الأيضاح ص ١١٢ .

(٤) الرحمن ٢٢ .

(٥) البقرة ٢٢٢ .

(٦) فصلت ٤٠ .

وقل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار (١) .
ومنه قول الشاعر :

إذا لم تحسن حلبة الياسمي ولم تستحيها فاصنع ماشاء
٩ - النبوة: كقول تعالى: فاصبروا ولا تنصبروا (٢)، ومنه قول النبي:
«حسن عزيزاً قومئ وأنت كريم» بين طعننا الثنا وعقوب البنود
١٠ - الأهانة: كقول تعالى: «ذئب إنك أنت العزيز الكريم» (٣)، وقوله:
«كونوا حجارة» أو حديداء (٤) .

١١ - التطهير: كقول تعالى: «كنوا قردة خاسئين» (٥) وبسبه ابن فارس
والكوكبي (٦) .

١٢ - الاحتقار: كقول تعالى: «الذين لم يؤمنوا بآيات الله وهم يسمعون
الأهانة والاحتقار في عرض واحد» .

١٣ - التلذذ: كقول تعالى: «والذين لم يمتنعوا» (٧) .

١٤ - التذلل: كقول تعالى: «والذين هم في الأرض» (٨) .

١٥ - التبعيب: كقول تعالى: «والذين هم وأبنائهم» (٩)، ومنه قول كعب
ابن زهير :

أحسن بها علة لو أنها صلت موعودها ولو أن التلذذ مقبول

(١) إبراهيم ٣٠ .

(٢) الطور ١٦ .

(٣) الشعراء ٤٩ .

(٤) الأنبياء ٥٠ .

(٥) الأعراف ١٦٦ . خاسئين: مغلطين لا يسمح لكم بالقرب من الناس .

(٦) الصحاح ص ١٨٥ .

(٧) يونس ٨٠ ، أو الشعراء ٤٣ .

(٨) طه ٧٢ .

(٩) الجمعة ١٠ .

(١٠) مريم ٣٨ .

١٦ - التلخيص والشعر : كقوله تعالى: «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ» (١) ومثله قول جرير :

موتوا بن غضب شأني جريرتكم
لن تخطعوا بطن داني دونه مُفسرٌ
١٧ - الوجوب : وذلك أن يكون أمراً وهو واجب كقوله تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَبُوا مَعَكُمْ» (٢).

١٨ - الخبر : ويكون أمراً واللفظ غير كقوله تعالى: «فَبُذِّعُوا قَلْبًا وَلِيَكُوا كَثِيرًا» (٣). واللفظ: أنهم سيذبحون قلباً ويكون كثيراً.

١٩ - الامتنان: كقوله تعالى: «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ» (٤)، والقاهره قسم من الاباحة لكن مع امتنان.

٢٠ - الاكرام: مثل قوله تعالى: «وَدَّعَوْهَا بِسَلَامٍ» (٥)، وهو من الاباحة أيضاً.

٢١ - الشكوى: كقوله تعالى: «كُنْ فَيَكُونُ» (٦)، وهو قريب من التسخير ، إلا أن هذا أعم.

٢٢ - الطوىض كقوله تعالى: «فَالْأَخْضِرَ مَاءً قَاسٍ» (٧)

٢٣ - التكذيب: كقوله تعالى: «قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَغَّى» (٨) وقوله: «قُلْ هَكُومٌ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا» (٩).

٢٤ - اللشورة : كقوله تعالى: «فَانظُرْ مَاذَا تَرَى» (١٠) .

(١) آل عمران ١١٩.

(٢) البقرة ٤٣.

(٣) النور ٢٢.

(٤) النحل ٩١٤.

(٥) الحجر ٤٦.

(٦) البقرة ٢٥٧ وغيره.

(٧) طه ٧٢.

(٨) آل عمران ٩٢.

(٩) الانعام ١٥٠.

(١٠) الصافات ١٠٢.

٢٥ - الاحتيال: كقولہ تعالیٰ: **وَانظُرُوا إِلَىٰ تَعْمُرِهِ إِذَا تَمُرُوا (١)**. ويرى السبكي أن في غالب هذه اللغتي نظراً (٢).

التهي:

هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والاکترام. وينفق مع الأمر في:

١. أن يكون كلى واحداً منهما لايداً فيه من اعتبار الاستعلاء.
٢. أنهما يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنساناً تماًراً لنفسه أو ناهياً لها.
٣. أنهما لايد من اعتبار حال قاعلهما في قوله مريفاً لهما. وبخلافان في:

- ١- أن كلى واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر.
 - ٢- أن الأمر دال على الطلب، والنهي دال على النع.
 - ٣- أن الأمر لايداً فيه من زيادة مأمورة، وإن النهي لايداً فيه من كراهية منبهة (٣).
- والنهي صيغة واحدة هي المضارع للقرون بدلاء الناهية بالجملة، كقولہ تعالیٰ:

قُولَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا (٤)؛

وقد تخرج هذه الصيغة إلى معان مجازية كثيرة منها:

١. الدعاء: ويكون صاعداً من الأدنى إلى الأعلى، كقولہ تعالیٰ: **وَرَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا بِإِنْ شَيْنَا أَوْ أَخْطَأْنَا، وَرَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا (٥)** وقوله:

وَرَبَّنَا لَا تُؤْخِذْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا (٦).

وقوله كعب بن زهير:

لَا تَأْخِذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَفَرْتُ بِكَ الْكَافِرُونَ

٢. الاتعاس: ويكون صادراً من أخ إلى أخيه أو صديق إلى صديقه، كقولہ

(١) الانعام ٩٩.

(٢) انظر هذه الأمثلة في المحامي ص ١٨١ ومفتاح العلوم ص ١٥٢، والابتليح

ص ١٤٢، وشرح القاموس ج ٢ ص ٣١٣.

(٣) الطراز ج ٣ ص ٢٨٥.

(٤) المحررات ١٢.

(٥) البقرة ٢٨٦.

(٦) آل عمران ٨.

تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى : « قال : يا ابن أمّ لا تأخذه بلهيتي ولا يرأسه » (١) .

وقول المعري :

لا تطربوا السرّ عني يوم نالته فإنّ ذلك ذنّبٌ غير مُغتفر
القصي : ويكون النبي موجهاً إلى ما لا يعقل ، كقول الخنساء :

أهيتي جوداً ولا تجمدي
الأنثيان الصخر السدي

٤. الصحيح : كقوله تعالى : « ولا يأت بآبٍ كتاب أن يكتب كما علمه الله » (٢)

وكقول الشاعر :

لا تحكيفنّ على حيدتي ولا تكذب فما بيديك إلا المائم الحكيّف
٥. التهديد : كقولنا لمن لا يمثل للأمر : « لا تمثل أسري » :

٦. التوبيخ : كقول الشاعر :

لا تنه عن عكّي وثقيّ منقه عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
٧. التحقير : كقول الحطّاب :

دع للكراّم لأترحل لبختها والحد فالك أنت الطامع الكاسي
وقول المتنبي :

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إنّ العبد لأجاس مأكيد
٨. التوبيخ : ومنه قوله تعالى : لا تطربوا فقد كفرتم بعد إيمانكم (٣) وقول
المتنبي في مدح سيف الدولة :

لا تظننّ كريماً بعد رؤيته إنّ الكرام بسخاهم بدأ عظموا
٩. بيان العاقبة : كقوله تعالى : « ولا تحسبنّ الله خافلاً » (٤) ، أي عاقبة
الظلم العذاب لا الخفة (٥)

(١) طه ٩١ .

(٢) البقرة ٢٨٢ .

(٣) التوبة ٦٦ .

(٤) إبراهيم ١٢ .

(٥) انظر هذه الأعراس المجازية في مفتاح العلوم ص ١٥٢ ، والإيضاح ص ١٢٥ .

ولمروج التلخيص ج ٢ ص ٣٢٨ .

البحث الثاني

الاستفهام

الاستفهام طلب العلم بشئ لم يكن معلوما من قبل ، وهو الاستخبار ، الذي قالوا فيه انه طلب غير ما ليس عندك أي طلب الفهم : ومنهم من فترق بينهما وقال ان الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حتى الفهم ، فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما (١) ولكن المستعمل في الترجمات البلاغية مصطلح «الاستفهام» وللإستفهام أدوات كثيرة وهي نوعان :

الأول : حرقان ، وهذا الهمزة وهل : وتستعمل الهمزة لطلب التصديق وهو ادراك النسبة أي تعيينها مثل : « أقام محمد ؟ » الجواب يكون عنها « نعم » أو لا ، والتصوير وهو ادراك الفرد أي تعيينه مثل : « أقام محمد أم قعد ؟ » والجواب عنها يكون بتحديد الفرد :

أما « هل » فلا يطلب بها غير التصديق مثل :

« هل قام محمد ؟ » والجواب عنها يكون « نعم » أو لا ،

الثاني : أسماء ، ولا يطلب بها إلا التصور ، وهي :

١. ما : يطلب بها شرح الشئ ، مثل : « ما البلاغة ؟ » :

٢. من : السؤال عن الجنس مثل : « من هذا ؟ »

٣. أي : السؤال عما يميز أحد المتشاركين في أمر بينهما ، مثل : « أي الثياب عندك ؟ »

٤. كم : السؤال عن العدد ، مثل : « كم كتابا عندك ؟ » :

٥. كيف : السؤال عن الحال ، مثل : « كيف محمد ؟ » :

٦. أين : السؤال عن المكان ، مثل : « أين كنت ؟ » :

(١) العاصمي ص ١٨١ ، والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٢٦ .

٧. أَنَسِي : تستعمل ثارة بمعنى : « كيف » ، كقوله تعالى : « أَنَسِي يُحْيِي هَذِهِ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مَوْتِهَا » (١) .

وثارة بمعنى « من ابن » كقوله تعالى : « يَا مَرْيَمُ أَنَسِي لَكَ هَذَا ؟ » (٢) ،
وثارة بمعنى « متى » ، مثل : « أَنَسِي تَسَافِرُ ؟ » .

٨. مَنَى : للزوال عن الزمان ، مثل : « مَنَى جِثَّتْ ؟ » .

٩. لَبَّانَ : للزوال عن الزمان ، كقوله تعالى : « وَيَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟ » (٣)
وقوله : « وَيَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ » (٤)

ولكن الاستفهام قد يخرج عن معانيه الأصلية إلى معاني كثيرة منها :

١. التثني : كقوله تعالى : « وَعَلَىٰ جِزَاءٍ الْأَحْسَنِ إِلَّا الْأَحْسَنُ » (٥) ،
وقوله البحري :

عَلِ الدَّهْرِ إِلَّا غَمْرَةً وَأَهْلًا لَهَا وَشَيْكَاً وَإِلَّا ضَيْقَةً وَانْقِرَاجُهَا

٢. التعجب : كقوله تعالى عَلِ لِسَانِ حَلِيعَانَ — عَلَيْهِ السَّلَام — :

وَمَا لِي لَا أَرَى الْهَيْدُ حُدَّ ؟ (٦) وقوله : « مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ
الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ » (٧)

وقوله التثني :

أَلَيْسَ الدَّهْرُ عِنْدِي كُلُّ بَسْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتَ أَنْتَ مِنَ الرَّحِمِ ؟

(١) القراء ٢٥٩ .

(٢) آل عمران ٢٧ .

(٣) القابلة ٦ .

(٤) الفاريات ١٢ .

(٥) الرحمن ٦٠ .

(٦) قنبل ٢٠ .

(٧) الفرقان ٧ .

٣. النبي : كقولہ تعالیٰ : «هل لنا من شعاع» فبشعاعنا؟ (١)

وقول النبي :

أبدي ربعي أتي دم أرافنا وأي قلوب هذا الركب شافنا

٤. التحقير : كقولہ تعالیٰ : «ألم يجدك يتيماً فأوى، ووجدك ضالاً فهدى» (٢)،

وقوله : «ألم تشرح لك صدرك؟ ووضعنا عنك وزرك» (٣)، وقوله : «ألم يجعل

كيدهم في تضليل؟» (٤).

وقول ابن قزويني :

أبست الرء تجبي كل حميد إذا سالم يكن الحميد جاب

٥. التعظيم : كقول النبي في الرء :

من المحافل والمجافل والسرى

ومن الفضل على الضيوف خليفة

وقول الآخر :

أضاعوني وأي غنى أضاعوا ليوم كرهته وسدائهم تغسروا

٦. التحقير : كقولہ تعالیٰ على لسان الكفار : «ألهذا الذي بعث الله رسولا؟» (٥).

وقول الشاعر :

قدح الوعيد فما وعيدك ضاعري أطين لجنحة الذباب يضرير

٧. الاستبطاء : كقولہ تعالیٰ : «حتى يقول الرسول والدين آمنوا منة مني

نصر الله؟» (٦).

(١) الأنعام ٤٣ .

(٢) النسي ٦ - ٧ .

(٣) الأنعام ١ - ٢ .

(٤) النمل ٢ .

(٥) الفرقان ١١ .

(٦) الفرقان ٢١٤ .

وقول الشاعر :

حتى من أنت في تهوي وفي لعب واللوت تحرك تهوي ظاهراً فناء
٨- الاستبعاد: كقوله تعالى : «إني لهم القريب وقد جاءهم رسول مبين»
ثم تولوا عنه ، وقالوا : «معلم مجنون؟» (١) أي يستبعد ذلك منهم بعد أن جاءهم
لرسول ثم تولوا عنه .
وقول أبي تمام :

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهت كان الحلم ردّ جوابه ؟
وقول المتنبي :

وما قتلت الأحرار كالعفر عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليد ؟
٩- الانكار : وهو على وجهين :

١- إنكار التوبيخ ، بمعنى ما كان ينبغي أن يكون، مثل : «أعصيت ربك ؟»
٢- وإنكار التكذيب بمعنى «لم يكن» كقوله تعالى : «أفأصفاكم ربكم
بالبين واتخذ من اللائكة إنايا؟» (٢) ، وقوله : «اصطفى البناي على البين ؟» (٣)
أو بمعنى «لا يكون» كقوله تعالى : «أنكسر مكسوها وأنهم لها كارهون؟» (٤)
وعليه بيت امرئ القيس :

أبقتني والمشرق مضاجعي ومسودة زرق كآباب أخوال ؟
وقول الآخر :

أترك إن قلت هراهم خالد زياره ؟ إني إذن لتبسم
١٠- التهكم : كقوله تعالى : «أصلاحتك تأمرك أن تترك ما بعد آياتنا لو أن
تفعل في أمركنا ما نشاء ؟» (٥)

(١) السجدة ١٣- ١٤ .

(٢) الأحرار ١٠ .

(٣) الصافات ١٥٣ .

(٤) هود ٢٨ .

(٥) هود ٨٧ .

وقول المتني :

أَيَّ كَلِّ يَوْمَ ذَا الْقَسَمَتِ قَادِمٌ نَعَاهُ عَلَى الْإِقْدَامِ لَوَجْهِ لَانَمُ
١١ - الصّويرة : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (١) ، وَقَوْلُهُ : « وَإِنْ أَقْرَبَ أَقْرَبَ أَمْ بَعِيدَ مَا تُوعِدُونَ » (٢) ؛
وقول المتني :

وَلَسْتُ أَلْبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِ الْعَمَلِ أَكَانَ تَرَاءً مَا تَأْتَلَتْ أَمْ كَسَبَا
١٢ - التّوحيّد : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « أَلَمْ تُهْلِكْ الْأَوَّلِينَ ؟ » (٣) ؛

١٣ - التّهويل : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ »
مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ » (٤) ، بِقَلْبِ الْأَسْطِفَامِ وَهِيَ قِرَامَةُ ابْنِ نَعِيمٍ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - . لَمَّا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَذَابَ بِأَنَّهُ مُهِينٌ لَشِدَّتِهِ وَقَطَاعَةِ شَأْنِهِ
أَرَادَ أَنْ يَصَوِّرَ كَيْفَهُ فَقَالَ : « مَنَ فِرْعَوْنَ ؟ » أَيَّ أَتَعْرِفُونَ مَنْ هُوَ أَيْ فِرْعَوْنُ
وَلَجِيرُهُ ؟ مَا ظَنُّكُمْ بِعَذَابٍ يَكُونُ هُوَ الْعَذَابُ بِهِ ؟ .

١٤ - التّنبية : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَلَمَّا نَذَرْنَا لَكُمْ أَلَمًا (٥) ، وَقَوْلُهُ : « أَلَمْ تَرِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ
مَدَّ الظِّلَّ ؟ » (٦) ، وَقَوْلُهُ : « أَلَمْ تَرِ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ النَّجْلِ ؟ » (٧) ، وَقَوْلُهُ :
« أَلَمْ تَرِ أَنَّ اللَّهَ لَنَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً » (٨) ؛
١٥ - التّشويق : كَقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَبِآيَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ
مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ؟ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَيَحْمَدُنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ،
فَلَكُمْ عُذْرٌ لَكُمْ إِنَّكُمْ تَطْمَئِنُّونَ » (٩) ، وَقَوْلُهُ : « قَالَ : يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ

(١) البقرة : ٦ .

(٢) الأنبياء : ١٠٩ .

(٣) المائدة : ١٧ .

(٤) المائدة : ٢٠ - ٢١ .

(٥) التكاوير : ٢٦ .

(٦) الفرقان : ٤٥ .

(٧) النمل : ١٠ .

(٨) الحج : ٦٣ .

(٩) النصف : ١٠ - ١١ .

على شجرة الخنك. ومثلك لا يبل؟ (١).

١٦ - الأمر : كقوله تعالى : «هل أنتم مسلمون؟» (٢) وقوله : «هل أنتم متطهرون؟» (٣) وقوله : «وما لكم لا تنقلون في سبيل الله؟» (٤).

١٧ - النهي : كقوله تعالى : «ما ترك بركك الكريم؟» (٥) وقوله : «اتخشونهم فإني أحق أن تخشوه؟» (٦) بدليل قوله : «فلا تخشوا الناس» (٧).

١٨ - العرض : كقوله تعالى : «ألا تحبون أن يضر الله لكم؟» (٨) وقوله تعالى : «ألا تناقلون قوماً تكفروا بأيمانهم؟» (٩).

١٩ - التحضيض : كقوله تعالى : «إن أثبت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتفكرون؟» (١٠) أي : اتهموا وأمرهم بالانقضاء .

٢٠ - التخييع : كقوله تعالى : «ملأنا الكتاب ليعادير صغيرة ولا كبيرة؟» (١١) .

٢١ - التوبيخ : كقوله تعالى : «أأنت فكتة للناس بتخلفك وأنتي إلهين من دون الله؟» (١٢) .

٢٢ - الأرشاد : كقوله تعالى : «أتجعل فيها من يفسد فيها؟» (١٣) .

٢٣ - الإلهام : كقوله تعالى : «وما تلك بيمينك؟» (١٤) .

(١) طه ١٢٠ .

(٢) هود ١٤ .

(٣) النمل ١١ .

(٤) البقرة ١٧٥ .

(٥) الأنعام ٩٠ .

(٦) النور ١٣ .

(٧) النمل ٢٤ .

(٨) النور ٢٢ .

(٩) النور ١٣ .

(١٠) الشورى ١٠ - ١١ .

(١١) الكهف ٤٩ .

(١٢) الزلزال ١١٦ .

(١٣) البقرة ٣٠ .

(١٤) طه ١٧٣ .

٢٤ - التكثير : كقوله تعالى : « وكنتم من قربة أخذناها ؟ » (١) وقوله : « وكأين من قربة أبلت لها وهي ظالمة » ثم أخذناها الأولى الصبغة (٢) . ومنه قول الشاعر :

كسم من دني لما قد صرت أبعه ؟ ولو صحا القلب عنها كان لي نعا

٢٥ - الاختيار والتحقيق : كقوله تعالى : « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا » (٣) .

هذه أهم الأغراض التي يخرج إليها الاستفهام عن معناه الحقيقي (٤) ، وهي كثيرة وقد يشتمل بعضها بعض ، ولكن اللوق السليم وقرائن الأحوال تشير إلى الغرض وتحدده .

وهذا التقسيم الذي قام عليه بحث الاستفهام صعدة البلاغيين غير أن الذين تناولوا علوم القرآن يحثونه بصورة أخرى ويقسمونه تقسيماً آخر ، فالزركشي (٥) يقسمه إلى : الاستفهام بمعنى الخبر وهو خبريان :

أحدهما : نفي ، ويسمى استفهام النكار ، والمعنى فيه هل إن ما بعد الاداة منفي ، ولذلك تصحبه « إلا » كقوله تعالى : « فهل يؤهلك إلا القوم الفاسقون ؟ » (٦) والثاني : اثبات ، ويسمى استفهام تقرير ، كقوله تعالى : « أليس بربكم ؟ » (٧) أي : أليس بربكم . وبآتي هذا على وجوه كثير منها : مجرد الاثبات ، والاثبات

(١) الأعراف ١ .

(٢) الحج ١٨ .

(٣) الإنسان ١ .

(٤) ينظر لصاحبي ص ١٨١ ، وملحق لعلوم ص ١٥٠ ، والصبغ ص ٤٢ ، والاصح ص ١٣٧ ، وفروع الفطوح ج ٢ ص ٢٩٠ .

(٥) ينظر كتاب البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٦ وما بعدها .

(٦) الأحقاف ٣٥ .

(٧) الأعراف ١٧٢ .

مع الافتخار ، والتوبيخ ، والعتاب ، والنبكيت ، والتسوية ، والتعظيم ، والتهويل ،
والتهويل والتخفيف ، والتضعف ، والتكثير ، والاسترشاد .

والقسم الثاني : الاستفهام المراد به الاتشاء ، وهو على ضربين : مجرد الطلب ،
والنهي ، والتحذير ، والتذكير ، والتنبيه ، والترغيب ، والتسبيح ، والدعاء ،
والعرض ، والتحفيز ، والاستبطاء ، والإيأس ، والإيأس ، وتهكم
والاستهزاء والتحقير ، والتعجب ، والاستبعاد ، والتوبيخ .

وهذا التقسيم أكثر دقة غير أن التمييز بين المراض النوعين صعب ، ولذلك كان
الجمع بين النوعين أكثر سهولة وأقرب إلى للدراك كما فعل علماء البلاغة .

المبحث الثالث

التمني والثناء

التمني : التمني توقع أمر محبوب في المستقبل ، والفرق بينه وبين الترجي ، أن يدخل التمنيات والترجي لا يكون إلا في المكات (١) : ولكن البلاغيين يميزون بين نوعين في التمني :

الاول : توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلا ، كقوله تعالى : « يا بني كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَنُورْ فَوْزاً عَظِيماً » (٢) : وقول الشاعر :

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

الثاني : توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكناً غير مطروح في نيله ، كقوله تعالى : « وإليت لنا مثل ما آتوني قارون » (٣) :

والإدانة الموضوعة للتمني «ليت» وقد تستعمل ثلاثة أحرف للادانة عليه :

أحدها : هل ، كقوله تعالى : «هل لنا من شعاعة أتشفعوا لنا » (٤) :

والثاني : لو ، سواء كانت مع فود ، كقوله تعالى «ودوا لو تدعوا فيهم هين » (٥) أو لم تكن كقوله تعالى : «لو أن لي بكم قوة » (٦) ، وقوله : «لو أن لنا كرة ففتبراً منهم » (٧) :

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٢) التاء ٧٣ .

(٣) القصص ٧٩ .

(٤) الامرات ٥٣ .

(٥) سورة ن ٩٥ .

(٦) هود ٨٠ .

(٧) البقرة ١٦٧ .

الثالث: لعلّ ، كقولہ تعالیٰ : ولعلّی ابلغُ الأسبابِ أسبابَ السماواتِ
فأطاعنی إلیّ إله موسى (١) .

ومنه قول الشاعر

أسیربَ النطا هل من یُعبّر جناحہ
لعکي ال من قد هتوتُ أطيّر (٢)

التداء :

التداء التصويت بالتأدي ليقبل، أو مر طلب اقبال المدعو على التداي ، وله
أدوات هي :

- ١ - الهمزة: وتكون لتداء القريب، كقول امرئ القيس:
أفأطمُ مهلاً بعضُ هذا التدايِ وإن كنت قد أزمعت صرعى جعلي
- ٢ - آ - حرف لتداء البعيد، وهو مسموع لم يذكره سيبويه ، وذكره غيره (٣) .
- ٣ - أيا: وتكون لتداء البعيد ، وقيل: لتداء القريب والبعيد، كقول الشاعر:
أيا جيلي لعمرك بالله خلّيساً نسيم الصبا يخلصُ إليّ نسيمها
- ٤ - أي: لتداء البعيد.
- ٥ - أي: لتداء البعيد.
- ٦ - هيا: لتداء البعيد .
- ٧ - وا: لتداء البعيد، وهي في الأصل حرف تداء مختص بباب التبعة نحو واصلحوا واصلحوا
وأجاز بعضهم استعماله في التداء الحقيقي (٤) .
- ٨ - يا: لتداء البعيد، وقد يتأدي به القريب توكيداً، وقيل: هي مشتركة بين
القريب والبعيد ، وهي أكثر أحرف التداء استعمالاً، كقولہ تعالیٰ : يا آدمُ اسكنْ

(١) غافر ٣٦-٣٧.

(٢) بطل القتي في شفاہ العلوم ص ٢١٧ ، والإيضاح ص ١٣١ ، وشرح البلخي ج ٢ ص ١٢٨ ،
والطراز ج ٣ ص ١٤١ ، والبرهان في علم القرآن ج ٢ ص ٣٢١ .

(٣) مفتي اليب ج ١ ص ٢٠ .

(٤) مفتي اليب ج ٢ ص ٣٠ .

أنت ورازجك الجنة، (١) وقد تحذف كما في قوله تعالى: «يُؤَسِّفُ الْمُرْسِي»
عن هذا (٢).

ومنه قول ابن زبيلون :

ياساري القوي غادر القصر واستويه من كان صيرف القوي والود يسفينا
ويانسيم الصفا بلغ تحسنا
وقد اشار سيويه إلى استعمال حروف النداء القريب مرة والبعيد نارة اخرى،
وقال: «فلما الاسم غير المنسوب فثبته بخمسة اشياء: «يا» «هو» «ها» «و» «أي»
وبالالف نحو قولك: «أحار بن عمرو» إلا ان الأربعة غير الألف قد يستعملونها
إذا أرادوا أن يعدوا أصواتهم الشيء الترامي عنهم أو الانسان المعرض عنهم
الذي يروونه أنه لا يقبل عليهم إلا باجتهاد، أو قائم السطو. وقد يستعملون هذه
التي البدل في موضع الألف ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها.
وقد يجوز لك ان تستعمل هذه وإن شئت حذفتهن كلهن استثناء (٣).
وقد يخرج النداء إلى الغراض مختلفة منها :

١ - الإغواء والتحذير: وقد اجتمعا في قوله تعالى: «لَا تَلْعَلْ آتٍ وَسَفِيَاءُ» (٤)
وقول النبي :

يَا عَدُوَّ النَّاسِ إِلَّا فِي مَعْسَمِي فَيَكُ الْخَصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ
٢ - الاستدانة : مثل: «يا ناصر الدين».

٣ - التلبية: كقول النبي :

وَأَحْرُ قَلْبِهِ مِمَّنْ شَبَّهَ وَمَنْ بَجَسِي وَحَلِي عِنْدَ سَقَمٍ

٤ - التعجب : كقوله تعالى: «يَا حَسْرَةً عَلَيَّ الْعِبَادَةِ» (٥)، لأن الحسرة لا تنادى

(١) القراء ٣٥.

(٢) يوسف ٢٩.

(٣) كتاب سيويه ج ١ ص ٣١٥.

(٤) النمل ١٢.

(٥) يس ٣٠.

والما تنادي الأشخاص لأن فائدته الشيء ولكن المعنى على التعجب كقوله :
يا عجباً لِمَ فعلت؟ (١) .

٥ - الاختصاص: مثل: وعلى أيها الرجل يُعتمد ، وه اغفر اللهم لنا أيتها
المصائب، أي: مخصصاً به دون الرجال، واغفر لنا مخصوصين من بين المصائب.
٦ - الشيء: كقوله تعالى: وبإيتي ميت قبل هذا (٢)، لأن حرف النداء يختص
بالأسماء:

٧ - المحرر: كقول ابن الرومي:

يا بني وأين مني شهابي أذنني حباله يانقصاب
لَهْفٌ نفسي على نيمسي ولهوي تحت أظفانه اللسان الرطاب
وقول الآخر:

أيا قيسَ متعزٍ كيف وارت جودُ وقد كان من ليرُ والبحرُ متفردا
هذه أساليب الخبر والانشاء المختلفة، وقد اتضح أن لكل أسلوب دلالة،
وهي غير الإعراب وحركاته، بل ما وراء ذلك من المعاني التي تجعلها الجميل
والعبارات: وإذا كان لكل من الخبر والانشاء دلالة فإن أحدهما قد يقع موقع
الآخر لأغراض بلاغية (٣): والعمدة في ذلك للوقوف بالهذب والإطلاع القواسع
وقرائن الأحوال:

وأساليب الخبر والانشاء مدى رحب يَجول فيه الأدباء ويتصرف فيه الشعراء
وقد أخذ بها القدماء فأحسنوا وأضاعوا، وهي من وسائل التعبير وطرقه التشبية:
ويقدر الأديب على أن يتوسع فيها وأن يأتي بما لم يسبق فيه إذا أحسن استخدامها
وكان له فوق رفيع .

(١) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٥٢.

(٢) مزم ٢٢.

(٣) ينظر مفاتيح العلوم ص ١٥٤ ، والإيضاح ص ١١٦ ، وتروج التبيين ج ٢ ص ٣٢٨
والبرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٣٢٧ ، ٣٥٠ ، والمطلع ج ٢ ص ٢٩٢.

الفصل الرابع أحوال الجملة للبحث الأول التقديم والتأخير

الجملة كلمات تأتلف لتدل على معنى ، أو هي - كما يقول النحاة - : والمنظ
للقيد فائدة بحسن السكوت عليها ، (١) . ولا تكون الجملة تامة إلا إذا استوفت
ركنين هما : السند إليه والسند ، وإذا ما حذف منها أحد هذين الركنين فإن النحاة
يلجأون إلى التقدير ليستقيم الكلام .

واسعمل النحاة هذين المصطلحين فقال سيويه : « هذا باب السند والسنداية
وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يحد الكلم منه بدءاً . فمن ذلك الاسم
الابتداء والبنى عليه وهو قولك : « عبدالله اخوك » وهذا اخوك . ومثل ذلك قولك :
« يلعب زيد » . فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدءاً من الآخر في
الابتداء . وما يكون بمنزلة الابتداء قولك « كان عبدالله منطلقاً » وهبت زيدا متعلقاً ،
لأن هنا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج البتداء إلى ما بعده » (٢) .

ولم يأخذ النحاة هذين المصطلحين بعد سيويه وإن اثاروها في كتبهم ، وإنما
استعملوا ما قبلهما من مبتدأ وخبر أو فعل وفاعل وغيرها ، ولكن علماء البلاغة
اختلفوا ونوا عليهما فראستهم في علم المعاني ، فأنحصرت في السند والسنداية
وما بينهما من ذكر وحذف ، وتقديم وتأخير ، وقصر : ولا يتجاوز ذلك إلا حينما
يتحدثون عن الفصل والوصل ، والمساواة والإيجاز والاطناب ، وهو لتجاوز لا يحد
عن الجملة في أكثر الأحيان . وكان أكثر البلاغيين تمسكاً بهذا المنهج رجال
الدرسة الكلامية كالسكاكي والقزويني وشرائح النطيش ، أما عبد القاهر الجرجاني
وضياع الدين بن الأثير وغيرهما من أعلام المدرسة الأدبية فلم يتجهوا هذا الاتجاه
ولم ينحروا هذا المنحى ، وإنما كانوا يحكمون بالتوق وتحسون مواطن الجمال

(١) شرح ابن عثيمين ج ١ ص ١١٠ .

(٢) كتاب سيويه ج ١ ص ٧ .

في الكلام . ونص من ذلك أن مزقت البلاغة شراً ممزق فكان الخذف في عدة مواضع ،
والذكر في ابواب متفرقة ، لاجلها درسنا في السند اليه مرة وفي السند نارة وفي
معلقات القمل نارة ثالثة . ومثل هذا يقال في الموضوعات التي بحثها عبد القاهر
وابن الاثير في فصول موحدة جمعت الروعة والشغ . وإثارة السيل وتهديب الفوق
وتسمية الملكة الادبية .

وتصل بأحوال الجملة موضوعات كثيرة ، غير ان الاختصار على أهمها وعلى ماله
علاقة بالاساليب المتنوعة أقرب إلى الدراسات البلاغية ، ولذلك سيكون الوقوف على
التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، والقصص .

التقديم والتأخير باب يتبارى فيه الاساليب وتظهر المزايا والفتريات ، وهو
دلالة على التحكم في القصاصة وحسن التصرف في الكلام ووضع الوضع الذي
يقتضيه المعنى . يقول التركشي : «هو أحد أساليب البلاغة ، فأنهم أتوا به دلالة على
تمكنهم في القصاصة وملكهم في الكلام والقيادة لهم ، وله في القلوب أحسن موقع
وأعذب ملأق» (١) .

واختفوا في عدة من المجاز ، فمنهم من عدة متعلان تقديم مازيته التأخير كالقول
وتأخير مازيته التقديم كالفاعل ، نقل كل واحد منهما عن ربيته وحقه . وقال التركشي :
«والصحيح انه ليس منه ، فإن المجاز نقل ما وضع له إلى ما لم يوضع» (٢) .
وللعلي لها في التقديم خمسة أحوال :

الاولى : تقدم الملة على معلولها عند القائلين بما كسبهم الكون على الكتابة والملا
على العلية .

الثانية : التقدم بالذات ، كسبهم الواحد على الاثنين ، على معنى ان الوحدة لا يمكن
تحقق الاثنيتة إلا بعد سبقتها :

(١) السند في علوم القرآن ج ٢ ص ١٢٢ .

(٢) ابراهيم ج ٢ ص ١٢٢ ، وينظر الفوائد ص ٨٢ .

الثالثة: التقدم بالشرف كتقدم الأتية على الأتباع والعلماء على الجهلاء
الرابعة: التقدم بالمكان كتقدم الإمام على المأموم وتقدم من يقرب إلى الحائضين
من تأخر عنه.

الخامسة: التقدم بالزمان كتقدم الشيخ على الشباب والأب على الابن (١). وهذه المعاني
ثابتة معروفة عقلاً، ولذلك لا يقع فيها تفاوت أو تفتن في التعبير :
وتقديم الشيء على وجهين :

الأول: تقديم على نية التأخير ، وذلك في كل شيء اقر مع التقديم على حكمه الذي
كان عليه وفي جنسه الذي كان فيه ، كخبر المبتدأ اذا قدم على المبتدأ ، والفعل
اذا قدم على الفاعل ، والتقديم لا يخرج الخبر أو الفعل عما كانتا عليه قبل التقديم .
الثاني : تقديم لاعتناء نية التأخير ، ولكن على ان ينقل الشيء عن حكمه إلى حكم
ويجعل باباً غير بابيه وأمرأياً غير أمرأيه ، وذلك أن يعد إلى اسمين يحتمل كل
واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر غيراً له فيقدم نكرة على ذلك والآخرى
ذاك على هذا ، بمثل : «زيد منطلق» ، «والمنطلق زيد» ، والتقديم والتأخير يؤثران
في معنى الجملة ، لأن ما يقدم هو المبتدأ أو المستند إليه وما يؤخر هو الخبر أو المستند ،
وكذلك «ضربت محمداً» و«محمد ضربه» فهـ محمد في الجملة الأولى مفعول به ،
وفي الثانية مبتدأ . وهذا يختلف عن النوع الأول الذي لا يخبر فيه حكم التقديم
أو التأخير ، ففي «منطلق زيد» و«زيد منطلق» ظل «زيد» مستنداً إليه و«منطلق»
مستنداً ، وفي «ضرب زيد عمرو» و«ضرب عمرو زيد» بقي «زيد» مستنداً إليه
- فاعلا - و«عمرو» مفعولاً به (٢) .

وباب التقديم والتأخير واسع لأنه يشمل كثيراً من أجزاء الكلام ، فالتسليم
يقدم لأغراض بلاغية منها :

- (١) الطراز ص ٦٦ .
- (٢) ينظر تفصيل ذلك في دلائل الإحصاء ص ٨٢ وما بعدها .

١ - انه الاصل ولا يقتضى القول منه كقديم الفاعل على المفعول ، والابتداء على الخبر ، وصاحب الحال عليها :

٢ - أن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن في البتداء تشويهاً إليه ، كقول المري :

ولقد حارت البسيرة لسهب حَبَّوَانٍ مستحدثت مسن جساد

٣ - أن يقصد تعجيل المسرة ان كان في ذكر المسد إليه تفازل : ومثل سديك

دارك ، أو المساة ان كان فيه ما يطرره مثل : السطاح في دار صديقك :

٤ - إيهام أن المسد إليه لا يزول عن الخاطر مثل : والله وبي .

٥ - إيهام التلذذ بذكره ، كقول الشاعر :

بالله يا ضياع القاع فُلِّنْ لَنَا ليلتي منكن أم ليل من البكر ؟

٦ - تخصيص المسد إليه بالخبر القعلي إن ولي حرف الذي مثل : وما أنا قلت هذا

وقول المتنبي :

وما أنا أنفست جسي به ولا أنا أضمرت في القلب نارا

٧ - تقوية الحكم وتقديره : كقوله تعالى : والذين هم بربهم لا يُكْرَهُونَ (١)

ومما يدخل في هذا الحكم تقديم «مثل» و«غيره» ، وقد قال عبد القاهر : «مما يرى

لتقديم الاسم فيه كالتلزم» مثل : و«غيره» في نحو قوله :

مِثْلُكَ يُلْقِي الْمُرَّةَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الْقَمِيحَ عَنْ فَسْرِيهِ

وكذلك حكم «غيره» اذا سلك به هذا السلك (٢) ، ومنه قول المتنبي :

غيري باكثر هذا الناس يستخدم إن قاتلوا جهنما أو جدكوا شجعوا

وقال القزويني : «واستعمال» مثل : و«غيره» هكذا مركز في الطباع ، واذا انصفت الكلام

وجدتهما يقدمان أبداً على الفعل اذا نحي بهما نحو ما ذكرناه ولا يستقيم المعنى

فيهما اذا لم يقدمتا : والسر في ذلك أن تقديمهما يفيد تقوي الحكم (٣) .

(١) للزبون ٥٩ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ١٠٦ .

(٣) الايضاح ص ٦٤ .

٨ - المادة العموم: مثل: «كل انسان لم يقم» فيقدم ليفيد بقيام عن كل واحد من الناس (١).

ويقدم المسند لاغراض منها:

١ - تخصيص المسند بالمسند اليه: كقوله تعالى: «وقل: ملكك السموات والارض» (٢) وقوله: «لكم دينكم وليّ ديني» (٣).

٢ - التبيه من أول الامر على أنه غير لائت ، كقول حسان بن ثابت يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم -:

له هَيْئٌ لا تَنْصِي لِكِبَرِهَا وَهَيْئُهُ الصَّغِيرُ أَجَلٌ مِنْ قَدْفَرٍ
له رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِثْلَهَا جَوْدَهَا عَلَى الْبَرِّكَانِ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ

٣ - التفاضل بتقديم مايسر ، مثل: «عليه من الرحمن ما يستحقه».

٤ - التشويق إلى ذكر المسند اليه ، كقول محمد بن وهب:

ثَلَاثَةٌ تَفْرُقُ الدُّنْيَا بَيْنَهُمَا شَسُّ الْقَضَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
وقول العمري:

وَكَاثِلُ الْحَيَاةِ فَمَنْ رَمَادَ أَوَانِعِهَا ، وَأَوَانِعِهَا دَخَانُ (٤)
ومن القديم: تقديم متعلقات الفعل عليه كالفعل والجار والجرور والحال ويكون ذلك لاغراض منها:

١ - الاختصاص: كقوله تعالى: «وإِنَّكَ تَعْبُدُ وَإِلَآهَ تَسْتَعِينُ» (٥).

٢ - الاهتمام بالمقدم: كقوله تعالى: «قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَبْنِي رِبَاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ» (٦).

٣ - التبرك: مثل: «وَمَا أَتَاكَ خَيْرٌ».

(١) ينظر مفاتيح العلوم ص ٩٣ ، والاصلاح ص ٥٣ ، وشرح الطخفين ج ١ ص ٣٨٩ .

(٢) آل عمران ١٨٩ .

(٣) الكافرون ٦ .

(٤) مفاتيح العلوم ص ١٠٥ ، والاصلاح ص ١٠١ ، وشرح الطخفين ج ٢ ص ١٠٩ .

(٥) البقرة ٥ .

(٦) الاحقاف ١٦٤ .

١ - ضرورة الشعر ، وهو كثير لا يحصره حد .

٥ - رعاية الفاعلة : كقوله تعالى : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ » وإنما السائل « فَلَا تَهْجُرْ » (١) :

وهذه الأغراض كثيرة ، وقد ذكر الرمخسري أن تقديم هذه الأنواع للاختصاص غير أن التأثير يرجع ذلك إلى وجهين :

الأول : الاختصاص ، كقوله تعالى : « وَقُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَيْهَا السُّلَاطِينُ » ولقد أوصي « اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركتَ لَنتَحِبَنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » بذكر الله « فَأَعْبُدْ » وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ » (٢) :

فإنه إنما قبل « وِإِلَهِكَ فَاعْبُدْ » ولم يقل « وِإِلَهِكَ فَاعْبُدْ » لأنه إذا تقدم وجب اختصاص العبادة به دون غيره ، ولو قال « وِإِلَهِكَ فَاعْبُدْ » لجاز إيقاع الفعل على أي مفعول شاء : الثاني : يختص بنظم الكلام ، كقوله تعالى : « وَإِلَاحُكَ تَعْبُدُ » وَإِلَاحُكَ تَسْتَعِينُ » وقد ذكر الرمخسري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك فإنه لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص ، وإنما قدّم لئلا كان نظم الكلام ، لأنه لو قال : « تَعْبُدُكَ وَتَسْتَعِينُكَ » لم يكن له من الحسن ما لقوله : « وَإِلَاحُكَ تَعْبُدُ » وَإِلَاحُكَ تَسْتَعِينُ » : ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : « وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين ، (٣) فجاء بعد ذلك قوله : « وَإِلَاحُكَ تَعْبُدُ » وَإِلَاحُكَ تَسْتَعِينُ » وذلك لرعاية النظام السجوي الذي هو على حرف النون ، ولو قال « تَعْبُدُكَ وَتَسْتَعِينُكَ » لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن ، وهذا غير محال على أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان ، (٤) .

وهناك أنواع كثيرة من التقديم لا ترجع إلى المسند إليه والمسند ولا إلى متعلقات الفعل عليه وإنما ترجع إلى أمور كثيرة ، بعضها التركيبية (٥) في أنواع التقديم

(١) أنصحر ٩ - ١٠ .

(٢) الزمر ٦٤ - ٦٦ .

(٣) إضافة ٢ - ٤ .

(٤) المثلث الباهر ج ٢ ص ٣٩ ، ونظر الطراز ج ٢ ص ٦٦ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٢٨ .

والشجر ، واسمها إلى ما قدم والمعنى عليه ، وما قدم والنية به التلخيص والتلخيص الأول واسع لمسيح ومقتضياته كثيرة ذكر منها خمسة وعشرين لوقا ، واسمها :

١. السبق : كقول تعالى : «ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى» (١)

٢. الذات : كقوله تعالى : «ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم» (٢) :

٣. العلة والسببية : كقوله تعالى : «إياك نعبد وإياك نستعين» (٣) ، لأن العبادة سبب حصول الإغاثة.

٤. الثوابية : كقوله تعالى : «غفورٌ رحيم» (٤) ، لأن المغفرة سلامة والرحمة غنمة ، والسلامة مطلوبة قبل النجاة.

٥. التعظيم : كقوله تعالى : «ومن ينقطع الله والرسول» (٥)

٦. العلة والكثرة : كقوله تعالى : «فمنهم ظالم لنفسه» ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله» (٦) .

٧. الاهتمام عند المخاطب : كقوله تعالى : «فحبوا بأحسن منها أو ردوها» (٧)

٨. مراعاة الألفاظ : كقوله تعالى : «الملك ، البين» (٨) ، فإن المفرد سابق على الجمع .

٩. قصد الترتيب

١٠. حطة الخط

١١. رعاية القاصلة : كقوله تعالى : «عبدوه فاعلموه» ثم الجحيم صكوه» (٩)

وهذه الأنواع التي ذكرها الزركشي لم ينطبق لها البلاغيون إلا من خلال الجسلة ،

(١) الأحزاب ٧ .

(٢) المائدة ٧ .

(٣) القاسم ٥ .

(٤) البقرة ١٧٢ ، وآيات كثيرة .

(٥) النساء ٦٩ .

(٦) قاطر ٣٢ .

(٧) النساء ٨٦ .

(٨) الكهف ١٦ .

(٩) الخاق ٣٠ - ٣١ .

والملك كالتقديم لها قاصرة ، اما الذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم فقد تجاوزوا هذه المرحلة ونظروا إلى التقديم والتأخير نظرة أوسع وأكثر عمقا فجات مادتهم الغرر وعراساتهم أنصب ، ولا يكاد يستثنى من ذلك إلا عبد القاهر الذي أبدع في تحليل الأساليب البلاغية ، ونقل النحو من الإعراب والبناء إلى المعاني التي تحتلها العبارات ، وكانت نظريته في «النظم» من أحسن ما عرف النقد القديم ، ومن أمثلة تحليله للتقديم والتأخير قوله في التكررة إذا قدمت على الفعل أو قدم الفعل عليها : «إذا قلت : وأجاءك رجل؟» قالت تريد أن تسأله : هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه : فإن قدمت الاسم قلت : وأرجل جاءك؟ » قالت تسأله عن جنس ما جاءه أرجل هو أم امرأة ؟ ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاك أنت ولكنك لم تعلم جنس ذلك الآتي فسيذك في ذلك سيذك إذا أردت أن تعرف عين الآتي قلت : «أريد جاءك أم عمرو؟» ولا يجوز تقديم الاسم في المسألة الأولى ، لان تقديم الاسم يكون إذا كان المسؤل عن الفاعل والسؤال عن الفاعل يكون إما عن عينه أو عن جنسه ولا ثالث . وإذا كان كذلك كان محالاً أن تقدم الاسم لتكررة وأنت لا تريد السؤال عن الجنس لانه يكون السؤال حيث متعلق من حيث لا ينبغي بعد الجنس إلا العين والتكررة لا تدل على عين شيء فيسأل بها عنه . قال قلت : وأرجل طويل جاءك أم قصير؟ كان السؤال عن أن المجيء من جنس طوال أرجل أم قصارهم ؟ فان وصفت التكررة بالجملة قلت : أرجل كنت عرفت من قبل أنصاك هذا أم رجل لم تعرفه ؟ كان السؤال المعطى أكان من عرفه قبل أم كان السائل لم يتقدم منه معرفة .

وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالتكررة في الاستفهام فابتنر الخير عليه ، فإذا قلت : فرجل جاءني لم يصلح حتى تريد أن تعلم أن الذي جاءك رجل لا امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك أنت ، فان لم ترد ذلك كان الواجب أن تقول : «جاءني رجل» فتقدم الفعل (١) .

(١) دلائل الإيجاز ص ١٠٩ - ١١٠ .

وهذه نعمة الله عليهم والتأخير في اللغة العربية ، وليس من الغيب أن يشغل البلاغيون
 -- وعمل رأسهم عبد قاهر -- أنفسهم بهذه المسألة أو غيرها من المسائل الأخرى
 المتصلة بالاصايب لولا أن لكل تعبير معناه ، ولكل وضع هدفه ومفراؤه وفي ذلك
 اتساع في القول ولقدرة على التعبير :

المبحث الثاني الفصل والوصل

ذهب كثير من البلاغيين إلى أن أسلوب الفصل والوصل فن عظيم، صعب الملتك، دقيق المأخذ، لا يحيط بأسراره إلا من لوتى فهم كلام العرب طبعاً سليماً وورق في اثرات أسراره ذوقاً صحيحاً. ولذلك قصر بعضهم البلاغة على معرفته، ولكن بعضهم، كالغزويني قال: «وما قصرها عليه لان الامر كذلك، وانما حاول بذلك التنبه على مزيد غموضه وان احداً لا يمكن فيه إلا كل في سائر فنونها، فوجب الاعتناء بتحقيقه على أبلغ وجه في البيان» (١).

والوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، ولذلك ترى أن يبحث هذا الموضوع بعد بحث الجملة لارتباطه بها ولأنه يخص الجمل ومطابها حينما تفصل أو تربط لا مشاركة الثاني للاول في الاعراب وحده، قال العلوي: «ولست أفيد تلك الاسرار واللطائف ما يكون متعلقا بطول الاعراب من كون الاحرف العاطفة تلحق المعطوف في الاعراب، بل تريد أمراً يخص من ذلك وأغوص على تحصيل الاسرار الغريبة واللطائف العجيبة» (٢).

تكلم الجاحظ (٣) وغيره من أوائل الفناد على الفصل والوصل، ووقف عنده أبو حلال العسكري وقفاً طويلاً وذكر اقوالاً كثيرة تدل على أهمية هذا الموضوع من ذلك أن المؤمن قال لبعضهم: «من أبلغ الناس؟ فقال: من قرّب الامر البعيد المتناول والصعب القرب بالانقاط البسيرة. قال: ما عدل سهكت عن الغرض، ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار حاجته، ولا يميل الفكرة في اغتراس ما صعب عليه من الانقاط ولا يكثر المعاني على اقوالها في غير منازلها، ولا يعتمد

(١) الايضاح ص ١٢٢.

(٢) التلويح ج ٢ ص ٢٢.

(٣) ينظر البيان والبيان ج ١ ص ٨٨.

لغريب الوحشي ولا لفاط السوي، وإنّ البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة بمواقع
الفصل والوصل كانت كالكلي بلا نظام (١).

ويبحث أبو خلال في هذا الفصل، ما ينصل بفصول القصيدة ومقاطعها، وهم يموتون
بالفصول والمقاطع أواخر الآيات التي تتأهل مطالعها وأبداءها، وتطرق إلى قواعد
كتاب الفصول أن من حسن القطع جودة الفاصلة وحسن موقعها وتمكنها في
موضعها وذلك على ثلاثة أضرب :

الأول : أن يضيق على الشاعر موضع القافية فيأتي بلفظ قليل الحروف فيتم به
ليث كقول زهير :

وأعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عتي
وقول القافية للذياني :

كالأحوان غداة غيب سماءه جفت أماله وأسفه تسدي (٢)
وقوله :

لا مرحباً بك ولا أهلاً به إن كان تفريق الأحياء في غير
أريد الفرار غير أن وكابنا لما نزل برحائنا وكان قسداً
الثاني : أن يضيق به المكان أيضاً ويعجز عن إيراد كلمة سائلة تحتاج إلى إعراب
ليتم بها البيت، فيأتي بكلمة معطلة لا تحتاج إلى الإعراب فيتم به، مثل قول زهير :

صحا القلب من سلمي وقد كاد لا يسلمو وأقر من سلمي الثعالب فالتقل (٣)
ثم قال :

ولقد كنت من سلمي شبيهاً ثانياً على صيّر أمر ما يمر وما يحلو (٤)
الثالث : أن تكون الفاصلة لاقية بما تنضمها من لفاظ الجزء من الرسالة أو البيت
من الشعر وتكون مستطرة في قرارها وتمسك في موضعها حتى لا يسد مسداً
غيرها وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف كقوله تعالى : هراء هو أضحك وابكي ،
وأنه هو أمات وأحيا ، وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى، (٥) وقوله : «والأحرار»

(١) كتاب الصانين ص ١٣٨.

(٢) غيب سماءه : الظرف.

(٣) الثعالب والتقل : وأوهان .

(٤) صير أمر : سدها .

(٥) الفصح ١٣ - ١٤ .

جاءت لك من الأولى وسوف يُعطيك ربك قرصاً (١) ، «أبكي» مع «اضحك»
و «أبها» مع «أبأت» و «أبكتي» مع «الذكر» و «الأولى» مع «الأخرى» و «الرضا»
مع «الغلبة» ، في نهاية الجردة وغاية حسن الوقع .

ومن الشعر قول الحطيم :

هَمُّ القوم الذين إذا اتَّمت من الأيام مقلمة أضلوا
وقول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبَّ تكشفت له عن عذو في ثياب صديقر
و«الصديق» هنا جيد الوقع ، لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو يحتاج إليه

ودراسة أبي هلال وغيره من البلاغيين والقراء لهذا الموضوع تختلف عن دراسة
بلاغيين الآخرين ، ولذلك لا نجد في دراساتهم ما تطرق إليه أبو هلال . ولعل عبد القاهر
المجرجاني كان من أوائل الذين بحثوه بحثاً مفصلاً يترجم على التقسيم والتحديد
والتعليل والتحليل ويربطه بباب العطف عندما ربط البلاغة بمعاني النحو وجعل
النظم نوعاً له .

ولقد أجمل مواضيع الفصل والوصل بقوله : «إنَّ الجمل على ثلاثة أغرب :

١ . جملة حلقاً مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع التوكيد فلا يكون
فيها العطف البتة لشيء العطف فيها - لو عطف - بعطف الشيء على نفسه .
٢ . جملة حلقاً مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يشاركه
في حكمه ويدخل معه في معنى مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو
مضافاً إليه فيكون حينها العطف .

٣ . جملة ليست في شيء من الخالين ، بل سيلها مع التي قبلها مبدل الاسم مع الاسم
وأيكون منه في شيء فلا يكون أباه ولا مشاركاً له في معنى بل هو شيء إن ذكر
بذكر الآخر يفرد به ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم
اعتنن بيته وبينه رأساً ، وحق هذا ترك العطف البتة .

فترك القطع يكون اما للاتصال الى الثانية ، أو الانفصال الى الثانية ، والقطف
 لما هو واسطة بين الامرين ، وكان له حال بين حالين ، فاحرفه (١) : وعلى هذا
 الاساس وضع عبد القاهر اصول بحث الفصل والوصل ، والقواتية ، وذكر الامثلة
 الكثيرة : وجاء علماء البلاغة فاختصروا بحروف وببروها ، وكان تحديدهم أدق
 ضبطاً ، وقواعدهم أكثر تفصيلاً . وكان السكاكي من أشهر الذين تبعوه ولكنه لم
 يوضح الموضوع ولم يبحث بحثاً جيداً ، والصرف الى الكلام على الجملع والقواعد ،
 واستناد الخطيب القزويني من الرجلين فكان بحثه تفصيل والوصل يجمع بين تحديد
 القاعدة والشرح والتعليل ، أي بين طريقي عبد القاهر والسكاكي : ثم جاء شراح
 الخطيب فأولوا هذا الموضوع عناية كبيرة وانتهى الى صورته الأخيرة التي نجدها
 في كتب البلاغة .

مواضع الفصل:

يجب الفصل في خمسة مواضع :

الأول : أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وهو كالاتصال ، وذلك :
 ١ . أن تكون الجملة الثانية تركيماً للأولى ، والمقتضي للتأكيد دفع توهم التجوز
 والقطف ، وهو كتمان :

أحدهما : أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في العبارة
 لتفريق مع الاختلاف في المعنى ، كقوله تعالى : « وألم ذلك الكتاب لأريب فيه » (٢) ،
 فإن وزن « لأريب فيه » وزن نفسه في « جاءني محمد نفسه » :

وقوله : « كان » لم يستعملها ، كان في أفنية وكثراً » (٣) ، فالتالي مقرر لما أتاه
 الأول :

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٧ .

(٢) البقرة ١ - ٢ .

(٣) كتمان ٧ . التور : النقل في الإلحاح .

والتيهما: أن تنزل الثانية من الأولى مترلة تأكيد القطعي من متبوعه في اتحاد المعنى ،
 كقوله تعالى: «ذلك الكتاب لا ريب فيه هُدًى للمتقين» (١) فإن «هَدًى للمتقين»
 معناه: أنه في الهداية بالغ درجة لا يترك كتبها حتى كآله هداية مصفة.
 ومن أمثلة تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى قول النبي :

وما الشعر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشأ
 فالجملة : «إذا قلت ... توكيد للأولى، لأن معنى الجمليتين واحد، ومنه قول الشاعر:
 يهوى الثناء مهزاً ومقصراً حب لثناء طيبة الإنسان
 فالجملة «حب لثناء ...» توكيد للأولى، لأن معنى الجمليتين واحد.

٢. أن تكون الجملة الثانية بدلاً من الأولى، والقطعي للإبدال كقول الأولى
 غير وافية بشام المراد بخلاف الثانية والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لكثرة ككثوره مطلوباً
 في نفسه أو فصيحا أو عجبيا أو لطيفا ، وهو ضربان، أحدهما : أن تنزل الثانية من
 الأولى مترلة بدل البيض (٢) من متبوعه ، كقوله تعالى «أمدكم بما تعلمون ،
 أمدكم بالعامر وبين . وجنات وعيون» (٣) فإنه مسوق للتنبه على نعم الله تعالى
 عند المخاطبين ، وقوله : «أمدكم بالعامر وبين وجنات وعيون» أولى بتأديته
 مما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير إحالة على علمهم مع كونهم معاندين ،
 والإمداد بما ذكر من الأنعام وغيرها بعض الإمداد بما يعلمون ، ويحتمل الاستئناف ،
 والتيهما : أن تنزل الثانية من الأولى مترلة بدل الاشتغال (٤) من متبوعه كقوله
 تعالى «اتبعوا المرسلين : اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون» (٥) ، فإن المراد
 به حمل المخاطبين على اتباع الرسل ، وقوله : «اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم

(١) القرآن .

(٢) بدل البيض: هو بدل الجزء من كل ما لا كان ذلك الجزء أو سائرها لتصف لم
 أكثر منه . مثل : «جاء الطلاب ربهم أولئهم أو ثلثاء» .

(٣) الشعراء ١٣٢ - ١٣٤

(٤) بدل الاشتغال: هو بدل الشيء ما يشغل حظه على شرط أن لا يكون جزء منه . مثل
 «ففعني الشغل عليه» . وأصبحت خالفاً شجاعاً .

(٥) يس ٢٠ - ٢١

ميتون ، لوفى بأدبة ذلك لان معناه : لا تفسرون معهم شيئا من ديناكم وتريحون
 صفة ديتكم فينظم لكم خير الدنيا وغير الاخرة :
 ومن قول الشاعر :

أقول له ارحل ، لا تكفيني عتدا والأفكن في الدرو والجهر مداما

وقد فصل « لا تكفيني » عن « ارحل » قصد البذل ، لان المقصود من كلامه هذا
 آكل الظهار الكراهة لاقامته بسبب خلاف سره العلن ، ونقول : « لا تكفيني عتدا »
 لوفى بأدبة هذا المقصود من قوله « ارحل » لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد :
 ٣. أن تكون الثانية بيانا للاول ، وذلك بان نقول منها منزلة عطف البيان من
 مشروعه في أفادة الإيضاح ، والمقتضي للتيين ان يكون في الاول نوع عفاء مع
 التضاء للمقام الزاالة ، كقوله تعالى : « فوسوس اليه الشيطان » ، قال : يا آدم هل
 أدركك على شجرة الخلد ومثلك لا يئلى ؟ (١) ، فصل جملة « قال » عما
 قبلها لكونها تفسيرا له وتبيانا :

ومن قول المعري :

الناسُ الناس من بدو ومن حنصير يتعصر بعض وإن لم يشعروا خديم
 فالجملة الثانية « بعض البعض .. » إيضاح للاول « الناس الناس ... » وهي بيان لها ،
 الثاني : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع ، وذلك :

١. ان تختلف الجملتان خبرا والنشاء لفظا ومعنى ، كقول الشاعر :

وقال رائدهم : أرسوا نزاولها فكل حنف امري بهجري بمطمار

فالجملة الأولى : « أرسوا » النشاء لفظا ومعنى ، و « نزاولها » خبر لفظا ومعنى لان
 الترضي لتعليل الأمر بالارصاد بالزواولة للحرب أي : « أرسوا » الضميمة نزاول الحرب ،
 أو معنى لا لفظا ، مثل : « مات فلان » ، رحمه الله ، فالجملة الأولى خبرية لفظا ،
 والثانية أنشائية معنى لا لفظا ، لان لفظ الفعل خبر لا أمر .

(١) ط ١٢٠

١. أن لا يكون بين الجملتين جامع أو مناسبة بل تكون كل جملة مستقلة بنفسها
مثل : « الليل رهيب . أهبل محمد » و« صلة بين الجملتين » ولذلك ترك المصنف
بينهما لكسالة الانقطاع .

الثالث : أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى فتقول
منزله ويسى هذا شبه كمال الاتصال ، أو : « الاستئناف » والاستئناف ثلاثة أقرب ،
لان السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى إنما عن :

١. سبب الحكم فيها مطلقاً ، كقول الشاعر :

قال لي : كيف أنت ؟ قلت حليل سهرٌ دائمٌ ، وحزنٌ طويلٌ

أي : ما باللك حليلاً ؟ أو ما سبب حلتك ؟

وقول الآخر :

وقد غرغرتُ من الدنيا فهل زمني منعطٌ حياتي لفرّ بعدما غرغرتُ (١)

جرئت دهرى وأهليه فما تركت لي التجارب أي ود امرئ غرغرتُ
أي : لم تقول هذا ربحك ؟ وما الذي التفتاك أن تطوي من الحياة إلى هذا الحد
كشحك ، أي تعرض عنها .

٢ - أو عن سبب خاص له كقوله تعالى : « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارةٌ
بالسوء » (٢) . كأنه قيل : هل النفس أمارة بالسوء ؟ قيل : إن النفس لأمارة
بالسوء .

٣ - أو عن غير هذين التمرين ، كقوله تعالى « وقالوا : سلاماً ، قال : سلام » (٣)
كأنه قيل : فماذا قال إبراهيم عليه السلام ؟ قيل : قال سلام .
ومنه قول الشاعر :

زَجَمَ العَرَاذِلُ كُنْزِي فِي خُمرةٍ صَدَقُوا ، وَلَكِنْ غُرَّتِي لَأَتَجَلِي (٤)

(١) غرغرت: غدير وصل. امرئ: من لا تجربة له

(٢) يوسف ٥٣ .

(٣) هود ٦٩ .

(٤) النقرة: الشدة

لما حكى عن العواذل أنهم قالوا : هو في غمرة ، وكان ذلك مما يحرك السامع في
 يسأله فيقول : فما قولك في ذلك وما جوابك عنه ؟ أخرج الكلام مغرجه إذا كان
 ذلك قد قيل له وصار كأنه قال : أقول صدقوا أنا كما قالوا ولكن لا مطمع لهم في
 خلاصي ، ولو قال : زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا ، لكان يكون لم يصح
 في نفسه أنه مغلوط وإن كلامه كلام مجيب (١).

ومنه قول الوليد بن يزيد :

عزّت للنزول الخلاصي عفا من بعد أحوال
 صفاء كل حندان صوف الوابل هطال (٢)

فإنه لما قال : عفا ، وكان العفا مما لا يحصل للنزول بنفسه كان مظنة أن يقال عن
 القاضل .

ومنه قول المتنبي :

وما عفتني الرياح له متحلا عفا من حسنة بهم وصافا
 فإنه لما نفى الفعل للوجود عن الرياح ، كان مظنة أن يقال عن القاضل .
 وقد حذف صدر الاستئناف لقيام قرينة ، كقوله تعالى : ويسبح له فيها
 بالغنم والآمال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (٣) فيمن
 قرأه يسبح ، متبعا للمفعول - قمعجول - كأنه قيل : من يسبحه ؟ فقيل رجال .
 وقد حذف الاستئناف كله وبقي ما يدل عليه مقامه ، كقول الشاعر :

زعمتم أن أعصيتكم فمرش لهم إنف وليس لكم إنف (٤)
 حذف الجواب الذي هو : كذبتم في زعمكم ، وأقام مقامه فلم إنف . وليس لكم
 إنف مقامه لدلالته عليه . ويجوز أن يقتدر قوله : لهم إنف ... جوابا لسؤال

(١) ينظر دلائل الإعجاز ص ١٨٢ .

(٢) عفا : محاذ . حنان : صوت . والقصود الرشد المصاحب للسر .
 صوف : شديد اللون . الوابل : المطر الشديد .

(٣) النور ٣٦ - ٣٧ .

(٤) الأنف والأيلاف : العهد .

الافتاء الجواب المحذوف كأنه قال التكلم : وكلجتم ، قالوا : ولم كلجنا ؟
فقال : ولم إلف وليس لكم إلف فيكون في البيت استئناف .

والجاء محذوف ولا يقام شيء مقامه ، كقوله تعالى : ونعشم العبد (١) أي :
أبوابه ، أو «هو» ، دلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه (٢) .

الرابع : أن يكون بين الجملتين شبه كمال الانقطاع ، وذلك بأن تكون الجملة
الثانية بمنزلة القطعة من الأول وينبغي هنا الفصل لأن عطفا عليها موهم لعطفا
على غيره ، ويسى هذا الفصل وقطعاً . ومنه قول الشاعر :

وتعان سلس أني أبني بها بكداً ، أراها لي الضلال لهميم
لم يعطف وأراها على وتغن ، فلا يتوهم الساع أنه معطوف على «أبني» لقربه منه ،
مع أنه ليس بمبراد ، ويحصل الاستئناف .

الخامس : أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع
مع قيام الناتج من الوصل كأن يكون للأول حكم لم يقصد إعطاؤه لثانية ، كقوله
تعالى : وإذا عتقوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون : الله
يستهزئ بهم (٣) . فجملة والله يستهزئ بهم لا يصح عطفا على جملة
وقالوا : : : ، فلا يلزم من ذلك اختصاص استهزاء الله بهم بوقت خلوعهم إلى
شياطينهم ، والواقع أن استهزاء الله بهم غير ملحق بوقت من الأوقات . ولا يصح
أن تعطف جملة والله يستهزئ بهم على جملة وإنا معكم ، فلا يلزم أن تكون
من مقول المتألفين مع أنها من مقول الله تعالى :

مواليع الوصل :

يجب الوصل في ثلاثة مواضع :

الأول : أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام ، وذلك بأن تكون
أحدهما خبرية والأخرى انشائية ولو فصلت لأوهم الفصل خلاف المقصود

(١) من ١١ .

(٢) تبدأ الآية ١١ بقوله تعالى : هوذا كرم عبدنا أيوب .

(٣) البقرة ١١ - ١٢ .

ومنه قول القلاء : «لا، وأبدك الله»، ومثل : «لا، وألفك الله»، و «لا، وحفظك الله» .

الثاني : أن تكون الجملة من متفتين غيراً وإنشاءً قطعاً ومعنى كقولہ تعالى : «إنَّ الْإِبراهيمَ لَمَنِّي» . وإنَّ القبحَكَ لَمَنِّي جسيم (١)، وقوله . «يُخْرِجُ الْمَنِّي» من لبيت وَيُخْرِجُ الْبَيْتَ من المني (٢)، وقوله : «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» (٣)، وقوله . «فَوَكَّلُوا وَأَشْرَبُوا وَلَا تُنْزِرُوا» (٤) .

لو أن تكونا متفتين غيراً وإنشاءً معنى لالفتا كقولہ تعالى : «وَالأُفْدَالُ» ميثاق بني اسرائيل، لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، وبالوالدين إحسانا، وذی القربى واليتامى والمساكين، وقولوا الناس حسنة (٥)، عطف قوله : «فولوا على قوله : لا تعبدون» لأنه بمعنى : لا تعبدوا .

الثالث : أن يكون الجملة الأول هل من الاعراب وتعد اشارة الجملة الثانية لها في الحكم الاعرابي، وهذا كمعطف الفرد هل للفرد، لأن الجملة لا يكون لها هل من الاعراب حتى تكون واقعة مرفوع للفرد، وينبغي هنا أن تكون متعدياً بين الجملةين كقولہ تعالى : «وَعَلَّمَ مَا بَلَغَ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا، وَمَا يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمَا يُخْرِجُ لَهَا، وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ» (٦) .

وقوله : «وَالَّذِي يَبْقَى وَيُسْطُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» (٧) : ولذلك عيب على أبي تمام . لا والذي هو عالم أن تولى صير، وأن أبا الحسين كريم

(١) الاطلاق ١٢ - ١٤ .

(٢) الردم ١٩ .

(٣) الله ١٤٢ .

(٤) الاعراب ٣١ .

(٥) البقرة ٨٣ .

(٦) سبأ ٢ .

(٧) البقرة ٢٥٥ .

إذ لا متعدي بين كرم أبي الحسين - محمد بن وهب - ومرارة القوي، ولا تعلق لأحدهما بالآخر .

ومن إشراك الجملة الثانية بالأولى في الحكم الإعرابي قول المتنبي .
والدسر مني موضع لا يتأله نديم ولا ينفضي إليه شراب
فجملة «لا يتأله نديم» صفة «موضع» ولذلك جاز أن تعطف عليها جملة «ولا ينفضي إليه شراب» .

وذكر عبد القاهر الجرجاني لوقاً من الرصع (١) وهو أن يؤتى بالجملة فلا تعطف على ما يليها ولكن تعطف على جملة بينها وبين هذه التي تعطف جملة أو جملتان، مثال ذلك قول المتنبي .

تولوا بقتة فكان بيتنا تهيبي فاجاني الغيبالا
فكان مسيرهم ذبيلاً وسير النعم إنهم أنهمالا
قوله . «فكان مسيرهم» معطوف على (تولوا بقتة) دون ما يليه من قوله «فاجاني» لأننا إن عطفناه على هذا الذي يليه أتدنا المعنى من حيث أنه يدخل في معنى «كان» وذلك يؤدي إلى أن لا يكون «سيرهم» حقيقة ويكون متوهماً كما كان تهيبي حين ذلك؛ وهذا أصل كبير . والسبب في ذلك أن الجملة المتوسطة بين هذه المعطوفة وأخرى، والمعطوف عليها الأولى ترتبط في معناها بتلك الأولى كالذي ترى أن قوله «فكان بيتنا تهيبي» مرتبط بقوله «تولوا بقتة» وذلك أن الثانية مسبب والأولى مسبب : ألا ترى أن المعنى «تولوا بقتة فترهبت أن بيتنا تهيبي» ولا شك أن هذا التوهم كان بسبب أن كان القول بقتة ، وإذا كان كذلك كانت مع الأولى كالشيء الواحد، وكانت مترلها منها مترلة المقول والظرف وسائر ما يجري بعد تمام الجملة من معمولات الفعل، مما لا يمكن الفراده على الجملة وإن يفتد كلاماً على حدته :

(١) ينظر دلائل الامتياز ص ١٤٥ .

م قال : «وهنا شيء آخر دقيق، وهو أنك إذا نظرت إلى قوله : «فكان سير
 عيسهم فبلا» وجدته لم يعطف هو وحده على ما عطف عليه ولكن تجد العطف قد
 تناول جملة التي مربوطاً آخرها بآوله ، ألا ترى أن الغرض من هذا الكلام أن يجعل
 توليهم بنته وعلى الوجه الذي توهم من أجله أن الذين تهيئه مستحقاً بكلامه وموجباً
 أن يتحمل صفة ظم بعته أن يذكر فعلاً القيس إلا ليدكر إعلان النسخ وأن يوفق
 بينهما، وكذلك الحكم في الأول : فتح أن كنا قلنا أن العطف على «تولوا بنته»
 فلا لا يعني أن العطف عنده شرطاً عما بعده بل العطف عليه مضموماً إليه
 ما بعده إلى آخره ، وإنما أردنا بقولنا : إن العطف عليه ، أن نعلم أنك أنه الأصل
 والقاعدة وأن تصرفك عن أن تطرحه وتجعل العطف على مايلي هذا الذي تضمنه
 فتوهم أن قوله «فكان سير عيسهم معطوف على «فأجابني» قطع في الخطأ كالأدي
 ! بآك تأمر العطف لأن موضوع على أنك تعطف تارة جملة على جملة وتعدد أخرى
 إلى جملتين أو جعل تعطف بنسأ على بعض ثم تعطف مجزوع على مجزوع
 تلكه : (١) :

التران الجملة الحالية بالواو

ويتصل بالفصل والوصل التران الجملة الحالية الواو وعدم اقترانها بها ، وقد
 ألفته البلاغيون بهذا البحث ، وعقد له عبد القاهر الجرجاني والقرطبي والسيكاكي
 والقرطبي فصولاً (٢) في كتبهم والخطوة باب الفصل والوصل : ولكن دراسة
 عبد القاهر كانت أصح هذه الدراسات ولذلك سيكون تلخيصها هنا شرحاً للموضوع
 ونسأ له :

نهي الحال تارة مع الواو والآخرى بنهر الواو ، وفي تمييز ما يقتضي الواو عما
 لا يقتضيه صراحة والقول في ذلك :

(١) دلائل الإعجاز ص ١٨٩ .

(٢) دلائل الإعجاز ص ١٥٠ وينظر ونهاية الإعجاز ص ١٣٧ ، ومفتاح العلوم ص ١٣١
 والاشتقاق ص ١٦٥ .

١ - ان الجملة إذا كانت من مبتدأ وخبر فالغالب عليها أن تأتي مع القول، مثل :
« جاء محمد وعمر بن الخطاب » . ومنه قول امرئ القيس :

أبغضني والمشرقي مضاجعي ومستونة زرق كآباب أغوال
مثال غلوها من قولها لهم « كلمته نوره إلى نبي » و« رجع عردة » على بذلك ،
٢ - ان كان المبتدأ من الجملة خبر ذي الحال فيصلح بغير القول ، مثل : « جاء
محمد وهو راكب » .

٣ - ان كان الخبر في الجملة من المبتدأ أو الخبر ظرفاً ثم كان قد قدم على
المبتدأ ، مثل : « عليهم السلام » كثر فيها أن تأتي بغير واو . ومنه قول بشر :

إذا التكرتني بلدة أو تكرتنيها خرجت مع البازي علي سواد
٤ - وان كانت الجملة من فعل وفاعل والفعل مضارع مثبت غير منفي لم يكد
يأتي بالقول مثل : « جاء محمد يسمى أنس » بين يديه ، أو « جاء محمد يسمى » ،
وعليه التزيل والكلام ، ومثاله قوله تعالى : « ولاتمتحنن تستكثرن » (١) وقوله :
« وتَسْتَجْتَنِبُهَا الْأَعْيُنُ » الذي يأتي ماله بتركى (٢) ، وقوله : « وَيَكْرَهُهُمْ فِي
طَعْنَانِهِمْ يَتَعَتَبُونَ » (٣) .

٥ - فان دخل حرف نفي على المضارع تغير الحكم فجاء بالقول وتركها كثيراً ،
كقول مسكين القنومي :

أَكْبَهُ السُّورِيُّ لَيْسَ أَبَا ولقد كان ولا يَدْعُنِي لِأَب
وقول مالك بن ربيع وكان جنى جنة فطلبه مصعب بن الزبير :

أَتَلَقِي مَصْعَباً وَبَشُو بِهِ فابن أحميد عنهم لا أحميد
أَتَلَقُوا مِنْ عَصِي وَوَعَدُونِي وكنت وما يَنْهَيْنِي الرَّحِيمُ (٤)

(١) الفرق ٦ .

(٢) القيل ١٧ - ١٨ .

(٣) الأعراف ١٨٦ .

(٤) لم يجلوا من ذي نرداء ، وهي النية .

وقول الشاعر :

مضوا لا يريدون الزواجَ وخلاتهم
من قهر أسباب جرين على قدر
وقول احشي حملان :

أينما أصهبان فهزكنا وكنتا قبل ذلك في نهب
وكان سفاقةً مني وجهلاً مسيري لا أسير إلى حميم
في الثالثين الأولين الترتب بالولو ، وفي الثالثين الآخرين لم الترتب .

٦ - وما يجيء بالولو وغيره بالماضي ، وهو لا يقع حالا إلا مع : قد مضى
أو مضى : مثل : « أثنى وقد جهده السير » . ومثال ما جاء به بالولو :

فأتوا بالسرماح مكسراتٍ وأبنا بالسيف ، قد التحننا
محضات الوصل :

من محضات الوصل تناسب الحملتين في الأسمية والقطبة ، وناسب الحملتين
القطبتين في الماضي والمضارع ، وفي الإطلاق والتقييد ، ولا يدخل عن ذلك إلا لغرض
أو لمصلحة ، كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت مثل : « قام محمد وعمر
فأعده إذا أريد أن قيام محمد متجدد وعمر ثابت مستمر : أو أن يراد حكاية
الحالة الماضية واستحضار الصورة في الذهن كقولهم تعالى : « فزينا كذاهم وفريفاً
تكتلون » (١) :

أو أن يراد الإطلاق في إحداهما والتقييد في الأخرى كقولهم تعالى : « وقالوا
لولا أنزل عليه ملكٌ » ، « لو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر » (٢) ، « والحكمة الأول
مطلقة ، والثانية مقيدة ، لأن الشرط مقيد الجواب » (٣) :

(١) البقرة ٥٧ .

(٢) الأنعام ٨ .

(٣) ينظر ملحق العلوم ص ١٣١ ، والإيضاح ص ١٦٥ ، وروح التلخيص ج ١ ص ١٠٩ .

الفصل والوصل في المفردات :

لم يتعرض البلاغيون إلاّ للجمل حينما تربط أو تفصل، أما المفردات فلم يتعرضوا لها، ولعل السبب وضح هذه المسألة أو أنّ الحكم يعلم من الجملتين: وكان عبد القاهر الجرجاني قد ابتعد من الحديث عن عطف المفردات ميلاً للحديث عن عطف الجمل، ولكنه لم يترك لهذا القسم دراسة لأنه مما يتحدث عنه النحاة ولا يقع فيه الإشكال. (١) وأشار السكاكي إلى أنّ الفصل والوصل بين الجمل هو الأصل في هذا الفن (٢)؛ وظن الخطيب القزويني أنّ غير ذلك متروك ولذلك عرف هذا الأسلوب بقوله: «الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه» (٣) وعلى ذلك صار شراح تلخيصه غير أنّ لصاحبه عطف على كلام الغزالي بقوله: «وعبارته مشيرة بأنّ الفصل والوصل مختصان اصطلاحاً بالجمل وللتقتضيات لهذا جارية في المفردات أيضاً. فلا ينبغي التخصيص اصطلاحاً ونحن نلهم من عبارة القناع عدم اختصاصهما بها، وإنما هما الأصل في الجمل حيث قال: «تميز موضع العطف عن غير موضع» في الجمل هو الأصل في هذا الفن» (٤)؛ ولحقها في المفردات أيضاً فلا يكون بمنزل عن البلاغة، وكيف يظن أنّ عطف الجمل التي هي أفعال، أو أحوال لصاحب، أو صفات لمتروك، وتركه مبنات على أحوال دون ماني المفردات» (٥).

ولعل بهاء الدين السبكي شارح تلخيص القزويني، كان من أحسن الذين تعرضوا لهذا البحث، وقال أنّ الأصل في المفرد فصله عما قبله، لأن ما قبله (٦):

(١) دلائل الإعجاز ص ١٧١ وما بعدها.

(٢) مفتاح الأصول ص ١٢٠.

(٣) الإيضاح ص ١١٢.

(٤) هذه عبارة السكاكي في القناع ص ١٢٠.

(٥) شرح الأصول ج ٢ ص ٢.

(٦) مدروس الأثر - لروح التلخيص ج ٣ ص ١١٢ وما بعدها.

١ - اما عامل فيه مثل «زيد قائم» فلا يحذف المفعول عن عامله؛

٢ - أو مفعول فلا يحذف العامل عن مفعوله.

٣ - أو كلاهما مفعول والفعل يطلبها طلباً واحداً فلا يمكن حذفه لأنه يلزم قطع العامل عن الثاني مثل: «علقت زيدا قائماً» .

وإذا اجتمع طرفان وامكن من جهة فصناعة حذفت احدهما عن الآخر فإن كان بينهما جامع تم الوصل وإلا كان الفصل هو الأساس؛

ومار بهاء الدين السبكي في بحث هذا النوع عن منتهجه في الجمل، وهو القام:

الأول : أن يكون بين الطرفين كمال الانقطاع بلا إيهام غير المراد مثل: «زيد علم قائم» فإنه لا جامع بين علمين الخبرين ولذلك يفصلون، ومثل ذلك الأعداد واحد اثنان ثلاثة أربعة ...، وحروف الهجاء ألف باء... بقي مثل هذه الحالة يجب الفصل.

الثاني : أن يكون بينهما كمال الانقطاع وفي الفصل إيهام غير المراد مثل : «علقت زيدا ضارباً» وعاءاً، فيجب الفصل إذا لم يحذف لزم أن «علماً» مفعول «ضارباً» .

الثالث : كمال الاتصال بأن يكون تأكيداً معرباً، أو تظيلاً، أو عطفاً بيان أو نعتاً، أو بدلاً نحو «جاء زيد نفسه» و «جاء زيد أبو عبد الله» و «جاء زيد قائماً» فلا يحذف شيء من ذلك.

أو يكون في معنى واحد من هذه الأمور كما في حذف الجمل أو فصلها، أو أن يكونا بمنزلة غير واحد، مثل: «هذا حلو حامض» إذا جمعتهما خبرين.

الرابع : شبه كمال الانقطاع بأن يكون المفرد الأول حكم ويقصد اصطلاح الثاني فهو «موجب» إن قصد صالح، إذا أريد الإخبار بأنه صالح مطلقاً فإن حذفت «صالح» حل «موجب» يوهم أنه صالح إن قصد، لأن الشرط في أحد المتماثلين شرط في الآخر بخلاف الشرط في واحد من غيري المبتدأ. وتارة يكون عطفاً على المفرد قبله يوهم عطفه على غيره مثل «كان زيد ضارباً صراً قائماً» فلو قيل : «وقائماً» لأوهم أنه معطوف على «صراً» للمفعول .

المخلص : شبه كمال الاتصال ، مثل «زيد غضبان» تلخص الخطء كأن سائلا سأل :
لم غضب ؟

المخلص : أن يكون بينهما التوسط من كمال الانقطاع وكمال الاتصال مثل «زيد
مضطرب» على أن يكونا غيرين ، فإذا أريد جعل الثاني صفة تهيئ الوصول :
أما الحذف بين الجمل وللفردات ، فقد جرّز أكثر النحاة حذف الفعل على
الاسم وحذف الاسم على الفعل إذا كان كل منهما في تقدير الآخر : وقال السجستاني
بمن حذف الفعل على الاسم إذا كان اسم قاعل ، ويصح حذف الاسم على الفعل .
وقال أن مثل «مررت برجل يقوم قاعدة مستع» إلا على وجه . وجرّزه الزجاج كحذف
الفعل على الاسم ، والأكثرون على الجواز . (١) قال تعالى : «صَالِحَاتٍ وَتَتَّخِضْنَ» (٢)
وقال : «وَالْمُحْسِنَاتِ صَبَحًا» فَأَتَرْنَ بِهِ لَحْمًا (٣) .

(١) عروض الأعراس - شرح لطيف ج ٣ ص ١١٥ .

(٢) تلك ١٩ .

(٣) المعاني ١-٣ .

المبحث الثالث

التقصير

التقصير - أي القلة - الحبس، قال تعالى: «وَحُورٌ مَكْشُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ» (١) أي : محبوسة فيها. وأما معناه في الاصطلاح فهو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. وذلك كتخصيص المبدأ بالخبر بطريق الثني في قوله تعالى : «وما الحياةُ الدُّنيا إلا مناعٌ للفرور» (٢)، وتخصيص الخبر بالمبدأ مثل: «ما شاعر إلا النبي» : طرفاه :

والتقصير طرفان . .

١ - التقصور ، وهو الشيء المخصص .

٢ - التقصور عليه ، وهو الشيء المخصص به .

ففي الآية السابقة «وما الحياةُ الدُّنيا إلا مناع للفرور» خصصنا الفرور بمناع الدُّنيا، وإنَّه لا يعلم الغيب إلا الله، خصصنا علم الغيب بالله تعالى. فوالحياة الدُّنيا مَقْصُور عليه ، و الفرور مَقْصُور ، و «علم الغيب» مَقْصُور ونقطة الجلالة مَقْصُور عليه .

ويقع التقصير بين .

١ - المبدأ والخبر ، كقوله تعالى : «وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ» (٣) ، و «ما نبي إلا علي» :

٢ - بين الفعل والفاعل مثل : «لا ينجح إلا محمد» ، و «ما قام إلا أنا» .

٣ - بين الفاعل والمفعول مثل : «ما شاهد خالد إلا الحقيقة» ، في قصر الفاعل على المفعول، أما قصر المفعول على الفاعل فمثل : «ما شاهد الحقيقة إلا خالد» .

٤ - بين لقولين مثل : «ما عطيت محمداً إلا كتاباً» في قصر المفعول الأول على الثاني، أما قصر المفعول الثاني على الأول فمثل «ما عطيت كتاباً إلا محمداً» .

(١) الرحمن ٧٢ .

(٢) الحديد ٢٠ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

٥ - بين الحال وصاحبها، مثل «ما جاء راجعاً» إلا محمداً في قصر الحال على صاحبها، أما قصر صاحب الحال عليها فمثل «ما جاء محمد إلا راجعاً» ومثل ذلك كل منطقات الفعل، فإن القصر يجري لها ما عدا اثنين:

الأول: المصدر المؤكد، فلا يقع القصر بينه وبين الفعل ولذلك لا يجوز أن نقول «ما ضربت الأقرباء» وإنما قوله تعالى «إن نطقاً إلا شاه» (١) فتدبره: «عنا ضعيفاً»
الثاني: القول معه، فإنه لا يجري بعد «إلا» ولذلك لا يقال «ما سرت إلا والحائط»
أنواعه :

ينقسم القصر بحسب الحقيقة والإضافة إلى:

١ - قصر حقيقي : وهو أن يختص المقصور بالمقصود عليه بحسب الحقيقة لا ابتداء إلى غيره أصلاً، كقوله تعالى: «إني أريد كسر أولي الألباب» (٢) فالتدكير صفة لا تتجاوز إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع: ومنه: «ما علمت الأنبياء والرسل إلا محمداً» هذه فخرهم الأنبياء والرسل، وهو المقصور، يختص بمحمد صلى الله عليه وسلم - وهو المقصور عليه لا يتجاوز إلى غيره.

٢ - قصر إضافي : وهو غير الحقيقي وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص لا إلى جميع ما عدا المقصور عليه: ومنه قوله تعالى: «وما محمد إلا رسول» (٣)، فمحمداً مقصور على الرسالة بالإضافة إلى شيء آخر، وليس المقصود أن الرسالة مختصة به وحده. ومنه قولنا: «ما محمد إلا كاتب» وليس المقصود أن محمداً مقصور على الكتابة وحدها بحيث لا يضاف إلى شيء آخر، لأن الحقيقة والواقع خلاف ذلك، وإنما المقصود أنه مقصور على الكتابة بالإضافة إلى شيء آخر معين كالشعر أو الرسم أو غيرهما :

وينقسم القصر باعتبار طرفيه: المقصور والمقصود عليه إلى:

(١) الباقية ٣٢ .

(٢) الرعد ١٩ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

- ١ - قصر موصوف على صفة: كقولك تعالى: «ما تَعْبُدُونَ إِلَّا لِيُغْنُوا عَنْكَ اللَّهُ رُزْقَهُ» (١) فقد نصرت العبادة على التقريب قصر موصوف على صفة.
- ٢ - قصر صفة على موصوف: مثل: «مائي الدار الأحمدة» فقد قصر الوجودي الدار على حمدة قصر صفة على موصوف.

والمراد بالصفة في أسلوب القصر الصفة المعنوية لالتصاق الذي بالذكر المقتضى، لأن أداة الاستثناء لا تقع بين الصفة والموصوف.

وينقسم القصر بحسب الحقيقة والادعاء إلى:

- ١ - قصر حقيقي على سبيل الحقيقة.
- ٢ - قصر اختياري على سبيل الحقيقة.

وهذان النوعان هما اللذان يقصدان عند إطلاق القصر الحقيقي والقصر الاختياري كما سبق:

- ٣ - قصر حقيقي على سبيل الإدعاء والمبالغة: ومثال قصر الصفة على الموصوف: «الاشاعر في العرب إلا الشني» إذا كان هناك في العرب شعراء غير الشني ولكن لا تريد الاعتراف بهم مبالغة في إضفاء الشاعرية على الشني. ومثال قصر الموصوف على الصفة: «ما علم إلا بزاداً وأني أن» حاشا لا يصف بغير الوجود من الصفات مبالغة في كمال الوجود فيه.

٤ - قصر اختياري على سبيل الإدعاء والمبالغة: ومثال قصر الصفة على الموصوف: «ما علم إلا حمدة» وذلك إذا أريد قصر العلم على حمد بالنسبة إلى خالد إذا كان حلياً أيضاً.

ومثال قصر الموصوف على الصفة: «ما محمد إلا كاتب» إذا قصر محمد على الكتابة بالنسبة إلى صفة الشعر أو الرسم ويراد بذلك انتفاء صفة الشعر أو الرسم عنه.

وينقسم القصر الاختياري فقط بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:

(١) الزمر ٣

١ - قصر افراد: وذلك اذا اعتقد المخاطب الشركة في الحكم بين المقصور وغيره.

٢ - قصر قلب: وذلك اذا اعتقد المخاطب عكس الحكم الذي يثبت بالقصر،

٣ - قصر تعيين: وذلك اذا كان المخاطب مترددا في الحكم بين المقصور عليه وغيره.

فانما قيل في قصر الصفة على الموصوف: والاديب محمد لاخالده وكان المخاطب يعتقد اشتراك محمد وخالده في صفة الادب كان القصر قصر افراد. واذا كان المخاطب يعتقد غير ذلك كان القصر قصر قلب:

واذا كان المخاطب مترددا لا يدري أيهما الاديب كان القصر قصر تعيين:

وانما قيل في قصر الموصوف على الصفة: ماعبد الأملزم، وكان المخاطب يعتقد اتصاف محمد بصفة التدريس والإدارة كان القصر قصر افراد:

واذا كان المخاطب يعتقد اتصاف محمد بالتدريس لا بالإدارة كان القصر قصر قلب:

واذا كان المخاطب مترددا لا يدري أي الصفتين هي صفة محمد كان القصر قصر تعيين.

ولا يجري هذا التقسيم في القصر الحقيقي، لأن القصر في ذلك النوع قصر بالنسبة إلى ماعدا للمقصود عليه على الإطلاق فلا يمكن أن يتصور في الشركة أو العكس أو التردد على متراء في القصر الإضافي الذي يجري فيه القصر بالنسبة إلى شيء محدد.

شروطه:

وشروط قصر الموصوف على الصفة افراداً عدم توافي الصفتين حتى تكون الثغبة في قولنا ومازيد إلاشاعره كونه كاتباً، لا كونه ملحقاً لايقول الشعر ليعتد اعتقاد المخاطب اجتماعهما.

وشرط قصره قلبا تحقق تاقبهما حتى تكون المغية في قولنا ومازید الاقامة
كقوله قاعداً لوجالسا ، لاكونه أسود أو أبيض، ليكون اتابها مشعراً بالثناء
غيرهما :

والنصر الثمين أعم ، لان اعتقاد كون الشيء موصوفاً بأحدائرين معينين على
الاطلاق لا يقتضي جواز اتصاله بهما معاً ولا استناعه . ولهذا علم ان كل ما يصلح ان يكون
مثالا لقصر الافراد أو قصر القلب يصلح أن يكون مثالا لقصر الثمين من غير عكس .
طريقه :

أهم طرق القصر أربع :

١ - الثاني والإستثناء : ويكون المقصور عليه في هذه الطريقة بعد اداة الإستثناء ،
كقوله تعالى : «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل» (١) ، وقوله :
«وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا نككروا» (٢) ، أي : لستم في
دعواكم لرسالة عندنا بين الصدق والكذب كما يكون ظاهر حال المدعي اذا
ادعى بل أنتم عندنا كاذبون فيها .

ومنه : «ما محمد إلا شاعر» ووجه القصر فيه انه متى قيل : «ما محمد» توجه الثاني
إلى صفته لاذاته لان أنفس اللوات يمتنع لقبها وإنما تنفي صفتها وحيث لا نزاع
في طوله وقصره وما شاكل ذلك وإنما النزاع في كونه شاعراً أو كاتباً تناولها
الثاني ، فإذا قيل : «الشاعر» جاز القصر .
وتستعمل «غيره» في القصر استعمال «إلا» .

٢ - التما : ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً ، ومنه قوله تعالى : «وما
يخشى الله من عباده العلماء» (٣) .

(١) آل عمران ١٨٤ .

(٢) ص ١٥ .

(٣) قاطر ٢٨ .

ومنه قول قيس بن الرقيات :

إِنَّمَا مُصْنَعُ شَهَابٍ مِّنْ أَقْرِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَةُ
والدليل على أنها تنبئ القصير أمور :

الأول : كونها متضمنة معنى «ماء» و«الاء» لقول القصيرين في قوله تعالى «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ اللَّيْظَ وَالَّذِينَ» (١) - بالنصب - معناه «ما حرم عليكم إلاَّ الليظة» ،
الثاني : لقول النخاعة إن «الاء» لا يثبت ما يذكر بعدها وتقي ما سواه ،

الثالث : لصحة اتصال القصير معها مثل : «إِنَّمَا يَضْرِبُ أَلَاءُ أَيٍّ» «ما يضرب الألاء»
ومن ذلك قول الفرزدق :

أَنَا الْقَائِدُ الْحَامِي لِلْعَلَا وَاتِمَا يَدْفَعُ عَنْ أَحِبَّاءِ بِيَمٍ أَمَا لَوْ مَثَلِي
وقول جبرو بن معد يكرب :

قَدْ حَلَمْتُ سَكَنِي وَجَارَاتُهَا مَا قَطَّرَ الْقَارِسُ إِلَّا أَلَاءَ (٢)

٣ - العطف بـ «الاء» أو «الكن» أو «يل» فإن كان العطف بـ «الاء» كان التصور عليه مقابلاً لما بعدها ، وإن كان العطف بـ «الكن» أو «يل» كان التصور عليه ما يبعدهما .
ومثال قصر الموصوف على الصفة المراد : «محمد شاعر لا كاتب» ، أو «محمد كاتب بل شاعر» .

ومثال قصر الموصوف على الصفة للبا : «محمد قائم لا كاعده» ، أو «محمد قائم لا بل قائم» :

ومثال قصر الصفة على الموصوف المراد أو للبا بحسب المقام : «محمد لا شاعر» ، أو «محمد قائم بل زينه» :

٤ - تقديم ماحقه التأخير : معنا يكون التصور عليه هو التقديم فمن قصر الموصوف على الصفة المراد «شاعر» لم يمتدده شاعراً وكاتباً :

(١) البقرة ١٧٣ .

(٢) لعل ١ ص ٤ .

ومن قصر الموصوف على الصفة قلبا: «فانهم هربان يعتقدون قاعدا، ومثال قصر
الصفة على الموصوف الزناد: «أنا كذبت مهتكم بمعنى وحدي أن يعتقد أنك
وغيرك كذبتا مهتكم .

ومثال قصر الصفة على الموصوف قلبا: «أنا كذبت مهتكم» بمعنى لاخيري
لأن يعتقد أن غيرك كذبي مهمة دونك. وهذه الطرق الأربع تختلف من وجوه:
الأول: أن دلالة الثلاث الأول بالوضع دون الرابعة.

الثاني: أن الأصل في العطف أن يدل على التثنية والمثنى جميعا بالنسبة فلا يترك
ذلك الإكراهة الاطناب في مقام الاختصاص كما إذا قيل «محمد يعلم النحو والصرف
والعروض والقولاني» بالو: «محمد يعلم النحو، وبخالد وبكر وعمر وعفتول فيهما
ومحمد يعلم النحو لا غير» وفي معناه «ليس إلا» أي: لا غير النحو، ولا غير محمد؛
وأما الثلاثة الباقية فتدل بالنسبة على التثنية دون المثنى .

الثالث: أن المثنى لا يجمع الأول لأن شرط المثنى بهاء، أن لا يكون متبعا قبلها
بغيرها ويجمع الآخرين فيقال: «انما زيد كاتب لأشاعر موهو بالثنية لا محمد»
الرابع: أن أصل المثنى والاستثناء أن يكون المستعمل له مما يجهله المخاطب وينكر
كقولك لصاحب وقد رأيت شيئا من بعد «هاهو إلا» «محمد» إذا وجدته يعتقد
غير محمد ويصر على الإنكار. وعليه قوله تعالى «وما من إلا الله» (١).
وهناك طرق أخرى لتقصر غير أن البلاغيين لم ينفقوا عليها كل الاتفاق، ولذلك
نقل الوجوه الأربعة عمدة هذا الأسلوب (٢).

(١) آله عمران ٦٢ .

(٢) ينظر مفتاح العلوم ص ١١٣٨ والإيضاح ص ١١٦٥، وشروح التلخيص ج ٢ ص ١٦٦.

الفصل الخامس

الإنجاز والاضطراب والمساواة

للبحث الأول

الإنجاز

الإنجاز والاضطراب والمساواة من الأساليب التي لا توضح كثيراً إلا بالحديث عن أنواعها وخصائصها، لأن الاتفاق على مقياس يلجأ إليه القارئون من الأمور الصعبة. وكان السكاسي قد ذهب إلى أن الذي يحدد هذه الأساليب هو التعرف وقد سمّاه متعارف الأوساط، يقول: «أما الإنجاز والاضطراب فلكونهما ليسين لا يفسر الكلام ليهما الإثارة التحفيز والبناء على شيء عرني مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في تأدية المعاني فيها بينهم. ولا بد من الاعتراف بذلك مقياس عليه ولتسمه متعارف الأوساط» وأنه في باب البلاغة لا يحدد ولا يلم (١) ولذلك كان الإنجاز أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط، وكان الاضطراب أداءه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل.

ولكن الخطيب القزويني رأى الاتفاق على متعارف الأوساط صعباً، ووجد أن بناء التعريف عليه أصعب، والأقرب أن يقال: «القبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه وإثابته أو زائد عليه لقائده» (٢). وهذا التعريف لا يكون دقيقاً إن لم نعرض أساليب الإنجاز والاضطراب ليعني عليها أسلوب المساواة ويحدد بدقة ووضوح، ولذلك قال إن المساواة «أن يكون اللفظ يستلزم أصل المراد لانتفاء عنه بلفظ أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تنعيم أو اعتراض»، أي إن المساواة لا توضح الأبعد دراسة الأسلوبين الآخرين ومعرفتهما معرفة دقيقة، ولكنه قدم الكلام على المساواة لأنها الأصل القيس عليه،

(١) علاج العلوم ص ١٢٢.

(٢) الإيضاح ص ١٧٧.

وهذا التقديم لا يخدم القياس لأن المساواة لا تعرف إلا بعد معرفة الكلام المختلف أو الزائد ، وبذلك تكون الكلام الذي ليس فيه حذف أو زيادة .

وميز بين الكلام الثام والناقص لذلك قال إن هوائه احتراز عن الاختلال وهو أن يكون اللفظ ناصراً عن أداء المعنى ، كقول عروة بن الرور :

صبيحتُ لهم إذ يقتلون قوسهم ومقتلهم عند الوعى كان أطرا
فاته أراد : إذ يقتلون قوسهم في السلم .
وقول الخوارزمي بن حنظلة :

والعيش عسيرٌ عليّ طيلاً لى التوك من عائل كدماً (١)
فاته أراد : العيش للعالم في خلال التوك غير من العيش الشاق في خلال الطل ،
فأصل بالمعنى .

واحتراز في الزيادة وقال أنها لفظة ، لكي لا يدخل فيها :

١ - التطويل : وهو أن لا يضمن الزائد في الكلام ، كقول عدي بن زيد العبادي :
وَلَدَدَتِ الْأَدِيمَ رَامِعِيهِ وَأَلْقَى ثَوْبَهَا كَذِباً وَمَيْتاً (٢)
فإن الكذب والذين واحد :

٢ - الخسوف : وهو ما يضمن أنه زائد وهو نوعان :
الأول : ما يفسد المعنى ، كقول المتنبي :

ولا أفضل فيه للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب (٣)
فإن لفظ الندى فيه حشو يفسد المعنى ، لأن المعنى أنه لا أفضل في الدنيا للشجاعة
والصبر والندى لولا الموت ، وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون الندى ، لأن
الشجاع لو علم أنه يهلك في الدنيا لم يمتنع من الهلاك في الإقدام فلم يكن لشجاعته فضل ،
بخلاف البائل ماله فاته إذا علم أنه يموت فإن عليه فله .

(١) التوك : الحق . فكذ : الحب والشفقة .

(٢) قدمت : قتلته . الأديم : الخلد . الرامعان : عرقان في بطن الترابين .

(٣) شعوب : الموت ، الدنيا .

الثاني : ما لا يفسد المعنى ، كقول الشاعر :

ذكرتُ أنسى فاعلوني صداعُ الراسِ والوصبُ (١)
فإن لفظ «الرأس» حشو لا فائدة فيه لأن الصداع لا يتصل إلا بالراس ، وليس يفسد المعنى.

وقول زهير :

وأعلم علم اليوم والاسم قبله ولكنني من علم مالي غير هم
فإن قوله «فله» ، يستغنى عنه غير مفيد .

وهذه القعدة غير روية في دراسة هذا الموضوع ، ولكنه إن يتضح إلا بعد الحديث من أجزائه لإيضاح أمثله وأساليبه.

الإيجاز :

الإيجاز - لغة - التفسير ، تقول : لوجزت للكلام ، أي : قصرت ، وكلام موجز من لوجز .

والإيجاز - اصطلاحاً - أن يكون القطع أقل من المعنى ، مع إرفاء به والإمكان اختلافاً يفسد الكلام .

وهذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة الشعرية في القديم ، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والشرح والأسهاب ، وكانوا يعدّون الإيجاز هو البلاغة ، فأنتم بن صيفي يرى أن البلاغة هي الإيجاز ، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتابه : «إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توثبات قالوا (٢)» . وفعلوا مثل ذلك في القصائد ، وقد قيل لبعضهم مائة لا تزيد على أربعة والتين ؟ قال : «من بالقلب ألوح والبالغة لفظ أسرع وبالكس أقلق ، وللمعاني أجمع ، وصاحبها أبغى ولوجز .
وقيل لآخر : ألا تطيل القصائد ، فقال :

(١) كوصب : للرعي والربيع الدائم ونحوه الجسم ، وقد يطلق على الصب والفتور في البدن .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٦ ، وكتاب الصناعات ص ١٧٢ .

أبي في أن أبليل الشعر لصدى إلى اللحن وطلي بالصواب
 وإيجازي بمختصر قريب حلفت به الفضول من الجواب
 فابتنهن أربعة وسناً مشقة بالفاظ عذاب
 عموالده ماعدا ليل نهارا وماحسن الصبا بأعني الشاب
 ومن إذا وسنت بين قوما كأطواق الحمام في القرباب
 وكنت إذا أقمست مافرات ناهاما الرواة مع الركاب (١)

وفي هذه الايات خلاصة لأغراض الإيجاز ، فيه يصل المتكلم إلى هدفه من غير
 تسويد أو زيادة لا يقتضيها المعنى ، وبه يأتي الكلام قصيراً يسهل حفظه وروايته ، وهذا
 ما يندو واضحاً في الامثال والخطب والشعر ، وبهذا الأسلوب أيضاً تصل المعاني إلى
 القلب في أسرع ما يكون وتؤثر فيه فيثير طرباً ان كان الكلام بما يسر ، ويغفل ويذهبهم
 ان كان بما لا يسر .

وكان هذه الصفة التي أولع بها العرب ان أهم البلاغيون والشعراء بأسلوب الإيجاز ،
 ووضحوا له حدوداً وأقساماً ، ودينوا مواضعه ، لانه ليس بمحمود في كل موضع
 ولا يخلو في كل كتاب بل لكل مقام مقال ، وإلى ذلك أشار ابن قتيبة بقوله : **قولوا**
كان الإيجاز محموداً في كل الاحوال لجرده الله تعالى في القرآن ، ولم يفضل الله ذلك
ولكنه أطل تارة للتوكيد وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للاهتمام (٢) .

وقال ابن جني ان الاطالة والإيجاز هما في كل كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بلغ
 الإيجاز غايته لم يكن له بد من أن يعطيك تمامه وقامتته مع أنه لابد فيه من تركيب
 الجملة فان نقصت عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب . وقال ان العرب إلى
 « الإيجاز أبليل وعن الأكثر أبعد » ، وغرب مثلاً بالقرآن الكريم وما فيه من الخلف
 الذي يعمل للكلام موجزاً (٣) . ومعنى ذلك ان هذا الأسلوب ضروري كثيره إذا

(١) كتاب الصناعات ص ١٢٤ .

(٢) أدب الكاتب ص ١٥ .

(٣) ينظر النضال ص ١ ص ٣٠ ، ٢٢ ، ٨٦ .

أراد التكلم أن يكون مطابقاً لمتن الحلال ولذلك يقول أبو حلال العسكري: «ان
الايجاز والاطباب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل فرع منه ، ولكل واحد منهما
موضع . فالخاجة إلى الايجاز في موضعه كالخاجة إلى الاطباب في مكانه ضمن أزال
لتبديل في ذلك عن جهته ، واستعمل الاطباب في موضع الايجاز واستعمل الايجاز
في موضع الاطباب أصلاً » (١) .

وتحدث ابن رشيح عن الايجاز وذكر تعريف الرماني وهو: «الايجاز هو العبارة
عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف» ونسبه إلى نوعيه للمروين (٢) .

وعقد ابن سنان له بحثاً وسماه «الأشارة» وقال عنه: «هو ان يكون المعنى
زائداً على اللفظ، أي انه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة
واللمحة (٣) » والمختار عنده في القصاحة والجمال على البلاغة هو ان يكون المعنى
ساوياً للفظ أو زائداً عليه، أي ان يكون اللفظ تقليل يدل على الكثير دلالة واضحة
غامرة لأن تكون الالتقاط قوط ايجازها قد أبست المعنى وأضعفت حتى يحتاج في
استنباطه إلى طرف من التأمل ودفن التفكير.

وعرف الرازي الايجاز بقوله: «وحده أنه العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن
من الحروف من غير إخلال» (٤) .

وقال السكاكي ان الايجاز والاطباب - كما سبق - من الأمور النسبية كالابرة
والبنوة وهي التي يتولف تعقلها على تعقل غيرها ، فان الكلام الموجز انما
يدرك من حيث وصفه بالايجاز بالتقياس إلى كلام آخر أكثر منه ، وكذلك للطلب
انما يدرك من حيث وصفه بالاطباب إلى كلام آخر يكون أقل منه:

(١) كتاب الصالحين ص ١٩٠

(٢) المصنف ج ١ ص ٢٢٩ .

(٣) مر القصاحة ص ٢٤٣ .

(٤) نهاية الإيجاز ص ١١٥ .

وتحدثت عنه ابن الأثير وعده له فصلاً في «الثلث السائر» وفصلاً في «الجميع الكبير» وقال في تعريفه: «هو حذف زوائد اللفاظ» (١)، وهذا النوع من الأساليب شريف لا يمتثل به إلا فرسان البلاغة، وذلك لما لم يتركه وبعد مثاله. ثم قال بعد أن مهد ليح: «حدّ الإيجاز هو دلالة اللفظ على المعنى من غير أن يزيد عليه، والتطويل هو ضد ذلك، وهو أن يدل على المعنى بلفظ يكتفيك بنفسه في الدلالة عليه» (٢).

وسمّاه ابن قزويني «الإشارة» وقال: «هو إنبات المعاني للكثرة باللفظ القليل» (٣). وقال القلوي: «هو في مصطلح أهل هذه الصناعة عبارة عن تأدية المقصود من الكلام بأقل من عبارة متعارف عليها» (٤).

وهذه التعريفات لا تخرج عن القول بأن الإيجاز هو التعبير عن المعاني باللفاظ قليلة يدل عليها دلالة لا تحتاج إلى تأمل دقيق.

أقسامه:

الإيجاز ضربان :

الأول : إيجاز القصر : وهو قليل اللفاظ وكثير المعاني ، ويرى ابن الأثير أن شبه لهذا النوع عسر ، لأنه يحتاج إلى تفكير تأمل . (٥) ومن ذلك قوله تعالى : «ولكم في القصاص حياة» (٦). وتبين هذه الآية للكريمة حينما تفكرون بقولهم : «القتل أنقضى القتل» ، ويوضح ذلك في وجوه :

أولها : أن عدة حروف ما يتأخروا عنه وهو «في القصاص حياة» عشرة في اللفظ وعدة حروفه أربعة عشر .

(١) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ١٧١ ، وإبصار الكبير ص ١٢٢ .

(٢) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) التبيين في أمم البيان ص ١١٠ ، وينظر الهرمان الكائن من إيجاز القرآن ص ٢٢٢ .

(٤) الطراز ج ٢ ص ٣١٦ .

(٥) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ٢٨ .

(٦) البقرة ١٧٩ .

لأنها : مابيه من التصريح بالمطلوب الذي هو الحياة بالنص عليها فيكون أوجب
عن القتل بنير حتى لكونه آدمي إلى الاختصاص .

لأنها : مابنده تكبير ، حياة ، من التعظيم أو التوقية .

وأبها : اطراده بخلاف قولهم ، فإن القتل الذي بني القتل هو ما كان على وجه
التخصيص لا غيره .

خاصها : سلامته من التكرار الذي هو من عيوب الكلام بخلاف قولهم :

خاصها : استثنائه عن تقدير محذوف بخلاف قولهم ، فإن تقديره : القتل التي
القتل من تركه .

سابعها : أن التخصيص ضد الحياة ، فالجمع بينهما طابق .

لأنها : جعل التخصيص كالتنصيص والمعدن للحياة بأدخال « ي » عليه (١) .

ومن التفسير قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد » وما كان منه من إله إلا أن
لقد حَبَّ كُلُّ إله بما عكَّتْ ولعلَّا يَتَعَفَّوْهُمْ عَلَى بَعْضِهِمْ ، (٢) وقوله : « يا أيُّهَا
النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْبُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، (٣) وقوله : « وَلَا يَحِثُّ الْمُكَثَّرُ الشَّيْءُ ،
إِلَّا بِأَعْلَهُ ، (٤) .

ومنه قول الشريف الرضي :

مالوا إلى شُعب الرِّحال واستلوا أيدي الطمان إلى قلوب تنفق
فإنه لما أراد أن يصفهم بالشجاعة في أثناء وصفهم بالفراغ عبر عن ذلك بقوله
«أيدي الطمان» .

(١) الإيضاح من ١٦٨٢ وينظر كتب الصناعات من ١١٧٥ وللعل السامع ٢ ص ١٢٥
ويصح القول من ١١٩٢ ونهاية الإيجاز من ١٤٥ .

(٢) القومون ٩١ .

(٣) يونس ٢٢ .

(٤) فاطر ١٣ .

وهذا مفهوم الإيجاز بالتقصر عند البلاغيين، غير أن ابن الأثير (١) يحدّثه فرعاً من الإيجاز الذي لا يختلف مع شيء، لأنه يقسم الإيجاز إلى قسمين .

١- الإيجاز بالاختلاف: وهو ما يختلف به للفرد والجملة:

٢- مالا يختلف مع شيء، وهو ضربان .

الأول . مساوئى لفظة معناه ويسمى التقدير .

الثاني . ما زاد معناه على لفظة ويسمى الإيجاز بالتقصر .

وقسم الإيجاز بالتقصر إلى نوعين :

أحدهما . مادل" لفظة على محتملات متعددة، ويمكن التعبير عنه بمثل القاطع وفي حديثها . ومنه قوله تعالى . "وقلّد لروحياً إلى موسى أن" أسر بعبادي فاضرب" لهم طريقاً في البحر يرساً لا تخاف" ذرّكاً ولا تخشى. فأنبهم فرعون بمخوده فغشيتهم" من اليم" ما غشيتهم" (٢) ففرك : غشيتهم من قيم ما غشيتهم من جوامع الكلام التي يستدل على قلتها بالعاني للكثرة، أي غشيتهم من الأمور الهائلة والخطوب القاصدة مالا يعلم كنهه إلا الله ولا يحيط به غيره. ومنه قوله تعالى: وعلمك الغيو وأمر بالمعروف وأعرض" عن الجاهلین، (٣) فجمع في الآية جميع مكارم الأخلاق، لأن في الأمر بالمعروف صلة الرّحم ومنع اللسان عن الفية وعن الكذب ، وغض الطرف عن الحرمات وغير ذلك، وفي الإعراف عن الجاهلین التعبير والحلم وغيرهما. ومثاله قول السمرقانی:

وان هو لم يحصل على النفس فيها قلبس إلى حسر التناهي سبيل
إن هذا ليت قد اشمس على مكارم الأخلاق جميعها من سداحة وشجاعة وعفة
وتواضع وحلم وصبر وغير ذلك، فإن هذه الأخلاق كلها من صميم النفس لأنها
تجد بحسبها ضيقاً أي : مشقة وعناء .

(١) التل السائر ج ٢ ص ١١١، وينظر الطراز ج ٢ ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) ط ٧٧-٧٩.

(٣) الإعراف ١٩٩.

والثبتهما : ما دلّ لفظه على محصلات متعددة، ولا يمكن التعبير عنه بمثل القاطع
 وفي حديثها، بل يستحيل ذلك ومن أجل طبقات الابهام مكاناً ، ومنه قوله تعالى :
 «ولكم في القصاص حياة» الذي فاق كل كلام ونقل غيره من كلام العرب :
 الثاني : ايهام الخلف : وهو ما يكون بخلاف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة
 تعين المحذوف. أو هو كما قال ابن الأثير : «ما يخلف منه المفرد والجمله لدلالة
 فحوى الكلام على المحذوف ، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه» (١) : وقال من
 هذا الأسلوب : «أما الابهام بالخلف فإنه عيب في الأمر شبه بالسحر ، وذلك أنك
 ترى فيه ترك الذكر أنصح من الذكر والتصمت عن الافادة أريد للافادة، ولجهدك
 أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون ميباً إذا لم تبين ، وهذه جملة تنكرها حتى
 تخبر وتستهلكني تنظر. والأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف ضرورتها أن يكون
 في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من
 الحديث لا يميز بوجه ولا سبب : ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى
 أظهر صار الكلام إلى شيء فث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاقة والحسن» (٢) :

أدلة الخلف :

أدلة الخلف كثيرة منها :

- ١ - أن يدل القتل على الخلف ، والمقصود الأظهر على تعيين المحذوف ، كقوله :
 «حرمت عليكم البيعة والدم ولحم الخنزير» (٣) ، فإن القتل يدل على الخلف ،
 والمقصود الأظهر يرشد إلى أن الخنزير : حرم عليكم تناول البيعة والدم ولحم
 الخنزير ، لأن القرض الأظهر منها تناولها.
- ٢ - أن يدل القتل على الخلف والتعيين ، كقوله تعالى : «وجاء ربك» (٤) أي :
 ربك أو عذابه أو بأسه :

(١) لفظ السائر ج ٢ ص ٧٨.

(٢) لفظ السائر ج ٢ ص ٨١.

(٣) للامانة ٣.

(٤) النجر ٢٢.

٣ - أن يدل الفعل على الحذف ، والمادة على التعيين ، كقوله تعالى حكايتهن امرأته العزيز : « فلذلك » الذي تستثني فيه « (١) » ، دلّ الفعل على الحذف فيه ، لأن الإنسان إنما يلام على كسبه فيحتمل أن يكون التقدير « في حبه » لقوله : « وقد اشتغلتها حباً » (٢) ، وأن يكون في مرادته لقوله : « ثراود » فتأخرا عن نفسه (٣) ، وأن يكون في شأنه وأمره فيشملهما . والمادة دالت على تعيين المرادة ، لأن الحب المفروض لا يلام الإنسان عليه في العادة لقهره صاحبه وغلته إياه ، وإنما يلام على المرادة الدخالة تحت كسبه التي يقتدر أن يدفعها عن نفسه .

٤ - أن تدل المادة على الحذف والتعيين ، كقوله تعالى : « لو علم قتالا لآتيكما كرم » (٤) مع أنهم كانوا أحرار . الناس بالخرب ، فكيف يقولون بأنهم لا يعرفونها ؟ فلا بد من حذف ، وتقديره « مكان قتال » أي : « انكم تقاتلون في موضع لا يصلح لقتال ويخشى عليكم منه » ، ويدل على أنهم أشاروا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن لا يخرج من المدينة وأن الحزم لبقاء فيها .

٥ - شروع في الفعل ، كقول المؤمن : « بسم الله الرحمن الرحيم » عند شروع في القراءة أو أي عمل ، فإنه يفيد أن المراد « بسم الله أقرأ » والمحلوف يقتضما جعلت التسمية مبدأ له .

٦ - اقتران الكلام بالفعل ، فإنه يفيد تقديره ، كقولنا لمن أعرس « بالقرآن والبنين » (٥) فإنه يفيد : « بالقرآن والبنين أبحرست » (٦) .
والمحلوف كما تقدم نوعان :

النوع الأول : حذف جزء جملة ، وهو حذف المفردات ويكون على صور مختلفة :

(١) يوسف ٢٢ .

(٢) يوسف ٣٠ .

(٣) يوسف ٣٠ .

(٤) آل عمران ٦٦٧ .

(٥) الزم - بالكسر - الإتفاق والتلازم .

(٦) الإيضاح ص ١٩٢ ، وتظهر شروح التلخيص ج ٣ ص ٢٠٢ .

١ - حلف الفاعل والاكتفاء في الدلالة عليه بذكر الفعل ، كقول العرب : أرسلت ، وهم يريدون المطر ولا يذكرون السماء . ومنه قوله تعالى : « كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ الْقُرَآنُ »
 ونيل مَنْ رَكَنُ ، (١) ، والضمير في : « بَلَغَتْ » النفس ولم يَجْرُ لها ذكر .
 ومنه قول حاتم الطائي :

أناوي ما يندني قراءُ من القدي إذا حشرجت يوماً وعاشق بها الصائدُ
 يريد النفس ، ولم يَجْرُ لها ذكر .

٢ - حلف الفعل وجوابه ، وهو نوحان .

أحدهما : يظهر بدلالة المفعول عليه كقوله تعالى : « فقال لهم رسولُ الله
 ناقةُ الله وسَكْبَاحُ » (٢) ، أي : احملوا .
 ومنه قول المتنبي :

ولولا أنْ أكثر ما تمَنَّى معلومةً فقلت : ولا مناكَا
 لقوله : « ولا مناكَا » فيه مَحْلُوفٌ تقديره : « ولا صاحب مناكَا » .
 وقوله :

ولا إلا بأن أصلي وأحكي فليدك لا يُشْبِثْهُ هواكَا
 لقوله : « ولا إلا بأن يصني وأحكي » فيه مَحْلُوفٌ تقديره : « ولا أرضي إلا بأن
 يصني وأحكي » .

والثاني : لا يظهر فيه قسم الفعل لأنه لا يكون هناك منصوب يدل عليه ، وإنما
 يظهر بالنظر إلى ملازمة الكلام : كقوله تعالى : « وعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَوًّا لَقَدْ
 جِئْتُمُونَا كَمَا جِئْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ » (٣) ، لقوله : « لَقَدْ جِئْتُمُونَا » يحتاج إلى انحصار
 قبل ، أي : قليل لهم : جِئْتُمُونَا ، أو قَلْنَا لهم .

ومن هذا الضرب إيقاع الفعل على شئين وهو لأحدهما : كقوله تعالى :

(١) القبان ٢٦ - ٢٧ .

(٢) النسي ١٣ .

(٣) الكهف ١٨ .

«فأجيبوا أمركم وشركاءكم» (١) وهو «أمركم» وحده، وإنما المراد: أجيبوا أمركم وأطيعوا شركاءكم :

ومن حذف الفعل باب يسمى «باب إقامة المصدر مقام الفعل» ويأتي به لضرب من البالغة والتوكيد. كقوله تعالى: «فإذا لقيتهم الذين كفروا فَاصْطَبِرْ الرِّقَابَ» (٢) قوله : «ضرب الرقاب» أصله : فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وأقيم المصدر مقامه، ولي ذلك اختصار وتوكيد.

وأما حذف جواب الفعل فإنه لا يكون في الأمر المحذوم كقوله تعالى: «فَكَذَّبَهُمْ بِخُوضُوا وَاذْهَبُوا» (٣) فجزم «بخوضوا واذهبا» لأنهما جواب أمره فحذفهما وحذف الجواب في هذا لا يدخل في باب الإيجاز.

٣ - حذف المفعول به، كقوله تعالى : «وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَابْكِي» وأنه هو أذات وأحياء (٤)، فيعد كل فعل مفعول به محذوف. ويكون ذلك لأغراض :

أحدها : أن يكون غرض التكلم بيان حال الفعل والفاعل فقط كقوله تعالى . «وَلَا وَدَّعَاءُ مَدْيَنَ وَجَدَّ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِم لِمِرَالَيْنِ ذُرِّيَّتَيْنِ، قَالَ : مَا مَطَّطْتُكُمْ ؟ قَالَا : لَا تَسْفِي حَتَّى يُصَدِّقَ قَرْعَاهُ وَأَبْرَأَ شَيْخٌ كَبِيرٌ. فَسَفَى لَهَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى ظِلِّ فَقَالَ : «رَبِّ إِنِّي لَأَمْلَأُ أَلْيَ» من خير ظهير (٥)؛ وقد حذف المفعول به في أربعة مواضع لأن الغرض الحديث عن موسى لا عن كون السفي غنماً، أو ابلاً، أو غير ذلك.

لأنها : أن يكون غرض التكلم ذكره ولكنه يحفظه ليرحم أنه لم يقصده كقول البحري :

(١) يونس ٦١ .

(٢) ص ٤ .

(٣) الزخرف ٨٣ .

(٤) النجم ٤٣-٤٤ .

(٥) القصص ٢٣-٢٤ .

شَجَوْ حَسَادَهُ وَخَيَّضُوا عَدَاهُ أَنْ يَرَى مَبْرُورٌ وَيَسْمَعَ وَاعٍ
والقنى : أن يرى مبرور عاصته ، ويسمع واع أخباره ، ولكنه تراضى عن ذلك ،
فكثفها : أن يحذف الفعول لانه معلوم ، ويأتي هذا بعد فعل المشقة كقولوه
تعالى : **قُولُوا شَاءَ لَكُمْ أَجْمَعِينَ** (١) ، وقوله : **قُولُوا شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ** (٢) ، أي : لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ،
ومما جاء على مثال ذلك شعراً قول البحري :
لو شئت لم تُفسدُ ساحة حاتم كرمًا ولم تُهدمِ مأثر عبالد
الأصل في ذلك لو شئت ألا تفسد ساحة حاتم لم تفسدها فحذف ذلك من
الأول استفادةً بدلالته عليه في الثاني (٣) .

١ - حذف المضاف والمضاف إليه والامة كل واحد منهما مقام الآخر :
فمن حذف المضاف قوله تعالى : **وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ** (٤) ، أي : أهلها .
وقول الشاعر :

إِذَا لَأَيْتَ قُوسِي فَمَسَالِيهِمْ كَفَنِي قَوْمًا بِصَاحِبِهِمْ غَيْبِيرًا
هل اعطوا عن اصول الحق فيهم إِذَا عَسُرَتْ وَانْقَطَعَ الصَّدُورُ
أراد أنه ينقطع ما في الصدور من القضاة ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه
مقامه :

ومن حذف المضاف إليه قوله تعالى : **وَاللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ** ومن بعده (٥) ،
أي من قبل ذلك ومن بعده : وهذا النوع قليل الاستعمال لأن المضاف يكتفي منه
تصريحاً وتخصيصاً فحذفه يخل بالكلام لا ذهاب فائدته بخلاف المضاف نفسه ،
فانه لا يخل حلقه من جهة أن المضاف إليه يذهب بفائدته ويقوم مقامه .

(١) النحل ٩ .

(٢) البقرة ٢٠ .

(٣) ينظر النحل المفسر ج ٢ ص ١٩٢ ، ويدهج القرآن ص ٥٥ ، والقرآن ج ٢ ص ١٠٩ .

(٤) يوسف ٨٢ .

(٥) القروم ١ .

وربما حذف المضاف والمضاف إليه وهذا الأخير، كقوله تعالى : «لَتَنْبَغُنَّ»
 تنبغتن من أثر الرسول، (١) ، أي من أثر حاتم فرس الرسول - صلى الله عليه
 وسلم - وقد قال العلوي عنه «ولا يكاد يوجد إلا حيث دلالة الكلام عليه» (٢) ،
 وساء ابن الأثير وحذف المضاف مكرره (٣).

٥ - حذف الوصف والصفة وإقامة كل واحد منهما مقام الآخر ، فمن حذف
 للوصف قوله تعالى : «وَأَيُّهَا ثَمُودُ ثِقَاتٌ مُبْتَلَوْنَ» (٤) أي : آية مبصرة
 ولم يرد الثاقبة لأنها لا معنى لوصفها بالبصر . ومنه قول الشاعر .

أنا ابن جتلا وطلائع التشايب عسى أنصح العصابة تعرفوني
 أي : أنا ابن رجل جلا .
 وقول البحيري :

في انخضاري من القباس على أحد لم يختل في صيفة ودرسو
 لقوله «على أصفر» أي على فرس أصفر ، وهذا مفهوم من قرينة الحال لأنه
 لما قال «على أصفر» علم بذلك أنه أراد فرسا أصفر .

ومن حذف الصفة قوله تعالى : «وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَبِيتٌ كُلٌّ مِفْتَاحُ
 صِفَةٍ» (٥) ، أي : كل مبيتة صحيحة أو صالحة .

٦ - حذف الشرط وجوابه : ومثال حذف الشرط قوله تعالى : «بِأَعْيَادِي
 الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَأَيُّ غَابِقِينَ» (٦) ، فالفاء في قوله «فأعبيدون»

(١) ط ٩٦ .

(٢) الطراز ج ٢ ص ١٠٢ .

(٣) اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ٩٩ .

(٤) الأعراب ٥٩ .

(٥) التكميل ٢٩٠ .

(٦) التكميل ٥٦ .

جواب شرط مخلوف ، والعنى : إن لرضي واسعة فإن لم تخلصوا إليّ العبادة في لرضي فاطصروا في غيرها .

ومنه قوله : « فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخره » (١) أي : فاقطع عدة من أيام السفر .

ومن حذف الشرط قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يُنقسم المجرمون » مالبثوا غير ساعة ، كذلك يكون : وقال الذين أوتوا العلم واليمان لقد نُسئتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم تعلمون » (٢) يقول : إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث ، أي : قد تبين بطلان قولكم : ومنه قول الشاعر :

قالوا خراسان أقصى مايراد بنا ثم القيسول لقد جئنا خراسانا كأنه قال : إن صح ما قلتم إن خراسان أقصى مايراد بنا فلهذا جئنا خراسان وأن لنا أن نخلص .

وأما حذف جواب الشرط فكتوبه تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مفلة فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالين » (٣) ، فإن جواب الشرط هنا مخلوف تقديره : إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به أنتم ظالين ؟ وبطل على المخلوف قوله تعالى : « وإن الله لا يهدي القوم الظالين » .

ويحذف جواب الشرط :

١- لجرد الاختصار ، كالأية السابقة ، وكتوبه تعالى :

«ولو أن قرأنا سميرت به الجبال أو قلعنا به الأرض ، أو مكلم به المونى» (٤) أي : لكان حلا للقرآن :

(١) البقرة ١٨٤ .

(٢) الروم ٥٥-٥٦ .

(٣) الاحقاف ١٠ .

(٤) الرعد ٣١ .

٢ - دلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف ، أو تذهب نفس السامع كل مذهب كقوله تعالى : « وَتَتَّبِعْ الَّذِينَ اتَّخَذُوا رِيبَهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ ذُرِّيًّا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبِّحَ قَدْحُوهَا خَالِدِينَ » (١) وقد حذف جواب الشرط لعظمة الشهد ولكي تذهب النفس في تصويره كل مذهب (٢).

ولهذا المعنى حذف الصلة من قوله : « جاء بعد الثبوت والتي » (٣) أي المشار إليه بهما وهي الجنة والشهادة قد بلغت شدتها وفضاعة شأنها مبلغا يهت القاصف معه حتى لا يحير بنت شقة (٤) .

٣ - علم الخبر بوضع الكلام ، وقد سأل سيوريه استاذ الخليل عن قوله تعالى : « حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا » (٥) أين جوابها؟ وعن قوله تعالى : « وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ » (٦) ، « وَلَوْ تَرَى إِذْ وَكُفُّوا عَنْ النَّارِ » (٧) ، فقال : « إن العرب قد تركت في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم لعلم الخبر لأي شيء وضع هذا الكلام » (٨) .

٧ - حذف القسم وجوابه ، ومثال حذف القسم « لا أكفلن » أي : والله لا أكفلن ، ومثال حذف جوابه قوله تعالى : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ » ، « وَتَشْتَعِلُ فَتَنْتَفِرُ » ، « وَالْقُلُوبِ إِذَا نَبَتِ » . هل في ذلك قسم للذي جرحه . ألم تر كيف فعل ربك بقاد ،

(١) الزمر ٧٣ .

(٢) ينظر الإيضاح ص ١٨٧ ، وشرح التلخيص ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) التلخيص : تفسير التلخيص .

(٤) مفتاح العلوم ص ١٣١ - ١٣٥ ، والإيضاح ص ١٨٨ .

(٥) الزمر ٧٣ .

(٦) البقرة ١٦٥ .

(٧) الأنعام ٢٧ .

(٨) كتاب سيوريه ج ١ ص ١٥٢ .

إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (١) ، ، جواب القسم هنا
معلول تقديره : لهنّ ، أو نحوه .

٨ - حذف الواو جواباً ، ومثال حذف الواو قوله تعالى : « مَا أَتَاكَ مِنْ
وَكَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ كَانَ ذَلِكَ لَكُلِّ شَيْءٍ عَذَابٌ كُلٌّ إِلَهٌ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ (٢) » ، وتقديره : لو كان معه آلهة لكل إله بما خلق .
ومنه قول فريز بن أبيه :

لو كنت من مازن لم تصبح ليلي بنو القبيصة من ذهل بن شيبان
إِذْ لَقَامَ بَنَصْرِي مَعْشَرٌ عَشْرٌ عند الخطيئة إنَّ ذُو لَوْنَةٍ لَا تَأْ
والتقدير : إذ لو كنت منهم لقام بنصري معشر عشرين .

ومثال حذف جواب الواو قوله تعالى : « وَلَوْ تَرَى إِذْ فُتِحُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَعْيَلُوا
مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٣) » ، وتقدير جواب الواو : لو أيتهمراً عقيباً . ومنه قول أبي تمام :
لو يعلم الكفرُ كم من أعصر كنت له العوالبُ بين السُمرِ والتَّغْصِبِ
والتقدير : لو يعلم الكفر لاحت أمة الخلد .

٩ - حذف جواب الواو كقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ
فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَمْ يَحْذَرُوا آلِمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَنْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .
وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤) » ، وتقديره : ولولا
فضل الله ورحمته لم يجعل لكم السباب .

١٠ - حذف جواب الواو كقوله تعالى : « وَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّ الْعَبْدُ نَادِيَهُ
أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّقْيَا ، إِنَّا كُنَّا نَحْنُ الْحَكِيمِينَ (٥) » ، وتقديره :

(١) أنفير ٨-١ .

(٢) القومون ٩١ .

(٣) سبأ ٥١ .

(٤) النور ٢٠-١٩ .

(٥) الصافات ١٠٣-١٠٤ .

فلما أسلموا وثقه الجبين وادبناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا كان ما كان مما يتعلق به الحال ولا يحيط به الوصف .

١١ - حذف جواب «أنا»، كقوله تعالى : «فأما الذين أسودت وجوههم أكلتهم بعد إيمانكم» (١)، والتقدير : فيقال لهم أكلتم بعد إيمانكم، فحذف القول وأقام القول مقامه.

١٢ - حذف جواب «إذا»، كقوله تعالى : «وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون. وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين» (٢)، والتقدير : وإذا قيل لهم اتقوا أعرضوا وأصروا على تكذيبهم، وقد دلّ عليه قوله : «إلا كانوا عنها معرضين».

١٣ - حذف المبتدأ والخبر. ولا يكون حذف المبتدأ إلا مفرداً، والاحسن حذف الخبر لأن منه ما يأتي جملة. ومن المواضع التي يحسن فيها حذف المبتدأ على طريق الإيجاز قولهم «الللال والله أي : هذا الللال».

ومن المواضع التي يصح فيها حذف الخبر قولنا «لولا عهد لكان كذا» . ومن المواضع التي يحتمل أن يكون المحذوف فيها إما المبتدأ وإما الخبر قوله تعالى : «فصبر جميل» (٣)، فيحتمل أن يكون المبتدأ محذوفاً والتقدير : «فأمري صبر جميل»، ويحتمل أن يكون من باب حذف الخبر والتقدير : «فصبر جميل أجمل».

١٤ - حذف «لا» من الكلام وهي مرادة، كقوله تعالى : «والله تعالى أنكر» يوسف (٤) أي : لا نقأ، فحذفت «لا» من الكلام وهي مرادة . ومنه قول امرئ القيس :

(١) آل عمران ١٠٦ .

(٢) يس ٤٥ - ٤٦ .

(٣) يوسف ٦٥ ، ٨٣ .

(٤) يوسف ٨٥ .

قلت : بين الله أربعاً قاصداً ولو قطعتوا رأسي لنبك وأوصالي
أي : لا أربع قاصداً.

١٥ - حذف الواو من الكلام والياء، واحسن حذفها من الحطوف والحطوف عليه، ومنه قوله تعالى : وما أيها الذين آمنوا لا تغفلوا عن الصلاة من دونكم لا يأتونكم غيباً ودعوا ما حتم قد بدت البضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر (١)؛
أي : لا يأتونكم غيباً ودعوا ...

١٦ - حذف بعض اللام وهو سماعي لا يجوز القياس عليه، (٢) ومنه قول
عقبة بن عيدة :

كان لإبريق - شبي على شرف مقدم^٣ بسبب الكفكان مثنوم^٤ (٣)
فقوله وسبب تكاد يريد بسبب الكفكان.
وهذا وأمثاله مما يقع ولا يحسن وإن كانت العرب قد استعملته فإنه لا يجوز
لنا أن نستعمله.

الشعر الثاني : حذف الجمل وهو قسمان :
أحدهما : حذف الجمل المقيدة التي تستقل بنفسها كلياً وهذا أحسن الحذفات
وأما على الاختصار ولا تكاد نراه إلا في كتاب الله تعالى.
وثانيهما : حذف الجمل غير المقيدة .
وجملة عذرين فتوعين أربعة أضرب :

الضرب الأول : حذف السؤال المقدر ويسمى الاستئناف ويكون على وجهين :
١ - إعادة الأسماء والصفات، كقوله تعالى : ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقونه.

(١) آل صرمان ١١٨.

(٢) ينظر اللؤلؤ السائر ج ٢ ص ١١٢، والطرز ج ٢ ص ١١٢.

(٣) المقدم : حرة تجمل في غم الإبريق . سبب الكفكان : جمع اسمية وهي القفلة،
وقيل : القفلة البيضاء .

والذين يكلمون بما أُنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون،
 أولئك على هُدًى من ربهم وأولئك هم المفلحون (١) والاستئناف واقع في هذا
 الكلام على أولئك لأنه لما قال «ألم ذلك الكتاب» إلى قوله : «وبالآخرة هم يوقنون»
 اتجه لسائل أن يقول : ما بال المستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ، فأجيب
 بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالتفاح
 أجلاً .

٢ - الاستئناف بطريق إعادة الأسماء والصفات ، فكأنه تعالى : « وما لي لأحمدُ
 الذي فطرني وإليه ترجعون » أأخذ من دونه آفةً إنَّ برؤوفَ الرحمنُ بفطرته
 لا تُغني عني شفاعتهم شيئاً ولا يُنتقلون : إني أذن لفي ضلال مبین . إني كنت
 بربكم فاسمكون . قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
 من المكثرين (٢) . فخرج هذا القول فخرج الاستئناف ، لأن ذلك من مظاهر
 المسألة عن حاله عند لقاء ربه ، وكان قاتلاً قال : كيف حال هذا الرجل عند
 لقاء ربه بعد ذلك التعصب في دينه والتسلي لوجهه بروحه ؟ فقيل : قيل أدخل
 الجنة ولم يقل : قيل له ، لا لتعصب الفرض إلى القول لا إلى القول له مع كونه
 معلوماً ، وكذلك قوله تعالى : « ياليت قومي يعلمون » مركب على تقدير سؤال
 سائل عما وجد .

الغريب الثاني : الاكتفاء بالسبب عن السبب وبالسبب عن السبب ، فلما الاكتفاء
 بالسبب عن السبب فكأنه تعالى : « وما كُنْتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْتُ إِلَى مُوسَى
 الْأَمْرَ وَمَا كُنْتُ مِنَ الشَّاكِكِينَ . وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا نَرَوْكَ قَاطِرًا » عليهم العُسرُ (٣) .
 فذكر الرحمة التي هي السبب في إرساله إلى الخلق ودلُّها على السبب وهو الأرسال
 وعليه قول المتن :

(١) البقرة ١-٥ .

(٢) يس ٢٢-٢٧ .

(٣) القصص ١١-١٥ .

أَيُّ الْإِزْمَانِ بِسُوءِ نِيَّيْهِ تَسْرَعُ هُمْ وَأَيُّهُ عَلَى الْقَرْصِ
 أَي : فساداً .

وأما حذف الجملة غير المبهمة من هذا الضرب فكقولهم تعالى حكاه عن مريم
 - عليها السلام - : «قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُنْ
 بِبَطْنٍ» . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلْنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً
 مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَفْضِيًّا» (١) ، فقوله : « وَلْنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ » تعليل معكف مخلوف
 أَي : وإنما فعلنا ذلك لنجعل آية للناس ، فذكر السبب الذي صدر الفعل من أجله ،
 وهو جعل آية للناس ، وذلك به على السبب الذي هو «الفعل» .

وأما الاكتفاء بالسبب عن السبب ، فكقولهم تعالى : «فَالَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ» فاستغنى
 بالله عن الشيطان الرجيم ، (٢) ، أَي : إذا أردت قراءة القرآن : فاكفي بالسبب
 الذي هو القرآن عن السبب الذي هو الإرادة ، والتعليل على ذلك أن الاستعانة
 قبل القراءة والذي دلل عليه أنها بعد القراءة .

الضرب الثالث : الانضمام على شريطة التفسير ، وهو أن يخلط من صدر الكلام
 ما يؤتى به في آخره فيكون الآخر دليلاً على الأول : وهو ثلاثة أوجه (٣) :
 ١ - أن يأتي على طريق الاستظهار فتذكر الجملة الأولى دون الثانية ، كقولهم
 تعالى : «أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ يُغِيلُ لِقَاسِمِهِ لَلْأَوَّلِ
 مَن ذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ لِيُحْلِلَ فِيهِ» (٤) ، فتقدير الآية : «أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
 لِلْإِسْلَامِ كَمَنْ أَكْبَرُ قَلْبُهُ؟» ويدل على المخلوف قوله «وَالَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ» .

(١) مريم ٢٠-٢١ .

(٢) النحل ٩٨ .

(٣) ينظر النحل الساتر ج ٢ ص ٨٦ ، والمطلع الكبير ص ١١٢ ، والطرار ج ٢ ص ٩٧ .

(٤) الزمر ٢٢ .

٦- أن يرد على حدّ الثاني والاثبات، كقوله تعالى : « لا يستوي منكم من أنفق قبل القتال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » (١) ،
تفسيره لا يستوي منكم من أنفق من قبل القتال وقاتل وقاتل ومن أنفق من بعده وقاتل ،
يدل على المحطوف قوله : « أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » ،
٣- أن يرد على غير هذين الوجهين ، فلا يكون استظهاراً ولا تنقيحاً وإنما كقوله
تعالى : « والذين يؤثرون ما آتوا ، وقلوبهم وحيّة » أنهم إلى ربهم واجعون » (٢)
فاللحق في الآية : « والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات وسائر القرب للخالصة
لوجه الله تعالى وقلوبهم وحيّة أي : خائفة من أن ترد عليهم صدقاتهم لحلف
قوله « ويخافون أن ترد عليهم هذه الصدقات » ، وذلك عليه بقوله « وقلوبهم وحيّة »
فظاهر الآية أنهم يعطون من الصدقة وليس وجلهم لأجل الصدقة ، وإنما
وجلهم لأجل خوف الرد المتصل بالصدقة :
وكقول أبي تمام :

ينجب الآثام ثم يخافها فكانما حسنه آثامُ
والتفسير : أنه ينجب الآثام فإذا تجنبها فقد أتى بحسنه ثم يخاف أن لا تكون
تلك الحسنة مقبولة ، فكانما حسنه آثام فلم يخف الحسنة لتكونا حسنة وإنما خاف
ما يتصل بها من الرد فكانما خوفة كما يخاف الآثام .
ومن قول أبي نواس :

سنة الشقاق واحدة فإذا أحسبت فاستكن
لحذف الاستكارة من الأول وذكرها في الصراع الثاني ، لأن التفسير : سنة
الماثلين واحدة وهي أن يستكبروا ويضرعوا ، فإذا أحسبت فاستكن .

(١) المائدة ٦٠ .

(٢) التوبة ٦٠ .

الضرب الرابع : ما ليس بسبب ولا سبب ، ولا اضمار على شريطة التفسير ،
ولامتناف : فمن حلف الجمل القيدة فيه قوله تعالى : « قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ
سِنِينَ دَلِيلًا فَمَا حَصَدْتُمْ ثُمَّ فَكَّرُوا فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِي
مَنْ يَمْدُ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَاهُ يَأْكُلُنَ مَا قَدْ شِمْتُمْ لَنْ إِلَّا لَقِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ . ثُمَّ يَأْتِي
مَنْ يَمْدُ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَتَصَيَّرُونَ . وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُكْرِنِي بِهَذَا (١) ،
فإنه حلف من هذا الكلام جملة مفيدة لتقديرها : فخرج الرسول إليهم فأخبرهم
بذلك يوسف فصبروا لها أو تصدقوه عليها وقال الملك : « أَتُكْرِنِي بِهِ » .

ومن حلف الجمل غير القيدة قوله تعالى : « يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ
يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا » قال : رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي
عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُ
مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا . قَالَ : رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ، قَالَ : آيَتُكَ إِلَّا تَكَلَّمَ النَّاسُ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا . فخرج على قومه من الخراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة
وعشيا . يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتِنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (٢) . هذا الكلام قد
حلف منه جملة دل عليها صبره وهو البشري بالغلام ، وتقديرها : ولا جاءه
الغلام ولما وترعرع قلنا له : يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، فالجملة المحذوفة ليست
من الجمل القيدة .

ومما ورد على ذلك شعراً قول المتنبي :

لا أبغض العيشَ لكني وقت بها قلبي من الغم أو جسي من السقم
وفي هذا البيت حلف ، والتقدير : لا أبغض العيش لأنساني إياها في الأسفار ولكني
وقت بها كذا وكذا ، الثاني دليل على حلف الأول .

(١) يوسف ٢٧ - ٢٨ .

(٢) مريم ٧ - ١٢ .

وما يحصل بهذا القرب حلف عابدي بعد وأقبل مثل : « الله أكبر أي :
 أكبر من كل كبير ،
 وحله ورد قول البحري :
 الله أعظمك الحجة في القوي وحجك بالفضل الذي لا يشكر
 ولأنت أولاً في القيون لديهم وأجل قدراً في الصدور وأكبر
 أي : أنت أولاً في القيون من غيرك (١) .

(١) ينظر التفصيل في هذه المسائل، انظر السائر ج ٢ ص ٧١ وما بعدها، والجامع الكبير
 ص ١٢٢ وما بعدها، والإيضاح ص ١٨٥ وما بعدها، والطرز ج ٢ ص ٨٨ وما
 بعدها ، وشرح القاموس ج ٣ ص ١٨٢ وما بعدها

البحث الثاني الأطاب

مصر يله :

الأطاب - لغة - مصدر أطب في كلامه الطاباً ، إذا بالغ فيه وطوك ذبوره
لإفادة المعاني . واشتقاقه من قولهم : « أطب بالمكان » إذا طال مقامه فيه .
والأطاب اصطلاحاً - زيادة القنط على المعنى لقائده .

وقد شغل هذا الأسلوب الفخامة عند مبكر وعرض له الجاحظ ، وعنده البلاغيون
فصولاً إضافية ، من ذلك ما نقله أبو حلال العسكري الذي ذكر في مطلع البحث حجة
أصحاب الأطاب فقد قالوا : « النطق إنما هو بيان ، والبيان لا يكون إلا بالأشياء
والشفاه لا يقع إلا بالاتفاق ، وأفضل الكلام أي به ، وبأيته أشده اساطة بالمعاني ولا يسطط
بالمعاني اساطة تامة إلا بالاستقصاء ، والاتجار للخواص ، والأطاب مشتمل عليه للخاصة
والعامة ، والفني والقنط ، والفريض والمرئاض ، ولحق ما طيلت الكتب السلطانية في
الهام القرعيا » (١) : ولكن أبا حلال يرى أن الإيجاز والأطاب يحتاج إليهما في
الكلام ، وهذا هو الصحيح نعم المطابقة لمنتهى الحال :

وكان ابن الأثير من أكثر البلاغيين اعتناء بهذا الأسلوب ، وقد عرفه بقوله :
« هو زيادة القنط على المعنى لقائده » (٢) .

وعرّفه ابن قيم الجوزية بقوله : « هو زيادة في القنط لتقوية المعنى » (٣) ، ويطلق
هذا التعريف مع التعريفات الأخرى التي لا تكاد تخرج عن هذا المعنى وهو أن الأطاب
زيادة القنط لغرض يتصل به الشكك ، وإلا كان اساطة لا يقتضيها المقام :

(١) كتاب الصائين ص ١٩٠ .

(٢) اللؤلؤ المبرقاج ص ١٢٨ ، وينظر الجامع الكبير ص ١١٦ .

(٣) الموائد ص ١٠٩ .

والتعطيل من المصطلحات التي تكرر ، وقد دام بعضهم هذا الأسلوب وميز
بينه وبين الاطباب ، فقال أبو هلال : « الاطباب جلافة والتعطيل عي » ، لأن التعطيل
بمثلة سلوك ما يجد جهلا بما يقرب ، والاطباب بمثلة سلوك طريق بعيد لزم
بحثوي على زيادة قاذفة (١) :

وفرق ابن الأثير بينهما فقال في التعطيل انه « يدل على المعنى بلفظ يكتفيك بعضه في
الدلالة عليه » (٢) . وقال حن : « هو زيادة اللفظ عن المعنى لغير قاذفة » (٣) في
حين قال عن الاطباب انه « زيادة اللفظ على المعنى للقاذفة » (٤) وإذا حدثت منه
زيادة للمؤكدة المعنى تغير ذلك المعنى و زال ذلك التأكيد عنه وذهبت قاذفة التصوير
والتخييل التي تفيد السامع عالم يمكن الا بها ، فقله تعالى : « فانها لا تعمى الابصار »
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٥) لا يسمى إيجازاً لأنه أتى فيه بزيادة لفظ
هي « الصدور » ولا يسمى تعطيلاً لأن التعطيل لا قاذفة فيه أصلاً وهذا فيه قاذفة
ولذلك سمي اطباباً ، وليس كلفقت التعطيل غالبيت :

طوع اثنا بالمطايا وسائق إلى غاية من يصورها بقدّم
فيه تعطيل لأن لفظه « المطايا » فضلة لا حاجة اليها (٦) :

ولحق الخطيب القزويني بين الاطباب والتعطيل ولكنه قال عن الثاني : « وهو
أن لا يمتثل لرائد في الكلام » (٧) ومُسي للذي يتعين فيه لرائد حشواً :

(١) كتب الصنعتين ص ١٩١ .

(٢) لئل السائر ج ٢ ص ٧٤ .

(٣) لئل السائر ج ٢ ص ١٢٩ .

(٤) لئل السائر ج ١ ص ١٢٤ .

(٥) النسخ ٤٦ .

(٦) ينظر المحرر السائر ج ٢ ص ٢٤ و ص ١٥٧ .

(٧) الإيضاح ص ١٣٧ .

بأقوال الاطبا على أشكاله غفلة منها :

١- الايضاح بعد الابهام : وبأقوال لاخرى :

الأول : يرى المعنى في صورتين مختلفتين :

الثاني : ليسكن في نفس فضل تمكن ، فان المعنى إذا لقي على سبيل الاجمال والابهام تنقلت نفس السامع إلى معرفة على سبيل التفصيل والايضاح .

الثالث : لتكمل الفكرة بالعلم به ، فان الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول الفكرة به ألم وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تنقلت النفس إلى العلم بالجهول فيحصل لها بسبب اللطوم الفكرة .

الرابع : لتضخم الامر وتعتظمه .

ومثال هذا الأسلوب قوله تعالى : « وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » (١) ، فان « أن » دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ، ايضاح للابهام الذي تضمنه لفظ « الامر » ، ولم يفتضح الامر وتعتظم له . ومنه قوله تعالى : « قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري » (٢) ، فان قوله « اشرح لي » يفيد طلب شرح الشيء ما ، وقوله « يسر لي » يفيد تيسيره ويأنيه ، وكذلك قوله : « يسر لي أمري » وللقام مقتضيه لتأكيد .

ومن الايضاح بعد الابهام باب « نعم وبئس » إذ لو لم يقصد الاطبا لقليل « نعم محمد » و « بئس زيد » .

(١) الحجر ٦٦ .

(٢) طه ٢٤-٢٦ .

ومنه « التوضيح » وهو أن يؤخذ في صجر الكلام بمقتضى مفسر باسمين ، أحدهما معطوف على الآخر ، كما جاء في الخبر : « يشيب ابن آدم ونشب معه غصنلان : الحرس وطول الأمل ».

ومنه قول الشاعر :

سفتي في ليلي شيء بشعرها
فما زلت في ليلتي : شعر وظلمة
ومنه قول ابن الرومي :

إذا أرق قاسم جاءت لنا يسه
وإن أضاعت لنا أنوار غرة
وإن نضا حده أو سل عزمه
من لم يبت حذرا من سطو صولة
بنا بالظن ما يصي ليلان به
لم يحد الأجودان : البحر ، والظن
تضاد التيران : الشمس والقمر
فاخر الماغبان : القيف والقدر
لم يدر ما للزعجان : الخوف والحذر
والشاعدان عليه : العين والأثر

وقول البحري :

لما مشين بذي الأراك تشابت
في حلتي حير ورواح قلتي
أعطان قفبان به وقسود
وردان : ورد جنى وورد خلود (١)

٢- ذكر الخاص بعد العام : ويؤخذ به لتبنيه على فضل الخاص حتى كأنه ليس من جنس العام لتزيلا للتباير في الوصف متراكمة للتباير في اللغات ، كقوله تعالى : « حافظوا على الصلوات ، والصلوة الوسطى » (٢) وقد خص « الصلاة الوسطى » وهي صلاة العصر - بالذكر لزيادة فضلها . ومنه قوله تعالى : « من كان

(١) ينظر الإيضاح ص ١٩٥-١٩٦ ، وخزانة الأدب ص ١٦٩ ، والبرهان في علوم

التفريق ج ٢ ص ١٢٧ ، وشروح التلخيص ج ٣ ص ٢١٥ .

(٢) البقرة ٢٣٨ .

علموا إليه وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل (١)، وجبريل وميكائيل من الملائكة.

وقوله: «ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» (٢) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في الخير ولكنه تعالى خصهما:

ومنه قول النبي:

«فإن تفضلوا إلا أنتم» وأنت منهم فإن المسك بعضكم القليل وقول ابن الرومي:

كم من أبي قد علا بآب ذرا شرف كما حلت برسول الله عذبان (٣)

٣ - ذكر العام بعد الخاص : ويؤي به لفظة الصوم مع العناية بشأن الخاص . قال الزركشي : «هذا أنكر بعض الناس وجوده ، وليس بصحيح» (٤) ومثل له بقوله تعالى : «إن صلاتي ونسكي» (٥) ، والنسك العبادة ، فهو أهم من الصلاة . ومنه قوله تعالى : «للم يعلموا أن الله يعلم سيرهم ونحوهم ، وأن الله علام الغيوب» (٦).

(١) البقرة ٩٨.

(٢) آل عمران ١٠٤.

(٣) الإنشراح ص ١٩٧ . وشرح الشنيس ج ٢ ص ٢١٦ . والبرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٦٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٧١.

(٥) الأنعام ١٦٢.

(٦) التوبة ٧٨.

٤ - التكرير: وهو أن يأتي التكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ معنًى
المعنى أم مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده (١).
ويؤتى به لأغراض:

الأول: التأكيد، كقوله تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» ثم «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» (٢)،
وأي «ثم» دلالة على أن الانتظار الثاني أبلغ وأشد.

الثاني: زيادة التنبيه على ما ينبغي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، ومنه قوله تعالى:
«وَقَالَ الَّذِي آمَنَ: يَا قَوْمِ ائْتِ بِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ» يا قوم إيتوا هذه الحبالاً
التيها متاع» (٣)، فإنه تكرر فيه التذلل لذلك.

الثالث: إذا طال الكلام ونحش تناسي الأول أعيد ثانياً بطريقة له وتجديداً ليعده،
كقوله تعالى: «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَقُورَ رَحِيمًا» (٤).

الرابع: في مقام التعظيم والتهويل، كقوله تعالى: «وَالْحَالِقَةُ» (٥) وقوله:
«وَالْقَارِعَةُ» (٦) والقارعة ٢، (٦) وقوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» وما أدراك ما ليلة
الْقَدْرِ؟ (٧).

(١) ينشر التوراة ص ١١١، والنحل السائر ج ٢ ص ١٢٩، ١١٥٧، والمصباح الكبير
ص ٢٠٥، وعزارة الأريب ص ١٦٤، والمصباح ص ١٠٥.

(٢) التكاثر ٢-٤.

(٣) غافر ٢٨-٢٩.

(٤) النحل ١١٩.

(٥) الحاقة ١-٢.

(٦) القارعة ١-٢.

(٧) القدر ١-٢.

الخاص: الصجب، كقوله تعالى: «لَقَدْ قُلْنَا كَيْفَ تَقْدِرُونَ» ثم قيل كيف قدر؟ (١)
 لأبعد تمجدا من تقديره وأصابته الغرض.

الخاص: التعدد المطلق، كما كثره تعالى من قوله: «وَلَيْسَ الْآخِرُ بِكَمَا تَكُونُونَ»
 في سورة الرحمن، فإنها وإن تعددت فكل واحد منها متعلق بما قبله.

الخاص: الترغيب في قبول النصيح، كقوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ
 أَغْدَى كُنْمْ سَبِيلَ الْرِشَادِ» يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا مناج وإن الآخرة هي دار
 القرار (٢)، فقد كرر «يا قوم» لتعطيف قلوبهم.

الخاص: التلذذ بذكر الذكر، كقول الشاعر:

سقى الله نبذاً والسلامُ على نجدٍ وباحتبذاً نجدُ على القربِ والبُعدِ
 الخاص: اشتهار لتحصن كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة:

يا قبرَ معنٍ أنت أولُ حضرةٍ من الأرضِ خُطتَ لسماعةٍ موضعاً
 وبأقبرَ من كيفٍ وأريتُ جوداً ولقد كان منه البرُ والبحرُ مرقعاً
 ويؤتى به لغير ذلك من الأغراض التي يحددها المقام (٣) :

٥ - الإيصال: اعتطف في معناه، قليل: هو ختم البيت بما يفيد تكملة يتم المعنى
 بملوئها، كزيادة المبالغة في قول الخنساء:

وإنَّ صخرًا لَنائمٌ الهدأةُ به كأنه عَلمٌ في رأسه نِصارُ
 فهي لم تلف عند تشبيهه بالجليل المرتفع بل أضافت النار في رأسه. وقيل أنه

(١) الشعر ١٩ - ٢٠.

(٢) الشعر ٢٨ - ٢٩.

(٣) ينظر الإيضاح ص ١١٩٧ وشرح التلخيص ج ٣ ص ٢١٨، والبرهان في علوم
 القرآن ج ٣ ص ١١.

لا يختص بالنظم، ومن ذلك قوله تعالى: «اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون» (١) ولذلك تعريفه بأنه «الاتباع في مقطع البيت وعجزه أو في الفقرة الواحدة تمت لما قبله مفيد التأكيد والزيادة» (٢) يجمع النوعين .

٦ - التلخيص: قال ابن سنان: «هو أن يكون القفط زائداً على المعنى وفائداً عنه» (٣) .

ويظهر من هذا التعريف أنه يريد «التطويل» ، أو الإطباب ، لأنه قسم دلالة الألفاظ على المعاني ثلاثة أقسام: المساواة والتلخيص والإشارة. وليس كذلك تعريف المتأخرين، فهو «تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها التوكيده» (٤). وقد قال أمير علان عن هذا الأسلوب: «فلما التلخيص قهر إعادة الألفاظ للترادف على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه ويتركه عند من فهمه ، وهو غيد الإشارة والتعريض. وينبغي أن يحصل في المواطن الجامعة والواقف الحافظة، لأن تلك المواطن تجمع الباطني القهيم، والجهيد للفهم، وإتقان التريخة، والجهيد للخاطر، فلذا تكررت الالفاظ على المعنى الواحد تركت عند القاصد الفن وصحح لتكليل اللفظه» (٥) .

(١) يس ٢١ .

(٢) الطراز ج ٢ ص ١١٢١ ، ونظر سر الفصاحة ص ١٨٦ ، وكتاب الصالحين ص ١٢٨٠ والجمع الكبير ص ٢٤١ ، والمصباح ص ١٠٤ ، وفتح القرآن ص ٩١ ، وتحرير القصير ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، وعزلة الأدب ص ٢٢٤ ، والأبصار ص ١٩٩ ، وشروح التلخيص ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٣) سر الفصاحة ص ٢٤٢ ، ٢٥٦ .

(٤) الإيضاح ص ٢٠٠ ، للمصباح ص ٩٨ ، الفوائد ص ١٢١ ، شروح التلخيص ج ٢ ص ٢٢٢ ، الطراز ج ٢ ص ١١١ ، البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ١٦٨ ، عزلة الأدب ص ١١٠ .

(٥) كتاب الصالحين ص ٣٧٢ .

والتليل ضربان :

الأول : لا يخرج مخرج اللل لعدم استغلاله بإقامة التراد وتوقفه على ما قبله كقوله تعالى : **وذلك جزيناكم بما كفروا** وحل نُجَازِي **إِلَّا الْكَافِرِينَ** (١) أي : حل نُجَازِي ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور **إِلَّا الْكَافِرِينَ** فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مبدأً قائمة زائدة :

ومنه قول الشاعر :

فَدَعَوْا نَزَالَ فَنُكِنْتُ أَوَّلَ نَزَالٍ وعلام أركبه إذا لم أُنَسَزَلِ
فالتطر الثاني تليل ولكنه غير مستقل عن الأول :

وقول المتنبي :

وما حاجة الأضغان حوائك في الدجى إلى قمر ما واجد لك عامه (٢)
قوله **وما واجد لك عامه** تليل :

وقول ابن نباتة السعدي :

لم يُبَيِّنْ جودك لي شيئاً أومل تركني أصعب الدنيا بلا أسل
قوله **تركني أصعب الدنيا بلا أسل** تليل غير مستقل عن الجملة السابقة :

الثاني : يخرج مخرج اللل لاستغلاله بنفسه ، كقوله تعالى : **وعلق : جاء الحق**
وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ **إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٣) ، قوله **وَزَهَّقَ الْبَاطِلَ** كان زهوقاً تليل وهو مستقل عن السابق والملك يخرج مخرج اللل ،

(١) س١ ١٧ .

(٢) أي لا يمد القمر من يده .

(٣) الاسراء ٨١ .

ومنه قوله تعالى: «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد» أَلَا نَسِيَتْ فُهِمُ الْخَالِدُونَ ؟
كُلُّ قَسْرٍ ذَاتُكَ الْمَوْتِ (١) ، فقوله «كل نفس ذاتقة الموت» مستقلة وبضرب
بها القتل .

ويصح أن يكون قوله «وَأَلَّا نَسِيَتْ فُهِمُ الْخَالِدُونَ» من الضرب الأول أيضاً . وقوله:
«وما أَمْرِي نَفْسِي» ، إِنَّ نَفْسِي لَأَمَارَةٌ بِالْإِسْرَاءِ (٢) ، فقوله «إِنَّ نَفْسِي لَأَمَارَةٌ
بِالْإِسْرَاءِ» تذييل بضرب به القتل .

ومنه قول القابضة القلياني .

وَلَسْتُ بِمُسْتَقِرٍّ أَعَا لَأَتَلَمَّهَ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ لِلْهَلْبِ
فقوله «أَيُّ الرِّجَالِ لِلْهَلْبِ» تذييل وهو مستقل عما قبله . ولذلك يضرب به القتل .
وقول أبي نواس .

عَرَمَ الزَّمَانُ عَلَى الَّذِينَ عَهْدُهُمْ بِكَ قَاطِنِينَ ، وَالزَّمَانُ عَرَامٌ (٣)
فقوله «وَالزَّمَانُ عَرَامٌ» تذييل وهو مثل .

ومنه قول إبراهيم بن المهدي في رثاء والده .

بِذَلِكَ دَاراً غَيْرَ دَارٍ وَجَبِيرَةٌ سِوَايَ ، وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَتَوَبُّ
فقوله «وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَتَوَبُّ» مثل ، وهو مستغن عما قبله .

والتَّحْيِيلُ .

١ - أَمَا لَأَكِيدَ مَطْلُوقَ كَلَامٍ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ»

إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ، (٤)

(١) الأبيات ٣٤ - ٣٥ .

(٢) يوسف ٥٣ .

(٣) العرام : الشدة والقسوة والأذى .

(٤) الإسراء ٨١ .

٢- وأما لتأكيد مفهومه كبيت الثابتة :

ولست بمستيقن أنها لا تلتزم على شئت أي الرجل للهالك

٧- التكميل: هو الاختراس، غير أن بدر الدين بن مالك يذكر في كتابه «المصباح» (١) نوعين هما :

الأول: الاختراس : وهو أن تأتي في المدح أو غيره بكلام قراء ملحوظا بعيد من جهة دلالة منطوقه أو ضحواه فتدفعه بكلام آخر لتصوره عن احتمال الخطأ، ومنه قول الخنساء :

ولولا كثرة الباكون حوئي على إخوانهم قطعت نفسي
قطعت لوجه أن يقال لها قد سارت أخاك بالهالكين من إخوان الناس فلم
فرطت في الخزع عليه ، فاحترمت بقولها :

وما يكون مثل أخي ولكن أعزني النفس عنه بالناسي
الثاني: التكميل: وهو أن تأتي في شيء من القنن بكلام قراء ناقصا لكونه مدحولا
بعيد من جهة دلالة مفهومه فتكمله بمسألة ترفع عنه النقص :
ومنه قول السموأل :

وما مات منّا سيدٌ في فراشه ولا ظلٌ منّا حيث كان قبيلُ (٢)
فرأى أنه وصف قومه بالصبر على القتل دون الانتصار من قاتليهم فكمّله بالشطر
الثاني :

(١) المصباح ص ٩٧-٩٨.

(٢) يقول الشطر الأول إنهم شجعان قتل سرب لا يموت أحدهم موتاً طيباً وإنما يموتون
بمراحلت الحركة. وظل القربل : أعدو دمه. ومناه : أنهم لا يقولهم ثار قبيل من
تلاحم ، فهم القوياد.

وجمع معظم البلاغيين المصطلحين وقال القزويني : «وأما بالتكميل ويسمى الاحتراس أيضاً وهو أن يأتى في كلام يرهق خلاف المقصود بما يدفعه (١)» وهو ضربان :

الأول : ضرب يتوسط الكلام ، كقول طرفة :

لنقى ديارك - غير مضطربا -

صوباً فربيع وديعةً ذاتي

لقوله «غير مضطربا» احتراس عن أن تلعب مطالها.
وقول الآخر :

لو أن عزّة غاصت شمس النضى في الحسن عند موثق لنفسى لها
لقوله «عند موثق» تكميل واحتراس من أنها تقاضي الشمس عند حاكم غير موثق .

وقول ابن المعتز :

صينا عليها - ظالين - سياحا فطارت بها أبد سراج ولوجل
لقوله : «ظالين» احتراس أو تكميل ، ولو حلقها الشاعر أنهم أن غرسه بطيخة تستحق الضرب .

الثاني : ضرب يقع في آخر الكلام ، كقوله تعالى : «وسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» الآية على المؤمنين أعزّة على الكافرين ، (٢) ، قوله لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لوهى أن ذلتهم لضعفهم ، فلما قال «أعزّة على الكافرين» علم أنها منهم تواضع لهم .

ومنه قول عنترة :

أني على بما علمت قاتني سهلي مخالفتي إذا لم أحتسب

(١) الإيضاح ص ٢٠٢ ، وينظر شروح الطخيس ج ٣ ص ٢٣١ ، والبرهان في علوم

القرآن ج ٣ ص ١٦٤ ، والفرار ج ٣ ص ١٠٨ وساء والاكمل .

(٢) التلخيص ص ١٠١ .

قوله «إذا لم أنظّم احتراس دل به على أنه قد بخالف ف يرجع إلى الحق وانحياً ولكنّه لا يقبل النظم» .

٨- التفسير : وهو أن يؤتى في كلام لا يورث عوارض التصوّر بفضلة (١) بقيد نكته (٢) ، أو كما قال الطبري : وهو تقييد الكلام بفضله (٣) ، وبأنّ لأغراض : الأول : المبالغة ، كقوله تعالى : «وَيُطْعِمُونَ الطَّامَّ عَلَى حَبِّهِ» (٤) أي : مع حبه ، والتضمير للطعام أي مع اشتهاؤه والحاجة إليه .

ومنه : هو أنّي المال على حبه (٥) ، وقوله : «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُونَ» (٦) :

ومنه قول زهير :

مَنْ يَكُنْ يَوْمًا عَلَى عِلَالِهِ حَرَمًا يَكُنْ قَسَامَةً مِثْلِي عَلَى عِلْفَا
قوله «على علاله» تنعيم المبالغة :

الثاني : العبادة عن احتمال الخطأ فترد راقية له : ومنه قول الشاعر :

لَنْ كَانَ بَالِي حَبِشًا مِثْلَ مَاضِي فَالْحُبُّ إِنْ لَمْ يَدْخُلْ قَلْبِي لَنْزَوْجٍ

قوله «إن لم يدخل القلب» معناه سلامة العاقبة وقد آتم به للنفس عناية عن احتمال الخطأ ، فقد أراد أن أول الحب لذة وراحة فإن كان آخره مثل أوله فهو لأجماله أحمق حاله ، لكن على أن تكون العاقبة سليمة :

الثالث : استقامة الوزن ، ومنه قول المتنبي :

(١) الفضلة : هي غير الله والله إليه .

(٢) الإيضاح ص ٢٠٥ ، وشرح الطخيس ج ٣ ص ٢٢٠ .

(٣) الطراز ج ٣ ص ١٠٤ .

(٤) الإنسان ٨ .

(٥) البقرة ١٧٧ .

(٦) آل عمران ٩٢ .

ويعطى قلب لو رأيت لهيئة باجنتي لرأيت فيه جوهراً
فقوله : «باجنتي» التي بها من أجل استقامة الوزن (١) :

٩- الأعراس : وهو كثير في الأساليب العربية، وقد قال ابن جني : وأعلم
أن هذا القليل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصح الشعر ومتنور الكلام
وهو جارٍ عند العرب جري التأكيد فلذلك لا يشع عليهم ولا يستنكر عندهم (٢) ،
وقال القزويني في تعريفه : هو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين
معنى ، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لكلمة سوى مذكور في تعريف
التكميل (٣) ، ومنهم من يذهب إلى أن الأعراس هو الحشو ، (٤) ولحق ابن
حجة الحسوي ينص ، وقال : «والفرق بينهما ظاهر» ، وهو أن الأعراس يفيد زيادة
في غرض للتكلم والقائم ، والحشو إنما يأتي لإقامة الوزن لا غيره (٥) .

والإطباب بالأعراس أعراس بلاغية منها :

الأول : التورية : كقوله تعالى : «ويجعلون لله البنا» - سبحانه - ولهم
مليششهوره (٦) ، ف «سبحانه» تضمنت تزيهاً لله تعالى عن البنا :
الثاني : التعظيم : كقوله تعالى : «فلا أقسم بمواقع النجوم وإن» لتقسم - لو
تطمون - عظيم (٧)

(١) ينظر الإيضاح ص ٢٠٥ ، والبراز ج ٣ ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٣٠ .

(٣) الإيضاح ص ٢٠٦ ، وينظر شروح الظاهر ج ٣ ص ٢٣٧ ، نهاية الإيجاز ص ١١١ ،
الصباح ص ٩٩ .

(٤) ينظر للعل السائر ج ٢ ص ١٨٢ ، والنجاش الكبير ص ٩٩ ، والبراز ج ٢ ص ١٩٧ .

(٥) خزانة الأدب ص ٣٦٦ .

(٦) النحل ٥٧ .

(٧) الواقعة ٧٥ - ٧٦ .

قالت : فدعاه ، كما في قول عوف بن علف بشكو كبره :

إنّ قتالين - ويكفّنهما - قد أخرجت سعي إلى ترجمن
وقول المتنبي .

وتحقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها - وحاشاك - لايا
ولوله وحاشاك دعاء حسن في موقعه .

الرجح . فتنيه ، كقول الشاعر .

واعلم - فسلم للرء بطلعه - أن سوف يأتي كلّ ما قدسدا
ومت قول أبي خراش الهذلي يذكر أسماء عروة :

تقول أراء بعد عروة لأبيسا وذلك رء - لو علمت - جليل
فلا تحسي أني تناسيت عهدك ولكن صبري - باليم - جميل
فقله ولو علمت - و باليم - جميلان اعتراضتان فبعدان فتنيه على عظم للصاب
وعلى تجلده وصبره .

الخاص . الباصرة إلى قوم ، كقول كثير عزة .

لو أن الباطلين - وأنت منهم - رأوك تعلّموا منك المظالا

الخاص . فتنسره ، كقول ابراهيم بن للهدي في رثاء ابنه .

واني - وإن قدّمت قبل - لعالم يأتي - وقد أغرّنت - منك قريب

الساخ . الاستصاف ، ومثله له السكي (١) بيت المتنبي .

وخطوق قلب لو رأيت لهيبه - يا جنتي - لرأيت فيه جهنما

ودعه حسن الاعتراض وحسن الازادة مع أنّ عبيد عبي مالا معرك عليه في الازادة

فيكون مثله مثل الحسة فأهلك من حيث لا ترتقبها ، (٢)

(١) عروض الأفرج - شروح النظم ج ٢ ص ٢٤١ .

(٢) الانصاح ص ٢٠٩ .

وهذا هو النوع المديد من الاعتراض، أما الذي يأتي لتغير قائمة فهو حل وجوهي :

الأول : أن يكون غير مفيد لكنه لا يكسب الكلام حسنا ولا قبحا، كقول زهير :

سقت تكاليف الحياة ومن يمشي ثمانين حولا - لا أبالك - يسأم
 فنوره ولا أبالك ليس فيه قائمة تركيد ، وليس فيه قبح :

الثاني : أن يكون غير مفيد لكنه يكون قبيحا لخروجه من نوازين الحرية والمخاللة
 عن ألبستها، كقول الشاعر :

لقد - وللتك - يسن لي عشاء يوشك فراقهم مسرة بعيسج
 في ذلك هنا قبح :

وهذا النوع يكون القبح في الشعر والتك لم يأت في فصيح كلام العرب وبلغه (١) :

(١) ينظر الطراز ج ٢ ص ١٧١ .

البعث الثالث

المساواة

لك أساليب الإيجاز والإطناب؛ وما عدا ذلك فهو أسلوب المساواة التي عرفها البلاغيون بأنها تساوي القطف والمعنى بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر (١)، أو هي وأن يكون القطف بمقدار أصل المراد لا ناقصاً عنه بحذف أو غيره، ولا زائداً عليه بنحو تكرير أو تنعيم أو اعتراض (٢).

وسمى أسلوب الإيجاز والإطناب بمحدد أسلوب المساواة، ولذلك لم نشر إليها في مطلع هذا الفصل كما فعل البلاغيون وإن كان تعريف بنو الدين بن مالك يشير إلى أنها لا تعرف إلا بعد تحديد الإيجاز والإطناب؛ يقول: «أما للمساواة وهو أن يكون لفظ الكلام بمقدار معناه لا ناقصاً عنه بحذف للاختصار ولا زائداً عليه بحمل الاعتراض والتعميم والتكرار» (٣)؛ ومعنى ذلك أن معرفتها رهينة بأساليب الإيجاز والإطناب، فهي تالية لها في العرض والتحديد؛ ومن أجل ذلك تأخر الحديث عنها ليسهل التمييز وينضح القصد، أما الاتفاق على متعارف الأوساط فهو أمر من الصعب تحديده ليقاس عليه، وذلك لاختلاف الناس في هذا المتعارف وليندرج الاعتراض والأطناف التي ترسم الأسلوب الذي يقاس عليه الإيجاز والإطناب؛

(١) ينظر سر القمصانة ص ٢٣٤، والبيان في علم البيان ص ١٨٠، وبلغ القرار ص ١٢٩، وتحرير النحرير ص ١٩٧، والمثل السائر ج ٢ ص ١٧٨، والفوائد ص ١٧٨، والطرز ج ٢ ص ٣٢٢، وخزانة الأدب ص ٤٥٩.

(٢) الإيضاح ص ١٣٢.

(٣) المصباح ص ٣٠.

ويرى أبو حلال العسكري أن المساواة هي المذهب المتوسط بين الانحياز والإطناب، وإلى ذلك أشار القائل بقوله: «كَأَنَّ الْقَائِلَةَ قُرَابٌ لِمَا يَهِيَ أَي: لا يزيد بعضها على بعض» (١).

وقد حازم القرطاجني: «لأن الكلام المضعف الأجزاء، النهر التراكيب، غير ملوثة ولا مستحل، وهو يشبه الرشقات المنقطعة التي لا تروى طليلاً، والكلام الشاعري في الطول يشبه استقصاء الخمر المزدى إلى النقص، فلا شفاء مع التضعيف المخل، ولا راحة مع التطويل الممل، ولكن غير الأمور أوسطها» (٢).

ومن أمثلة المساواة قوله تعالى: «حُبُّرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الطَّيَامِ» (٣).

وقوله: «وَدُّوا لَوْ كُنُّهُمْ قَيْدُ هَيْتُون» (٤).

وقوله: «وَلَا يَحِينُ الْكُرُ السَّيْءُ إِلَّا بِأَعْلَاهُ» (٥).

وقوله: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبَانَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» (٦).

وقوله: «وَهَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» (٧).

وقوله: «وَهَلْ تُجَازِي إِلَّا الْكَفُورُ» (٨).

(١) كتاب الصائين ص ١٧٧.

(٢) منهاج البلاغة ص ٦٥.

(٣) الرحمن ٧٢.

(٤) القلم ٩.

(٥) فطر ٤٣.

(٦) الأنعام ٦٨.

(٧) الرحمن ٦٠.

(٨) سبأ ١٧.

وقوله : «إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيَّاهُ ذِي الْقُرْبَىٰ وَبَيْنَهُمْ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ بِحَيْثُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (١) :
ومنها قول النابتة للديلمي :

قَوْلِكَ كَقَائِلِ الَّذِي هُوَ مَدْرَكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمَتَىٰ عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَوْلِ طَرْفَةٍ :

مَتَبَدِّي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَبِأَيْكَ بِالْأَعْيَادِ مَنْ لَمْ تَسْزُودِي
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

تَهْدِي الْأُمُورَ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ وَإِنْ ثَابَتْ بِالْأَشْرَارِ تَفْسَادُ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قِلَّةٌ عَلَيَّ وَلَكِنْ سَلَّ عَيْنَ حَبِيبِي
وَمَا هَجَرْتُكَ نَفْسُكَ إِنَّكَ عِنْدَهَا قَلِيلٌ، وَلَكِنْ سَلَّ مِنْكَ نَصِيْبِي
وَقَوْلِ زُهَيْرٍ :

وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ الْمَرْءِ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخَفِي عَلَى النَّاسِ مُعْتَمِرٍ
وَقَوْلُهُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَقْصُرَ عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَطَا أَصَبْتَ حَلِيمًا أَوْ أَصَابَكَ جَاهِلٌ
وَأَيُّ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ مَسَاوَاةَ بَيْنِ الْقَطْعِ وَالْعَنَى ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ مَتَكَلِّمٌ ،
وَهُوَ كَالْإِيْجَازِ وَالْإِطْلَاقِ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ الْأَحْوَالِ ، بَلْ هُوَ أَكْثَرُ ضَرُورَةٍ مِنْهَا ، وَلَا
مِثْلَ فِي الْقَرَأَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُعْتَمَدَةِ عَلَى الْقَطْعِ لِلطَّائِفِ لِمَعْنَى لَا زَائِدَ عَلَيْهِ وَلَا نَاقِصًا
عَنْهُ لِيُؤَدِّيَ غَرَضَهُ بِدَقَّةٍ وَاتِّزَانٍ .

(١) النمل ٩٠.



الفصل السادس

تطبيقات عامة

(١)

اعلم البلاغيون والنقاد العرب بالألفاظ لأن لها أهمية كبيرة في تركيب الكلام، وفرقوا بين الألفاظ في التعبير، وقالوا إن هناك فرقا واضحا بين الكلمات، « قائم » مثلا غير « والف »، ورووا أن رجلا أشد ابن حرمه قوله :

بأنه ربك إن دخلت قل لها هذا ابن حرمة قائما بالباب فقال : ما كما قلت ، أكنت أتصدق ؟ قال : لماذا ؟ قال : والله . ثم قال : لبتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى (١) . وفاضلوا بين الألفاظ وقالوا إن كلمة « للمدائح » أحسن وأجف من « للمدح » و « نواظير » أحسن وأجف من « مستطقات » ، و « الضمائر » صحيحة ولكنها ثقيلة غير مألوفة ولا مستعربة . وينضح ذلك في البيتين :

ماذا عسى مدح يفتي عليك وقد فذاك في الوحي لفتهم وتطهير
فست المدائح إلا أن السنتا مستطقات بما تخفي الضمائر

وقد ذكر المرزباني : « وما شيء أشعر بعد صحة المعنى من حسن اللفظ ، وهذا عمل التكلف وسوء طبع » (٢) :

وذكر الجلسي أن الناس قد تسخط ألفاظا ويستعملونها وغيرهالحن بذلك، وقال إن « الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجرع إلا في موقع العقاب أو في موضع القفر المنيع والعجز الظاهر ؛ والناس لا يذكرون السلب ولا يذكرون الجرع في حال القوة والسلامة ، وكذلك ذكر الطر لآنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في

(١) كتاب الصناعات ص ٦٩ .

(٢) اللوح ص ١٠١ .

موضع الانظام، والعمامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المظهر وبين ذكر الغيب،
ولفظ القرآن الذي عليه قول انه اذا ذكر الأبعاد لم يقل الاسماع، واذا ذكر صيغ
مساوات لم يذكر الأرضين . ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع سمعا
والجاري على الفراء العامة غير ذلك ، (١) .

ونحدثوا عن التلازم في العبارة وما يوحى من رقة وجمال، ولفروا بين قول
القاتل :

وليد حبيب بمكان قصر وليس قرب قبر حبيب قبر
وقول أبي حبة الشعمري :

رمي وسر الله بيني وبينها عشية كرام الكناس رميم
رميم التي قالت لجارات بينها ضمنت لكم ألا يزال بهيم
ألا دُبْ يوم لو رمي رميتها ولكن عهدي بالفضال قديم
وقال الجاحظ عن البيت الأول: ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتأخر وإن كانت
مجموعة في بيت شعر لم يستطع للشاعر تشادها إلا ببعض الاستكراه (٢) وقال
الرماني عن أبيات الشعمري أنها من التأليف التلازم في حين كان البيت المفرد من
التأليف المتأخر (٣) :

ونكتلوا على أثر صيغ الألفاظ في الكلام، وعقد ابن الأثير فصلا في اختلاف
صيغ الألفاظ واتفاقها (٤) وقال ان صيغ الألفاظ إذا نقلت من هيئة إلى هيئة
كتلفها مثلا من وزن من الأوزان إلى وزن آخر أو كتلفها من صيغة الاسم إلى صيغة

(١) البيان والبيان ج ١ ص ٢٠ .

(٢) البيان والبيان ج ١ ص ٦٥ .

(٣) النكت في اصناف القرآن - ثلاث رسائل في اصناف القرآن ص ٨٧ .

(٤) النكت السائر ج ١ ص ٢٨١ .

تفعل أو من صيغة الفعل إلى صيغة الاسم، أو تنقلها من الماضي إلى المستقبل أو من المستقبل إلى الماضي أو من الواحد إلى الثنية أو إلى الجمع أو إلى غير ذلك، انقل تبعها فصار حسناً، وحسناً صار قبحاً. ومن ذلك أنه يقال «سهم صائب» فإذا جمع الجمع الحسن الذي يعذب في القم قيل: «سهم صواب» أو «صائبات» و «صائب»، فإذا جمع الجمع الذي يفتح قيل: «سهم صيب» - على وزن كتب - قال أبو نواس .

ما أحل الله مما صنعت من عبثك العشيء بسني
قلت انالها كسبي سهم للردى صيب
فقوله: «سهم صيب» من القطف الذي ينزع عنه الجمع ويحذف عنه النون، ورأى أن وزن «الموعلة» جميل يقال: «مخوشب للكان»، والمخوشبت العين واحلول الطعم. وهذا يدل على أن لصيغة القطف أهمية في الكلام وأثر في النفس، ويطرا بين القطف والفتح حينما تحدثوا عن التلافها، لذلك تكون الفاظ النزل والخط رفيقة وتكون الفاظ الخماصة والهجاء جولة و شديدة. ومن ذلك قول بشر بن برد .

تساقل ليلى لما أبصر
وكانت أمراء بالصبا مولعا
لقد كنت أمي على طربة
وأصبح من سرح أمسر
والفاظ هذه الأبيات رفيقة ليس فيها شدة، ولكن بشرا حينما فخر قال:
إذا ما غضبتا طعنة مضرة
هتكنا حجاب الشمس لو فطرت دما
إذا ما أهرقا سبلا من قبلة
لرا منبر صلتى عليا وسلمنا
وإنما للقوم ما نزال جسادنا
تساور ملكا أو تناهبه مقتنا

١ - قال تعالى : **وَأَنَّكَ خَیْرٌ نُّزُلًا أَمِ شَجَرَةٌ تَرْکُومُ** : إنا جعلناها فينتك القائلين : **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْوَارِ الْجَحِيمِ** . طلعها كانه رؤوس الشياطين : فانهم لا يكون منها فعاثون منها البطون : ثم إن لم عليها لشربا من حميم . ثم إن **مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ** (١) :

٢ - وقال : **أَرَبُّ هَبَّ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقِي بِالصَّالِحِينَ** : واجتعل لي لسان صيدني في الآخرين . واجتلي من ورثة الجنة النعم : واعتبر لاني إنه كان من القالين . ولا تخزني يوم يستغوث . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتي الله بقلب سليم . وأزلفت الجنة النقيض : وبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ القلوب . وقيل لم أين ما كنتم تعبثون . من دون الله هل ينصرونكم أو يستنصرون . فكذبوا فيها هم والغلوون (٢) :

٣ - قال يشار بن برد :
أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم صا غليل يسالم
على الملك الجبار يقتحم الردى ويصرعه في اللأزق المتلاحم

١ - وقال بدر شاكر السياب في قصيدة **واشودة المطر** :
عيناك غابا نخيل ساعة السحر
أو شرقان راح ينأى عنهما القمر
عزمالك حين تسمان نورق الكروم
وترقص الأضواء كالأقمار في نهر
يرجته الجفاف وهنا ساعة السحر
كأنما تبض في غوريهما النجوم
وتفرقان في غباب من لسي شيف

(١) الصافات ٦٢ - ٦٨ .

(٢) الشراء ٨٣ - ٩١ .

كالبحر صرّح الينبين قسوته السماء
 دقة الشتاء فيه وارتعاشة الخريستف
 والموت والميلاد والظلمة والقيامة
 تضيق بملء روعي رعدة البكاء
 ولشوة وحشية تعالست السماء
 كشوة الطفل اذا خاف من القمر
 كأن اقواس الحجاب تشرب القيوم
 وقطرة قطرة تلوب في المطر
 وكركر الاطفال في عرائش الكروم
 ودلعت صمت المعاصر على الشجر
 أنشودة المطر ، مطر ، مطر ، مطر

(٢)

لم يعجب نقاد بعض الالفاظ التي وردت في القصص الآتية، استخرجها
 وعلّق عليها، وبين ما فيها من وجوه الاستهجان:

١ - قال أبو تمام :

يا دهر قرّم من أهدمك فقد أضجعت هذا الاقام من عرقك

٢ - قال ثابت قرأ :

يقول بموساة وبسي بغيرها جعيفا ومرودي ظهور المساك

٣ - قال الضحى :

جفت وهم لا يجفون بهايم شيم على الحب الآخر دلائل

٤ - قالت ليل الأحيولة :

اذا عط الحجاج أرضاً مريضة تج أقمى داتها تشاعسا

شفاها من لقاء الضال الذي بها غلام اذا هزّ نقلة مديعسا

٥ - قال أم و تمام :

نيلأفرييجان^١ اعيال بعدما كانت مرمى حيرة ونكس
سجت ونها على استساجها ماحولها من نضرة وجمال

٦ - وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة:

أقام قسوام للدين زيج فانه وأنضج كسي^٢ البحر وهو نظير

٧ - قال الرصافي :

سككت^٣ الخلاء في وطني كاني أحو سكر لقا^٤ له قشروب^٥

٨ - قال السياب :

يختل^٦ فيها الشمام بينهما والريح خرما^٧ نعي غيرها هاما

٩ - قال أحمد الصافي :

واحتزل^٨ التكرير أسوي وفي بشاء معي رغبتي

١٠ - قال القزعاوي :

لقد كنت في درب بغداد ماشياً وبغداد فيها المشاة حروب
فصادفت شيخاً قد حنى الدهر ظهره له لوق من الطريق ديب
عليه ثياب رثة غير أنها نظاف ظم تلبس^٩ لهم جيوب
تلك خضون في وسع جيبه على أنه بين الشيوخ كسيب

(٣)

يُعني علم المعاني بالأساليب للكلام عند العرب ، وقد كانت في كتب الشعر
الأولى أنقرة من تلك العناية ، ولعل كتاب سيبويه وكتاب القنطرب المبرد من خير
الكتب الشعرية التي اعتنت بطرق التعبير وما بينها من فروق يتركها من تقف لغة
العرب وأدرك بلوغه جمالها، ولكن العناية بالأساليب اتحصرت حينها بهذا الحد

يعنون بالعدل والاعراب والعلل الثواني والثالث وما إلى ذلك من اهتمام أبعد كتب
النحو عن تلوق الأساليب .

وكان لعبد القاهر الجرجاني أثر في رد كثير من مزاجيا الكتب الأولى إلى
الموضوعات التي تكلم عليها البلاغيون في علم المعاني كالخبر والانشاء والفصل
والوصل والقصر والابحار والاطباب: ولكن عبد القاهر لم يضع حدوداً واضحة بين
ماضي خبراً وماضي انشاء، لأنه يرى أن الفرق بينهما فيما يؤدبه كل منهما من
معنى. قال: «لا يجوز أن يكون لتظم الكلام وترتيب أجزائه في الاستفهام معنى
لا يكون له ذلك المعنى في الخبر» ، وذلك أن الاستفهام استخبار والاستخبار هو
طلب من المخاطب أن يخبرك، فإذا كان كذلك كان محالاً أن يفرق الحال بين
تقديم الاسم وتأخيره في الاستفهام ، فيكون المعنى إذا قلت: «أزيد قام؟» غيره
إذا قلت: «أقام زيد؟» ثم لا يكون هذا الفرق في الخبر ويكون قولك: «زيد قام»
و «قام زيد» سواء ذلك لأنه يؤدي إلى أن تستعمله أمراً لا سبيل فيه إلى جواب وأن
تستعمله المعنى على وجه ليس عنده عبارة يشبه لك بها على ذلك الوجه ، وجملة الأمر
أن المعنى في ادخالك حرف الاستفهام على الجملة من الكلام هو أنك تطلب أن يفك
في معنى تلك الجملة ومؤدعاً على إثبات أو نفي فإذا قلت: «أزيد متطلق؟» فأنث
تطلب أن يقول لك: «نعم هو متطلق» ، أو يقول: «لا ما هو متطلق» وإذا كان ذلك
كذلك كان محالاً أن تكون الجملة إذا دخلتها همزة الاستفهام استخباراً عن المعنى على
وجه لا تكون هي إذا نزع منها همزة إخباراً به على ذلك الوجه فاعرفه (١)،
ويتضح في كلام عبد القاهر أن هناك فروقاً دقيقة تدرك بالحس القوي اللطيف
والدقيق السليم. وكان لجهود هذا النحوي في البلاغة أثر واضح في مباحث علم
المعاني ومنها: الخبر وهو أساس التعبير قبل أن يتصرف فيه للتكلم ويخرج به إلى
أغراض مجازية متعددة .

(١) «دلائل الإحصاء» ص ١٠٨ .

ومن الخبر قوله تعالى : والكر . كتاب التوراة إليك لتُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . الله الذي له ماني السماوات وما في الأرض وويلٌ للكافرين من عذاب شديد: الذين يستعبدون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويغفلون . حيّوا أولئك في خيال بعيد . وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضلّ الله من يشاء ويهْدِي من يشاء . وغير العزيز الحكيم (١) .

هذه الآيات بما تضمنت من عبارات بدئية رائعة تخبر عن حقائق يريد الله سبحانه وتعالى أن يضعها أمام الناس وهي تقرر والعلم وتفتح للناس . وهذا هو الخبر الحقيقي ، ولكن حينما يقول سبحانه وتعالى : «عَبَسَ وَتَوَلَّى: أَنْ جَاءَهُ الْأُمَيَّ» وما يُكْرِيكَ لَعْنَهُ يَزَكِّي . أو هذا كثر فضله الذي كثر . أمّا من استغنى فأتت به تصدّي ، وما عليك إلا يزكّي . وأمّا من جاءك بسعي: وهو يخشى . فأتت به تنهى (٢) .

قوله لا يريد اخباراً وإنما يريد عتاباً للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك حينما أتاه ابن مکتوم وحده رجال من قريش يدعونه إلى الاسلام وجاءه أن يسلمَ باسلامهم غيرهم ، فقال ابن مکتوم : « يا رسول الله أقرّني وعظمي بما علمك الله » . وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغل بالقوم ، فكره الرسول - صلى الله عليه وسلم - قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فترت سورة «عبس» وكان الرسول بعده يكرمه ويقول إذا رآه : «مرحبا بمن عاتيني فيه ربي» فالآيات اخبار عن هذه القصة ولكنها لا تريد أن تفت عند هذه الحادثة وإنما تريد أن تعاتب الرسول ، وبذلك خرج الخبر عن معناه الحقيقي إلى العتاب . ومثل ذلك ما قاله النبي العظيم حين دعا قومه إلى الاسلام : «إنّ الرائد لا يكذب

(١) إبراهيم ١ - ٢ .

(٢) عبس ١ - ١٠ .

أهلّه ، والله توكلت الناس ما كذبكم ، ولو غررت الناس ما غررتكم ، والله الذي لا إله الا هو اتي رسول الله اليكم خاصة واول الناس كلفه . وهذه الكلمات غير ولكنه خرج عن معناه ، لان الرسول الكريم لم يكن هنا في موقف الخبر لان قوله يعرفون صديقه وامانة وانما هو في موقف اللعاب ، لانهم اعرضوا عن دعوته .

فالخبر يكون حقيقياً حينما يراد به «قائلة الخير» لو «لازم البالد» ويكون مجازياً حينما يخرج عن هذين الفرضين . وفي النصوص الآتية أخبار حقيقية ومجازية ، عنيها وشرح معانيها ووضح الاغراض المختلفة فيها :

١ - قال تعالى : «واسمى الذين آمنوا بكاتبه بالاسم يقولون : ويئ كان الله يمسك الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويئ كانه لا يطلع الكافرون» (١) .

٢ - وقال : «ذلك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالهتدين» (٢) .

٣ - وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه» .

٤ - وقال الامام عليّ - رضي الله عنه - من كتاب إلى بعض امراء جيشه : «ان عاندا إلى ظل الطاعة فذلك الذي نحب ، وان توافقت الامور بالقوم إلى الشقاق والنصيان فانهذ بمن أطاعك إلى من عصاك واستغن بمن اتقاد معك عن تقاعس عنك ، فان التكرار عليه خير من مشهده وقعوده أخفى من نهوضه» (٣) .

(١) انصص ٨٢ .

(٢) انصص ٨٦ .

(٣) توافي القوم : وإلى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم . أنه : انتهى .

وقال المتني :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
أنا ملة جفوني عن شواردها
٦- وقال عبد الرحيم محمود :

ساحل روحي على راحتي
لأنما حياة نسر الصدى
وقس الشريف لما غابنا
لعمرك إنني أرى مصرعي
أرى مقلتي دون حفي السليم
لعمرك هذا ميات السرجا
٧- وقالت أممية توتى زوجها :

كنّا كفتنين في جرثومة بسفا
حتى إذا قيل لك طالت فروعهما
أعنى على واحدني ربيب الزمان وما
كنّا كأنجم ليل بينها قمر

٨- وقال المتني :

ومرارة الفوس أصغر من أن
غير أن الفنى يلاقي المنايا
ولو أن الحياة تبقى لحى
وإذا لم يكن من الموت به
٩- وقال أبو فراس الحمداني :

صبرت على اللأواء صبر ابن حرة
صمت حتى قومي وسدت عثرتي

وأصمت كلباتي من به صمم
ويسهر الطلق جرثوما ويختصم

وألقي بها في مهلوي السردى
في وأما ميات يهبط العبدى
ن وردت المنايا ونيل النسي
ولكن أظن اليه الخطى
ب ودون بلادي هو المينسى
ل ومن رام موتا شريفا لهذا

حيثاً على خير مائتي به الشجر
وطال قنواهما واستعطر الثمر
يفي الزمان على شيء ولا يلاز
يجلو للنجى قهوى من بينها القمر (١)

لعداى فيها وأن طنائسى
كالجمل ولا يلاقي الهسواتا
لعدداً أضلنا الشجائسا
لمن المجر أن تكون جبالا

كثير المدا فيها قليل الساحل (٢)
وقلقت أهلي غمر على القلائد

(١) الجرثومة : الأصل : التور : البقعة : أعنى عليه القمر : أي عليه وأما ذلك .

(٢) اللأواء : القدة والحصنة .

١٠- وقال أبو لؤس :

دبّ في السّامُ سَفْلاً وعَثُوا
ذُعبت جِدي بطاعة نفسي
لهف نفسي على ليالٍ وأيامٍ
قد أُنْسا كَلَّ الأمانةُ فاله

١١- وقال أبو سلمى :

إن جيش التحرير شعب قد
وجتاه في الشّام جناح
جيش حطين جيشاً يزحف البيرو
للنوميلات والحدود تداعت
علم واحد وجيش وحيد
وأمام التاريخ يخفق في السما

١٢- وقال الأعطل الصغير :

بغداد يأنفج الجبال وملعب الغزل الطروب
بنت الكارم العروبة إليك جامعة القلوب
يت من الاخلاق ضاقت عنه أخلاق الشعوب
وسعت ديانا السباح ونغم اثبات التدويع
زفرات أحمد في رسالته وآلام الصليب
بغداد ماحل السرى مذي سوي شيخ مرهب
جلت له الصحراء والفت الكتبة إلى الكتبة
وتصنت زمر الجنادب من فويهاث القلوب
يشاطرون وقد رأوا قيس الملوخ في شحوني
والتمنعات على الشفاء مفرجات بالنسب
تهكي لها قبل الصبا ويلوب فيه كل طيب
يشاطرون من النفي العربي في الزبي الغربية

وأراني أموت عضواً فعضواً
وتكثرت طماعة الله لفسوا
م تجاوزتهم لمبا ولهموا
هم صفحا عثا وغفرا وعفوا

طين تكادت آساده والنمور
وعلى غزاة الجناح الأكبر
م قد آت أن نوتى الشلور
وتولت أكنها والنمور
ونفك ونالده ومسير
ح عليهم لواءه للشور

تعرض البلاغيون لأساليب الإنشاء المختلفة ويميزوا بينها وأشادوا إلى ما يأتي منها حليفة وما يأتي منها مجازاً ، وكان تمييزهم دقيقاً يكشف عن المعنى وينقله بوضوح : ومن ألفت ما ذكر عبد القاهر كلامه على الاستفهام وتنبه المعنى بتنبه تركيب الجملة . قال : هـ من أين شيء في ذلك الاستفهام بالمعزة لأن موضع الكلام على أنك إذا قلت : «ألفت؟» فبدلت بالفعل كأن الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده : وأما قلت : «أأنت؟» فقلت : «فبدلت بالاسم كأن الشك في الفاعل من هو وكان لتردد فيه : ومثال ذلك أنك تقول : «أثبتت الدار التي كنت على أن تبنيها؟» : «أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقول؟» . «وألغت من الكتاب الذي كنت تكتب؟» . تبدأ في هذا ونحوه بالفعل لأن السؤال عن الفعل نفسه والشك فيه لأنك في جميع ذلك متردد في وجود الفعل وانطائه مجوز أن يكون قد كان وأن يكون لم يكن . تقول : «أأنت بنيت هذه الدار؟» : «أأنت قلت هذا الشعر؟» . «أأنت كتبت هذا الكتاب؟» . تبدأ في ذلك كله بالاسم ذلك لأنك لم تشك في الفعل أنه كان . كيف وقد اشرت إلى الدار مبنية والشعر مقولا وللكتاب مكتوبا ، وأما شككت في الفاعل من هو . فهذا من الفرق لا يدفعه قانع ولا يشك فيه شك ولا يخفى فساد أحدهما في موضع الآخر . (١) .

فللمعنى في الاستفهام تحدده صياغة العبارة ولذلك وجد عبد القاهر فرقاً بين عبارة وأخرى وحد ذلك الفرق وما يوحى من معنى يختلف باختلاف التعبير . ويكون الاستفهام مجازياً كما يكون حقيقياً فمحمود سمي البارودي حينما وثى زوجه استخدم أسلوب الاستفهام ليظهر تحسره وأنه على قلبه وما أصابه وهو في مقامه : قال :

(١) دلائل الإيجاز ص ٨٢ .

يا دعس فيهم فجعلني بحيلة
 كنت خلاصة عذبي ورحمتي؟
 إن كنت لم ترحم ضائتي بعدما
 أفردتهن فلم ينمن توجعنا
 أثقن درّ عقود من وصفن من
 درّ القيون فلاكه الأجيال
 يكن من وكيّ لسراق حيلة
 كانت لهنّ كثيرة الأصنام
 فخدومن من التصرع نية
 وقويهنّ من الهوم صواني
 أسلبة القسرين أيّ نجمة
 حلتّ لفقذك بين علنا لنادي؟
 لصيغ الاستفهام بهم فجعلني؟، وأفلا رحمت؟، وأي نجمة؟ لا يراد بها
 الاستفهام الحقيقي وإنما يراد بها التحسر والتصور حول المصائب.
 وفي التصور الآتية صور من الاستفهام، حين تلك الصور وبين ما جاء منها
 حيلة أو مجازاً:

- ١ - قال تعالى: وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ (٦١)؛
- ٢ - وقال: وألم تُربك فينا ولينا؟ (٣)؛
- ٣ - وقال: «وقالوا يا هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا
 أنزل إليه ملكٌ لَيَكُونَ مِنْهُ لَهْرًا» (٣)؛
- ٤ - سألك رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أيّ الإسلام خير؟
 قال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»؛
- ٥ - وقال ابن الرومي:

بالنبي أين عهد ذاك الأنعام
 أين ما كان يفتا من صفاء ؟
 كشتت منك حاجتي صفوات
 غطيت برؤسة بحسن القضاء

(١) الرحمن ٦٠ -

(٢) الشعراء ١٨ -

(٣) الفرقان ٧ -

يألفني هيبك لم أحب من مه
أنسلا كان منك ردة جميل

بك خطا كسار قبضلاء
فيه النفس راحة من عذاب

٦- وقال أبو تمام في فتح صورية
أين الرواية لم أين النجوم وما
نخرصا وأحبابا ملتصقة

وهر بتحدث عن ادعاء التبعين:
صاغره من زخرف فيها ومن كليب؟
أست بتيغ إذا عدت ولا عزب

٧- وقال النسي:

وتحب ماء غيري من اتاني؟
بأنك يحسر من تحت السماء؟

لتحكر بالإن لصال لصال
أنتق فبك عجزاً بعد علي
٨- وقال البحري:

علي "نو القبر والقبر" صاطح؟
فلا تقول حقوق ولا الطرف صاطح

الأكفرك السماء غدي وقد نمت
وأنت الذي أترزني بعد ظلي
٩- وقال أبو تمام للري:

أم الجوزاء تحت يدي ومساء؟
وسبان التفتيح والجهاد
لتخبرني: متى لطق الجهاد؟
وغدي فيه مظنة رشاد
والفر والفتاحة لي عذاب

أثوق القبر يوضع لي مومسأد
فصمت فخلت أن النجم دولي
دوبلك أيا العادي والاسي
مفاه فاد حلك نفس حالم
التعمل والنباهة لي فقط
١٠- وقال ألبا أبو ماضي:

وأمايك كلها من عجب؟
وأمايك للخلود للأكاد؟
كلوبها وأي شيء بلوسد؟
قم ألا تتكفي؟ ألا تتهد؟
ودعك هذا كرى ألا توجد؟

ألساني كلها ومن لراب
والداسي كلها الثلاثي
لا، فلي وثلك الذي وتخصي
أيا لأدعي إذا منك قد
وإذا راعك الحبيب يهجر

١١- وقال لبيب حريفة :

أيا نجمة سطعت في القفلا
لقد طال ليدي فهل من صبا
أيا نجمة في أعالي السما

١٢- وقال عبد الرحيم محمود :

فكيف اصطباري لكيد الخفوي
أخروفاً وعندي تهون الحيا
بقلبي سارمي وجسود الطفا
وأحسي حياغمي بحدا الحيا
١٣- وقال عبد الكريم الكرمي :

سأل القنبر : أين عبولة فأنه
هي في كل زهرة من بلادي
أنها من صروج حكاة والرمـ
من كسروم الجليل غيرة الانـ
عطرها مفد كان أنفاس بها

١٤- وقال القروي :

باسم القروية بعدد الله لفتح
شرحيت صفدي لما طفلا وعلم سوي
كم جرح صفدي لولائي بأسماء الفرحا

١٥- وقال :

ما ملنا الشرق لايسرح في
أنهيا هلندوا أم جسرأ
ومرت الحسنة مطربة

م أنري طريق في لابة- ام
ج وقال انطراي فهل من سلام؟
أعطيت المكسوت فهل من كلام؟

د؟ وكيف احتفال لسوم الأذى؟
هـ وذلك والي لسرب الإيأ؟
و ، وقلبي حديد وقاري لظي
م فيطم قسومي بأنني القدسي

ث طيبوب ونمنت كيف نعال؟
جق في صميمنا يتغلغل
له واللسد نشوة لتنفل
داه نشوى ومن كروم النفل
ن ورغم الزمان لم لتبسدك

ذ ثم لبيد لرحلة الفصح
ذكر القروية صدر الخز بشرح
فعدت لي في ليالي عرسها الفصح

نكبات من طلوع الغرب سودا
رن فاعتز له قلب الرجسود ؟
حول عرش الله أرواح الجسود

الأمر والنهي والتداء والنسي مثل الاستفهام من أساليب الإنشاء ولها معانٍ حقيقية ومجازية فهي حقيقية حينما يراد بها الأمر أو النهي أو التداء أو التمني ، وهي مجازية حينما تخرج عن معانيها الأصلية . قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه :
 « أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة ، فاقفهم إذا ادلى بك فؤاده لا يطع
 نكثهم بمن لا ينفذ له . أمر بين الناس في مجلسك ووجهك حتى لا يطع شريفك في
 حيفك ولا يذات ضعیف من جورك ، والينة على من ادعى واليمين على من أنكر ،
 والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً حرماً حلالاً أو أحل حراماً ، ولا يمنعك
 قضاء قضيت بالأمس فراجعت فيه نفسك وهديت فيه لرسدك أن ترجع عنه إلى الحق
 فإن الحق قديم ومراجعة الحق غير ممنوعة من التصادي في الباطل : القهم القهم عندما يتلجج
 في صلبك عالم يرك في كتاب الله ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم . اعرف
 الامثال والاشباه ونس الأمور عند ذلك ثم اعبد إلى أحيا إلى الله وأشبهها بالحق
 فيما ترى » .

هذه قطعة من رسالة بعث بها الخليفة الثاني إلى أبي موسى الأشعري يوصيه
 فيها بالعدل بين الناس وقضاء حوائجهم والنظر في أمورهم وهي رسالة تعدت
 من أسس القضاء ، وقد بدأها - رضي الله عنه - بقوله : « فإن القضاء فريضة
 محكمة وسنة متبعة فاقفهم إذا ادلى بك فؤاده » . وهذه صيغة أمر صادرة من عمر
 إلى الأشعري وهي مازمة لا تحتمل صدقاً أو كذباً . ومثل ذلك ما جاء به من صيغ الأمر
 في قوله : « أمر » و « اعرف » و « نس » و « اعلم » وهي كلها أوامر واجبة التنفيذ .
 وهذا الضرب من الأمر يسمى : أمراً حقيقياً .
 وقال القروي :

يلزمه السدائم مهتماً بكثري عدد السفين فقد رؤيتك أكثري
 لا تنفلي في الخصومة عدوكا فالعدل خلف أي للفلانة عكر

لا يخذل من بسبك أنسا لمة صبرت قلب من بسيت من يصبر
 يقول: «لا تستغلي» «ولا يخذل من» أي ولكنه ليس حقيقيا، لأن الشاعر ليس
 في موقف يقرر فيه أن يصدر نوايه الملك فهو يحدّر ويثّر؛
 ويأتي النداء على الحقيقة كما في قول سليمان القيس :

يأصغر وحدة أعني قدر على الزمن الراسح
 قدر على التاريخ شتاء لما بمحسوه ماحر
 لن نضرب مساحة إلا لنشعل نار ماسح
 افرد العربي عاد مع السريع مع الأسامي
 وقدر فك جناحه ومضى يهلهل الرياح

ولكنه يأتي على الجاز القدي كقول النبي:

واحر قلباء ممن قلبه شيسم ومن بجسي وحالي عند من
 أو النحر كقول ابن الرومي:

يا شباني وأين منسي شباني أذنتي حباله بالقبضاب
 لهف نفسي على نعيي ولهوي تحت أمانه اللذان السرطاب

وفي القصص الآتية صور لأساليب الانشاء، حينها وبين أفراسها:

١- قال تعالى: «فلما قضى موسى الأجل وصار بأهلك آيس من جانب الطور
 نارا قال لأهلك امكثوا أي كنت قارأ لعل آتاكم منها بطير أو جدوة من قار لعلكم
 تصطرون؛ فلما أتاهم نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من
 الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتر
 كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب؛ يا موسى أتقبل ولا تحذف لك من الآمين؛
 أسلكك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمحّ إليك جناحك من
 الرعب فذاتك برهان من يدك إلى فرعون ومك لهم كانوا قوما فاسقين» (١)؛

(١) القصص ٢٩-٣٢.

٢ - وقال قتيبي - صلى الله عليه وسلم - : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليعيل رحمه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت .

٣ - وقال الامام علي - رضي الله عنه - : يا معشر المسلمين تطلبوا الشهادة وكمثروا الأمانة وقلقلوا السيوف في الأعداء وكافحوا بالضيأ واتصلوا السيوف بالخطي فأتاكم بعين الله . وليطوّد كل منكم الكرّ وليستحي من القرّ فإن القرّاء في الأعقاب والار في الحساب . وطوبوا عن الحياة لقسا وسيروا إلى الموت سجيحاً ، ودونكم هذا الرواق الأعظم ، وعليكم بالصبر فإن الشيطان راكب معدته ، فصدأ صدأ حتى يبلغ الحق أجله والله معكم ولن يتركم أعمالكم . :

٤ - وقال حافظ ابراهيم :

ماثلوا السيل عنهم والتهمارا	كيف بالث نداهم وزلزل
كيف ليس رضيعهم قسداً	م وكيف اصطل مع لا قوم قارا
كيف طاح المعجوز تحت جدار	يتدلى وأسقف تتجساري
وب إن القضاء أنحس عليهم	فاكشف للكراب واحجب الاقتارا
وسر لار أن تكف أذامنا	وسر لقت أن يسيل انهدارا
أين طوفان صاحب القفك يروي	هذه الأرض فهي تشكو الاوارا

٥ - وقال بدر شاكر السياب في قصيدة بور سعيد :

يا حصيد النار من أشلاء قتلاتا	ملك قضايها وان كانوا ضحايا
كم من ردى في حيلة وانخزال ردى	في مينة واتصار جاء عدلاتا
ان العيون التي طمعت أنجسها	عجك بالشمس أن تختار دنيا
وانشد كالندور في اعدائ لربنا	خرس لنا من دم وانخضل مولانا
لا زكري يا بقلها كسباد لوانسا	يتني عليها من الاصطام لولانا

٦- وقال ابو الطيب النخعي:

حيث حزيوا أو مت وأنت كريم
وأعجب المزني لظني وقدر القادر
بين طعن القنا وعقدت البود
ل ولو كان في جنان الخلود

٧- وقال ابن زيدون:

دومي على العهد مائتاً محافظة
أولي وقاه وإن لم يلبس صلة
فالحر من دان انصافاً كما دينا
فالذكر يفتنا ، والطف بكفينا

٨- وقال محمود حسن اسماحيل:

باسم الشرق طوي بالغباء
ذاكره واذكري إسمه
والشري شمسك في كل مساء
يهدى الحسق ونور الانبياء

٩- وقال قطري بن القجاعة:

أقول لها وقد طارت شعاعاً .
فانتك لو سألت بقاء يوم
من الأبطال ويحك لاسرامي
على الأجل الذي لك لم تطاعي

١٠- وقال ابن زيدون:

ياساري البرق غادر القصر واستقره
ويانسيم الغيبا بلغ تحببنا
من كان صيرف الهوى والود يسبقنا
من لو على العهد حتى كان يحببنا

١١- وقال مالك بن الربيع وقد حضره الموت:

لما صاحني رحلي ذنا الصوت فأنزلا
أبنا عليّ اليوم أو بغض ليله
براية إليّ مقيم ليالها
ولا تعجلاني قد بين ما بينا
لي المدر والاكف ان ثم ابكبايا
وردنا على حيني فضل دعاليا
وعطا بأطراف الامنة منجمي

١٢- وقال ابراهيم طوقان في قصيدة: «القدائي»:

لا تمل عن سلامته
بدكته هومته
روحه فوق راحته
كفنته من وسادته

يرقب الساعة التي
شاغل فكر من سرا
بين جنينه خالق
من رأى طعنة الدجى
عنه جهنم

١٣ - وقال الرصافي :

بعدما مول ساعة
باطرائر هائمه
بظلمى بانيه
أخرمت من شراره
طرفاً من رماقه

نرفق قلوبهم لك بالوداد
إلى من خص منقطعهم بغداد
نواصع آية سهل الرصاف
وان قفت الحياة بالهماد

بارؤى حبي على جفن نسي
سهلة الخيل ووجه القصب
ونمت مايتنا من نسب
وإذا بغداد نجوى يثوب
وقضى مشربها بالفرج
دفنه في ليلع الحب

لنوس ان في بغداد قوما
ويجمعهم وياك اصاب
ودين أوضحت الناس قبلا
نحن حل الخيلة أهل قريبي

١٤ - وقال عمر أبو ريشة :

بارؤى القيس يامجلى القنى
دون عباتك في الرحب لدى
لعبت الآلام منا شطنا
فإذا مصر أغاني جلقى
فعبت أصلاها خافقة
كلما اقتض عليها حاصف

(٩)

ان صياغة العبارة في اللغة العربية يحدد المعنى ، وليس من لعبت تعدد الأساليب
وطونها ، بل أن لكل أسلوب معنى يحدده وضع الألفاظ في الجملة ، فلتقديم اللفظة
معنى غير ماني التغيير ، ولتأخيرها دلالة غير ماني تنكيرها ، ولتفصلها غرض غير
ماني وصلها ، ومثل ذلك يقال في القصص وغيره من طرق التعبير ، وقد اعتمد النحاة
الأوائل بهذه المسألة وشاركهم في ذلك اللغويون ، ولكن البلاغيين وحل رأسهم عبد

فتأمر تسمّعوا في حرامه الأساليب بعد أن تحولت كثير من كتب الشعر عن العناية
بمثل هذه الجوانب . وما يتصل بهذه المسألة وإيضاح الفرق بين عبارة وأخرى في
التركيب قول عبد القاهر وهو يتحدث عن التقديم والتأخير : «إذا قلت : وأجلك
رجل ، قلت تريد أن تسأله : هل كان عبيد من أحد من الرجال إليه : فإذا قسمت
الاسم قلت : وأرجل جاءه ، فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة ؟
ويكون هذا منك إذا كنت علمت أنه قد أتاك آت وكنت لم تعلم جنس ذلك الآتي ،
فيلتفت في ذلك سبيل إذا أردت أن تعرف عين الآتي فقلت : وأريد جاءك أم عمرو ؟ »
ثم قال : وإذا قد عرفت الحكم في الابتداء بالنكرة في الاستفهام فابن الخير عليه ،
فإذا قلت : «رجل جاءني» لم يصلح حتى تريد أن تعلم أن الذي جاءك رجل لا
امرأة ، ويكون كلامك مع من قد عرف أن قد أتاك آت ، فإن لم ترد ذلك كان
الواجب أن تقول : «جاءني رجل» فتقدم الفعل ، وكذلك إذا قلت : «رجل طويل
جاءني» لم يستقم حتى يكون السامع قد ظن أنه قد أتاك نصير أو نزلته منزلة من ظن
ذلك » (٦) .

وما يتصل بهذا الباب وتركيب الكلام قول المتنبي :
«ولمسر مني موضع لا يداله نديم ولا يفضي إليه شراب»
فهي هنا قيت جملتان هما : «لا يداله نديم» و «لا يفضي إليه شراب» ، والأولى
صفة «موضع» وقد أريد اشارة الثانية لها في الحكم ولذلك عطف عليها ، ولا
يصح أن تحذف لواو لأن الكلام يكون مقطوعاً ، وليس هذا من أساليب العرب .
ويأتي عكس ذلك أي غير معطوفة في أنواع أخرى من التعبير ، فإذا قيل كما قال
المتنبي أيضاً :

وما شعر إلا من رواء قصادي إذا قلت شعراً أصبح الشعر مشدداً
كان الفصل لأن الجملة الثانية أو (الشرط الثاني) «إذا قلت شعراً أصبح الشعر مشدداً»
تركيب للاول ولا يصح الحذف في مثل هذه الحال :

(٦) دلائل الإعجاز ص ١٠٩ - ١١٠ .

وهذه مسألة تحصل بالأسلوب وما يوحى من معنى ، ولذلك قالوا : لا يصح أن يقال : «لأحبك الله» جواباً لسائل لأن معنى هذه العبارة ذم في حين أن المقصود المدح ، ولذلك يقال : «لأحبك الله» ومثلها : «لا يترك الله قبلك» و «لا ، وعاقبك الله» قالوا وهنا واجبة لأنها تحدد المعنى الذي يقصده المتكلم أو الكاتب ،

والفرق واضح بين «ما اخترت إلا منكم صديقاً» و «ما اخترت إلا صديقاً منكم» ، فالاختصاص في العبارة الأولى في «منكم» وفي الثانية في «صديقاً» . وكان عبد القاهر قد تحدث عن مثل ذلك عندما تكلم على قول السيد الحميري :

لو خيبر الخير فرسانه ما اخترت إلا منكم فارساً
قال : «والاختصاص في : «نكم» بين «فرسان» ، ولو قلت : «ما اخترت إلا فارساً منكم» ، «الاختصاص في «فرسان» (١)» ، ومعنى ذلك أن التقديم والتأخير يحدثان في المعنى ، ولولا ذلك لظلت العبارة ذات معنى ثابت ، ولظلت كثير من المعاني حيدة للصور . وهنا من أهم مزايا اللغة العربية ، ولذلك استطاع النحويون بها والتحدثون بالتفاظها أن يصوروا المعاني المختلفة ويعبروا عن مشاعرهم وهواجهم أحسن ما يكون للتعبير .

وفي النصوص الآتية ألوان مختلفة من أساليب التقديم والتأخير والتفصيل والوصل والتقصير ، حيثما وتحدث عما تؤدي من معان أو تغير لظنها أو غير أسلوبها .

١ - قال تعالى : «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ» من كان مُخْتَلَاً قَتْلُوهُ (٢) :

٢ - وقال : «وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلُ» ومن بَعْدُ (٣) .

٣ - وقال : «وَمَا عَظَمَتْ لَهُمْ آخِرُوهَا» لا دخلوا نَارَهُ (٤) :

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٦٥ .

(٢) النساء ٣٦ .

(٣) الروم ٤ .

(٤) نوح ٢٥ .

٤ - وقال : «ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسطِ
فقد ملوماً مُحسوراً» (١) :

٥ - وقال : «وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ عَيْتَهُ» ، قال من يُحِبُّ لِنَظَامٍ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟
قل بِحُبِّهَا قُلِّي أَتَشَاهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ (٢) :

٦ - وقال : «وما عهد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل» ، أَلَا مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَقْلِمَ عَلَى أَغْصَانِكُمْ ، وَمَنْ يَتَغَلَّبْ عَلَى حَقِّهِ فَلَنْ يَنْفُسَرَ اللَّهُ شَيْئاً ، وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ (٣) :

٧ - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ :
«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» :

٨ - وقال الإمام علي - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَشَرٌ مِنْ فَتْرٍ إِلَّا
حَقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بَخِيرٌ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَاعَةٌ أَعْظَمُ مِنْ
حَيَاتِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَالَةٌ أَعْظَمُ مِنْ صَاعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَالِ السَّاعَ
وَمَنْ لَغِبَ الْخَيْرِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا تَقْصُصُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا تَقْصُصُ
مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا فَكُمُ مِنْ مَقْصُوصٍ رَافِعٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ .

٩ - وقال الحري :

أَعْنَدِي وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ يُصَدِّقُنِي وَالْخَيْرُ أَوْ يُخَيِّبُ مَا قُلْتُ ؟

١٠ - وقال اللثمي :

فَلْ مِنْ يَنْبُطٍ لَلْهَيْبِلِ بِمِيشٍ رَبِّ عَيْشٍ أَعَفٌ مَنِ الْعَيْشَامُ
مِنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَجْرَحْ بَيْتَ الْإِسْلَامِ

(١) الأبرار ٢٩ .

(٢) يس ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) آل عمران ١٤٤ .

١١- وقال علي محمود طه :

الأسطين لأراحتك صبيحة مختال
ولا حرك الجليل القدسي ولا عبت
صحت باتيات الشرق تحت غبارهم
١٢- وقالت لوزك الثلاثة :

في قلبه القابض قد أغمسوا
من صدره الحرق يفذي ثرى
يلومح إسرائيل مهما لوتوى
يقسى لرائنا عربي الشدا
١٣- وقالت :

الوحدة الكبرى دنا ركبها
بالرحمة السارين تحت التدجى
متاً فيا بشرى الشفاء الطمساء
قد لاحت القدر وحسان القاء

(٧)

الايجاز والاضطراب والمساواة من أساليب التعبير ، لكن واحد منها غرضه ومجال استعماله وموقفه ؛ فقد يدعو المعنى أو الحال إلى الايجاز وقد يتطلب الموقف الاضطراب وقد يتحقق الغرض بالمساواة ؛ واللغة العربية تميل إلى الايجاز وتتجلى ذلك في الشعر القديم وفي الأمثال السائرة ، ولكن الاضطراب والمساواة وجدا سيتهما إلى كثير من كلام العرب عندما اقتضاهما المقام ؛

وفي القصص الآتية أمثلة للايجاز والاضطراب والمساواة ، عيّنهما وبين نوعهما :

١- قال تعالى : «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» (١)؛

٢- وقال : «وَلَنْ يَكْلَفُوكَ قَدْ كُنْتُ بِكَ رُكْلًا» من قبله (٢) ؛

(١) الطور ٢١ .

(٢) طاهر ٤ .

٣ - وقال: «وب الحظري ولو الذي ولكن دخل بيبي مؤمنة وتؤمنين والقرمات» (١)؛

٤ - وقال: «ولكم في القصاص حياة» (٢)؛

٥ - وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»؛

٦ - وقال ابن نباتة السعدي :

لم يُبشِّرْ جرداً له في شيئاً لؤلؤه تركني أصعب الدنيا بلا أمل

٧ - وقال إبراهيم بن المهدي في رثاء ابنته :

وإني وإن قدّمتُ قبل لعالم يأتي وإن أخرت منك قريب

٨ - وقال المتوسي :

أني قرأت بنو في شيتيه لمزحهم وأنبه على التمسوم
هذه بعض النصوص من كتاب الله وكلام رسوله وأشعار العرب؛ أما الأدب الحديث فلا تتضح هذه الأساليب في العبارة الواحدة أو البيت مثل اتضاحها في القطعة أو القصيدة أو العمل الأدبي؛ ويعرف ذلك بالوازنة بين النصوص المتشابهة أو التي تعالج موضوعاً واحداً أو تعرض لقضية واحدة؛ ولكي تتضح الرؤية وتقرب الصورة تأخذ هذه نصوص تعالج العمل الفدائي أو بطولة الجيش أو وصف مشهد من الطبيعة أو الحياة؛ وسيلو عند الموازنة للفرق بين هذه الأساليب « فالرصاني وإليها أبو ماضي نعتها تقفر والثنى ونحددنا عن استغلال الأغنياء للفقراء ولكن الأول أوجز في التعبير ولم يعرض الجوانب المتصلة بالموضوع كلها وإنما عبر تعبيراً مباشراً فقال :

أرى كل ذي فقر لدى كل ذي غنى أجيراً له مستخدماً في عساره
ولم يحطه إلا البسر وإحسا على كدّه قامت صروح يساره

(١) نوح ٢٨ .

(٢) البقرة ١٧٩ .

وبليس من تدليله العزّ خالياً
 بشدّ الحنى أورد الحنى في حياته
 وأطرب لثاني وعرض الصور المرحية والمؤثرة فقال :

نسي الطين ساعة أنّ طبعه
 وكفى الخزّ جسمه قباحي
 بأنني لا أمل بوجهك عني
 أنت لم تصنع الخمر الذي ظننت
 ألمانيّ كلها من شراب
 وألمانيّ كلها قتلاشي
 أنت مثل من ترى وإليه
 أيها الطين لست أنقى وأسمى
 صلت أو لم تدفما أنت إلا
 إنّ قصراً سكنه سوف يند
 لا يكن الخصام قلبك مألوف
 أنا أولى بالحب منك وأحمى

فلرصاني أوجز التعبير عن الموضوع ، ولكن إيليا أبو ماضي أطرب ، وليس
 هذا هو الفرق الوحيد بين الشاعرين ، بل هناك فرق أهم وهو أنّ لقصائدي عبثاً عن
 الحنى تعبيراً مباشراً خالياً من الإبداع والأيحاء . وعبثاً أبو ماضي تعبيراً غنياً فيه
 إبداع وإيحاء ، وبذلك حلقت في أجواء رحيّة ، وهذه من أهم سمات الفن الأصيل ؛

(١) القطار : كل ملك ثابت . الصرح : السار . الحنى : الازد . الظاهر لو القطار .
 القطار : الصود القفري .

الباب الثالث علم اليان

الفصل الأول

اليان

المبحث الأول

اليان لغة واصطلاحاً

جاء في المعجم أن اليان من «بان الشيء وأبان» إذا انضح والكشف، و«لان أبين من فلان» أي : أوضح كلاماً منه ، (١) .

فالبيان لغة التوضيح والكشف والظهور ، أما مدلوله الاصطلاحي فلا يستوي بعداً في المصور المتألمة كما لا يثنى عليه مختلف الباحثين ترميزاً جامعاً مانعاً . خلال جهود حياة هذه الكلمة ، ومن هنا فلا بد أن نقف مع التصوص في شيء من التسلسل التاريخي :

انضم هذه التصوص آيات من ذكر الحكم دارت في مواضع يعينها موضعان :

أولهما : قوله تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » (٢) .

والبيان هنا - حل رأى القرطبي - (٣) هو الإيضاح .

وقال القرطبي عن الحسن «أبير» : أن اليان في هذه الآية للكرامة يعني القرآن (٤) . كما ذكر مصطفى كتب علوم القرآن : أن اليان اسم من أسماء القرآن الحكيم وصفة له : ويؤيد سياق الآية هذا للذكر وذلك للقل ، فترى كلمة اليان دالة في هذه الآية للكرامة حل ما يمتاز به القرآن للكرم من الأسلوب المعجز في موضوعاته الدينية والفكرية وفي لغة التوضيح التي تأتي دونها نماذج القرآن وتلجبات العقل بلالة في كل زمان ومكان .

(١) طائيس اللغة (بيروت) .

(٢) آل عمران ١٣٨ .

(٣) الكشف ج ١ ص ٢١٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢١٦ .

وللهما: قوله تعالى: الرحمن: علم القرآن: خلق الإنسان: علمه البيان (١)
 لقد اختلف القسرون في تحديد مدلول البيان في هذه الآيات الكريمات، فبلى:
 انه اسماء كل شيء، وقيل: القغات كلها، وقيل: بيان الحلال من الحرام
 والهدى من الضلال، وقيل: الكلام والقهم وقيل لسان كل قوم لذي يتكلمون
 به، وقيل: الكتابة والخط بالقلم (٢):

ويذهب لرمششري إلى ان البيان هو: ما يميز الانسان عن سائر الحيوان،
 وهو المنطق الصحيح المعرب عما في التعبير (٣):

وما يحسم هذا الخلاف وينتهي به إلى ما يشبه اليقين أن القرآن الكريم في هذا
 التوضع من لم يستعمل مصطلح القنواللسانوالكلام والعلق وغير ذلك من المصطلحات
 التي لسربا لوظك للقسرون مدلول كلمة البيان، مما يبين ذلك أن هذا المدلول
 يدل عليه كلمة البيان نفسها: وهذه الدلالة في ضوء الدراسات القفوية العلمية
 والبحوث البلاغيةوالقفية القديمة والمعاصرة لا تصدى للكفالت. خلق الله تعالى عليها
 الانسان كائنا قادراً على التعبير عما في نفسه والتأثير فيها من بني جنسه
 لمدلول كلمةالبيان الاصطلاحيبيّنلدى القرآن الكريم وفي فجر القرن الأول الهجرة
 حر ملكةلتعير ونتاج هذه الملكة من فن القول:

وللنبي في الحديث النبوي الشريف بكلمة البيان في موضعين رئيسين (٤):
 اولهما: ما روي عنه - صلى الله عليه وسلم - من قوله: "إن من البيان
 لسجراً، وإن من الشعر لحكمة:"

(١) الرحمن ١ - ١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٧ ص ١٠٢.

(٣) الكشاف ج ١ ص ٤٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ١٦٤ - ١٦٥.

نلاحظ : أن بعض البيان هنا قد حدث من الشعر ، ولما كان معنى الشعر قلب الشيء في عين الإنسان ، فإن مدلول كلمة البيان اصطلاحاً في هذا الحديث الشريف هو ما يستأثر به فنّ القول من التأثير بمهارة أسلوبه وتلون عباراته ؛
لما الموضع الثاني فهو مأرّوي عنه - صلى الله عليه وسلم - من أنه قال :
هؤلاء والبيان شعبان من الثغاة :

لشكل في هذا الحديث : أنه يلم البيان جملة وتفصيلاً وإن كانت له رواية أخرى تنص على أن هؤلاء وبعض البيان شعبان من الثغاة ؛ وهذه الرواية تعني أن "البيان ليس مذموماً كله: ومهما يكن من أمر فإن المدلول الاصطلاحي لكلمة البيان في هذا الحديث هو التصنع في تزيين فن القول وقائنه في صياغة عباراته والتكلف في اللغة اساليبه بلا مراعاة لوجه الحق في معناه وموضوعاته ؛ وعلى هذا كله فإن كلمة البيان اصطلاحاً يتفرع مدلولها حتى نهاية العقد الأول من القرن الأول للهجرة في ثلاثة مناح من القيم القوية والتعبيرية والجمالية التأثيرية وهي : ملكة التعبير وتحتاج هذه للملكة والتصنع القوط في شكل هذا التناج :
لغاة البيان :

وعندما اشتدت حركة الجمع والتأليف في مختلف العلوم ، عني الباحثون بتدريس كلمة البيان وتحديد مدلولها وتفصيل أدواتها ؛ وربما يأتي الجمل (٢٥٥) في طلبه هؤلاء الباحثين قسماً في التاريخ وسعة في البحث ، فقد سعى أحد كتبه والبيان والبيان ، وثبت فيه القول للكثرة في حد البيان والاستشهاد بالنصوص التي تدخل تحت عيمته ؛ ومدلول البيان عنده : الكشف والإيضاح والفهم والأفهام ، وهو يحتاج إلى تمييز وسياسة ، ونظام الآلة ، واحكام الصنعة ، وبسهولة المخرج ، وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن (١) ،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٦٦ .

ودلائه على المعاني غسلة أشياء :

أولها القفط ، ثم الإشارة (١) ، ثم القفط (٢) ، ثم الخط ، ثم الحال التي تُسمى
نُصْبَة (٣) .

وجلي من هذا أن الجاحظ يرسخ الخطوط العامة لنظرية البيان العربي في ضوء
المناسبات الثلاثة لمداول مصطلح البيان التي نوهنا بها بين يدي أي الذكر الحكيم
والحديث الثبوي الشريف ، فهو حين يتحدث عن ماعية البيان ويذكر أنها تكشف
والإيضاح والنهم والإنهاض يسج على المنحى الأول الذي رسخه القرآن الكريم ملكة
وعها الله تعالى الإنسان وعندها يحل أمثلة رائدة من نصوص قرآنية وأثرية وأدبية
يسرشد بالمنحى الثاني لمداول كلمة البيان فيما يتعلق بتأج تلك الملكة : كما
أنه يحدد المنحى الثالث من هذا المداول متفرقاً على تتبع مميزات التمار وأدوات
تحقيقها .

وبني : أن كل هذا يدل على أصالة ولادة نظرية البيان العربي بمطابقتها للرواسخ
في نصوص من أي الذكر الحكيم والحديث الثبوي الشريف ثم نوه ملاحظها العامة
بما أثر من الصحابة وقنايين وعلماء اللغة العربية الرواد من أحكام في التروم لتأج
الادباء وبما يذله الجاحظ في هذا المجال من عناية بالثقل والقدون والتشخيص :
لقد انعكس ما قام به الجاحظ في التصدي لبحث البيان على الآثار البلاغية والفنية
التي صفت بعده ، واتخذ فوق رؤوس الرواد (٤) من البلاغيين من أمثال ابن

(١) أما الدلالة بالإشارة لبيان الرأس والعين والجانب والذنب لما تبادر الشخصان
وبالشوب وبالشفة وقد يحدد رافع السيف والوسط فيكون ذلك زاجراً وماتماً
رادعاً ويهكون وحيداً وتطويراً .

(٢) القفط هو الحساب دون القفط والخط .

(٣) النصبة : هي الحال لتأخذة بنهر القفط والمشيخة بنهر اليد ، وذلك ظاهر في غلق
السطوات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، ووجدت وقام ، ومقيم وظلم
وزائد ونقص .

(٤) راجع كتاب فنون بلاغية ص ١٥-٢٠ وكتاب مصطلحات بلاغية ص ٦٩-٧٤ حيث
تتبع مؤلفهما الدكتور أحمد مطلوب مدلول مصطلح البيان بالتفصيل والموازنة في
هؤلاء البلاغيين .

وعب في كتابه «الريحان في وجوه البيان» ، والرماني (١٢٨٦م) في رسالته «التبكت في اصحاج القرآن» ، وابن رشيح القيرواني (١٢٦٣م) في مؤلفه «المسند» ، وعبد القاهر الجرجاني (١٢٧١م أو ١٢٧٤م) في كتابه «دلائل الاصحاج» ، وأسرار البلاغة ، وسواهم من اعلام هذا الميدان .

ولعل أبرز مميزات مدلول البيان في نظر الجاحظ وهؤلاء البلاغيين يتمثل في ثلاث خصائص :

الاولى : السعة في القهوم .

الثانية : التقيد في الحد والتعريف :

الثالثة : الاستشهاد بالتعويض الالمانية في التحليل .

جمود البيان :

بعد التطور الذي شهده البيان بنف الباحث لسك : هل بقيت تلك الخصائص الثلاث التي امتاز بها البيان ؟

ان تاريخ البلاغة العربية نفسه يشير هذا السؤال ويجب مؤكداً ان مدلول كلمة بيان الاصطلاحي ومصورتها تلك لم تنبثق كما ولدت في فجر القرن الاول الهجري وتطورت في عهد ازدهار البلاغة العربية . ويذكر هذا التاريخ تصدي السكاكي (١٢٢٦م) «البلاغة العربية» في كتابه «مفتاح العلوم» بداية لتغير حال البيان العربي ونهاية به لحيرة نظريته : فالعروف أن السكاكي (١) وضع البلاغة قواعداً للتطبيق ، ونسبها الى اللغوي والبيان والحق بها المحسنات ، ووضع لكل قسم تعريفاً جلياً جامعاً ، وحدد مباحث وفروع في جوابات جليدة . وعرف البيان بقوله : «هو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالقصران ليحتجز بالعروف عن ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتسام المراد منه » (٢) ،

(١) راجع كتاب فنون بلاغية ، ص ٢٠٠ .

(٢) مفتاح العلوم ، ص ٧٧ .

ثم ادخل الدلالات في قسم موضوعاته واثار متلثة دخول هذا الموضوع أو ذلك فيه وغروجه عنه ، فبحث من هذا الباب ثلاث دلالات للالفاظ :

أولها : دلالة اللفظ على تمام ما وضع له .

وثانيها : دلالة التضمن وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له أو جزء مسماء مع دخوله فيه كالشفق - مثلا - في مفهوم ليلت - .

وثالثها : دلالة الالتزام وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن مسماء ، لازم له ؛ كالحائط في مفهوم الشفق (١) :

وهي السكاكي تقسم لبيان على هذه الدلالات ، فأخرج تشبيه "لأن" دلالة واضحة ، والدلالة لوضعية لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة ، في وضح دلالة لأن شامع إذا كان حالاً يوضح الالفاظ لم يكن بعضها لوضح دلالة من بعض ولا لم يكن كل منها دالا عليها بخلاف دلالة التضمن ودلالة الالتزام اللتين هما دلالتان عقليتان يمكن بهما التصرف في الالفاظ وإيرادها في طرق متعددة لدلالة على المعنى الواحد :

أما الموضوعات الأخرى ، فقال في حصرها : وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كالتزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أن "علم البيان مرجعه اعتبار للالتزامات بين العالي : ثم إذا عرفت أن التزوم إذا تصور بين الشئين قائما أن يكون من الجاهلين كالكلي بين الامام والخلف يحكم العقل أو بين طول القامة وبين طول التجاء يحكم الاحتقاد ، أو من جانب واحد كالكلي بين العلم والحياة يحكم العقل أو بين الأسد والجراء يحكم الاحتقاد ، ظهر لك أن مرجع علم البيان اعتبار هاتين الجهتين :

(١) المصدر السابق، ص ١٥٦.

جهة الانتقال من ملزوم الى لازم ، وجهة الانتقال من لازم الى ملزوم . ولا يربك
 بظاهرة الانتقال من أحد لازمي الشيء الى الآخر مثل ما اذا انتقل من يياض الفلج
 الى البرودة ، فمرجعه ما ذكر ينتقل من اليياض الى الفلج ثم من الفلج الى البرودة
 فمأمل . وإذا ظهر لك أن مرجع علم البيان هاتان الجهتان ، علمت انصباب علم
 البيان الى التعرض للمجاز والكتابة ، فان المجاز يُستقل فيه من الملزوم الى اللازم
 كما نقول : درجتها غيثا والمراد لازمه وهو الثبت ، وقد سبق ان الملزوم لا يجب
 أن يكون عقليا بل إن كان اعتقاديا إما لعرف أو لغير عرف ، صح البناء عليه ،
 وأما نحو قولك : « انطرت السماء نياتا » أي غيثا من المجازات المستقل فيها من
 اللازم الى الملزوم فمستخرط في ذلك درجتها غيثا : وان الكتابة يُستقل فيها من
 اللازم الى الملزوم كما نقول : « ملان طويل النجاد » والمراد طول القامة الذي هو
 ملزوم طول النجاد ، فلا يصار الى جعل النجاد « طويلا » أو « قصيرا » إلا لكون
 القامة طويلة أو قصيرة فلا علينا أن نأخذها اصلين ، (١) :

وإذا نصوصوعات البيان عند السكاكي تنحصر في باين رئيسين هما « باب
 المجاز » و « باب الكتابة » وان لم يستطع أن يهمل بحث التشبيه في علم البيان وذلك
 ليس : -

أولهما : ان نصوصا قرآنية وأثرية وأدبية قد جرت بأقننين شئ من أسلوب التشبيه ،
 وثانيهما : ان العلماء الذين سبقوا السكاكي ومشايعه في بناء نظرية البيان العربي
 قد درسوا التشبيه وحدّوه وأوردوا في دراسته وحدّاه صورا فنية رائعة (٢) ،
 ومن هنا انتف على ما قرره وقال : « ثم ان المجاز - أعني الاستعارة - من حيث
 أنها من فروع التشبيه - كما سنف عليه - لا يتحقق بمجرد حصول الانتقال من
 الملزوم الى اللازم بل لابد فيها من تقديم تشبيه شئ بذلك الملزوم في لازم له استعدي
 لتقديم التعرض لتشبيه فلا بد من أن تأخذ أصلا ثالثا وتقسّمه (٣) :

(١) مفتح العلوم ص ١٥٧ .

(٢) راجع كتاب الكامل ، ج ٢ ص ٨١٨ .

(٣) مفتح العلوم ص ١٥٧ .

وبعد ذلك اعطى يرب اصول البيان ومباحث الثلاثة الرئيسية ، فرأى ان الاستعارة
تعتمد على التشبيه فلا بد أن يقدم مبحث عليها ، لانه اذا مهت فيه ملكت زمام
التحريب في فنون السحر البياني (١) ، ولما كان طريق الانتقال من اللزوم الى
للأزوم والمحمدا بنفسه ، ووضح طريق الانتقال من للأزوم الى اللزوم انما هو
بالغير وهو العلم بكون للأزوم مساويا لللزوم أو العكس عنه - قدم السكاكي
الاستعارة وأختر للكتابة ، لانها بالنظر الى هذه الجهة نازلة من المجاز متصلة المركب
من الفرد :

لقد استول منحنى السكاكي ومنهجه في حدّ البيان وأصيل التمام ومباحث
على معاصريه عامة وعلى القزويني (- ٥٧٣٩هـ) الذي لخص مفتاحه والذين شرحوا
هذا التلخيص ، قاستوت نظرية البيان العربي مفتحة في حدود ضيقة بعد أن كانت
تشمّل فنون البلاغة وفق القول لدى السابقين (٢) :

(١) المصدر السابق ١٥٧.

(٢) ينظر شرح ذلك في ايلانة عبد السكاكي ، والقزويني وشروح التلخيص ، ومراجع
بلاغية ، وفنون بلاغية ، الدكتور اسد مطلوب .

البحث الثاني

أهمية البيان

في عصرنا هذا حين تخرج الشخصيات في الجامعات العربية وتصل المتفوقون بالثقافة الأوربية عندهم أن البيان العربي هو ما استقر في كتب البلاغة والبدع المتأخرة ، وأن الأساليب هي التي انتهجها هذا البيان في التراب من التزيين التقني والصناعة الثقيلة ، فظهرت تيارات سطحية لم تسطع أن تتوغل في أصالة هذا البيان وتلف على كتوفه^(١) سطور ازدهار الأدب ، فأعلنت حرباً عليه ودمت إلى التخلص من سمات الجمال التي يزدهن بها هذا الأدب (١) ، ولذلك تجرد باحثون قرد على هذه التيارات ونجسد دور البيان العربي الذي توف به قبلانيون القدماء^(٢) ، منهم عبد القاهر الجرجاني الذي قال : (ثم انك لا ترى علماً من أرسخ أصلاً ، وأبسط قرعاً ، وأحل جتي ، وأعذب يرداً ، وأكرم فاجاً ، وأقرب مرابجاً ، من علم البيان الذي لولاه لم تر لساناً يحرك الوشي ، وبصوغ الخلي ، ويحفظ الشعر ، ويثبت الشعر ، ويقرى (٢) تشهد، ويرتك بدائع من الشعر ، ويحبك الخلو البائع من الشعر ، والذي لولا تحف بالعلوم وعنايه بها ، وتصويره أياها ، لبقيت كلمة مشورة ولا استجبت لما يد الشعر صورة ، ولا حتم السرار (٣) بأعنتها ، واستوى الخطاء على جبلتها ، إلى غرائد لا يدركها الأحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء (٤) .

ثم إن البيان للعمود النظري لعلوم الأدب العربي وفنون لغة القصاد ، وذلك لأن هذه العلوم والفنون تهدف إلى خدمة البيان ، الذي عني به العرب في جامعاتهم واسلامهم ، وشغلوا به في عصور ازدهار العربية ، وفي عصور انحطاطها :

(١) راجع كتاب البيان العربي ص ٢٢٢ .

(٢) يقرى : يجمع .

(٣) السرار - بالفتح - أمر لينة في الشعر يستمر فيها الشعر أي يمتد .

(٤) دليل الاعجاز ص ٢ .

والبيان ، أو دراسة الفن الأدبي ، ينبغي أن يساهم كل نشاط فكري ، وأن لا يختلف عن أية حركة علمية تخدم التراث العربي في العلم أو في الفن ، بدءاً أو تجديداً ، لأنهم البعيد في غلطة لغة العرب ، إذ هو يشرح معانيها وعصوف التعبيرها ، ويجلي أساليبها المختلفة ، ويفضل التعبير بكل أسلوب منها ويشرح للتلاميخ الجسدية التي تبدو في نصبة الشاعر أو غلطة الخطيب ، أو رسالة الكاتب ، أو مقالة المتكلم ، كما أن له مبداء آخر رجحاً فيها في مجال العقيدة ودراساتها ، واللغة والعقيدة هما حلقتا المجد في سلسلة إجماع الأمة العربية ، وسر حياتها وعظمتها ، وسر علوها وبقاتها متماسكة في وجه القيمة والأحداث (١).

وتجلى أهمية البيان في مياديه تلك : أن إجادته تحقيق قوايته وإبداع مهارته وفهم تجاربه أمور تقتضي توفر الآلات وأدوات ذكر منها ابن الأثير (٨٦٣٧) : معرفة علم العربية من النحو والصرف ، ومعرفة ما يحتاج إليه من اللغة ، وهو المتداول للأدب استعماله في تصحيح الكلام غير الوجداني القريب ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بالقوام ، والإطلاع على تأليفات من تقدم من أرباب هذه الصناعات المنظومة منه والمنثورة ، والحفظ الكثير منه ومعرفة الأحكام السلطانية في الأمان والامارة والقضاء والخير (٢) ، وحفظ القرآن الكريم ، والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه ، وحفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والسلوك بها سلك القرآن الكريم في الاستعمال ، ومعرفة علم العروض والقوافي (٣) .

وهكذا فإن البيان العربي يتواصل حلقه بين تراث الأمة العربية وثقافتها المعاصرة ، كما ينبغي. نرأس نحو المستقبل الزاهر في استمرار أصالة ثقافة هذه الأمة ودورها الرائد في بناء الإنسان العربي فكراً وروحياً :

ونحن إذ نقرر لبيان العربي هذه الأهمية ندرس في تفصيل لقائمة أصوله ومبادئ دراسة تحليلية تطبيقية مثلولين تشبيه واللجاء والاستعارة والكتابة ،

(١) راجع البيان العربي ص ١٢ - ١٣ .

(٢) الحجة بالكسر : الأجر ، راسم من الاحتساب ، وهو حسن الحجة ، حسن التقدير .

(٣) راجع كتاب : المثل السائر ، القسم الأول ص ١٢ - ١٤ .

والثاني: تصوي شئين أو أمرين حتى يستوي كل أحد منهما بدلاً عن الآخر .

التشبيه اصطلاحاً :

للتفن عليه : ان المعاني الثغرية لأية كلمة سبق ظهوراً من مدلولاتها الاصطلاحية ، ومن هنا فإن علماء البلاغة الذين سعوا إلى تحديد مدلول كلمة التشبيه اصطلاحاً قد تأثروا إلى حد كبير بما أدلى به اصحاب المعجمات من مدان لغوية لهذه الكلمة ويشغل هذا التأثر في أن تعريفاتهم لكلمة تشبيه اصطلاحاً متفقة في مدلولاتها وان اختلفت طرائق تعبيرهم باختلاف اختصاصاتهم الأساسية وتباين مشاربهم ولعل المبرد (- ٢٦٨٥) أقدم اللغويين الذين عرفوا التشبيه اصطلاحاً ، قال «واعلم أن تشبيه حدثاً ، لأن الأشباه تشابه من وجوه ، وتباين من وجوه

فلما ينظر إلى التشبيه من أين وقع ، فإذا شبه الوجه بالشمس والقمر ، فلما يراد به القضاء والرواق ، ولا يراد به العظم والاحراق : قال الله جل وعز : «كأنهن ريتن مكنوناً» . (١) والعرب تشبه النساء ببيض الثمام ، تريد لقاوه ورقاقولته (٢) : ففي هذا النص يظهر : ان المبرد الثمام اللغوي يعتمد منهج استقرار شواهد اللغة العربية واللون العربي ويستضيء بأحد المعاني الثغرية لكلمة التشبيه ، وهو تقارب شئين في وجه واختلافهما في وجه آخر ، فيرى أن هذه الكلمة - اصطلاحاً - لكل حل جميع أمرين في صفة دون الصفات الأخرى التي تنظمت عليها كلمة المشبه والمشب به .

وكذلك تتبع قلادة بن جعفر (- ٢٢٣٧) خطى المبرد فيما ذهب إليه من حد التشبيه واحداً ما اقتبس منه في إطار منطقي ثالثاً : - «إن الشيء لا يشبه نفسه ولا غيره من كل الجهات إذا كان شئان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تباين البنية» ، اتضح فصار الاثنان واحداً يعني أن يكون التشبيه شياً يقع بين

(١) الصفات ١٩ .

(٢) الكامل ج ٣ ص ١٠٢ .

ثبتهن بينهما اشتراك في معان لهما ويوصفان بها ، والفرق في تشابه بقره كل واحد منهما عن صاحبه بصفته : وإذا كان الأمر كذلك فالحسن التشبيه هو ما وقع بين الثبتهن اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لهما حتى يفتي بهما إلى حال الاعتماد (١) .

وسيلار قداسة في القوم التشبيه الحسن ووضع اليد عليه التامنهض على أساس حقل . جرد أنه به الرما ني ، وهو المعزى ، فقال : التشبيه هو المقيد على أن أحد الثبتهن يمد سداً "الأمر في حسن" أو حقل (٢) .

والسؤال هنا يستفسر عن مدى دقة هذا المعيار وقيته وصحته في نظر علماء البلاغة المبدعين الذين يلتفتون بالشاعر بشار بن برد في وصفه لرجل حبيته كقولاً :
وكأن رَجَسَ حديتها قطع الرِياض كسبن زَهراً
إذا ما لصفه أو الصفات التي تجمع بين رَجَس الحديث وهو يترك بالسمع وبين قطع الرِياض التي تكسوها الزمرور وهي تحس بالبصر ؟

فواضح أن صفات رَجَس الحديث من جرس حوسني ورقة نبرات وحلوبة اداء ليست لها أية علاقة عقلية وحسية بصفات قطع الرِياض من جمال ألوان وطيب رائحة ، واعتدال هواء ، وعليه فإن المعيار الذي حرره قداسة لا يستلزم تشبيه رَجَس الحديث بقطع الرِياض وقد كسبن زهراً ، ومثاله في التشبيهات الفنية :
ومهما يكن فإن قداسة ومن جرى مجراه في تعريف التشبيه كالمعاني وأبي هلال العسكري (٣) والبالغاني (٤) قد اعتصموا المنهج الشكلي وأعطوا موضوع تشبيه في دائرة النظر العقلي والتعقلي المجردين .

(١) فقه الشعر ص ١٢٢ .

(٢) التكت في أمجاد القرآن ص ٢١ .

(٣) كتاب الصنائع ص ٢٣٩ .

(٤) أمجاد القرآن ص ٢٩٩ .

وعمل التقيض من هذه الدائرة بقف عند القاهر المخرجاني فيعرف التشبيه في صورة أسس المنهج التحليلي قالوا: "إن هذا تشبه العقل وربما انتزع من شيء واحد كما مضى من التزاع تشبه لقط من حلولة الفصل، وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها تشبه ليكون سبيل التشبيه يمزج أحدهما بالآخر حتى يحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد لاسمى التشبيه يجمع بينهما ويحفظ صورتها، ومثال ذلك قوله عز وجل: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا الثَّوَدَةَ" ثم لم يتحملوها كتمثل الحمار يتحمل أسفاره (١)، تشبه من أحوال الحمار وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر القول، ثم لا يحسن بما فيها ولا يشعر بمضمراتها، ولا يفرق بينها وبين حمار الأحمال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، وبكده جنيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وتكرر بعضها إلى بعض (٢).

فحين هنا نراه منهج لا يكتفي بتقرير الأمور وإنما يسوق صاحبها تعريف التشبيه ثم يستفيض في تحليل مقوماته مستشهداً بأكثر من شاهد.

بعدنا تاريخ البلاغة العربية أن "الخلاص بين المنهج الشكلي والمنهج التحليلي تحرير موضوعات هذا الفن وتوضيح أسسه وتبسيط أبوابه قد انتهى إلى نقطة تامة فيها على يدي السكاكي الذي انتهى بالبلاغة إلى قواعد منطقية وأحكام عقلية ليس فيها دور للذوق الفني التزيين والحس الشعري الرفيع، لقد وضع السكاكي التشبيه حداً جديداً مائلاً على أساس منطقي ونظر عقلي فقال: والتشبيه مستطع طرفين متشابهاً ومشبهاً به والشراكا بينهما من وجه وانفراقاً من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفان في الصفة أو بالعكس، فالأول كالإسالمين إذا اعتلنا

(١) الجملة .

(٢) استمرار البلاغة ص ٩٠ - ٩١.

صفة طولاً وقصرًا، والثاني كالتربيعين إذا اعتدنا حقيقة التساوي أولاً وإلا لانت
 غير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى الثمين بئس التعدد فيمثل التشبه
 لأن تشبه الشيء لا يكون إلا وصفاً له بمشاركته المشبه به في أمر والتشبه لا يتصف
 بنفسه كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمتلك محاولة التشبه
 بينهما لرجوعه إلى طلب الوصف حيث لا وصف وإن التشبه لا يصر إليه لغرض
 وإن حاله تفاوت بين القرب والبعد وبين القول والرد (١)؛

فهذا التعريف يقوم أساساً على مبدأ منطقي يحدد الأشياء المجموعة في تشبه
 من حيث الحقيقة والخص والنوع، ويلتزم صحة الجمع بينها من زائدة لصفة
 أو الصفات التي يملكها العقل رابطة بين المشبه والمثبه به، ذلك فهو يحدد مسائل
 التشبه ويقرر أيها الطرفين وطرفاً وما يحقق هذا الغرض من أدلة ووجه شبه؛
 إن هذه المخطوط العامة تعريف التشبه عند السكاكي قد صارت سنة اتبعها
 البلاغيون من بعده إما مباشرة أو عن طريق مقام به القزويني من التخصيص (٢)
 كتاب السكاكي المعروف «مفتاح العلوم» ثم «ابصاره» إذ أن القزويني أخذ
 تعريف السكاكي ولم يطرأ عليه وضبط حواشيه وقال: «التشبه: دلالة على مشاركة
 أمر لآخر في معنى» (٣)؛

ويجمل ماقرر من انتهاء حال تعريف التشبه فيما جمع الاستاذ علي الجندي (٤)
 من تعريفاته لدى البلاغيين القدماء وتثبيت الملاحظات عليها :
 / فعند ابن الأثير : التشبه أن يثبت للمثبه حكم من أحكام الشيء به (٥) ،
 وعند التنوخي : هو الاعتبار بالشيء، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر (٦) ،

(١) مفتاح العلوم ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) ينظر كتاب التلخيص في علوم البلاغة ص ٢٣٨.

(٣) الابصار في علوم البلاغة ص ٢١٣.

(٤) ينظر كتاب فن التشبه ج ١ ص ٣٢.

(٥) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ١٥٣.

(٦) التلخيص القريب ص ٤١.

وعند ابن رشيقي : صفة الشيء بما قرره وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة (١) .

وعند الطبري (٢) والخطي (٣) : الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء الواحد في نفسه .

وعند الرمطاط (٤) : أن يشبه للكاتب أو الشاعر شيئاً بشيء آخر في صفة من صفاته

وقد علق الأستاذ علي البغدادي على هذه التعريفات علقواً بإيراد بقوله :
ويلاحظ أن هذه الحدود جميعاً تنفق في الجواهر ، وهو اتفاق التشبه والنسبة به في وصف بجمعتها . ولكن يلاحظ كذلك أنها ليست دقيقة ، فضلاً عن تعريف الخطيب - وهو أشملها - اعترض عليه بأنه لا يمنع من دخول نحو : «قال زيد حمرأه ورجلاني زيد وحمرأه» ، مما جمع فيه صيغة المشاركة أو ولو العطف ، ولا يعد مثل ذلك من التشبيه ، لخلوّه من الوصف الجامع بين الطرفين (٥) :
ونعتقد أن المقار تعريف التشبيه اصطلاحاً إلى الدقة لدى معظم العلماء الأسلاف
مثل بلازمه في تعريفات المعاصرين إياه ،

ومن هؤلاء المعاصرين السيد أحمد الهاشمي الذي عرف التشبيه اصطلاحاً بقوله : هو التشبيه اصطلاحاً - عقد بماتة بين أمرين ، أو أكثر ، قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر ، بأداة : لغرض بقصده التكلم (٦) لهذا التعريف ربما يحقق الاحتراز من أن تكون المشاركة بين التشبه والتشبه به عطفاً بينهما ، وذلك بالنص

(١) قصيدة ج ١ ص ١٤٤ .

(٢) قطراز ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣) حسن التوصل ص ١٠٦ .

(٤) حقائق البحر ص ١٣٨ .

(٥) فن التشبيه ج ١ ص ٣٥ .

(٦) جواهر البلاغة ص ٢٤٧ .

على أن تلك المشاركة لإدبها أدلة مخصوصة تسمى مع أشعار لها أدوات
التشبيه ومع هذا فإن طبيعة هذه المشاركة تبقى قائمة لاتحد أحوال مقارنة
التشبيه بالتشبيه به ولا تستوعبها في ذلك وحصر: وأية ذلك أننا نلتقي في النصوص
أدوية تشبيهات يتساوى فيها الطرفان : التشبيه والتشبيه به في جهة التشبيه (١) ،
ليكون كل واحد من الطرفين متشبهاً ومتشبهاً به ، تقادياً لرجيح أحد المتساويين
على الآخر ، كقول أبي اسحاق العباسي :

تشابهت دعوى إذا جرى ومكافئتي فمن يشكر مالي الكاس عيني تسكب
لواني مالتري بالحد استبكتني جفوني أمهن عيني كنت أشرب
لهنا لا يشرك أبو اسحاق العباسي نوعه مع غيره في صفة أو صفات تجمع

بينهما من وجه لتفرق بينهما وجوه ، وإنما يرى دمه خمرأً ويصدق غيره دمعاً
كل هذا ولا مراد في أن الشاعر يعتمد أسلوب التشبيه في تصوير تجربة شعرية
خاصة : وأمل هذه الملاحظة لأنني إن للتعريفات التي صاغها القناسي والمحامرون
التشبيه قاصرة جادة وتفصيلاً ، بيد أنها تقرر أن صياغة تعريف جامع مانع للتشبيه يلزم
فيه دوافع تراثية الأدبي وما تجرد به القرعة المبدعة مستقبلاً أمر يقف دون تحقيقه
حالتان :

أولهما : أن تشبيه حدث معنوي ، والحدث المعنوي ليس شيئاً مادياً محسوساً
لتحرك الحواس ، فتصفه وصف البيان واللامسة والشلوق والشم :

والثاني : أن تشبيه في جوهره ثمرة مخيلة الإنسان التي يظلمها بيان الظنوس
ويشبعها الخلفان البيئات ويلونها تجدد التجارب وما إلى ذلك من العوامل المتنوعة
التي تمنع على الحصر والتفصيل :

(١) يسمي تيلانيون هذا اللون من التشبيه تشبيهاً .
ينظر كتاب اللون بلاغة ص ٩١ .

لقد اتبه الأستاذ علي الجندبي إلى طبيعة التشبيه هذه لأفاد من الدراسات النفسية المعاصرة ، وقد حرص آراء علماءنا القدامى المبدعين فتحدث عن المصدر الحقيقي المظهر بالتشبيهات الأصلية قائلا : «إن التشبيهية» على ماظمته القوم من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها ، وذلك يقول أحد علماء النفس أن الأحاسيس النفسية الذي يقوم عليه التشبيه وغيره من الأساليب اللفظية من تأليفها وإدراكها والتشويرها ، هو في الواقع عملية أساسية في التفكير ، تلك هي ما بين بعض الأشياء وبعض من تشابه وعلاقات» (١) :

فالتشبيه في حقيقة امره قياس ، والقياس - كما يقول عبد القاهر - يجري فيما بينه القلوب وتتركه العقول ، وتستغنى فيه الاتهام والأذهان لا الأصابع والآذان (٢) ، ربما يفتننا من هذا الحديث : أن المنهج التحليلي المتكامل في الكشف عن أركان التشبيه وعرض جوهريه وتجسيد قائده هو الذي يستطيع أن يقدم لنا الصورة الحقيقية عن هذا الفن ، بخلاف المنهج الضريبي الشكلي الذي يذهبنا لدى ظاهره ويقدم لنا أجزاءه شتاتا وفاروق : وفي المجال التطبيقي تنقي بعد القاهر الجرجاني وهو يحلل شواهد لغة أصيلة من هذا النطاق النفسي وقد ذكر هذه الآيات لابن طباطبا :

رُبَّ ليل كَأَنَّه أَسْلَى لَيْسَكَ وقد رُحْتُ عَنْكَ بِالْحِرْمَانِ
جَبَّحْتُ وَهَجُومُ نَحْسٍ فِي الْأَفْ سَقَرٍ وَتَطَرُّقِ كَالْعَبْرَةِ الرَّوَانِ
عَلِمًا مِنْ غِلَامِ لَيْسَكَ فِي نَحْ وَغِيَا لَفَنِي الْأَخْرَجُ الْهَيْجَانِ (٣)

(١) دراسات في علم النفس الأدبي ص ٤١ .

(٢) فن التشبيه ج ١ ص ٥٠ .

(٣) جبهه : قطعه . طرفت العين : الحركة . الهيجان : الكتاب : الطيار من كل شيء ، ورجل هيجان : كرم الحبيب .

ثم حلها قاتلاً: ولما كان يقال في الأمر لا يرجي له نجاح: وقد أظلم علينا هذا الأمر، وهذا أمر فيه ظلمة، ثم أراد أن يبالغ في التباس وجه النجج عليه في أنه تحليل كان أنه شخص شديد السواد ففاس إليه به كأنه يقول: وتفكرت فيما أظلمه من الأشياء السود، فوافيت صورة أمني فبك زائلة على جميعها في شدة السواد فجعلته قياساً في ظلمة ليلي الذي جبهته (١).

ففي هذا النص يشير عبد القاهر الجرجاني إلى مصدر عدل الخبة في تحقيق الأمل خرباً من الاظلام، وهو ما يقوله الناس عادة: ثم يتحدث عن العكاس ذلك في مخيلة الشاعر، وبعد ذلك يلتبس اتصالات الشاعر النفسية وهو يعاني من أزمة في تحقيق أمه ويعاني حتى تمخضت عن تشبيه له بأمله الخالب قياساً وتصوراً، طرفاً التشبيه:

حددت البلاغيون أربعة أركان للتشبيه: هي المثلة والمثبة به ووجه التشبيه وأداة التشبيه. كما يظهر في قوله تعالى: «وَأَلْزَمْ عَصَاكَ، فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا صِدْقٌ رَجُلٍ مَذْبُورٍ» (٢)

فالضمير في «كأنها» العائد إلى العصا مثبة وكلمة «جان» مثبة به والاهتزاز الذي هو شدة الاضطراب في الحركة: وجه التشبيه، وكان هي أداة التشبيه: وكما يوضح ذلك أيضاً في قول ابن الفارض:

أعوام إقباله كالأيوم في فيصتر ويوم إعراضه في الطول كالحيجيج
ففي هذا البيت تشبيهان: أولهما: «أعوام إقباله كالأيوم في فيصتر» (١) «أعوام إقباله» مثبة و «الأيوم» مثبة به «وفيصتر» وجه التشبيه، والثاني أداة التشبيه «و»
ثانيهما: «هو يوم إعراضه في الطول كالحيجيج» (٢) «يوم إعراضه» مثبة و «الحيجيج» مثبة به «والطول» وجه التشبيه، والثالث أداة التشبيه:

(١) السمرقانيون ص ٢١١.

(٢) النمل ١٠.

مع اختلافهما في الصفة ، أو اتحادهما في الصفة مع اختلافهما في الحقيقة أو الذات ، لأن التشبيه يقتضي الإختلاف في بعض الجبهة والإشتراك في بعضها إذا الإشتراك من جميع الوجوه حتى الاتحاد الذي يأبى التعدد ، أو الإختلاف من جميع الوجوه حتى التبعين الذي يأبى المخالفة ، لا بدائي به تشبيه البتة (١).

مثال ما اتفق فيه الطرفان في الحقيقة والذات واختلفا في صفة قول قيس بن خزيمة :-

أخضت نهارى بالحديث وبالنس
نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزكتي اليك المضاجع
تشبيه الشاعر نهاره بنهار الناس جمع بين أمرين متحدثين في الحقيقة والذات : أما الإختلاف بينهما فيرجع إلى صفة مخصوصة تترادى للقارئ من معرفة حال ذلك الشاعر التيم الذي يأتي بعد ساره اليك المنعم بالألام وعلمه بنهار الناس الذي ينتهي بليلى يرتاحون فيه لائمين مطمئنين لا يفاتهم حدث ولا يدعب عن جفونهم فكروا لم .

ومثال ما تشابه الطرفان في صفة وتباينا في الحقيقة والذات قول أبي دلالة في الهجاء :

إذا ليس الصلابة كمن يبرداً وخزيراً إذا خلع العمامة
فالهجور في هذا البيت يشابه مع الفرد والخزير في صفتي القبح والظلم ويبدآن جنهما في الحقيقة والذات ، والتشبيه باختيار الطرفين أربعة أصرب :

الأول : تشبيه لثني يكون فيه المشبه والتشبه به حسين ، والمراد بالخي ملبسك هو أو نادته بأحدى الخواص الخمس الظاهرة وهي : البصر والسمع والشم واللمس ، كما في تشبيه الخلد بالورد والليل بالليل ، في البصرات ، والصوت كضعيف بالهمس في السموات ، والنكهة بالغير في الضمومات ، والقرين بالغير في اللقوقات ، وإخلاء الشاعر بالحرير في اللصوصات .

(١) راجع لن التشبيه ج ١ ص ١٠٣ .

الثاني : التشبيه الذي يستوي فيه الطرفان عقليين ، والمقصود بالعقل مالا يفرك واحد منهما بالحس بل بالعقل كما في تشبيه العلم بالحياة ، والجهل بالثوت ، والفقر بالكفر :
الثالث : التشبيه الذي كان فيه الشبه معقولاً والشبه به محسوساً كما في تشبيه الشبه بالسبح ، والجهل بالظلام والعلم بالنور .

الرابع : التشبيه الذي كان فيه الشبه محسوساً والشبه به معقولاً كما في تشبيه المعطر بخلق كرم (١) :

وأثر الثامن مادة طرني تشبيه على أساس هذه الأخرى الأربعة مسائل خلافية بين بعض البلاغيين ، وأولى هذه المسائل أن بعضهم منع تشبيه المحسوس بالمعقول وذلك بحجة أن العقل مستفاد من الحس ، قال الرازي : «انه غير جائز لأن العلم العقلي مستفاد من الحواس ومنتهية إليها ولذلك قيل : «من فقد حساً فقد علماً » وإذا كان المحسوس أصلاً للمعقول فتشبيهه به يكون جمللاً كفرع أصلاً وللأصل فرعاً ، وهو غير جائز . ولذلك لو حاول محاول الباطلة في وصف الشمس بالظهور والملك بالطيب فقال : «الشمس كالخجعة في الظهور » والملك كأنتلاق فلان في الطيب ، كان سخيفاً من القول (٢) .

وفي يميننا : أن هذا المنع لتشبيه المحسوس بالمعقول يعتمد نظراً عقلياً ودليلاً منطقياً ، والنظر العقلي والدليل المنطقي لا يشبان إذا فربما من الشواهد الأدبية الأصيلة ما يمتثلها قاعدة بلاغية مستأفة .

والحقيقة أن شواهد أدبية أصيلة جرى فيها تشبيه المحسوس بالمعقول فأكثرت الجحجة على أن ذلك المنع ليس من فن القول في شيء : من هذه الشواهد قول القاصي الشترخي :

(١) ينظر الإيضاح ص ٢١٩ .

(٢) نهاية الإيجاز ص ٥٩ .

وكانَ التَّجْهِومُ بين دجاءي سَتْنٍ لَّاحٍ يَسْتَهْنِ اِبْتِدَاعُ
 فِي هَذَا الِيتِ الشَّبَهِ وَالتَّجْهِومِ بَيْنَ دَجَائِهِ مَشْهُدٌ حَسْبِي لِحَدِّ الْعَيْنِ ، وَالشَّبَهُ بِهِ
 مَسْنَى لَّاحٍ يَتَهَنُّ اِبْتِدَاعُ ، مَرْكَبٌ عَقْلِي يَلْمُ بِهِ الْعَقْلُ وَيَتَصَوَّرُهُ الظَّاهِرُ ،
 وَمِنْهَا قَوْلُ الْعَصَابِ بْنِ عِبَادٍ حِينَ أَعْدَى الْعَطَرُ إِلَى قَاضِي الْجَرَجَانِي :
 يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي لَمْ يَلِدْ فِي قُرْبٍ عَهْدَ اقْتِنَاءِ مَشَاقِقِهِ
 أَعْدَيْتَ عَطَرًا مِثْلَ طَيْبٍ ثَنَاءً فَكَيْفَا أَعْدَى لَهْ اِعْتِلَاجِهِ
 لِهَذَا شَبَهٍ لِقَاضِرِ الْعَطَرِ وَهُوَ مِنَ التَّشْوِمَاتِ بِطَرَبِ ثَنَاءٍ وَهُوَ عَمَّا لَا يَبْرُكُ بِإَعْدَى
 الْخُرَاسِ الْخُفْسِ الظَّاهِرَةِ .

لَقَدْ حَلَّ الرُّزِّيُّ قَسَمَهُ حَسْبِ التَّشْبِيهِ فِي عِلَلِ التَّشَاهُدِ وَسَوَاعِدِ قَائِلَاتِهِ : وَاعْلَمْ
 أَنَّ الرَّجُلَ الْحَسَنَ فِي هَذِهِ التَّشْبِيهَاتِ أَنْ يَقْدِرَ الْمَقُولُ مَحْسُومًا وَيَجْعَلَ كَالْأَصْلِ فِي
 ذَلِكَ الْحُسُوسِ عَلَى طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ وَحَيْثُ يَصْبِحُ التَّشْبِيهُ (١) :
 وَمِنَ الْعَاصِرِينَ مَنْ أَلْهِمَ بِهِذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْبَلَاغِيَّةَ يَرُدُّهَا إِلَى التَّخْيِيلِ مَصْدَرًا لِخَلْقِ
 الصُّورَةِ التَّشْبِيهِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ نَجِدُ لَهُ أَمْثَلًا كَثِيرَةً حَيْثُمَا بَدَأَ الشُّعْرَاءُ الْعِيَاسِيُونَ بِصُورُونَ
 الْعَالِي تَصَوُّرًا يَعْتَمِدُ عَلَى التَّخْيَالِ (٢) :

وَالثَّانِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ أَنَّ هَذَا لَوْ أَنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ هُوَ التَّشْبِيهُ الْخَيَالِي ، رَدُّهُ بَعْضُ
 الْبَلَاغِيِّينَ (٣) إِلَى التَّشْبِيهِ الْحَسِّيِّ وَأَدْخَلَهُ لِيهِ ، بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْحَسِّيَّ يَبْرُكُ هُوَ أَوْ مَادَّتُهُ
 بِإَعْدَى الْخُرَاسِ كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَكَاكَانَ مُحَسَّنٌ فَتَقَبَّلْنِي إِذَا تَصَوَّبْتُ أَوْ تَصَوَّبْتُ (٤)
 أَعْلَامُ يَأْتِيهِمْ تَشْبِيرٌ نَ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرُوجِدٍ (٥)

(١) نِهَايَةُ الْاِبْجَازِ ص ٦٠ ، وَيَنْظُرُ قُتُوبٌ بَلَاغِيَّةً ص ٣٩ .

(٢) قُتُوبٌ بَلَاغِيَّةً ص ٤٠ .

(٣) يَنْظُرُ الْاِبْتِذَاجُ ص ٢١٩ .

(٤) اِتِّشْبِيهِ : وَرَدَّ أَحْمَرَ مَبْعُوعٍ بِقَطْعِ سَوْدٍ . تَصَوَّبَ : مَالَ إِلَى اسْفَلٍ ، تَصَدَّ : ائْتَبَ
 إِلَى اِطْلَاقِهِ .

(٥) اِبْيَالُوتُ : حَجَرٌ كَرِيمٌ صَلَبٌ رَازِقٌ شَفَافٌ لَطِيفٌ الرَّوَادُ . وَالزَّبَرُوجِدُ : حَجَرٌ
 كَرِيمٌ اِبْلَاقٌ يَلْبَسُهُ الزَّمَرْدُ ، وَالنُّهْرُ الْاَحْمَرُ ، وَيَنْسَبُ الْقِيَانُ الْقُسُوتِيُّ .

وأنه هذه المسئلة أن أولئك البلاغيين عدوا أولاً الشعر من التشبيه هو التشبيه الرومي من التشبيه العقلي، وذلك لأن الرومي هو ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا بها (١)، كما في قول امرئ القيس: أبقاني والفرنسي مضاجعي ومستونة أرق كالأبواب الخوالي عليه قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَلِمْنَا مَا فِي رُؤُوسِ الشَّيَاطِينِ» (٢) وكلنا ما يدرك بالوجدان، كالقطة، والألم، والشيء، والخرج .

لقد فرق البلاغيون بين التشبيه الخيالي والتشبيه الرومي فقال الطبري : «والفرقة بين الأمور الخيالية والأمر الوهمية هو أن الخيال أكثر ما يكون في الأمور المحسوسة، فأما الأمور الوهمية لأنها تكون في المحسوس، وغير المحسوس مما يكون حاصلًا في فهم وداعلا فيه» (٣).

وعلى هذا الأساس كان التشبيه الخيالي هو المعلوم الذي فرض مجتمعاً من عدة أشياء، كل واحد منها يدرك بالحواس، ويتوفر في الوجود وأن الصورة التي يدخل فيها مع سائر الأشياء قد نسجها الخيال :

فبحر الشقيق في الشاعر السابق- تلقى به العين في الطبيعة وحاله في التصوُّب ولتصعد برسمها الخيال وكذلك أعلام الباقوت وبساط الزبرجد يقع عليهما الإنسان مفرق في الحياة اليومية. يتبدأ أن «جَمَعْتُهُمَا في صورة، وتأليف هذه الصورة مع بحر الشقيق متصوِّباً ومتصعداً في طرقي تشبيه حدث لغوي وعملية تخيلية جريا - بغير الخيال الشاعر .

أما تشبيه الرومي فهو ما تألف طرفاه أو أحدهما مما لا وجود له ولا لأجزاء كلها أو بعضها في الوجود المحسوس ولو وجد لكان متراكباً بإحدى الحواس،

(١) الايضاح ص ٢٢٠ .

(٢) الصفات ٦٥. طبع الشجر : ما يبدو من شجرة أول ظهورها .

(٣) الطراز ص ٢٧٣، وينظر لنون بلانية ص ٤٠.

غالب الأعراف في بيت امرئ القيس لا وجود لها في نظر الإنسان وقد جعلها الشاعر مشبهاً به السهام الرزق زرعاً.

ولي الشاهد القرآني للكرم شبه طلع شجرة تخرج في أصل الجحيم برؤوس الشياطين وذلك لأنه قد استقر في نفوس الناس من قبح الشياطين ما صار بمنزلة المشاهد، ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين شجر الزقوم وبرؤوس الشياطين.

ورابطة هذه المسائل أن الصفة أو الصفات الجامعة بين طرفي التشبيه تكون أقوى في التشبه به منه في التشبه، وذلك لأن الأصل في التشبيه عند البلاغيين أن يقصد به إلحاق الناقص بالزائد في الصفة المطلوبة، إذ أن الفائدة المستتجة من التشبيه - كما يقول ابن الأثير - : أن يشبه الشيء بما يعلو عليه لفظاً وأصلاً (١) - أي : يشبه بما هو أرفع وأوضح، أو بما هو أحسن أو ألحج : وكذلك يشبه الأقل بالأكثر، والأدنى بالأصل .

وما ذهب إليه ابن الأثير هو معنى قول السكاكي : «التشبه به من جهة أن يكون أعرف بجهة التشبه من التشبه، وألخص بها، وأقوى حالا معناه (٢) :

وأكد" قلوي أن التشبه به أعظم حالا من التشبه في كل أحواله (٣) :

وقد وردت شواهد في التشبيه تخالف هذا الأصل البلاغي وتخرج عن قاعدته، منها قوله تعالى حكاية عن الكفار : «إِنَّمَا يَتَّبِعُ مِثْلُ الرِّبَا» (٤) في مقام : أن الربا مثل الربح، عكسوا ذلك لادِّهَام أن الربا عندهم أصل من الربح، لأن القرض الربح، وهو ألبت وجوداً في الربا منه في الربح، فيكون أحق بالحلّ عندهم :

(١) ألفاظ السائر ج ١ ص ١٦٥.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٨٤.

(٣) الطراز ج ٢ ص ٢٢٧.

(٤) البقرة ٢٧٥.

ومنها قول محمد بن وهب الحميري :

وبدا الصباح كأنَّ شَرَّبه وَجْهَ الخليفة حين يُسْتَسَدَّحُ
لفرة الصباح أم يافياً وإشراقاً من أي وجه، ومع ذلك جعلها الشاعر مشبهاً ،
جعل وجه الخليفة مشبهاً به .

ومنها قول البحري :

في طلعةِ البدر شيءٌ من عاصمها والقضبِ تعصبٌ من تكتبها
والتهافت تشبه قوجوه الحنة بالبور ، ولقادات بالقضب في الاستقامة
والفتي لكنَّ البحري أخرج طرفي التشبيه على غور هذه العادة .

قد تدارس البلاغيون (١) هذه الشواهد وأمثالها وسعوا إلى تخريجها لتوافق
هذا الأصل البلاغي ولا تخرج عن قاعدته فسموا التشبيه فيها تشبيهاً مقولياً أو
متكسباً ومكسوماً، وحددوه بأنه هو ما يرجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به وذلك حين
يراد تشبيه الزائد بالانقص والخاص بالأصل بالفرع للمباينة .

وفي يقيننا أن حصر البلاغيين لأصرب مادة طرفي التشبيه في تلك الأمط
الأربعة والتأويل لهذه المسائل الخلائقية حول طبيعتها إنما يعود إلى اعتمادهم
للدراسات العقلية النظرية عن مصدر معرفة الإنسان وعلمه وهو مصدر لا يتبدى
حواشيه الظاهرة وما شاع عنها من مأزوف ومعهود وجار مع العادة بين الناس . تحركاً
عن سلف ؛ وهذا المصدر في طبيعته وحضوره ربما يفتن أديم الأديب المبدع فيميل
لشغف في التشبيه كما يأخذ على يدي البلاغي المتلون ليمتد من الناس المنهج
الأمثل لتحليل الشواهد الأصلية في هذا الفن .

وأهل الكتب البلاغية المردودة الأصول تنسج لهذه الخفيلة وتبيح لنا مجال التصور
بأن التشبيه في إخراج طرفه حدث لغوي وعصاية ذهنية عبادتها طريق التحليل

(١) ينظر : اسرار البلاغة ص ٢٨٧ وما بعدها .

في تصور تجربة صاحب التشبيه تجاه التشبه والتحقيق لغرضه من الجمع بينه وبين التشبه به .

وعندما انقضى بتصور هذه التجربة علينا أن نكتشف عن الصديق في التعبير ووضع اليد على جملته متجنبين الأحكام إلى القواعد البنية الجديدة في صياغتها عن استعراض النصوص الأصلية :

من أقدم هذه النصوص قول امرئ القيس في تشبيه يله المخصوص بمروج البحر :
وليل كبرج البحر مروج مدونه علي^(١) بأشراج الموم ليندلي
فلت^(٢) له لعل^(٣) مملسى بعسله وأزدهن أعجازاً ولله بكلكل^(٤)
ألا أيها الليل^(٥) الطويل^(٦) ألا الليل^(٧) صبح^(٨) ، وما الإصباح^(٩) مثلك بأمل^(١٠) (١)
ينقل^(١١) إلينا امرؤ القيس تجربة مع يله الذي هو مشابه في الأبيات ، ولذا هو
أمرؤ حائل معلن في لطيف صاحبه والتكابة به ، يرعي عليه السور بصوت
الموم ليخبر صبره وجزعه ، ويشتقي حل صدره ويكتم انقاسه جسماً بمدد
وسطه ليحويه ويهم بتركه فلا يلبث في ذلك حتى يرجع إليه ضالطاً عليه ، يحدد
في جرمه وهيكله :

وبحلوله الشاعر ويحدده ويطلب اليه أن يكتشف عنه ثم يذكر ما يأتي بعده
من صياح ، ليؤكد أن هذا الصياح ليس بأحسن منه :

والسؤال الذي يطرحه البلاغي التقليدي عما القيس منه امرؤ القيس مشابه هذا ،
ينبغي في جوانبه أحياناً غير متسجم لرواياته : لفظلام هذا الليل المشبه مصفوه
حاسة البحر وإدراكه العقلي في اتجاه السلوك والابتلاء ولهم الخطاب وربما يكون

(١) مدونه : مدورة ، ليليل : أي لينظر ماعنه من الصبر والجزع ، ويبدلي معنى
يطير . مملسى بعسله : أمدد بوسطه فأزدهن أعجازاً : أي وجم ، ولله بكلكل :
أي شيئاً ليهنس ، وكلكل : الصدر .
الليل : الكشف ، الأمل : الأحسن .

أمرًا عقلياً ووعياً في آن واحد ، وأصوات حركة ابتدائها ورجوعها واستئنافها
 ثم به حاسة السمع ، ولكن بعد هلاكه أو ما يبقى ليل امرئ القيس هذا متصفاً من
 تصور الحسي والعقلي المهود ؟ نحن نقول ذلك ، ومن هنا فمصدر صورة هذا
 القيل هو تجربة الشاعر المحسوسة وجدت أدوات تعبيرها من لون وحجم وحركة
 وعقل غير معقول في طوء مقاييسنا من وعيه ومن لا وعيه ومن شعره واحساسه
 بما عاناه وكابده :

أما المشبه به «سراج البحر» في الآيات، فهو أمر إذا لم يكن قد أُلغى العربي
 لتأقني «هذه الآيات كلُّ الألفا في صحرائه» فهو معروف بصفات الظلمة
 الكثيفة والحركة المتتابعة والطوائف على الخطاير والنهايات:

وهذه الصفات وإن كانت مضمرة ومعقولة في آن واحد، لا تصلح أصلاً
 تقاس به صفات الشبه وحالاته تلك ولا تستوي صورة أوضح من صورة الشبه
 كما يقرره البلاغيون التقليديون المشبه به وإذا بالجمع بينهما في نظر معظم البلاغيين
 إنما كان في صلبة التشبيه على أساس التشبيه القلوبي :

والسؤال هنا هو: أيفسر هذا النظر فنية التشبيه ويقدم لنا كشفاً دقيقاً عن غاية
 الشاعر الغرضية غير المستهدفة بدءاً وتحليلاً من تشبيهه ؟ نحن نزعم في الجواب
 عن هذا السؤال : أن امرأ القيس لم يتبع من جمعه بين طرفي التشبيه قبلك سوى
 تصوير أثره والتعبير عنه ثم التأثير في مناقبه من السامعين والقارئين، فكان موج
 البحر في غمرة تجرته والفعالة ومعاناته غير مشبه به بالتلف مع إله التشبيه،
 وربما يكون غرض شاعر أكثر من الجمع بين التشبيه والشبه به هو إلهام المتلقيين
 قبل التأثير فيهم قبلي طرفاً تشبيه مألوفين ومعهودين بدرجة تحقق ذلك الغرض
 وبخاصة في الموضوعات العلية :

والنص الذي نختاره تطبيقاً على منهجنا في تحليل طرفي التشبيه هو قول الفرصاني
 في السحلت عن نظرية البقاء للأصلح في معترك الحياة :

خيلتي أن الأرض قريب من قدره نجعت الأحياء بين أطرافه
 تبيد به كنف الزمان تحركا لحر طعيف أو لايات داره
 فيني به الأقوى قرين لرفاهه كما يسقط الأرض دهن القادره
 فلا حش في الدنيا لن لم يكن بها قدراً على دفع الأذى والمكاره (١)

تصحح في عقل الرصاني وحافظه الرامحة كما يظهر من هذه الآيات معلومات
 ومشاهدات في الصراع بين طبقات الناس وأجاسهم فوق الأرض، ويترق من
 أن الأقوى من هذه الطبقات والطبقات ينقلب على الأضعف ويتجبد عن سبيله، فينقل
 الأرض التي هي مسرح هذا الصراع مشياً. ثم يقلب الأشياء التي يعرفها ويعيشها
 في الحياة اليومية ليختار منها الشيء به القاهر على تقل معرفته ومشاهداته تلك إلى
 لداخلين في وضوح ودقة.

وبدهي أن الشيء الذي يريد لهذه المهمة بين تلك الأشياء لابد أن تضع فيه
 صفة الامساك بأمور وتسريب أمور أخرى على أساس الحجم والكتلة، فكان
 القربال هو هذا الشيء، ولذلك اتخذه مشياً به وجميع يته وبين الأرض الشيء
 في صفة الاستدارة والحركة والامساك بدا فيه من ذوات الحجم الكبيرة وتسريب
 مايلق جرده ويتضائل هيكله .

ولما كان القربال في تلك الصفات معروفاً لدى باقي أحيائه في طبيعته تمكن
 من تحقيق غرضه من تشبيهه وهو الاتهام والتعالم. والملاحظ من هذا التحليل أن
 طرقي التشبيه في مادتهما إذا كانتا متبصين من حاسة أو أكثر من الحواس الظاهرة -
 بحدلان في الوقت ذاته في طياتهما احساس الشاهر النفسي بقسوة الحياة وبجسدان
 شعوره لرجفانه بغية الأمل والاشفاق على الناس في هذا الصراع غير المتكافئ،

(١) تبيد به: أي تدور به وتتحرك. والقادر: المنيح الشيط. والراء به هنا مايلق
 الضعيف، وهو القوى. الأرض: الأضعف. وهو مقابل للأقوى في النظر
 الأول. ينظر ديوان الرصاني ص ٣٦ (قصيدة معترك الحياة).

ويحتل هذا الشعور وذلك الاحساس في خلال مدارلات التشبه والتشبه به، ذلك لأن الأثر من كل سحها وكثرة غيراتها تفيد عن استيعاب الناس، الذين تجمعهم وشائج متنوعة، ولأن القربان في عمله الآلي يحفظ مثلا بالحجر الضار بحرمه التكبير ويحفظ التفريق الناتج عن مجده الصغير :

وجه التشبه :

إن ثالث أركان التشبيه هو وجه التشبه الذي يعرف اجمالا بما يشترك فيه طرفا التشبيه، التشبه والتشبه به من معنى :

وقد تتبع البلاغيون والنقاد القدامى هذا الاشتراك ، فالتمس بعضهم الرواة في ضوء منهج استقر اليه عند شعراء العرب ومصادر تشبيهاتهم فيها من بيئة وحياء اجتماعية وحالات نفسية ، من هؤلاء ابن طياطين العلوي (- ٥٣٢٢) (١) ، وابن نلقيا البغدادي (- ٥١٨٥) الذي حدد كيفية التشبيه قائلا : « إن التشبيه يشبه بالشيء ثارة في صورته وشكله ، وثارة في حركته ونقطته ، وثارة في لونه ونجده ، وثارة في سوسه (٢) وطبعه (٣) » . وبعضهم الآخر حبس الرواة في إطار منطقي وحصرها في مصادرها الحسية كما فعل القزويني الذي جعل التشبيه المشترك بين طرفي التشبيه إما « حقيقة أو تخيلا » (٤) والمراد بالتخيل ما أدرك بأحدى الحواس الخمس الظاهرة كتشبيه الشعر بالليل في السواد وتشبيه التكهة بالظفر في الرائحة ، وتشبيه البشرة بالحرير في الرقة ، وتشبيه الزين بالسلالة في اللدائ ، وتشبيه الصوت بالقص في العلولة :

أما التخيلي فالمقصود به « ألا يمكن وجوده في التشبه به إلا على أن أول كان في قول القاصي المتنوعي :

-
- (١) ينظر حيار الشعر ص ١٠ - ١١ .
 (٢) النجم : الأصل كاللجاء ومنه المثل : « كن لجاء أول تجارها » أي : قد كل لون من الاعلاق ولا يثبت على رأي . السوس : بالضم - الطيبة والاصل .
 (٣) الجمان في تشبيهات القرآن ص ٤٣ .
 (٤) الايضاح ص ٢٢٠ .

وكان النجوم بين دُججها سُنَنٌ لاح بَيِّنَتُهُنَّ ابتداء

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة يقص في جوارب شيء مظلم أسود ، فهي غير موجودة في المشبه إلا على طريق التعليل (١) وفي رأينا أن التماس وجه الشبه على هذا عند القزويني ومن شايعه والذين تليقوا يعود إلى مباحث عقلية لأنس الجوارب الأدبية والنفسية والشعورية التي تقوم عليها النوعية الأدبية :

وبما لا بد من تأكيد هذا : أن وجه الشبه الذي يلتقي عليه طرفا التشبيه لا يكفي أن يكون متحققاً - متجليلاً بشكل كل لكي يصبح مستطاعاً في الذوق ومقبولاً في الطبع فنقول الشاعر :

وله غسرةٌ ككُلونٍ وصل فرفها طُورَةٌ ككُلونٍ صُعودٍ (٢)
يشبه طرة حبيته وهو شعر مفعلة الرأس بالصلود في السواد :

والإمادة جارية بوصف الصلود وسوء الطالع بالسواد ، ولكن أين جدال سواد بإطرة الذي هو علامة للشباب ودليل الحيوية من سواد الحظ العائر وظلمة الصلود الذي يورث حُمًا قاتلاً وحزناً ممناً ؟

وعليه فإن وجه الشبه في حقيقته الأدبية والفنية ثمرة لأحاسيس الأديب بما يجمع مشبهه الذي له معه تجربة مخصصة مع المشبه به الذي يثير في نفسه ووجدانه مايقض في تشبيهه الفني تأسكاً عاطفياً ويجالوا شعورياً بين طرفيه ؟
أداة التشبيه :

إن الركن الرابع الذي اشترنا إليه في أركان التشبيه هو أداة التشبيه التي عرفها معظم البلاغيين ، القدامى (٣) والمعاصرين (٤) ، والنقد رأبهم على أنها الكلمة

(١) الأيضاح ص ٢٢٠ .

(٢) الترة : يباس في الجبين .

(٣) ينظر : كتاب الجمان في تشبيهات القرآن ص ١٣ .

والإيضاح ص ٢٢٥ .

(٤) جوامع البلاغة ص ٢٦٧ : فن التشبيه ج ١ ص ١٩٢ وغنون بلاغية ص ٥٧ .

التي تزيد المماثلة والمشاركة بين التشبيه والتشبيه به فانضوى تحتها كمثل ما أفاد
 شيها ، كالكاف وكان وباء النسب ومثل ومثيل وشبه وشبيه ونحو وغيره وشكل
 ومضاه ومساور ومحاك ، وأخ والظاير ، وعذل وعذيل ، وكفء ومشاكل
 ومرزوق ومضارع ونذ وصنر ، وما كان بمعناها لو كان مشتقا منها من قبل أو اسم
 والأداة في مدلول استعمالها هنا عامة لتشمل الحرف والاسم والفعل ، وعليه فإن
 أدوات التشبيه تصنف في ثلاث مجموعات :

أولاهـا : أدوات التشبيه والحروف ، وأشهرها ذلك الكاف وكان :

أما الكاف فالأصل في استعمالها أن يلبها التشبيه به كقول أحمد شوقي في وصف
 البحر :

بلجة عند بلجة عند أخرى كغضاب راحت بها قلوبنا
 وسفن طورا تروح وجنا يسوق أشباههم من الخضراء
 للزلات في سيرها صاعدات كالهراوي يهزهز الحذاء (١)
 ويحيى التشبيه به بعد الكاف إما لفظا كما في الشاهد السابق وإما تخفيرا كما في

لعن : «أَوْ كَتَمْتَبَّ مِنْ قِسْمٍ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَحْمَةٌ وَبَرَقٌ» (٢) ،

والأصل كلوي صائب ، فحذف ذوي دلالة ويجعلون أصابعهم في آذانهم ،
 عليه ، وحذف مثل ، فاعلم عليه عطفه على قوله : «كَتَمْتَكِرُ الَّذِي اسْتَوْفَدَ دَارَهُ» (٣)
 إذ لا يخفى أن التشبيه ليس بين مثل المستوفدين ، وهو صفتهم العجيبة الشأن وبين
 ذوات ذوي الصيب ، وإنما التشبيه بين صفة أولئك وبين صفة هؤلاء .

ولما كان في عهد التشبيه مراد الحذف قولها أم لا ، أو اتصلت : «ما
 الكاذب أم لا ؟»

(١) الهراوي : اليد رحل من الأمل . الخفاء : الخفاء في أثر الأمل .

(٢) البقرة ١٧٩ .

(٣) صمغ النخيل ١٧ .

وشاهد الخففة قوله تعالى: «كَانَ» لم يَدْخُلْنا إلى ضَرْمٍ مَسْهُ (١) ومثال
للتشددة قول الشاعر:

«كَانَ» فُتْرِيَا وَاحِدَةً تُشِيرُ لِلدَّجَى تَنْتَقِرُ طَالِ الْبَلِّ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا
ومثال التصدية بماء الكفة قول ابن نباتة في فارس أبلق آخر:

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِيهَ فَلَقَصَصَ مِنْهُ فُطَاخِي فِي أَحْشَائِيهِ
والأصل في الأداء «كَانَ» أن يليها التشبيه باضئاق البلاغيين وإن كان هؤلاء البلاغيون
على خلاف في إطلاق ألفاظها للتشبيه، فبعضهم يرى أنها تشبيه بلا تشبيه
وبعضهم الآخر يزعم أنه إن كان غيرها اسماً جاعلاً فهي التشبيه كقول الشاعر:
كَمْ نَعْمَةٍ مَرَّتْ بِنَا وَكَأَنَّمَا فَرَسٌ يَهْرَوُلُ أَوْ نَسَمٌ سَارِي
وإن كان جملة أو مشتقاً، فعلاً أو صفة، فهي تشبيه بمرتلة عُلْتُتْ وتوَعَمْتُ كقول
عروة بن حزام العلوي:

«كَانَ» فُطَاةٌ عُلَّقَتْ فِي جِثَاهَا عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الْحَقِيقَتَانِ
فمثل هذا لا يكون تشبيهاً، لأن غيرها التشبيه به في المعنى هو التشبيه والتشبيه لا يشبه
بشيء.

وذهب للكوفيون والرجاج إلى أنها لتحقيق في قول الشاعر:

وَأَصْبَحَ بَطْنٌ مَكَّةَ مُفْتَحَرًّا «كَانَ» الْأَرْضُ لَا يَسُ بِهَا جِثَامٌ (٢)
والشبح - للتصريح الأدبية - وهي اللعل عليها في الحكم - يدرك أن هذا
الحرف يفيد التشبيه دائماً:

وَاللَّيْلُهَا: أَلْوَانُ التَّشْبِيهِ وَالْأَسْمَاءُ: وَأَسِيرُهَا فِي التَّصَرُّصِ الْأَدْبِيَّةِ: وَشَيْءٌ كَقَوْلِ
الشاعر:

(١) يونس ١٢.

(٢) التسميت الألف: أعلت.

بأشبهه قسماً في العُسْر
وَلِي يُخْصِرَ الْفَسَادَ
جُدَّ فَقَدْ تَجَسَّرَ الْقَسْدُ
غُرَّةً بِالسَّادِ الْبُزَالِ

و مثل كقول عبيد بن العرندس الكلابي يصف قوماً لزل بهم :

لَا يَطْلُقُونَ عَلَى الْعَمَاءِ إِنْ تَعَلَّقُوا
وَلَا يُحَارُونَ إِنْ مَلَزُوا بِأَكْثَرِ
مَنْ تَلَزَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا يَبْتَغِيهِمْ
مِثْلُ تَجَرُّمِي يَسْرِي بِهَا الْعَارِي (١)

وثالثها أدوات التشبيه (الأفعال) وأكثرها دورانا على ستة الأفعال : -

الفعل (حال) بشرى أزمته كقول أحمد شوقي في وصف جوف وجرارها :
وَأَنَّكَ مَوْجُورٌ لِعِمِّمْ ، تَخَالَهُمْ مَلَكًا تَمَّ بِهِ السَّمَاءُ مَطْهَرًا

وقد عيب ابن ناثيا البغدادي إلى أنه وربما استغنى عن هذه الأدوات بالمصدر

نحو (وَجَرَّحَ عُرُوجَ الْقِدْحِ) (٢) و (طَلَعَ طَلُوعَ النَّجْمِ) و (مَرَى مَرًى السَّهْمِ) (٣)

وفي حقيقة أن صيغة المصدر التي لا نوع في هذين الشاعرين وما جرى مجراها

تفيد التشبيه أصالة حتى لقد لزم أن الأكبر بهذا المصدر لئلا : وراهم أن محسن

تشبيه أن يجرى مصدراً كقولنا : (أَلَدَمَ لَأَدَمَ) الأسد و (وَالْأَسَدُ فَهَيْسَ الْبَحْرُ)

وهو أحسن ما استعمل في باب التشبيه (٤) :

وفي هذا الباب من النظرات الخلافة (٥) يرى بعض البلاغيين أنه قد بقي

عن أداة التشبيه وفعل يدل على حال التشبيه، ولا بعد أدلة ، فإن كان الفعل

اليلين أو أقارب التشبيه ، لما في فعل اليلين من الدلالة على يقين الاتحاد والتعلق ،

وهذا يفيد التشبيه مباشرة نحو قوله تعالى : (وَالْمَارِئُوهَ عَرِضًا وَسَكَنًا) (٦) أو ينفذهم

قالوا هذا عارضٌ مَسْطَرٌّ كَأَيْلٍ هُوَ مَا اسْتَعَجَلْتُمْ بِهِ بَیْعَ فِيهَا عَادِبٌ أَنِمْ (٧)

(١) ينظر التكميل ج ١ ص ٧٢ .

(٢) القدح - بالكسر - السهم قبل أن يراش ويتصل .

(٣) الجمان في تشبيهات القرآن ص ١٢ - ١١ .

(٤) ينظر هامش المصدر السابق حيث ورد النص ص ٤٤ .

(٥) جواهر البلاغة ص ٢٦٨ .

(٦) سورة الأحقاف ٢١ .

وإن كان العقل تلك أقد بعدها لما في فعل الرجحان من الأشعار بعدم التحقق
وهذا يفيد التشبيه ضعفاً، نحو قوله تعالى: «ويعطون» عليهم وإن كان متحققون
إذا رأيتهم حسببتهم لولا مستثناة (١).
وكقول الشاعر:

لعمري إذا لمروا الدروع حسبها سحياً مزودة على أنصار
وفي رأينا: أن الكلمة إذا أفادت التشبيه وعقدت مقارنة بين المشبه والمشبّه به
فهي أداة تشبيه على الإطلاق أما قرينة هذه المقارنة ودرجة تلك الأداة فيحكم
في تقديرها إلى أثر التشبيه في عقل السامع وشعره.

(١) الاتيان ١٤٤.

البحث الثاني

أنواع التشبيه

بيّنا فيما مضى أن ركن أداة التشبيه وركن وجه التشبيه يميز حلقتهما من بين أركان التشبيه لأنهما من بلاغة وافية . وقد بنى علماء البلاغة (١) على هذا الجواز قواعد في أنواع التشبيه :

التشبيه للمرسل والتشبيه للمؤكد :

تحدث البلاغيون عن جواز حذف أداة التشبيه وصغروا التشبيه إلى صنفين : -
أولهما : التشبيه للمرسل : وهو ما ذكرت أداته كقوله تعالى : «سابقوا إلى سفرة من ربكم وجهاً مخرجاً كمن مضى سباً والأرض» (٢) .
وكقول امرئ القيس :

وتعطو برخص غير شتير كأنه أسارحٌ ظبي أو مسلوبكُ إسحيل (٣)
ففي قوله تعالى : أداة التشبيه مذكورة ، وهي الكاف ، وفي الشاعر المروي لأمير القيس أداة التشبيه ظاهرة أيضاً وهي «كأن» :

ولأنهما : التشبيه للمؤكد وهو ما حلت أداته مثل قوله تعالى : «ويطاف عليهم بآية من فضة وأكواب كانت قواير : قواير من فضة قدروها تقفير» (٤)
يعني أنها كالقواير في صفاتها ورواقها وشفيقها ورفيفها وهي من فضة (٥) :

(١) الألباق من ١٦٣ .

(٢) الحديد ٢١ .

(٣) نطو : قتلوا . رخص : لين ، وموصولة ملاحظ وهو اليتيم شق : غليظ .
الأسارح : ديدان حمر ، وأسطحاً أسروج ، ظبي : اسم واد بلياسة . الإسحيل : شجر تحط منه أجود المسلوبك .

(٤) الإنسان ١٥ - ٢٩ .

(٥) ينظر الجبان في تشبيهات القرآن من ٣١٤ .

ومثل قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - «الكلمة جندري الأرض» (١)،
حذف أداة التشبيه وقيمة ذلك :

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن جواز حذف أداة التشبيه حديثاً ربما نفهم منه أن هذا الحذف عملية آلية لا يترتب عليها أي حكم لغوي معنوي إذا قال - «أخرج إلى نحو» فذلك كالتبيل الذي هو مدركي، وأعلم أنه قد يجوز فيه أن تحذف الكاف وتجعل المجرور «التبيل» غيراً فنقول: فذلك التبيل الذي هو مدركي، أو أنت التبيل الذي هو مدركي . ونقول في قول النبي صلى الله عليه وسلم ومثل المؤمن مثل الخامة من الزرع : المؤمن الخامة من الزرع . وفي قوله عليه الصلاة والسلام «الناس كابل مائة : الناس ابل مائة، ويكون تقديره على أنك للموت مضاعفاً محذوفاً على حد» «وأسأل القرية» فجعل الأصل فذلك مثل التبيل ثم تحذف مثلاً، (٢) .

والحقيقة أن الأمر ليس كذلك ، لأن حذف الأداة من التشبيه اعتباطاً وفي الأحوال كلها يقتضي تغيير معنى الجملة كما تتجمل عنه أغراض بلاغية :

ولقد نبه عبد القاهر الجرجاني نفسه على ما يترتب على حذف الأداة من تغيير معنى الشاهد الذي وردت فيه أداة التشبيه فقال : «والثكنة في الفرق بين هذا الضرب الذي لا بد» للمجرور بالكاف ونحوها من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها وبين الضرب الأول الذي هو نحو زيد كالأسد» ذلك إذا حذفت الكاف هناك فقلت : زيد الأسد ، فالقصد أن تبلغ في التشبيه فتجعل المذكور كأنه الأسد وتشير إلى مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذفت ذكر التشبيه أصلاً فقلت :

- (١) الكلمة : نبات ، الجندى : يسمي لعدم وفاتها : الفروع في البدن لفظ وتلج . (الندوس المحيط) .
(٢) أسرار البلاغة ص ٢٢٨ .

رأيت أسداً أو الأسد ، : وأما في نحو : فإليك كالبيل الذي هو مدركي ، فلا يجوز أن نقصد جعل المنسوخ البيل ، ولكنك تنوي أنك أردت أن تقول : فإليك مثل البيل ، ثم حذف الضافات من اللفظ وأبقيت المعنى على حاله إذا لم تحذف : وأما هناك فانه وإن كان يقال أيها : أن الأصل زيد مثل الأسد ثم تحذف ، فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأن لم يكن لقصد المبالغة .
 الأتراحم يقولون : جعله الأسد ويهيد أن تقول جعله البيل ، لأن القصد لم يقع إلى وصف في البيل كالمظلمة ونحوها ، وإنما قصد الحكم الذي له من تعبيه الآفاق وامتناع أن يصير الإنسان إلى مكان لا يدركه البيل فيه

وإن أردت أن ترداد علما بأن الأمر كذلك أعني أن ههنا ما يصلح فيه تشبيه الظاهر ولا يصلح فيه المبالغة وجعل الأول الثاني فاعصد إلى ما تجد الاسم الذي المنقح به المثل فيه غير مختل الضرب من التشبيه إذا أفرد وقطع عن الكلام بعده كقولهم تعالى : إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء (١) لو قلت : إنما الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ، أو الماء : ينزل من السماء فتخضر منه الأرض ، لم يكن للكلام وجه غير أن تقدم حذف (مثل) نحو : إنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء فيكون كبيت وبيت ، إذ لا يتصور بين الحياة الدنيا والماء شبه يصح قصده (٢)

وإذن فحذف الأداة من التشبيه يتحكم فيه القصد من اشتراك الشيء مع الشيء به في معنى ، وموضع حذفه على الإطلاق مشكل اعترف الجرجاني بأنه لا يمكن لقطع فيه بحكم على التفصيل ، وظل اعترافه هذا ملازماً لسائر علماء البلاغة (٣)

على مدى الصورة ؟

بمنه البلاغة

(١) يونس ٢٤ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٣) ينظر المثل السائر ج ٢ ص ١١٦ - ١١٧ .

وفي ملعبنا ان التوكل فيه هو النفس الأتقي الذي نرى أسلوب التشبيه فيه ثروة شعرية نجمت عن الحدث الذي اقتضى عند موازنة بين المشبه والمشبّه به في صيغة مخصوصة هي صيغة حذف أداة التشبيه منها .

وأما كان فإن حذف الأداة من التشبيه عند البلاغيين يحقّق أغراضاً لغوية رفيعة وشعرية يعتقد الرأي حوقاً في أن التشبيه المؤكد أوجز وأبلغ ، وأشدّ وقفاً في النفس أما أنه أوجز فلهذف أداته وعلّيّ ركن من أركانه ، وأما أنه أبلغ ، للتصوير المشبه في صورة المشبه به وجعلهما نظيرين ، وولّد التشديد في النفس يرجع إلى صيغة الموجزة وربطه الوثيق بين طرفي التشبيه .

التشبيه المقصّل والتشبيه المجمل

أما بشأن جواز ذكر وجه المشبه وحذفه فقد تبه البلاغيون إلى أن ذلك يجري في التشبيه الذي يأتي فيه المعنى المشترك بين الطرفين صفة مفردة غير مركبة ، ثم قسموا التشبيه على هذا الأساس إلى قسمين (١) : -
أولهما : التشبيه المقصّل وهو ما ذكر فيه وجه المشبه نقلاً أو اقتطاعاً صريحة كقول الشاعر :

أنتَ شمسٌ في رفعةٍ وسفاهٍ

تجلبسك العينونُ شرقاً وغرباً

ففي هذا البيت ذكر الشاعر كلمة « رفعة » وكلمة « سفاه » صفتين مفردتين تجمعان بين « أنت » المشبه والشمس المشبه به ، وجه شبه صريح .

وثانيهما : التشبيه المجمل ، وهو التشبيه الذي حذف منه وجه المشبه ولم يذكر في الفاظ ظاهرة كقول تعالى : « وَهَكَذَا هُتِّمَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَتَمِكَ كَالْفَتَكِرَةِ » (٢)

(١) راجع الانصاح ص ٢٠٠

(٢) الرحمن ١١ .

فرجه شبه في هذه الآية الكريمة بين الفصل الشبه والفخر الشبه به هو ليس ولم يأت صريحاً ومنصوصاً عليه.

ونقول البحري :

أنت ترى مدّ القسرات كأنه جبال شروري جزى في البحر مؤمّا (١)
فالشاعر قد طوى ذكر وجه الشبه بين مد القرات وبين جبال شروري ،
وضربه الضخامة والمعلم .

طبعة وجه الشبه :

ان دراسة البلاغيين هذين القسمين من التشبيه قائمة على اساس لغوي محض لا يتجاوز ذكر لفظ وجه الشبه او حذفه. وفي رأينا ان هذا الاتجاه في الدراسة لا يكشف عن حقيقة وجه الشبه ولا يحدد طبيعته وإن كان مذكوراً في اللفظ صريح ومنصوصاً عليه بعبارة ظاهرة ، ذلك لان وجه الشبه الذي يقصده الأديب وراء صفة جامعة بين طرفي التشبيه بجسد ومضات شعورية وخلالاً للنية تفصيل عن ايها الكلمة المحددة .

وربما يستوي عبد القاهر الجرجاني أقرب إلى هذه المسألة من سائر البلاغيين حين درسها مقررأ أن "التشبيهين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين : أحدهما : أن يكون من جهة أمر يتبرر لا يحتاج فيه إلى تأويل .
والآخر : أن يكون الشبه محصلاً بضرب من التأويل " (٢)

فهذا العالم البلاغي يدين في الضرب الثاني لخلق التشبيه بحقه في تأويل وجه الشبه ، والتأويل - كما هو معروف - (٣) مساحة شاسعة من التأمل والتفكير يجرى فيها للتفكير ويرومها التعبير بحرية :

(١) شروري : جبل على جبل فوق في شرقها ، وقيل : أي سليم ، وقيل : واد بالشام

(٢) أسرار قبلات ص ٨٠-٨١ .

(٣) شرح عبد القاهر الجرجاني مصطلح التأويل بفناه : "حقيقة قولنا : تأويل الشيء : أن تأويله ما يقول فيه من الحقيقة أو الموضع الذي يزول إليه من العقل لأن : تأويله -

التشبيه البليغ والرواجع :

ومهما يكن فإن الباحث يلتقي بهذه المسألة الفكرية والنقدية أكثر فأكثر في فرع ثالث من التشبيه الذي حذف منه وجه التشبه والامادة معاً وهو ما يسمى « التشبيه البليغ » دلالة على أنه أوجز من سائر أنواع التشبيه وأبلغ منها تأثيراً وإن كان في الوقت نفسه على الحد المعروف في القامة ضرب من المشاركة بين التشبه والتشبيه به بخلاف الاستعارة القائمة على تناسي التشبيه :

ودرجة المشاركة بين التشبه والتشبيه به في التشبيه البليغ تتباين بتباين تركيب أسلوبه الذي يتنوع إلى ثلاثة أنواع رئيسة :

أولها : جعل التشبه والتشبيه به مبتدأً وخبراً لوماً أصله مبتدأً أو خبر على التوالي كقول الزحلاوي في رثاء أبيه عبد القهي (١) :

وَكُنْتُ غَصُونًا أَنْتَ زَهْرَةٌ رَوْضِيهَا وَكُنْتُ نَجْمًا أَنْتَ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
ففي هذا البيت نجد أربعة تشبيهات بليغة : اثنان منها التشبه باسم لكان والتشبه به خيراً لها وهما : « كنا غصوناً » و« كنا نجوماً » .

والاثنان الآخران التشبه لهما مبتدأً والتشبه به خبر وهما : « أنت زهرة روضها » و« أنت من بينها البدر » .

ويبين أن المشاركة بين طرفي التشبيه في هذا النوع من التشبيه البليغ مطلقة لا تنقضي إلا بالدلالات التي توضح بها كلمات التشبه والتشبه به معاني وظلالاً : وإثباتها : اعتبار التشبه مفصلاً على التشبه به ومحصوراً معه بين حدود مدلوله ، وذلك بأسلوب القصص والحصر مثل قول الرصافي في قصيدته المشهورة إلى « ابتاه المدارس (٢) » :

« وتألوت » - فطمت وقطعت من آل الأمر كل ما يقول إذا انتهى إليه والذل
المرجع . (إسراء البلاغة ص ١٤٤) .

(١) الباب ص ١٠٠ .

١ - (٢) ديوان الرصافي ص ٥٢ .

إذا ما صقّ موطنهم الشمس ولم يبتئوا به قطم دورا
 فان تباينهم أكفسان مولى وليس يسوئهم إلا تيسورا
 فالشاعر قد سلب في الشطر الثاني من البيت الثاني من بيوت الذين حقوا موطنهم
 صفاتها التي يمكن أن تبرز فيها من جمال وحيرة ونشاط وأقامها مطابقة للمقابر
 في أوصافها المروعة ورفح بينها الخلود كالماء حتى يعرفها القارئ فهو حقيقته
 فوق سطح الأرض، كل ذلك بأسلوب الغني بديس، والخمر به والاء الذي هو
 من اساليب القصر المقررة في هذا الباب من ابواب علم المعاني
 وثالثها : صياغة المشبه والمشبّه به في تركيب إحصائي القلم فيه المشبه به مضاعفا
 والمشبه مضاعفاً إليه كقول الشاعر :

والريحُ تهبُّ بالصون ، وقد جرى ذُعبُ الأصيل على لجين الماء (١)
 ففي هذا الشاعر نجد تشبيهاً بليغين هما «ذُعبُ الأصيل» الذي أصله :
 الأصيل ذهب واللجين الماء الذي كان في الأساس : الماء لجين ، وواضح لدى الشاعر
 درجة المشاركة بين طرفي التشبيه في طين التشبيهي وما يجري مجراهما أهما على
 الشد ما تكون من قوة واتحاد ، إذ خص المشبه به بالأصيل المشبه وجعل
 منسوباً إليه ما كانا لصفته وكذلك الأكيان باللجين مركباً مع الماء ومنسوباً إليه فهما
 يتصوران في بناء جمالي موحد ترتفع بينهما الفواصل وتزول في ساحتهما
 للملاقات المعنوية .

(١) الأصيل : ما قبل الغروب من آخر النهار .

اللجين : الفضة ولقائه ابن عفاة الاتدلسي إبراهيم بن عبد الله الشاعر الوصفاني
 الخولي سنة ٥٥٣ هـ .

المبحث الثالث

تشبيه المفرد والتشبيه المركب

تناول البلاغيون منذ المراحل الأولى تأليف في علم تشبيهات التشبيه وما انتهت إليه هذه التشبيهات اصطلاحات وأصراً في المصنوع المتأخرة تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه إلى تشبيه المفرد والتشبيه المركب .

وهذا التقسيم أقام التشبيه بصورة اجمالية على أربعة أصناف (١) :

الأول : تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما طرفاه مفردان إما مطلقان غير مقيدین كقوله تعالى : «هَئِن لِّيَاسَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَّهُنَّ» (٢) ففي هذه الآية الكريمة تشبيهان الطرفان «هَئِن» و«لِيَاسَ» و«أَنْتُمْ» و«لِيَاسَ» فيها مفردان غير مقيدین . وإما مفردان مقيدان (٣) كقوله لم لا ينجس من سعيه على شيء : وهو كالتعويض على الماء وكالتراحم في الماء ، فإن التشبه هو الساعي ، لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون سعيه كذلك ، والتشبه به هو القابض أو التراحم لا مطلقاً ، بل مقيداً بكون قبضه على الماء أو راحته فيه ، فالتعويض هذين التشبيهين هو الساجد والمجروح : «على الماء» ، «وأنى الماء على التوازي» .
وكقول الشاعر :

إنسى وتزيتني بمسحون مسحوراً
كعلق دراً على عيفرير
لأن التشبه في هذا الشاعر هو التكلّم بقيد اتصافه بقرينة يمدحه معشراً ، فمعلق التزيين قوله «بمسحون» داخل في التشبه ، والتشبه به من يعلق دراً بقيد أن يكون تعليقه إياه على عيفرير .

(١) انظر الإيضاح ص ٢١٢ - ٢١٩ . (٢) البقرة ١٤٧ .
(٣) والتعديد يكون بالانضمام أو الوصف ، أو المفعول ، أو الحال ، أو الطرف ، أو بغير ذلك ويشترط في التعديد ألا يكون له تأثير في وجه التشبه .

واما مختلفان والمثب هو المشبه به كقول الرازي :
والشمس كالمرآة في كشف الأثل

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمثبه به المرأة لا على الإطلاق بل بقيد كونها في يد الأثل . فلو على عكس ذلك ، كمشبه المرأة في كشف الأثل بالشمس .
الثاني : تشبيه المركب بالمركب وهو ما طرفاه مركبان من عدة أمور مجتمعة متداخلة كقوله تعالى في صفة المنافقين الذين يظهرن خلاف ما يضمرون : «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ أُحْشِرَتْ فَذُفِبَ» الله يتوهمهم وكثر كثرتهم في ظلمات لا يهتدئون (١) . فالمثبه في هذه الآية الكريمة هو حال المنافقين المثقة في تركيب صفاتهم من كذب ورياء ومداعة وحسرة ما يصبغ غيرهم في يثهم الملمة من خير .

والمثبه به هيئة رجل يجسد لوضاعه في أنه لو قد نارا في ليلة مظلمة بمنارة فاستضاء بها ما حوله فالتشبيه بالخلاف والتميز ، فيما هو كذلك إذ طفت ناره فبقي غائفاً متخيراً .

وكقول البحرني :

نرى أجنالته يستعدن له صعود البرق في القيم الجاهل (٢)
فالشاعر هنا لا يريد به تشبيه يافض الجبول على الانفراد بالبرق ، بل المقصود الهيئة المركبة من مخالطة يافض بالسواد :
الثالث : تشبيه الفرد بالمركب وهو ما يأتي فيه المشبه مفرداً ويألف المشبه به بعده من عدة أمور مركبة كقوله تعالى : «والذين كفروا أفعالهم كثراب حقيقة يستحسبه الظنك» ما حتى إذا جاء لم يتجده شيئاً وتجد الله عنده قلوباً حسابة والله سريع الحساب (٣) .

(١) البقرة ١٧ .

(٢) الأجنال : جمع جبال بالكسر . وهو اليافض في رجل الفرس . الجاهل : السحاب .

٧ ما فيه .

(٣) النور ٢٩ .

فالشبه في هذه الآية الكريمة هو أعمال الكافرين وهو مفرد ، أما التشبه به فهو مركب تتجسد حياته من السراب (١) وهو ما يرى في القلابة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري ، ومن كون هذا السراب بنية وهي النمط المستوي من الأرض ، ومن حسال الكافر وهو يرى ذلك السراب على هذه الحالة فيحسبه بالماءرة ماء وقد غلبه العطش؛ وكقول الخشاء :

أمرُ أبلجُ قائمُ الهداة به كائنه عكسُ في رأسه نساو
فالشبه هنا مفرد وهو صخر أعر الشاعرة ، أما التشبه به فهو هيئة مركبة من الجبل العالي وعلوقه تار متقدة يتشدي به السارون ويمشي في غروبها الضيفان .
الرابع : تشبيه المركب بالمفرد ، وهو على العكس من النوع الثالث ، إذ مشبهه مركب والتشبه به فيه مفرد كقول أبي تمام :

يا صاحبي تَنصَبِيْنا نظريكما تَرىنا وجوهَ الأرض كيف تُصَوِّرُ (٢)
تَرىنا تَهْيارا مُشْتَبِهاً قد شابه (زَهْرُ الرِّبَا ، فَكأنما هو مُشْبِرُ
فالتشبه هنا مركب من هيئة النبات الذي صار لونه إلى السواد من كثرة
ولكاته وشدة خضرته ففقد من ضوء الشمس ، حتى صار كضوء القمر وأحال
النهار إلى تلك الصبورة ، أما التشبه به فهو القمر بضوئه الخافت ؛

فقد تبع البلاغيون الطاعرون فخرعات أضرب لتشبيه المستندة إلى أفراد طرفيه وتركيبها ففروا عليها أربعة أنواع :

أولها : التشبيه الملقوف هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع
المشبه ، والتشبه به مع المشبه به بحيث يكتفى بالمشبهات معاً على طريق المطفئ ،

(١) اكتشاف ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) قصصاً نظريكما : أجهدا في نورية وانظر ، انصن ذرة انظر .

نصود : تصور وتشكل ، خلف إحدى أحدى ثلثه . مشمس : ظاهر الشمس مكشوفها .

شابه : خالط . الرى : جمع ديرة ، وهي المكان العالي البعيد عن مستطع الماء .

مشر : طالع القمر .

أو غيره كقول امرئ القيس :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطباً وباباً لدى ومكرها العنابُ والحشفُ البالي (١)
ففي هذا الشاعر مشبهان لكنا معاً وأتينا متعاقبين وهما قلوب الطير الرطبة التي
اقتربتها العناب حديثاً واللوب الطير اليابسة التي مضى على اقتراسها زمن طويل :
والشبه بهما في الشاعر ملفوفان ومتعاقبان أيضاً وهما العناب الذي هو مشبه
به قلوب الطير الرطبة ، والحشف البالي الذي هو مشبه به قلوب الطير اليابسة ،
وللشبه : تشبيه المقروء ويسمى المقرون أيضاً ، وهو ما أتت فيه الألفاظ
مفروقة كل مشبه ورد بعده المشبه به كقول المرتضى الأكبر :

فَنَشْرُ مَيْسَكُ ، والوجوهُ دفا لير ، وأطرافُ الأكفِ حَتَمُ (٢)
والشبه : المشبه المتعدد ، وهو أن يحدد المشبه دون المشبه به كقول الشاعر :
صَدُخُ الحبيبِ وحالي كلاهـمـا كالبالي (٣)
وكثـرـه في صـفـاء وأدمعي كالسلاكي
ففي البيت الأول ورد مشبهان هما «صَدُخُ الحبيب وحالي» واما المشبه به فهو
واحد وهو «البالي» وكذلك حال التشبيه في البيت الثاني ، إذ ورد المشبهان «نعم»
و «دمعي» ومثبه به واحد هو «السلاكي» :

رابعا : تشبيه الجمع ، وهو أن يحدد المشبه به دون المشبه كقول الشاعر :

فَلَمَّا حَسُنَ لَواسِزَاتُ من الحُسْنِ نَرى لِهـمـا أصابَتُ مزبدا
فهي الشمسُ بهجةً والقضيبُ السـد نَ قَدَا والرَّيمُ طَرَفَا وجيدا
فالشبه في هذا الشاعر هو القصير «هي» أما المشبهات بها فهي ثلاث كلمات :
«الشمس» و«القضيب» و«الرَّيم» :

(١) ومكرها : عشوا ، والقصر لعناب التي يصفها ، العناب : ثمر أحمر اللون .
الحشف : أرعا ثمر البالي : القديم .

(٢) البشر : الرائحة الطيبة ، أو الرائحة عطفاً ، أو ريح غم المرأة وأعطتها بضم
الهم : شجر لبن الاضغان ، وهو شجر له انضغان حمر يشبه بها البدن المخبوب .

(٣) الصدخ : هو هنا : الشعر المتدلي مابين العين والاذن .

المبحث الرابع تشبيه التمثيل

مرتباً في بحثنا لمعاني كلمة التشبيه لغة : ان المعجمات العربية قد عرفت بين هذه الكلمة وكلمة التمثيل وجعلتهما متعديتين في المدلول : وقد ترتب على ذلك قيام مشكلة اصطلاحية في كتب البلاغة فقام حلها استفسار هو : أترادف كلمة التشبيه والتمثيل في المدلول البلاغي أم أنهما يختلفان في هذا الوجه أو ذاك ؟ ونحن اذا تعرضنا هنا لمبحث تشبيه التمثيل وزدناه بمصطلح « تشبيه الصورة » تؤكد قبل كل شيء أن المحور الذي تدور عليه آراء جمهور البلاغيين عن التمثيل والصورة في التشبيه يستقر أساساً فوق اربعة مشعة من دراسة دكن وجه التشبيه في التشبيه .

أقسام وجه التشبيه :

لقد انتهت هذه الدراسة في كتب البلاغيين القدامى والمعاصرين إلى أن وجه التشبيه من حيث الافراد والجمع والتركيب ثلاثة أقسام : (١) أولها : التشبيه المفرد ، والمراد به ما يعد في العرف واحداً ، لا الذي لا جزء له أصلاً ، وذلك كالجمرة في تشبيه الخد بالورد مثلاً ، فإنها تشتمل على مطلق التوتية والقبض للبصر ، ولكنها مع ذلك تُعدّ وجهاً واحداً ؛ وهذا الوجه المفرد قد يكون حياً ، كقول الشاعر في الموز :

مَسَوْتُ حِلاَ عِكَاثَهُ	عَسَلٌ وَلَكِنْ غَيْرُ جَلِي
فَوِ بِطَانِرٍ مِثْلِ الْإِفْحاحِ	وَعَاضِرٍ مِثْلِ الْفَضاحِ
يَحْكِي إِذَا قَشَرْتَهُ	أَنَابَ أَيْسَالُ صَخَارِ

ففي هذا التشاهد أشرك الشاعر التوت مع العسل في الخلاوة وهي وجه شبه مفرد

(١) ان التشبيح ١ من ١٢٩ .

حي يدرك بالذاتة ، وأشركه مع « الالاح » ثم مع القضاء والأيام ليكن صغور
لي اللون والشكل .

وهذا الاشتراك يكشف عن وجوه شبه مفردة حسية لهم بها الحواس :
وقد يكون عقلياً كقول العباس بن جرير في الصداقة .

إنَّ الصديقين " هو الذي . برصاك حين ثيبُ عَنهُ
مثل الحسام إذا انتصفا . آخر الحفيظة لم يَخُنْهُ
فوجه الشبه بين الصديق الغائب والحسام حين ينتظره آخر الحفيظة هو البقاء
على حال واحدة وهذا وجه شبه مفرد عقلي .

ولأنها : وجه الشبه المركب سواء أكان مركباً تركيباً اعتبارياً يجعله بمنزلة
الواحد ، بأن يكون حقيقة ملثمة ، أم كان أوصافاً مقصورة من مجموعها إلى
هيئة واحدة . ووجه الشبه المركب إما أن يكون حسيّاً ، كقول البحري في شقائق
النعمان :

شقائق يتحيلنَ لندى فكأنه دموعُ التماسيح في خلود الخرائد
فوجه الشبه بين الشقائق في تلك الحالة وبين الدموع في خلود الخرائد صورية
حسية مركبة من فقط يفيض مترججة في فحة حمراء .

وإما أن يكون عقلياً كقول أبي الفضل البهكلي :

كم والدٍ ينحرمُ أولاده . وتغيرُهُ تحفلي به الأبتدُ
كالعين لا تنظر ما حوَّلَها . وتحفظُها بِدُرِّك ما يتعدُ
فوجه الشبه في هذا المشاهد مركب عقلي هو حرمان الأقرب السحق ونيل الإمد
الذي لا يستحق .

ولأنها : وجه الشبه المتعدد ، وهو مائس واحداً ولا متزلاً بمنزلة الواحد ،
وذلك أن يذكر في التشبيه عدد من أوجه الشبه : شبيهين أو أنهاء على وجه الاستقلال ،
فلا يتقيد بعضها ببعض ، بل كل واحد منفرد بنفسه كقول ابن الرومي :

كالدخول في التفتح والمضرة والـ حنكة لكن رتبة خصبة
فلشبه في هذا لبيت أشركه الشاعر مع الشعر في صفات متعددة هي التفتح
والمضرة والحنكة وكل صفة من هذه الصفات مستقلة عن الأخرى مختلفة عنها،
والفرق بين وجه الشبه المتعدد ووجه الشبه المركب هو أن وجه الشبه المتعدد
لا يجب فيه الترتيب فيجوز تقديم بعضه على بعض وأنه إذا أسقط بعضه لا يخل
التشبيه ولا يتغير حال الباقي بخلاف وجه الشبه المركب إذ لا يجوز فيه التقديم أو
الحذف لأن ذلك يؤدي إلى اختلاله وتغيير صورته . فضلاً عن أن رشيقي :

وتفاحة من كفت ظل أخذتها جناها من الغصن الذي مثل قدومه
حككت لشمس نهدية وطيب كسبه وطعم ثاباه وحمرته عذوة
فوجه الشبه فيه بين الطرفين متعدد من اللون والطعم والملمس يمكن حذف
أحدهما أو تقديمه وتأخيره ، ويبقى التشبيه مستقيماً غير مختل . أما قول السري الرفاء
في وصف القلم :

أعسر يتيك بساطرافه عن كل ما شئت من الأسماء
يتدري على قوطه دمعته تبدي لنا السر وما يسري
كما شئت أخفى هواه وقد نعتت عليه عبثة تجري
فيجمع بين الطرفين فيه وجه شبه لو أستطعت منه جزء مما اعتبرت فيه الحيلة
بمثل التشبيه في قصد التكلم ، لأنها صورة ووعي فيها أن تكون تامة للتأليف كاملة
الأجزاء ، يسودها التناسب والانسجام والتسليم .

التعليل اصطلاحاً :

إن البحث التاريخي الذي عرض الأرماني للتعليل وتبعها ، في كتب النقد والفصاحة
والبلاغة وفي غيرها بين أن البلاغيين لم يتفقوا في دراسة هذا الفن ، وإنما تباينت
آراؤهم فيه وتنازعت مواقفهم منه . ويوضح هذا التنازع وذلك للباين كل الاتصاح
إذا ما صفتنا هذه الآراء في ثلاثة اتجاهات :

أولها : اتجاه الفصل بين التمثيل والتشبيه ، وقد رَسَخَ هذا الاتجاه أبو حيدة (٥٢٠٨) الذي تحدث عن التمثيل وعدّه نوعاً من أنواع المجاز (١) : بمعنىا
لرّاسع :

ولعلّ قدامة بن جعفر أول من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه وتحدث عنه في
نحوث الخلاف اللفظ والمعنى (٢) : ونستج من تعريفه له أنّه جعل مرادفاً لمذلول
ضرب المثل الذي يدخل في باب الاستعارة التمثيلية ، وأنّجّه ابن ستان الخطابي (٣)
وإن إلى الاصبح المصري (٤) :

والتمثيل هو المائلة عند بعضهم كأيّ خلال العسكري الذي ذكر بعض امثلة
قدامة في التمثيل (٥) ، والباللاني الذي قال «وما يعدونه من البديع المائلة ، وهو
ضرب من الاستعارة» (٦) وعدّه ابن رشيق من ضروب الاستعارة وهو المائلة ،
وذلك أنّ تمثلياً بشي فيه اشارة كقول امرئ القيس :

وما ذرقت عيناك الا لظفحي بهميك في أعمار قلب مقلّك
تمثّل عينها بهمي الميريغي للعلّى وله سبعة أتعياء ، والرفيق وله ثلاثة
أتعياء ، فصار جميع أعمار قلبه للسهمين الذين مثل بهما عينها : ومثل قلبه
بأعمار الجوزور فتمت له الاستعارة والتمثيل :

وذكر أنّ معنى التمثيل ايضاً اختصار قولك : «مثل كذا وكذا» ، لم قال :
هو التمثيل والاستعارة من التشبيه الا أنّها بغير أداته وعلى غير أسلوبه : (٧)

(١) مجاز القرآن ج ١ ص ٢٦٩ .

(٢) رجع لقد اشعر ص ١٨٢ .

(٣) ص القمصنة ص ٢٧٣ .

(٤) تحرير التعبير ص ٢١٤ ، وبديع القرآن ص ٨٥ .

(٥) كتاب الصائحين ص ٣٥٣ - ٣٥٦ .

(٦) اصحار القرآن ص ٧٨ .

(٧) الصلّة ج ١ ص ٢٨٠ .

والتيها : لربط بين التشبيه والتشثيل ، وينجسد هذا الاتجاه في دراسة عبد القاهر للجرجاني لوجه تشبه على أساس ظهوره أو تأوله ، والقاعدة التي يحررها توطئة لشرح هذا الأساس وتفصيله ، تؤكد أن التشثيل خاص والتشبيه أعم منه ، فكل تشثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تشثيلاً ، فأتت تقول في قول فيس بن الخطيم : وقد لاح في الصبح الزمان رأي كعضودٍ مملأحبةٍ حين تنور (١) إن تشبيه حسن ، ولا نقول هو تشثيل : (٢)

وملاك شرح عبد القاهر لاساسه ذلك وتفصيله له يتركز في أن كل تشبيه يكون لوجه ، فيه حسياً مفرداً أو مركباً أو كان من التفرع والطباع العقلية الخفية فهو تشبيه غير تشليلي ، أما إذا كان وجه التشبه فيه عقلياً مفرداً أو مركباً غير حقيقي وعناجا في تحصيله إلى تأول فهو تشبيه تشليلي ، :

وفي يقيته أن هذا الملاك يستمد قوامه من الدراسات التي صفت وجه التشبه إلى ثلاثة أنواع : مفرد ومركب ومعتد : ويخطط فيما بينها غير قادر على أن يرسخ أساس التمييز بين التشبيه العام وتشبيه التشليلي الخاص ، ذلك لأن أساس عدم التأول ، والتأول في الأساس وجه التشبه أمر نسبي يختلف من شخص إلى آخر إذ قد يكون وجه تشبه صريحاً غير محتاج إلى تأول في نظر شخص ، وربما يستوي وجه شبه دقيق يترجم إليه تشليل في التأول في نظر شخص آخر ،

ويبدو أن عبد القاهر قد أحسن بغيره من هذا في تقوم أساسه ذلك نسبي في مودع آخر من دراسته إلى تحرير أساس آخر للفرق بين التشبيه والتشليل فقال : فوهذا أصل إذا اعتبرته وعرفت كل واحد منهما عليه فوجدته يجري في التشبيه حيثما حسنا وبغداد لقياس فيه التقيداً لا لتصف فيه ثم صادفته لا يطاوعك في التشليل

(١) الملاهي - بضم الميم وتشديد القام والتخفيف : عنب أبيض طويل ، ونور لزرج تنويراً أفوك والشر خلق في التنوير .

(٢) اسرار البلاغة ص ٨٥ .

لك تلك المطاوعة ولا يجري في حنان مرادك ذلك الجري ، ظهر لك نوع من الفرق
والفصل بينهما غير ماعرفت ، وانفتح من باب إلى دقاتي وحظاتي ، وذلك جعل
الفرع أصلاً والأصل فرعاً ، وهو إذا استقرت التشبيهات الصريحة وجدته يكثر فيها ،
وذلك نحر أنهم يشبهون الشيء فيها بالشيء في حال ثم يعطون على الثاني فيشبهونه
بالأول : فترى الشيء مشبها مرة ومثيها به أخرى . فمن أظهر ذلك : أنك تقول في
التجوم : «كأنها مصابيح» ثم تقول في حالة أخرى في المصابيح «كأنها نجوم»
(١) ثم قال : وإذا قد بين كيف يكون جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً في
تشبيه الصريح فالرجع إلى التمثيل ، وانظر هل نحيي فيه هذه الطريقة على هذه
نقطة والقوة ، ثم تأمل ما حصل من التمثيل عليها كيف حكمه ؟ وهل مراد
لما رأيت في التشبيه الصريح ، وحاذر حلوله على التمثيل أم الخلل على خلاف
ذلك؟ (٢)

وفي ضوء شواهد كثيرة أوردتها عبد القاهر للتحليل وحالها ملخصاً فيها اطراد
هذا الأصل ، يظهر أن هذه الطريقة من جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً لا تنحصر في
التشبيه التمثيلي ولا تنسج أمام هذه الطريقة لقوة وسعة ، مما نستطيع أن نستنتج
حقيقة هي أن هذا الأساس لا يصبح للتمييز بين التشبيه الصريح والتشبيه التمثيلي ،
ولما كان عبد القاهر كما هو معروف بمنهجية التحليلية غير مقتنٍ بفئتين القواعد ،
احمد المشاهدة للتمييز بين التمثيل والتشبيه فقال : «لهما الطبقة اخرى تعطيك
للتمثيل مثلاً عن طريق المشاهدة وذلك أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة
واحدة إلا أنه يراها ثارة في المראה وثارة على ظاهر الأمر : وأما في التشبيه الصريح
فإنك ترى صورتين على الحقيقة ، بين ذلك إذا لو فرغنا أن نزول عن ألوهنا
ونقوسنا صور الأجسام في القرب والبعد وغيرهما من الأوصاف الخاصة بالأشياء

(١) اسرار البلاغة ص ١٨٧ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٠٧ .

المحموسة لم يمكننا تحليل شيء من تلك الأوصاف في الاشياء المقولة، فلا يتصور معنى كون الرجل بعيداً من حديث العزة والسلطان، قريبان من حيث الجود والاحسان، حتى يخطر ببالك، وتطرح بفكرك، إلى صورة الجبل وبعد جرمه منك، وترب نوره منك، وليس كذلك الحال في الشئين يشبه أحدهما الآخر من جهة اللون والصورة والقد، فانك لا تنظر في معرفة كون الترجس وفوقه واستدارته وتوسط أحمره لأبيضه إلى تشبيه بمداهن در حشوهن عطين، كيف وهو ذي. تعرضه عليك العين وتضعه في قلبك المشاهدة، وإنما يزيدك التشبيه صورة ثانية مثل هذه التي معك ويجعلها لكن من مكان بعيد حتى تراها معاً وتجدهما جميعاً. وأما في الأول فانك لا تجد في الفرج نفس ما في الأصل من الصفة وجنسه وحقيقته، ولا يحضر لك التمثيل أوصاف الأصل على العين والتحليل وإنما يخلل إليك أنه يحضر لك ذلك، فانه يعطيك من المدحوش شيئاً ثانياً يفصل وزان ذلك وزان ان المرأة تخیل إليك أن فيها شخصاً ثانياً صورة صورة ما هي مقابلة له، ومتى ارتفعت المقابلة ذهب منك ما كنت تتخيله فلا تجد إلى وجوده سبيلاً، ولا تستطيع له تحصيلاً، لا جملة ولا تفصيلاً (١).

ان هذه الطليقة بلاويب - تؤكد ما قلناه عن عبد القاهر باحثاً محلاً لا مقناً وسحرراً للقواعد والسؤال عنها يستفهم عن جدوى ميزة هذا البلاغي العالم وهو يتصدى لسألة خلافية تتطلب حلاً مقناً وذلك بوضع الحد الفاصل بين اسلوبين من اساليب فن التشبيه: اسلوب التشبيه التصريح، واسلوب التشبيه التمثيل؟ ان هذا السؤال يسوي في حد ذاته قراراً يؤكد أن عبد القاهر اذا لم يفصل التمثيل عن التشبيه في قاعدة واضحة خلط بين التمثيل والاستعارة التمثيلية، فقد اورد رسالة يزيد بن الوليد إلى عامله بدمية التي نصها: «بلغني أنك تقدم رجلاً وآخر آخرى فإذا انك كتابي هذا فاعضد على أيهما شئت»، ثم ناقش أبا احمد العسكري

(١) اسرار البلاغة ص ٢١٨ - ٢١٩.

الذي اطلق على هذا النوع من الكلام مصطلح المماثلة فقال: «وهذه التسمية توهم انه ذميه غير المراد بالمثل والتشليل، وليس الامر كذلك، كيف وانت تقول ومثلك ممكن من يقدم رجلا ويؤخر اخرى، ووزان هذا انك تقول: «زيد الاسد» فيكون تشبيها على الحقيقة وان كنت لم تصرح بحرف التشبيه، ومثله انك تقول: «أنت ترقم في الماء» أو «تضرب في حديد بارد» وتضخ في غير لحم» فلا تذكر ما يدل صريحا على انك تشبه ولكنك تعلم أن المعنى على قواك: «أنت كمن يرقم في الماء» ولكن يضرب في حديد بارد» و«كمن يضخ في غير لحم» وما اشبه ذلك مما تجده فيه يشبه به ظاهر فتح هذه الافعال في صفة اسمه أو صفته» (١).

ولما كان مانسجه على عبد القاهر في الفصل بين التشبيه والتشليل فمما لا شك فيه أنه قد أبدع في اعتماد مصطلح «الصورة» ملتصقا بوجه التشبيه بين الطرفين في التشليل فقال: «وأم ان هذا التشبيه العنفي ربما ائترح من شيء واحد كما مضى من ائتراع تشبيه الفلف من حلالة العسل، وربما ائترح من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض ثم يستخرج من مجموعها التشبيه ليكون تشبيه سبيل الشينين يمزج احداهما بالآخر حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الافراد لا سبيل للشينين يجمع بينهما ويخط صورةهما» (٢).

ومصطلح «الصورة» ربما يضح أكثر من مصطلح التشليل لتمييز هذا اللون من التشبيه الذي لا يميز في الواقع عن سائر ألوانه. ألا في أن وجه التشبيه بين طرفيه مخلوق دائما، بألوان من صفات متماثلة نخرجها من التشبيه والتشليلها صورة تجمع بينهما سواء أكانت هذه الصورة مغلقة أم مفتوحة:

ومن هنا كما نعتقد رائق مصطلح «الصورة» مصطلح التشليل واستوى مرادفا له في كتب البلاغة المتأخرة:

(١) لسرار البلاغة ص ١٠٠.

(٢) لسرار البلاغة ص ٩٠.

واللهي : المزج بين التشبيه والتشثيل ، وقد حكى ابن الأثير آراء الأهلين بهذا الاتجاه من أمثال الرمشتري فقال : « وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتشثيل ، وجعلوا هذا بابا مفردا ، ولهذا بابا مفردا ، وهذا شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع ، يقال : شبهت هذا الشيء بهذا الشيء ، كما يقال مثله به (١) »

وابن الأثير في ملحه هذا يحدد الأصل اللغوي لمصطلح التشبيه ومصطلح التشثيل مقتضا أثر التعجمات العربية - كما رأينا - في الجمع بين المصطلحين : ومع هذا فهو يرتفع بغير قصد من أسس اتجاه جمهور البلاغيين في جعل التشثيل مصطلحا بين ضربا من أضرب وجه التشبه .

ويجلى هذا الأساس بشكله اللغوي عند السكاكي الذي لم يبحث التشثيل ضربا مخصوصا من التشبيه ولم يتولاه في باب مستقل ، وإنما أشار إليه من زاوية وجه التشبه قائلا : « واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقي وكان متزعا من عدة أمور خص باسم التشثيل كالذي في قوله :

« مستبصر » هل يتفطر الحسود لسان : مستبصر : قائله
« قائله » قائل : قائله : إن لم تجد ما لا تخلصه
فإن تشبيه الحسود التروك مقاولة بالترائي لا تمد بالخطبة فيسرح فيها قائله
ليس إلا في أمر متروك وهو ما تروكهم إذا لم تأخذ معه في المقابلة مع علمك بتطلبه إياها
عسى أن يتوصل بها إلى لغة مصلو من قباية إذ ذلك مقام أن تشبه ما بعد حياته
ليسرح فيه الملاك وأنه كما ترى متزعا من عدة أمور (٢) » فالتشثيل في نظر السكاكي تشبيه بعتاز وجهه بيزتين :

الأول : أنه غير حقيقي ويضخفه قارنه تروها بين طرفه .

الثانية : أنه متزعا من عدة أمور .

(١) لؤلؤ السائر ج ٢ ص ١١٦ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦١ .

ولقد لما الخطيب القزويني معنى السكاكي في الترجع بين التشبيه والتشثيل ،
وتجنب التحدث عن التشثيل إلا من زاوية زكز وجه تشبه فقال : «وأما باعتبار
وجهه أي التشبيه فله ثلاثة تصنيفات : تشثيل ، وغير تشثيل ، وجعل ومفصل ،
واقرب ، وبعبارة (١) ، ثم عرفت التشبيه الذي وجه التشبه فيه تشثيل بقوله : «التشثيل :
ماوجه وصف ، متفرع من متعدد ، أمرين أو أمور »

لهذا التعريف يكاد يكون تعريف السكاكي ، اللهم إلا ما نلاحظه عليه من هجر
تعبير «غير حقيقي» الذي ورد في عبارة السكاكي ،

وربما يعني ذلك أن القزويني لم يشأ أن يفيد وجه التشبه التشليلي بأي قيد من
التقييد التي تفرقت بعبارة الحسي والفطري والوهسي والخفي وغير الخفي ، بل
أطلقه مقررًا ميزته الرئيسة التي هي الاتساع من أمرين أو أكثر ،
تشبيه الصورة :

مرّ بنا أن التعبير عن وجه تشبه المترجع من عدة أمور يكون إما بمصطلح
الركب أو بمصطلح الصورة ، وهذان المصطلحان في أصل دلالتهما يؤيدان
مدلولاً واحداً هو المترجع من صفتين أو أكثر تمازجت وتداخلت فحة لبعض
بما يصح بين أوصاف طرفي التشبيه .

ويظهر من هذا أن أسلافنا البلاغيين لم ينفقوا كل الاتفاق على مفهوم التشبيه التشليلي
وإن كانوا في الوقت نفسه ينفقون على خطوط العامة ويدورون في دائرته الأسلوبية .
ولما كانت الدراسة التعليمية تقتضي أساساً موحداً ليحت أي فن بلاغي ،
فإننا نتجنب المسائل الخلافية ونقتضي تلك الخطوط العامة مقررين أن مصطلح
تشبيه الصورة أقرب من مصطلح تشبيه التشليلي للدلالة على طبيعة وجه تشبه

(١) الإنصاف ص ٢٤٩ .

المختصر في هذا القرن من التشبيه ، ذلك لأن الصفات التي تترجمها من طرف التشبيه لتتجمع بينهما تشبيعي عموماً وأثراً وبعثاً وحركةً لتشكل صورة مشتركة جديدة لا هي محضة التشبه ولا هي خالصة التشبه به ، وعليه إذاً نرى أيضاً أن نصف التشبيه من حيث وجه الشبه إلى آخرين :

الأول: التشبيه المفرد الذي جاء وجه القلب فيه صفة غير مركبة سواء أكانت صفة واحدة أم متعددة .

الثاني : تشبيه صورة وهو الذي يستوي فيه وجه الشبه صورة متحركة من عدة لوصاف متمازجة في كيان موحد .

إن ما نقرره هنا يختزل الضرب الثالث من أضرب التشبيه وهو الضرب الذي رأينا البلاغيين يسمونه « التشبيه المتعدد » في وجهه ، وهذا الاعتزال في حد ذاته يفتح لنا مجال الموازنة بين التشبيه المفرد والتشبيه للصورة لتحديد أهمية كل واحد منها لتحجي بذلك ثرائاً من الآراء ، البلاغية التي تحدثت بإسهاب عن موقع تشبيه الصورة وتأثيره في النفس ، والتست حيل هذا التأثير ومقوماته .

البحث الخامس

التشبيه الفصفي

لكره :

إن الفكرة الرئيسة التي ينهض عليها التشبيه الفصفي هي أن هذا اللون من التعبير لا يأتي فيه الطرفان في أسلوب من أساليب التشبيه التي مرت بنا، وإنما يلمح المشبه والمشبّه به، ويفهمان من المعنى، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على أن يكون ما أسند إليه التشبيه.

ولعل مبتدئنا أول عالم بلاغي أشار إلى التشبيه الفصفي بلامتن صريح على مصطلحه، وفرزه عن سائر ألوان التشبيه بالفكرة الرئيسة التي نوهنا بها، وتبدو إشارته هذه في بحث المعاني التي يجري التشثيل في عليها فبيّن في هذا البحث أن من هذه المعاني غريب و غريب يندفع بمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه واستحالة وجوده وذلك لحر قوله :

فإن خلق الأكنام وأنت منهم فإنّ المسكّ بعض دم الغزال
وذلك أنه أراد أنه فاق الأكنام وفاتهم إلى حد يطل معه أن يكون بينه وبينهم مشابهة وظلورية ، بل صار كأنه أصل بنفسه ، وجنس برأسه ، وهذا أمر غريب وهو أن يتأخر بعض أجزاء الجنس في الخصائص الخاصة به إلى أن يصير كأنه ليس من ذلك الجنس، ولذلك في له حاجة إلى أن يصحح دعواه في جواز وجوده على الجملة إلى أن يجري إلى وجوده في المدحوح لما قال : فإنّ المسكّ بعض دم الغزال
قد أصبح لدعواه وأبان أن لا ادعاء أصلاً في الوجود، وبرأ نفسه من ضعة الكذب وباعدتها من سنه المتقدم على غير بصيرة ، والموضح في الدعوى من غير بينة، وذلك أن المسك قد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى لا يند في جنسه إذ لا يوجد في الدم

شيء من أوصاف الشبهة الخاصة بوجه من الوجوه لا مائل ولا مائل ولا مائل ولا مائل
الشيء من الأوصاف التي كان لها قدم دعا إليه (١) :

خصائصه :

وتوضح من هذه الإشارة أن من أنواع التشبيه نوعاً يمتاز عن سواه بخمس
خصائص مجتمعة :

أولها : أن التشبه والتشبيه به كليهما يلحقان ويستتجان بلا ترابط نحوي مباشر
فيما بينهما بخلاف أنواع التشبيه التي يأتي فيها الطرفان في بناء لغوي تتحكم
بترجيحه قواعد إنشاء الجملة العربية كأن يكون التشبه مبتدأ أو مفعول حكم المبتدأ
ويكون التشبه به خبراً أو مفعول في حكم الخبر وكان يكون التشبه به مضافاً والتشبه
مضافاً إليه ، أو يكون التشبه لعلامة والتشبه به مصدرأ مبيهاً لوجهه .

وثانيها : أن التشبه جملة أو مجموعة جمل مستقلة متصلة عن التشبه به الذي
يجري جملة أو طائفة من الجمل أيضاً .

وثالثها : أن التشبه يشير فكرة فيها غرابة وادعاء فلا يستلزم بها القاريء تسليماً
مباشراً وإنما يحتاج في القبول بها إلى دليل يفتنه ويرسخ اعترافه بها .

ورابعها : أن التشبه به يستوي مثلاً وشاعداً لقربه العقول بلادة وتطمين القلوب
إلى صحته سليقة كأن يكون مستقراً في الطباع أو جارياً مجرى السك والفتون
في الحياة والشاهدة .

وخامسها : أن حال التشبه وحال التشبه به اللذين يلحقهما القاريء تتكافأ وتتساويان
بلا زيادة لاحداً على الأخرى وبلا نقصان لأحدهما عن سواه .

تحليل التشبيه اللفظي :

وفي ضوء هذه الخصائص يحلل البلاغيون المتأخرون شواهد التشبيه اللفظي
من ذلك قول المتنبي :

مَنْ يَهْنُ بِسَهْلِ الْهَوَانِ عَلَيْهِ مَا جَرَحَ بِمَيْتِ الْإِسْلَامِ
 اي : ان الذي يضر إلى الهوان ، سهل عليه تحمله ، ولا يأتكم له ، وليس
 هذا الادعاء باطلا ، لان البيت اذا جرح لا يأتكم .

وفي ذلك تلميح بالشبيه في غير صراحة ، وليس كل صورة من صور التشبيه
 المروقة ، بل انه تشابه يقتضي تساوي ، ولما التشبيه يقتضي التفاوت (١)
 ومن ذلك قول ابي تمام :

لَا تُسْتَكْرِي عَيْنُ الْكَرِيمِ مِنَ الْفَنَى قَالَتْ سَيْلُ حَرْبٍ لِمَكَانِ الْعَالِي
 ففي هذا البيت قلنا ان الأديب قد ينحو منحى من البلاغة يروح فيه بالتشبيه
 من غير ان يصرح به في صورة من صور المروقة بفعل ذلك نزوعاً إلى الابتكار ،
 وإقامة للدليل على الحكم الذي أسنده ، ورغبة في إعفاء التشبيه ، لان التشبيه
 كلما دقّ وخفي كان أبلغ وأتمل في النفس : وأبو تمام في هذا البيت يقول لمن
 يخطئها : لا تستكري عينا الرجل الكريم من الفنى فان ذلك ليس عجيباً لان قسم
 الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يضر فيها ماء السيل ، فنحن تلمح هنا
 تشبيهاً يشبه الرجل الكريم المحروم الفنى ضماً بقمة الجبل وقد خلت من ماء السيل
 ولكن الشاعر لم يفتح ذلك صريحاً بل أتى بهجلاً مستقلة وضمتها هذا المعنى في
 صورة يرهان : (٢)

(١) راجع جواهر البلاغة ص ٢٧٤ .

(٢) راجع البلاغة الواسعة ص ٤٥-٤٦ .

البحث السادس أغراض التشبيه وبلاغته

أغراض :

التشبيه لون من ألوان التعبير الجميل المؤثر ، تعتمد النفوس البشرية بالقطرة حين يدعوها إلى ذلك غرض أو آخر من أغراضه التي وحدها البلاغيون القناسي (١) ، والمعاصرون (٢) فرسخوا بخصوصتها وغناها آفاقه الرحب التي اتسعت لفتات الأمة وطبقاتها في تحقيق مآزيم الفكرية وعلجاتهم الشعورية ومقاصدهم اليومية :

ولما يتعلق بهذه الأغراض التي جرت بها نصوص أدبية عربية في شتى بيئاتها وأزماتها ، أكد علماء البيان العربي أن هذه الأغراض تعود بمجملها إلى الأمر الحامل على إنشاء وإبداءه وأنه لا بد لكل تشبيه من غرض وإلا كان وقوعه في الكلام عبثاً وإن هذه الأغراض تتعلق في أصولها بركن التشبيه إلا في حال قلب التشبيه فإنه يعود إلى التشبيه به.

وهذه الأغراض هي :

الأول : بيان حال التشبيه ، ويشمل هذا الغرض حين تكون صفة التشبيه معطوفة لدى المخاطب وتكون صفة التشبيه مبهمة فيساق التشبيه تحكيماً للمخاطب من إدراك حال التشبيه ونظمه ، كقول المتنبي :

وما السوء إلا سارق دق شخصه
بصول بلا كف ويسعى بلا رجول
فحال التشبيه الذي هو " ١ " مجهول وأراد الشاعر أن يشخصه لقراءه فأتى بتشبيه به معروف لدى الناس وهو السارق وفصل لوصفه المخصوصة من دقة شخصه وصولاته وسعيه بلا رجول :

(١) ينظر الفن السابع ج ٢ ص ١٢٤ ، الإيضاح ص ٢٢٦ .

(٢) ينظر فن التشبيه ج ١ ص ١٢١٨ ، ولغون بلاغية ص ٦٧ .

الثاني : بيان مقدار حال المشبه ، ويحدد هذا الغرض في تحديد قوة المشبه ووضوحه وزيادته ونقصه وسمره وانخفاضه وارتفاعه وضيافته وإلالي ذلك من الصفات التي تخضع للمقاييس وتستجيب للتحديد : وملاك هذا الغرض أن يكون المشبه معروفا لدى المخاطب في صفته بشكل عام ويأتي المشبه به لتحديد هذه الصفة : مثال ذلك قوله تعالى : « وَلِلَّهِ شَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ » وما أشبه الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » (١)

فالمخاطب المسلم يعرف أمر الساعة في قربها معرفة عامة ، إذا ان الساعة آتية لا ريب فيها ، وقد جاء المشبه به « لمح البصر » وحدد مقدار هذا القرب ودرجته وبين أن إتيانه أقرب من القرب في سرعة حصوله ودنو وقوعه ، وكقول عنزة : فيها انتسان وأربعمون حلوبة سؤدا كخافية الغراب الأسحمر قد بين الشاعر مقدار سواء تلك الثياب بجعلها مشبها لخافية الغراب التي يكون سوادها على أشد الدرجات وأصفها :

الثالث : بيان إمكان حصول المشبه المقصود من هذا الغرض : أن المشبه أمر جائز الوقوع على صفة مخصوصة ، وذلك في وجه غريب لا يظهر إمكان حدوثه ؛ فيقرن بمشبه به حاله مسلم بوقوعه فيأتي دليلا على صحة صفة المشبه وبرهانا يدفع المخرين فيما نسب إليه ، وذلك كقول ابن الرومي :

قالوا أهو الصنم من شيان قلت لهم

كلا لمصري ولكن منه شيان

حكم من أب قد خلا بآب ذرا شريف كما حكى رسول الله حدنان

فابن الرومي في هذين البيتين زعم أن بني شيان من محدوحه أبي صقر وأنهم قد سموا به وارتفعوا مجدا وشرفا وأن الأماة الذين قالوا السود والحرمة بأبائهم كثرة؛

(١) النحل ٧٧.

وهذا الأمر لا يسلم بإمكان حصوله الناس فجعله مشبهاً للشيء به متحقق وهو
 علو عدنان برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء هذا التشبه به الحاصل
 تاريخاً وواقعاً ليستري حجة على ما نسبته إلى منلوحة من صفات وقطع بها ألسنة
 المجادلين المتكبرين له قبل سماح تنبيهه والوقوف على حال التشبه به فيه :

الراجع : تقرير حال التشبه ، ويحقق هذا القرض بتوضيح حال التشبه في ذهن
 السامع ، وترسيخها في نفسه وتمكينها من خاطره ، ويتم ذلك بإبراز التشبه في
 صورة أقوى وأظهر وذلك عندما تشبه الأمور الغريبة المجردة بالأشياء الحسية
 الشائعة حياً والشخلة تحقلاً ، كقول الشاعر :

إنَّ القلوبَ إذا تنامرُ ودُّها مثلُ الرجااجةِ كَسَرُها لا يَجِيرُ
 تنامر القلوب بسبب ما يعكر صفاء الود أمر معنوي لا يدرك بالذهن تمتد على
 التلاوم ، لذلك شبه الشاعر بصورة الرجااجة المكسورة التي كسرها لا يجير وهي
 صورة محسوسة لتوكلها العين وتلمسها اليد ، ففررت حال التشبه التوهم وأخرجتها
 في قالب منظور متحقق :

الخلص : تحيين حال التشبه والترغيب فيه ، والطريق إلى تحقيق هذا القرض
 هو الموازنة بين وبين تشبه به يستحسنته المخاطب ويميل إليه ، تستري منه أن ذلك
 التشبه صفاته التي يعلق بها القلب وتأنس بها الشاعر كقول النابغة الذبياني في
 مدح النعمان :

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَنُورُكِي إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَرَكِي
 قال الشاعر قد حسن حال منلوحة التشبه وروى فيه وأجرى الألسنة بتعظيمه ،
 وذلك بربطه بالشمس مشبهاً به تجلج النفوس وبشرك الأنام عظمتة وفرائده وسيره
 على سائر الأجرام النيرة في السماء :

الخلص : تبيح حال التشبه والتفكير منه ، والطريق إلى حصول هذا القرض هو
 لقيض طريق تحيين حال التشبه والترغيب فيه ، إذ يقرن التشبه بمشبه به يستحب

الفرس ولا ترهب فيه فيكسب صفاته الوجبة للاستباح والتفجير ، كقول ابن
الرومي في الهجاء :

وإذا أشبارٌ محدداً فكانه فردٌ بكتفه أو عجزٌ تلطيمٌ
ففي هذا البيت يفتح التشبه في نظر القاريء الذي لم يعرفه وتميل عنه نفسه
وتشتت من أوصافه لا للذب فتوفه غير ربط الشاعر له بالفرد في ألبح حالاته
وبالعجز في شر أوضاعها ؛

٢٧ بلاغته :

إن أغراض التشبيه هذه وسواها لا ينبغي أن تؤخذ على أنها مقاصد في ذواتها
وإن محققها من الأدباء لا يعنون إلا بالوصول إليها دون العناية ببلاغتها صيغها
والتوصل لجمال تعابيرها وقد اتبه السلف من علمائنا البلاغيين إلى هذه الحقيقة
واسهبوا القول في تفصيلها وتبع مظاهر بلاغة التشبيه وعلموا لها في ضوء شواهد
من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والآثار والأشعار وما انعقد الرأي
عليه به الصدد أن العقلاء يفتنون على شرف قدر التشبيه وفخامة أثره في فن
البلاغة . وإن تعقيب المعاني به — لا سيما قسم التمثيل منه — يضعف قواها في
تحريك الفرس إلى المقصود بها مدحاً كانت أم ذماً ، أو انتقاداً ، أو غير ذلك ؛
ويتحقق ذلك بلمس الفرق بين قولنا : أرى قوماً لهم منظر وليس لهم مخبر ،
ونظير الكلام ، وأن تبعه نحو قول ابن التتكتك :

في شجرٍ للزور منهم مثلٌ له رؤاءٌ ، وماله تمسّرٌ
ولتظهر في جميع ذلك إلى المعنى في الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه في
الحالة الأولى ؟

ولذلك أسباب ، منها : ما يحصل للفرد من الاتساع باخراجها من غيبي إلى جلي
كالانتقال مما يحصل لها بالتمكث ، إلى ما يعلم بالقطرة ، أو باخراجها عما لم تألف إلى

ما ألفت أو بما تعلّمه إلى ما عني به أعلم ، كالاتصال من المقول إلى المخصوص فنحن ربما نقول : فلان إذا هم بالشئ لم يزل ذلك عن ذكره وقصر خواطره على أعضاء حزمه فيه ، ولم يشغل عنه شيء ، فلا يصادف السامع له أريحته حتى إذا سمع قول الشاعر .

إذا همّ ألقى بين عينيه حزمه ونكبت عن ذكر العواقب جانياً (١)
اعتلات نفسه سروراً ، وانركته حزمة لا يمكن دفعها عنه .

وقد جسد القزويني حاله في الأسباب بقوله : « ومن قدليل على أن للاحاساس من التحريك النفس وتتمكن المعنى ما ليس للغير ، أنك إذا كنت أنت وصاحبك بسمي في أمر ، حل طرف سير ، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل ؛ فادخلت يدك في الماء ، ثم قلت له : انظر ، هل حصل في كلي من الماء شيء ؟ فحككتك أنت في أمرك وكان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتتمكن المعنى في القلب زائد على القول الجرد ، (٢) »

ومن فضائل التشبيه ومظاهر بلاغته وتفنن أساليبه أنه يأتي من الشيء الواحد بأشياء عدة ، نحو أن يحيطي من الشعر الكمال عن نقصان ، كما قال أبو تمام :

تَهْنِئْني عَلَى تِلْكَ الشَّوَاهِدِ فِيهَا	لَوْ أَهْلَيْتُ حَتَّى تُعْبِرَ شَمَائِلُ
لَعَدَا سَكُونُهُمَا حَبِيٍّ ، وَصَبَاها	حَلْمًا ، وَتِلْكَ الْأَرِيحَةُ نَائِلُ
وَلَا غَضَبَ فَتَجُمُّ لِرُؤْيِهَا	وَلَمَادَ ذَلِكَ لَطْلُ جُودًا وَابِلُ

(١) هم : حزم . ألقى بين عينيه حزمه : التصوير لثابته بعقلية ما عزم عليه ، حيث وضعه ونصاً لا يهبط فيه عن عينيه . نكبت عن ذكر العواقب : عدل وانسى وذاك .
سعد بن غالب وهو شاعر أنصاري ، من شعراء الحسان .

(٢) الأيضاح ص ٢١٧ .

١٠ "الضلال" إذا وأبت نسوة . أيقنت أن مصيرُ هندراً كاملاً (١)
ولمضعان عن الكمال ، كقول أبي العلاء المعري .

وإن كنت تبغي العيشَ فابغِ توسطاً فمعد التناهي يكتمرُ السطاولُ
توقى البدورَ النقصَ وهي أعلَى ويُدرِكها النقصانُ وهي كواملُ (٢)
، تنزع من حالي كماله وقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك :

أُهِرَّتْ شَطْرُ الْمَلِكِ شَطْرَ كَالِ وَهَدَرْتُ فِي شَطْرِ الْمَالِ بِكَمَلِ (٣)
وكذا ينظر إلى بعده ولونقاعه ، وقرب ضوئه وشعاعه ، وإلى ظهوره في كل
مكان كما في قول أبي الطيب :

كأبدر من حيثُ انشئتُ وجدته يُهْدِي إلى عيبتك نوراً ثاقباً (٤)
إل غير ذلك من المعاني التي يدعها الأديب بالوان تخيله أوجها من المشابهة
والتشابه بين طرفي التشبيه ، فيبلغ من خلال ذلك إلى التأثير في سامعه والتعبير عما
في ضميره .

والتشبيه مثل أي أسلوب بياني ليس على درجة واحدة من البلاغة في التراحم
كأنه ، كما أنه ليس بمستوى رفيع من الجمال في اتراحم جمعاء ، وإنما يتفاوت
وجاهين وفق مقاييس نقدية سمي عبد القاهر إلى تحريرها وترسيخها فقال إنَّ
في شبه رجوع إلى وصف أو صورة أو هيئة من شأنها أن تروى وتبصر أبداً ، فالتشبيه
مفيد عليه نازل مبتذل ، وما كان بالفض من هذا وفي الثغابة القصوى من مخالفته ،

١٠ - حسن : نعل . المرء : المسطحة الرذالة وهو المظر الخفيف . النديمة : المظر
و يكون دون رعد أو برق ، نعل : المظر الضعيف . الجود - فتح الجح وسكون
الواو - المظر الغزير . الوابل : المظر الشديد .
توقى النقص : تسلم منه وتنجو . أعلَى : جمع هلال .
أُهِرَّتْ : أطلعت . شَطْرُ الْمَلِكِ : نصفه .

(١) راجع الأيضاح ص ٢١٧ - ٢١٩ .

فالشبه المردود إليه غريب نادر بدیع ، ثم تتفاضل التشبهات التي نحوي و...
 لذين الطرفين بحسب حالها منهما فما كان منها إلى الطرف الأول أقرب ، فهو
 أدنى وأزول وما كان إلى الطرف الثاني أذهب ، فهو أعلى وأفضل ، وبوصف
 الغريب أجمل ، (١) :

وواضح أن هذه المقاييس تعود في جوهرها إلى ركن وجه شبه الجامع بين
 الطرفين ومن متعلق تشبيهات هذا الركن على أساس الحسي والعقلي ، فهي من
 هذه الناحية تعتمد معايير فكرية لابد أن نضيف إليها في مجال التطبيق معايير ذوقية
 وجمالية إبداعية تشدد أحكامها من مدى ابتكار الأديب في التشبيه وتقل تجربة
 صادقة له مع التشبيه من خلال مقارنته بالتشبيه به وعقل علاقة جديدة بينهما لم يكتفها
 ألسنة الأدباء قبله ، ولم تتكرر في المحاطبات اليومية عبارات أنصى غاياتها الانهايم
 والتعليم .

(١) أسرار البلاغة ص ١٥١ .

الفصل الثالث

الحقيقة والمجاز

المبحث الأول

تعريفهما

إذا جمعنا الباحث التي تناولت المجاز في كتب اللغة ومصفات البلاغة لانا
نصل إلى نتيجة تؤكد أن ملاك المجاز يتعدى بدراسة المعنى السابق على مدلول
اللفظ المجازية .

والنقطة في معناها السابق هذا يطلق عليها مصطلح الحقيقة :

الحقيقة لغة :

إن هذا المصطلح في أصل اشتقاقه ، إما "تعمل" بمعنى "مفعول" ، من قولك :
حققت الشيء ، إذا أثبتته ، أو "تعمل" بمعنى "فاعل من قولك : حق الشيء
حقاً" ، إذا ثبت أي المثبتة أو الثابتة في موضعها الأصلي (١) .

ولقاء فيها في - رأى الجمهور - لتأنيث وفي ضوء هذا المنهج من التماس اشتقاق
المصطلح ويان أصله بادر اللغوي المعروف ابن فارس إلى تعريفه قائلاً : «الكلام
الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل ، ولا تقديم فيه ولا تأخير» (٢) .

وجاء ابن جني في ميدان اللغة أيضاً وأعطى تعريف الحقيقة ذلك حداً متميزاً
قال : «الحقيقة ما أثر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة» (٣) :

(١) الأيضاح ص ٢٦٩ .

(٢) الصاحبي ص ١٩٧ .

(٣) الخصائص ج ٢ ص ١١٢ .

واعلمنا تلاحظ أن مصطلح الحقيقة في الدراسات اللغوية ينهل من تعريفه على أساسين متلازمين .

أولهما : تأكيد انقطاع التعبير الحقيقي عن أية دائرة غير اللغوية ،
والثانيهما : القطع بأن اللفظة الحقيقية بالية على أصل وضعها الذي حدده الاستعمال ،
الحقيقة اصطلاحاً :

لقد استضاء البلاغيون بهذين الأساسين وسعوا إلى أن يضعوا الحقيقة في الدراسات البلاغية تعريفاً جامعاً مانعاً ، وبأي عبد القاهر الجرجاني في مقدمة هؤلاء البلاغيين ، إذ عرف الحقيقة في اللفظة المفردة قائلاً : « كل كلمة أريد بها ما وثقت له في وضع واضح ، وإن شئت قلت : في مواضع ، وقوم لا يستند فيه إلى غيره فهي حقيقة » وهذه عبارة تنتظم الوضع الأول وما تأخر عنه كلمة تحدث في قيمة من العرب أو في جميع العرب أو في جميع الناس مثلاً أو تحدث اليوم .
ويدخل فيها الأعلام متفولة كانت كزبد وعمرى ، أو مرتجلة كلفظان . وكل كلمة استلذت بها على الجملة مواضعة أو ادعى الاستئناف فيها ، (١) .

وأي يقينا إن عبد القاهر كان مشغولاً للدفع بعد الجواز حين ساق تعريفه هذا ، ذلك لأنه لم بشرط للكلمة الحقيقية سوى شرط واحد هو أن لا تستند إلى غيرها في الدلالة على معناها .

وهذا الشرط - بلا ريب - يؤكد أبرز خاصية للكلمة المجازية وهو الدلالة على مدلولها بالاستناد إلى قرينة لفظية أو معنوية .

ثم أنه حين لم يقيد للكلمة الحقيقية بالوضع الأول الذي خصص به وأطلقها لتشمل على الوضع الآخر استناداً لمعنى جديد حصل اليوم وبعد معناها الذي وضع له أولاً ، أراد أن يوسع من دائرتها لنضم إليها معاني حقيقية أخرى فرعها

(١) أسرار البلاغة ص ٢٢٤ .

فيما بعد البلاغيون الآخرون . ومن هذا المطلق أيضا عرف الحقيقة في الجملة بقوله : « لكل جملة وضعتها على أن الحكم المقاد بها على ما هو عليه في العقل وواقع موقفه فهي حقيقة ولن تكون كذلك حتى تتغيرى من التأول ، ولا فصل بين أن تكون مصييا فيما ادعت بها من الحكم أو مستطنا وصادقا أو غير صادق » (١) ، واذن فهو لا يتقيد بكل التقيد بمسألة الوضع الأول الذي أقره القويون وكذا أساسا للحقيقة ، وإنما يعتمد معيار العقل الذي يتخذة فصلا بين الحكم الحقيقي والحكم غير الحقيقي التأول والمجازي .

وفي ملاحظتنا أن هذا المعيار يستمد مقومه من النظرة الدينية ، وآية ذلك أنه ساق ما يوضح تعريفه ذلك قائلا : فمثل ولوح الحكم المقاد موقفه من العقل على الصحة واليقين والتطع قولنا : « خلق الله تعالى الخلق وانشأ العالم وأوجد كل موجوده سواء » ؛ فهذا من أحن الحقائق وأرسلها في القول ، والتعدا نسبتي المقول وأما مثال أن توضع الجملة على أن الحكم المقاد بها واقع موقفه من العقل وليس كذلك إلا أنه صادر من اعتقاد فاسد وظن كاذب فمثل ما يجيء في التستريل من الحكاية عن الكفار نحو : « وما يهلكنا إلا الدهر » (٢) فهذا ونحوه من حيث لم يتكلم به قتاله على أنه متأول بل أطلقه بجهله وعماه إطلاق من يضع الصفة في موضعها ، لا يوصف بالمجاز ولكن يقال حدثت له أنه مسقية ، وهو كذب وباطل » (٣) ، أنواع الحقيقة :

ولعلنا نبين من هذا التعريف أن مبحث الحقيقة يأخذ على يدي هذا المقام لوقا فكريا اعتقاديا بالإضافة إلى أساسه القويين ، وقد تربى على هذا كله نتيجتان : أولا هما : أن مبحث المجاز قد اختلط بالدراسات العقيدية والمفكرات الدينية

(١) اسرار البلاغة ص ٢٥٥ .

(٢) الطائفة ٢٤ .

(٣) اسرار البلاغة ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

فظهر من الباحثين من رأى أن التصوص الدرجة مخافة من المجاز وأن لغة القرآن الكريم وأحاديث النبي الشريف لم تأت فيها إلا الحقائق من الكلم المفرد والتركيب ، ولايتهما : اعتبار الكلمات الشرعية التي لم ترد على أصرها الأول في الواقع حقائق : ومن هنا قلنا جلّ البلاغين يذهبون إلى أن الخطبة لغوية ، وشرعية وعرفية : خاصة ، أو عامة : لأن واضعها إن كان واجه اللغة فلوغوية ، وإن كان الشارع لشرعية وإلا عرفية ، والعرفية إن تعيّن صاحبها نسبت إليه ، كقولنا : كلامية ، ولغوية ، والآ ببيت معلقة :

مثال لغوية لفظ «اسمه» إذا استعمله المخاطب بصرف اللغته في فصح المخصوص ، ومثال الشرعية لفظ «صلاة» إذا استعمله المخاطب بصرف الشرع في العبادة المخصوصة ومثال العرفية الخاصة لفظ «قمل» إذا استعمله المخاطب بصرف النحر في الكلمة المخصوصة ، ومثال العرفية العامة لفظ «دابة» إذا استعمله المخاطب بالعرف العام في ذي الأربع (١).

إنّ هذا المذهب يجعل الكلمة الحقيقية أربعة أنواع هي الحقيقة اللغوية ، والحقيقة الشرعية ، والحقيقة العرفية الخاصة أي الاصطلاحية ثم الحقيقة العرفية العامة ، وفي ميدان دراسة حياة الكلمة العربية وتبع خطوات نمو مدلولاتها يرصد الباب أمام الباحثين ويستفهم من تلمس تاريخ هذه الكلمة ويرصد تقلبها على أكثر من معنى بحكم عوامل اجتماعية ولغوية وحضارية وفوقية وغير ذلك .

الحقائق بين المعنى الوضعي والمدلول المجازي :

وبدعي أن هذا المذهب لا يحتمل رأي العلماء الأسلاف أجمعين ، فقد قال ابن برهان مثلاً في الأسماء الشرعية أي الحقائق الشرعية : «تختلف العلماء في الاسمي هل قللت من اللغة إلى الشرع ؟ فذهب للفقهاء والمتنزهة إلى أن من الاسمي ما نقل

(١) الأيضاح ص ٢٦٨ .

كالصوم والصلاة والزكاة والحج (١) وعليه فلا يخبر في أن تسمك بالوضع الأول
لكلمة ولندعها على ذلك المعنى حقيقة ، ثم بعد أي معنى آخر تقلبت عليه مدلولاً
مجازياً لما فتبح بذلك الباحثين مجال وضع المعجم التاريخي لغتنا ورسم الخط
الياني لحياة الكلمة العربية ، فتمسك بذلك من دراسة أسس انتقال الكلمات العربية
في النصوص الشرعية إلى مدلولات مجازية اقتصاداً تطور الفكر العربي بعد ظهور
الدين الإسلامي الحنيف ، وتبين مدى ذلك للمصطلحات العلمية والثقافية والسياسية
التي يستوجب وضعها لتعبير عن شؤون الحياة ، ولتكشف الحقائق التي تنبئ بها
الكلمات في لغتنا اليومية وهي تزدجر في أحضان الحياة وتستوجبها الأعراف الاجتماعية
بشيء مصادرها .

المجاز لغة :

إن كلمة المجاز قد تقلبت في المعجمات على معانٍ لغوية متفاوتة ، وقد حكى
لنا الخليل بن أحمد القرامدي بعضها في عرضه لمادة (جوز) قاللاً : « وتقول :
جرت الطريق جزواً وجزواً وجزواً » ، والمجاز المصدر والوضع ، (٢) :
إن القرامدي صاحب معجم العين الذي يعد أول معجم عربي وصل إلينا يرصد
لكلمة المجاز معنيين لغويين أساسيين :

أولهما : قطع الطريق وسلوكه . ثانيهما : الوضع القطوع والسلوك .
لقد تقلل واضع المعجمات العربية (٣) غطى القرامدي في تحديد المعاني
اللغوية لكلمة المجاز ، فلم يقتصر الباحث في مدلول هذه الكلمة الاصطلاحي مادة
تمسك من متابعة تطور معاني هذه الكلمة قبل أن تستوي مصطلحاً بلاغياً :
« أما اشتغالها في صورتها الاصطلاحية فالرأي معقود على أنها مستعمل ، وأصله مجوز
وقد تقلت فيه حركة القوا إلى الساكن قبلها فقلبت ألفاً لتحريكها حسب الأصل

(١) الزمر ج ١ ص ١٧٤ .

(٢) البز، النصف الثاني ص ١٣٧ ، مخطوط ، مكتبة الآثار تحت رقم ٥٠٩ .

(٣) راجع مقاييس اللغة ولسان العرب مادة (جوز) .

والقطع ما قبلها بحسب حلها الآن ، نقول : جاز المكان جوازا ومجازا وهذا مجاز القوم ،
فالمجاز إذن اسم للمكان الذي يجاز فيه ومصدر مبني لفظه .

يمكن أن نشير إلى أن المدلول الاصطلاحي لكلمة المجاز في هذا أوضح صورة
مقتبس من اسم المكان ، فبجمل ذلك نقل الألفاظ من محل إلى محل .
إذا سمى الباحث إلى أن يورخ لورود هذا المدلول في النصوص القرية يستطيع
أن يؤكد أن أصحاب الفرق والمذاهب والنحل (١) هم أول من أداروه واعتمدوه في
مناقشتهم العقيدة والفلسفة .

لقد ذكرنا عن أبي إسحق النظام حديث ورد فيه اصطلاح المجاز إذ روي أنه
كان يخطي^١ للفلسفة ، في قولهم أن الحرارة تورث البس ، لأن الحرارة إنما
ينبغي أن تورث السخونة ، وتولد ما يشاكلها ولا تولد ضربا آخر ليس منها في شيء ،
ولو جاز أن تولد من الأجسام التي تختلفها شكلا واحدا لم يكن ذلك بأحق من
كلام آخر إلا أن ينهوا إلى سبيل المجاز ، فقد يقول الرجل إنما رأيتك لأني
نفت ، وهو إنما رآه لطبع في البصر الدارك عند ذلك الالتفات (٢) .

وإذا سبيل المجاز في هذا النص هو دلالة اللفظ على مدلول جديد ، فبما
تستوجب شيئا من الملازمة بين هذا المدلول الجديد ومعنى اللفظ العابر على
أكثر الناس : ولقد اعتمد النحاة المعزلة الذي كان على صلة وثيقة بالفرق
والنحل مدلول مصطلح المجاز ذلك ، فدرس تطلب كلمة «أكل» على معناها
الحقيقي ومدلولات مجازية فقال : قول الله عز وجل : «إن الذين يأكلون أموال»
البعض ظكها (٣) وقوله تعالى : «أأكلون لأسمحت» (٤) .

(١) ينظر كتاب الفصل في التل والأسماء والنحل ج ١ ص ١٥٣ حيث لورد نصاً جديداً من معجم القمري
لدلول ستة ثمان عشرة جملة القيمة فيه مصطلح المجاز

(٢) الحيوان ج ٥ ص ١٢ .

(٣) النساء ١٠ .

(٤) لقطة ١٢ . السمت بالقسم : ما ثبت من الكتاب .

وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا تلك الأموال الأتيلة ، وليسوا الخلل ، وركبوا
الغواب ، ولم يفتقروا منها درهماً واحداً في سبيل الأكل ، وقد قال الله عز وجل :
«إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُيُوتِهِمْ ثَلَاثًا (١) وهذا مجاز آخر .

وقال الشاعر (٢) في أخذ السنين من أجزاء الخمر :
أَكَلْتُ لِلدَّهْرِ مَا نَجَّيْتُمْ مِنْهَا وَتَبَقِيَ مُصَاصُهَا الْكَتْمُونَ (٣)
قال الشاعر :

مرت بنا نخسار في أربع يأكل منها بعضها بعضاً (٤)
وهل قول : « وقد أكلت أظفاره الصخر » إلا كقول :
كُفِّسَتْ الْكُفَيْدِي (٥) أَيْ بَرَأَتْهُ لِحَيْثُ

وَإِذَا قَالُوا : « أَكَلَهُ الْأَسَدُ » وَإِنَّمَا يَلْعَبُونَ إِلَى الْأَكْلِ الْمَرْوِفِ : وَإِذَا قَالُوا :
« أَكَلَهُ الْأَسْوَدُ » فَإِنَّمَا يَمْنُونَ التَّهَشُّ وَاللَّدَغُ وَالْمَضُّ قَطْ : وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
« أَلَمْ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » (٦) . ويقال هي لحوم الناس ،
وقال لائل لاسماعيل بن حماد : « أَيُّ الْفَحْمَانِ أَطْيَبُ ؟ » قال : لحوم الناس ، هي
والله أطيب من الدجاج ، ومن القراخ ، والعلوز الحمر ،
ويقولون في باب آخر : « فَلَانَ يَأْكُلُ النَّاسُ » وَإِنْ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ طَعَامِهِمْ شَيْئًا .

(١) النساء ١٠ .

(٢) هو أبو نؤاس من بني عذرة له .

(٣) تجسم بالسنين التي صار جسماً ، تبق : أي تبقى ذررك . والعصا بالفم والعص كل شيء .

(٤) أي أربحت من مصاصها .

(٥) الكفدي : جملة كمية بالفم : هي الأرض المطبقة .

(٦) الحجرات ١٢ .

وأما قول أوس بن حجر :

وذو شطيات لده ابن مجدع له روثق فريته بأكل (١)
فهذا على خلاف الأول ، وكذلك قول دعيان النهري :
سأفني عن أناس أأكلوا شرب القدر عليهم وأكل
فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز ، (٢)

وفي هذا النص نستعمل كلمة «أكل» ، وقد انطلت في آيات قرآنية ونصوص
شعرية وأحاديث لوشي عن معناها القوي الحقيقي المعروف الذي هو تناول الطعام
المدلولات جديدة سماها بالخاص مجازات . وهو في هذا كله يضع بين أيدينا
أسس منهجه لدراسة الكلمة الشعرية :

أولها : اعتماد موضوع محدد وجمع النصوص التي دارت فيه بمعنى كلماتها
الحقيقية ومدلولاتها المجازية .

والثاني : بيان المدلول المجازي للكلمة بالموازاة بين وبين المدلولات المجازية
الأخرى التي خالقتها ثم الإشارة إلى معناها المعروف .

والثالث : التنوع في النصوص التي تدرس الكلمة المجازية في مضامينها بين آيات
قرآنية وشواهد وأقوال شعرية وأقوال معاصرة وأمثال ، وفي اعتقادنا أن هذا
المنهج الذي يبدو عليه الطابع المعجمي لو راعى فيه القياض الترتيب التاريخي لما
سرد فيها من المعاني الحقيقية للكلمة «أكل» ، وما أوضح من مدلولاتها المجازية لكان
هو باسمه تلك السيل القويم الذي نستطيع اعتماده في دراسة الكلمة الشعرية

(١) الشطيات ، بضم الشين والطاء ، جمع شطة بالغيم ، وهي الطريقة من طرائق السيف
أي الخط فيه وقد عني به السيف ، قد : صفة ، ابن مجدع : أحد صناع السيوف ،
فروثق : ماء السيف وصفة وحسنه ، وذو السيف : كالتسويق إلى القدر : مأواه
وفريته .

(٢) الحيوان ج ٥ ص ٢٥ - ٢٩ .

ابتداء من معناها القويحي الاول ومروراً بمدلولاتها المستجدة لها والتي رأينا معظم البلاغيين يسمونها حقائق لغوية وشرعية وعرفية عامة وخاصة ، في حين أنها في غلب مصنف الجاحظ مجازات يمكن أن نفرق فيما بينها بمصطلحات المجازات الشرعية دلالة على الحقائق الشرعية والمجازات العرفية دلالة على الحقائق العرفية التي اكتسبت مدلولاتها من الاستعمال اليومي في لغة الحياة اليومية :

وأياً كان ما تدعو إليه في وقتنا مع مصطلح المجاز في مدلوله ذلك فإن علم البلاغة قد تلفظ هذا المصطلح واتقاه على حد وتعريف مخصوص . ولعل عبد القاهر الذي يعدّ بمن مبلغ هذا العلم بموضوعاته المفصلة ومنهجية التمييز أول من بحث المجاز بحثاً متكاملًا فحده في الفرد والجملة وبين شرائطه وتفصيل ما قد يلتبس به من الاسماء المشتركة والاعلام وتبع طائفة من علاقات الرسالة والقائمة على التشبيه :

ومما يتعلق بهذا البحث أن المجاز يذكر بوزنه « متشعيل » ويحلى اشتقاقه على ماورد في المعجمات العربية ليقال : « المجاز متشعيل من جاز الشيء يجوزهُ إذا تشاء . وإذا عدل بالمفرد عما يرجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جزوا به موضع الأصل ، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً (١) .

وفي موضع آخر يسوق تعريف المجاز اصطلاحاً فيبين أن المجاز « كل كلمة أريد بها غير ما وثقت له في وضع واضعها للاحظة بين الثاني والاول » ويحدث عن مسألة الملاحظة بين معنى الكلمة الحقيقية ومدلولها المجازي التي سميت فيما بعد بملاحة المجاز فقال : « ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا

(١) اسرار البلاغة ص ٣٦٥ .

الذي تريد بها الآن الآن ان هذا الاستناد يقوى ويضعف ، بانه ما مضى من ذلك
اذا قلت : «رأيت أسداً تريد رجلاً شبيهاً بالأسد لم يشبه عليك الأمر في حاجة
الثاني الى الاول الا لا يتصور أن يفتح الأسد للرجل على هذا المعنى الذي أردته على
التشبيه على حد المبالغة وإيهام أن معنى من الأسد حصل فيه الا بعد أن تجعل كونه
أسداً للبع الزاء عينيك : فهنا استناد تعلمه ضرورة ولو حاولت دفعه عن وهلك
حاولت محالاً فنتي عقل فرع من غير اصل ومشبّه من غير مشبّه به ؟ وكل ما
طريقة التشبيه لهذا سبيله ، أعني كل اسم جرى على الشيء للاستعارة ، فالاستناد
فيه قائم ضرورة .

واما ما عدا ذلك فلا يقوى استناده هذه القوة حتى لو حاول يحاول أن ينكره
أمكنه في ظاهر الحال ، ولم يلزمه به خروج الى الحال ، وذلك ككالمثال للنعمة ،
لو تكلف تكلف فرعم انه وضع مستأنف أو في حكم لغة مفردة لم يمكن دفعه
إلا برفق وباعتبار خفي وهو ما قدمت من أنا وأبناهم لا يوافقون هذه المقتلة على
ما ليس بينه وبين هذه الجارحة التباس والتخصيص : ودليل آخر وهو ان اليد لا تكاد
تقع للنعمة إلا وفي الكلام إشارة الى مصدر تلك النعمة وإلى المولى لها (١) ؛
ومن هذا التحليل الذي يضيض فيه شرحاً للشواهد ويتسلسل لتقارن ثم اظهاراً
لنكت البلاغية ، نستنتج أن مدلول المجاز اصطلاحاً لدى عبد القاهر على اساس
العلاقة بين ما نقلت منه الكلمة وما نقلت اليه يشمل ضربين من المجاز :
المجاز بالاستعارة ، وهو ما حللته المشابهة ، والمجاز المرسل وهو ما حللته
ملاحظات متنوعة غير المشابهة .

مفردات المجاز :

بني عبد القاهر بمسألة العلاقة في المجاز عبارة كبيرة فيشبع الكلمات التي ربما
يترجم في أنها مجاز يدعي أنها مقولة فيقول : «ولوجب اعتبار هذه النكتة في
(١) أسرار البلاغة ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

وصف اللفظ بأنه مجاز لم يجر استعماله في الالفاظ التي يقع فيها اشتراك من غير سبب يكون بين المشتركين كـ بعض الأسماء المجموعة في الملاحق مثل ان الثور يكون اسماً للقطعة الكبيرة من الأقط والنهار اسم لفرخ الحبارى والليل لولد الكروان ، (١) كما قال :

أكلت النهارَ بنصفِ النهارِ وليسَ أكلتِ بليلاً يوم
وذلك ان اسم الثور لم يقع على الأقط لأمر به وبين الحيوان المطوم ولا النهار على الفرخ لأمر به وبين ضوء الشمس أداه به وساقه نحوه .
والغرض المقصود بهذه العبارة - أعني قولنا المجاز - أن نبين أن اللفظ أصلاً مبدوء به في الوضع ومقتضوياً ، وإن جريه على الثاني إنما هو على سبيل النقل إلى الشيء من غيره ، وكما يعين الشيء بالحق ما يحلوه ، ويتصيح بلون ما بدانيه ، ولذلك تراهم لا يطلقون المجاز في الأعلام إطلاقهم لفظ النقل فيها وإن حجراً حطيفة في الجساد ومجاز في اسم الرجل ، وذلك أن الحجر لم يقع اسماً للرجل لانتباس كان يته وبين الصخر على حسب ما كان بين اليد والتمعة ، ولا كما كان بين الظاهر الخامل وبين المحمول في نحو تسميتهم للزائدة ولوية وهي اسم للبحر الذي يحملها في الأصل وتسميتهم للبحر حقيقياً وهو اسم لخارج القيعر الذي يحمل عليه ، (٢) .

ان عنابة عبد القاهر يتبع ما ليس من المجاز ويرصد علاقاته وترسيخ مقوماته المميزة استهدفت تحقيق فرضين :

أولهما : إقامة مبحث المجاز في البلاغة العربية على أسس ذوقية وعقلية وفنية تتجاوز به النظرة البغزوية والتبعثر في تناول واختلاط المفاهيم إلى مرحلة للدراسة العامة المنتظمة المحددة .

- (١) الأقط بفتح الحيمزة : الجنين المخطئ من اللبن الخالص ، والحبارى : طائر يطير به الليل في البهلاء ، والكروان : طائر طويل الأرجلين له صوت حسن .
- (٢) أموار البلاغة ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

ولانتهما: الاخذ على أيدي متأولي النصوص الدينية الذين اعتصموا بدعة المجاز في تحميل أي الذكر الحكيم والاحاديث النبوية مالا تتحمل من مدلولات مذهبية وترسيخ القواعد التي يمكن التماس المجاز وفنها في حديثك النصوص . وفي يقيننا أن بحث المجاز بخاصة تلك على أيدي عبد القاهر في القرن الخامس للهجرة سبب في ثرائها متجذراً في كل عصر نستطيع أن نتحكم اليه في منع من يتجاوز بالفاظ لغتنا الى مدلولات اعتباطاً وبلا اساس وتقليداً لمدارس الادب الاوربي التي تستمد مقوماتها الفكرية والفنية من ثقافة غير ثقافتنا ويصلح المتعمق اليها عن رسالة غير رسالتنا كالرمزية والسرالية واللامعقول .

وبدا مصطلح المجاز يأخذ صورة جليلة على يد البلاغيين المتأخرين ، . كان السكاكي إمام هؤلاء ورائدهم في هذا الاتجاه ، وقد حدد المجاز قائلاً : «هي الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع » ، وقولي «بالتحقيق» احتراز أن لا تخرج الاستعارة التي هي من باب المجاز نظراً الى دعوى استعمالها فيما هي موضوعة له ، وقولي «استعمالاً في الغير بالنسبة الى نوع حقيقتها» احتراز عما اذا اتفق كونها مستعملة فيما تكون موضوعة له بالنسبة الى نوع حقيقتها، كما اذا استعمل صاحب اللغة اللفظ المناط بهجراً فيما يفضل عن الانسان من متعضم مدلولاته ، أو كما اذا استعار صاحب الحقيقة الشرعية الصلاة للدعاء أو صاحب العرف الدابة للحمير ، والمراد بنوع حقيقتها اللغوية إن كانت اياها أو الشرعية أو العرفية أية كانت ، وقولي «مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع » احتراز عن الكتابة ، (١) :

لنلقي في هذا النص بحث عبد القاهر للمجاز ملتبساً ، فنستخرج أن للمجاز أربعة أركان أولها : المعنى الحقيقي للكلمة ، وثانيها : مدلولها المجازي ، وثالثها : العلاقة بين المدلول المجازي والمعنى الحقيقي ، ورابعها : القرينة التي تدل على أن الكلمة هجاز في استعمالها وأنه لا يراد بها معناها الحقيقي »

(١) مصطلح العلوم ص ١٧٠ .

وفي ضوء أركان المجاز هذه وما جرى فيه ، أهر كلمة أو جملة نسميه التأخرون
 أقساماً لخصها السكاكي قائلا : «اعلم أن المجاز عند السلف من علماء هذا الفن
 قسمان .

لغوي ، ويسمى مجزاً في الفرد ، وعقلي ويسمى مجزاً في الجملة ، والغوي
 قسمان : قسم يرجع ال معنى الكلمة ، وقسم يرجع ال حكم لها في الكلام ،
 وارجع ال معنى الكلمة قسمان . حال عن القائمة ومنظمن لها ، وللتنظمن
 لقائمة قسمان : حال عن المبالغة في التشبيه ومنظمن لها ، وأنه يسمى الاستعارة (١) ،
 ويعني أن لكل قسم حدّه وتفرعاته ، ونحن نتحدث فيما تبقى من
 هذا الفصل عن قسمين من أقسام المجاز هما : المجاز المرسل والمجاز الغوي .



(١) يحتاج العلوم ص ١٧٢ .



المبحث الثاني

المجاز المرسل

لقد ثبت في تاريخ البلاغة العربية (١) أن السكاسي هو أول من أطلق مصطلح المرسل على هذا النوع من المجاز موازاة بينه وبين الاستعارة التي تخرج معه في شرب المجاز اللغوي أو المجاز المفرد ، إذ قال : «وغير معناها - أي معنى الكلمة - أما أن يندرج قائما مقام معناها بوساطة المبالغة في التشبيه أولا يندرج ، والاول هو الاستعارة والثاني المجاز المرسل » (٢) .

تعريفه :

وفي ضوء هذه الموازنة عرف القزويني المجاز المرسل مستقداً من جملة الآراء التي أدارها عبد القاهر في حقه للمجاز فقال : «ومما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وصح له ملازمة غير التشبيه ، كالبديهة إذا استعملت في النعمة ، لأن من شأنها أن تصدر عن الجارحة ، ومنها تصل إلى المقصود بها ، ويشترط أن يكون في الكلام إشارة إلى الولي لها ، فلا يقال : التمت اليد في البلد ، أو التمت يداً ، كما يقال : التمت النعمة في البلد ، أو : التمت نعمة ، وإنما يقال . جلت يده عندي وكثرت إياديه لذيء (٣) .

ومصطلح الأرسالي في اللغة يعني الإطلاق وعدم التقييد ، ولما كان هذا المصطلح قد جاء التمييز بين الاستعارة وبين هذا النوع من المجاز فإن البلاغيين قد اتفقوا على هذه التسمية على أساس طبيعة العلاقة بين المعنى الحقيقي واللفظ المجازي في الكلمة : وهذه العلاقة تتجه اتجاهين :

(١) ينظر كتاب فنون بلاغة ص ١١٠ .

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٥ .

(٣) الأيضاح ص ٢٧٠ .



أولهما : أن المجاز الاستعاري مقيّد بادعاء أن المشبه من جنس المشبه به ،
والمرسل مطلق من هذا القيد .

والثانيهما : أنه سمي مرسلاً لأزماله عن التقييد بعلاقة مخصوصة بل ودون
علاقات بخلاف المجاز الاستعاري فإنه بعلاقة واحدة وهي المشابهة (١) .
علاقته :

علاقات المجاز المرسل غير محددة ولا مقيّدة بعدد معين من التلازمات وإنما
تتبع وتتلون في معجم اللغة العربية الذي له القدرة على استيعاب المدلولات المتجددة
في عضم الحياة لتبقى لفته أبداً الدهر لغة الحضارة والثقافة والعلم .
وبدعيّ أن قد لا يعني أن الكلمة العربية مهسلة في هذا المجال ترك حيلها
على غاربا بلا ضابط ، ذلك لأن التلازمة بين معاني الكلم الحقيقية ومدلولاتها
الجزائية وكن لا يمكن إضغاله بل لابد أن يوطد دائماً وفق العرف اللغوي والقول
السليم والحس العربي المرفه .

لقد اتبه المغويون والبلاغيون منذ أول العهد بالتأليف إلى توسع العرب في
استعمال الكلمات بأكثر من معنى ، فرصدوا "طائفة من العلاقات التي سوت
ذلك التوسع ولبتوها ، وتبطل خطاهم المتأخرون فانتهوا إلى وضع اليد على طائفة
من هذه العلاقات التي نظمها الشيخ أحمد السجاعي المتوفي (١١٧٩هـ) في منظومة
استخلص منها أنها بلغت على أهاه (٢) عشر علاقات عدداً وحسراً : ووضح
أن هذا العدد أقل بكثير مما بسطه جلال الدين السيوطي (٣) (- ٩١١هـ) :

(١) راجع حاشية السوني في شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٢٩ في قانون بلائية ص ١١٠

(٢) انظر إلى منظومة الاموار في بيان علاقات المجاز ، ورقة ١٨ مخطوطة في مكتبة جامعة
الازهر .

(٣) راجع الاتفاقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٦ - ٤٠ .

وأشهر هذه العلاقات وأسرها في النصوص القرآنية والأدبية ، ما يأتي :

الأول : الجزئية وهي أن يذكر جزء الشيء ويراد كله ، كقوله تعالى : « ولتحريروا رقبة مؤمنة » (١) فقد ذكر الرقبة في الآية والمقصود بها العبد ، وكقول الشاعر :

وكم حلّته نعلتم القوائم فلما قال قافية هجانسي

فذكر الشاعر القافية ومقصده القصيدة كلها التي تأتي القافية جزءاً من نظمها .

الثانية : الكلية وهي على عكس الجزئية يذكر الكل ويراد به مطلق جزئه كقوله تعالى : « ويجعلون أصابعهم في آذانهم » (٢) .

فالمقصود بالأصابع في الآية للكرامة هو الأنامل التي هي رءوس الأصابع فقط .

الثالثة : السببية وهي أن يطلق السبب ويراد به نتيجة ومسببه ، كقوله تعالى :

« ما كانوا يستطيعون السمع » (٣) : فالمراد القبول والعمل بالقرآن الكريم إذ أن هذا العمل والقبول نتيجة لسمع القرآن ومسببه عن وعيه .

وكقول الرضائي^٤ :

لَقَبَهَا لَيْتِي مَا كُنْتُ أَقْنَاهَا لَيْتِي وَلَدَ أَثْقَلُ الْفَلَاقُ مَشَاهَا

فالشاعر هنا ذكر الفلاق وأراد للرضي الذي هو نتيجة للفلاق ومسبب عن الفقر .

الرابعة : المسببة التي هي بخلاف السببية إذ يذكر السبب والنتيجة والمراد سببه الذي كان حلة في ذلك كقوله تعالى : « ويمتزل لكم من السماء زرقة » (٥)

فالذكر هنا السبب والمقصود هو المطر الذي يسبب الزرق من زرع وما يحتاج على هذا الزرع من أنعام .

الخامسة : اعتبار ما كان في الماضي وما سبق من الزمان ، كقوله تعالى :

« وآتوا ليثامى أموالهم » (٥) أي الذين كانوا يثامى فيما مضى ، أما حين يحق لهم أخذ ميراثهم لأنهم يكونون قد تجاوزوا السن التي يحسون فيها يثامى ،

(١) النساء ٩٢ .

(٢) البقرة ١٩ .

(٣) مود ٢٠ .

(٤) خاتر ١٣ .

(٥) النساء ٣ .

السادسة : اعتبار ما سيكون في المستقبل ، كقوله تعالى : « إني أراي أعصر عَصْرًا » (١) ، فالعصر لا يُعَصَّرُ وإنما يعصر العنب الذي مسؤول إلى الطمر في المستقبل .

السابعة : الكتابة والحلية وهو ان يذكر مكان الشيء ويحل المكان فيه والمراد من هذا المكان وذلك الشيء كقوله تعالى : « فَنُفِثَ فِيهِ » (٢) والمقصود من النادي في هذه الآية الكريمة ، القوم الذين يلعبون في النادي لان النادي مكان جلوسهم ويحل مشاورتهم .

الثامنة : الحاليتة ، وهو ان يذكر ما يحل في المكان ويستقر بمحل والمراد به الحل والمكان كقوله تعالى : « ولما الذين ابيضت وجوههم في رحمة الله هم فيها خالدون » (٣) ، والمذكور هنا كلمة الرحمة ، والمقصود الجنة التي هي مكان الرحمة ومحلها يوم الآخر .

التاسعة : تسمية الشيء باسم آتية ، كقوله تعالى : « واجعل في لسان صدقي في الآخرين » (٤) أي ذكرنا حسنا ، واللسان أداة الذكر .

العاشرة : تسمية الشيء باسم ضده ، كقوله تعالى : « فَيَشْرَهُمْ » بعباد آله (٥) والبشارة حقيقة في الخير السار واطلق على ضده مجازاً :

الحادية عشرة : اللزومية : وهي اطلاق اسم اللزوم على اللازم ، كقوله تعالى : « أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهم يشككم بما كانوا به يمشركون » (٦) ، أي أنزلنا برهاناً يستدلون به وهو يدلتهم : سمي الدلالة كلاماً ، لأنها من لوازم الكلام :

(١) يوسف ٣٦ .

(٢) الفرق ١٧ .

(٣) آل عمران ١٠٤ .

(٤) الشعراء ٨٤ .

(٥) آل عمران ٢١ .

(٦) الروم ٣٥ .

الثالثة عشرة : الخصوص : وهي اطلاق اسم الخاص ، والمراد به العام كقوله تعالى : « هم العدو فاحذرهم » (١) أي : الأعداء .

الثالثة عشرة : العموم : وهي اطلاق اسم العام ، والمراد الخاص ، كقوله تعالى : « الذين قال لهم الناس : (٢) ، قلقصود بالناس في هذه الآية الكريمة - كما تذكر كتب أسباب النزول - شخص واحد هو نعيم بن مسعود الأشجعي . تبين لنا هذه العلاقات وسواها مما تتبعها القدامى والمعاصرون (٣) ، أن المجاز المرسل فن متسع رحب ينسبط بين يدي الأدب البليغ ليعبر عما يستجد في حياته من مناولات وليجسد مشاعره وأفكاره بلا عائق من قيد لغوي غير النوق السليم والأسلوب العربي الأصيل الذي ترسم شواعده الفنية أسس التعبير وسبيل التفتن »

(١) الشافقون ، ٤ .

(٢) آل عمران ٧٣ .

(٣) راجع كتاب فنون بلاغية ص ١١١ - ١١٥ حيث طرأ ذكر أحمد مطلوب إحدى وعشرين علاقة هذا الطفرحات الثمانية العلاقة الحادية والعشرين علاقة إتقان صيغة مقام أخرى .

البحث الثالث

المجاز العقلي

يتعلق المجاز العقلي في صورته العامة بالتركيب والجملة ، ويخرج عن دائرة الكلمة . ويحدثنا تاريخ (١) البلاغة العربية : ان القدامى من الثوريين والمشتغلين في دراسة فن القول قد اتجهوا الى هذا الضرب من المجاز وأوردوا بعض شواهد من آي الذكر الحكيم والشعر العربي وان لم يسموه بهذا الاصطلاح ولم يحرروا حده أو يحلوا أركانه ، وان عبد القاهر هو الرائد في هذا الميدان ، اذ أنه قد تناولته بالتفصيل ودرسم حدوده وافاض في شرح المقصود منه .

بين المجاز العقلي والقوي :

تبدا الصورة التفصيلية للمجاز العقلي لدى عبد القاهر بتفريقه بين المجاز القوي قائلاً : «واعلم ان المجاز على ضربين ، مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمقول ، فاذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة كقولنا : «اليد مجاز في اللغة ، «والاسد مجاز في الانسان وكل ما ليس بالصع المعروف كان حكماً سريته على ما جرى عليه من طريق اللغة لأننا اردنا أن الحكم قد جاز باللغة أصلها الذي وقعت له ابتداء في اللغة وأوقعها على غير ذلك اما تشبيها ، واما لصفة وملازمة بين ما نقلها اليه وما نقلها عنه .

ومضى وصفنا بالمجاز الجملة من الكلام كان مجازاً من طريق القول دون اللغة وذلك ان الأوصاف اللاحقة للجميل من حيث هي جمل لا يصبح ردها الى صفة ولا وجه لتبنيها الى واضعها ، لان التأليف هو استناد فعل الى اسم ، أو اسم الى اسم وذلك شيء يحصل بنفسه التكلم فلا يصير الضرب خبراً عن (١) راجع : لقون بلاغية ٩٥ .

زيد بواضع اللغة بل بمن قصد اثبات القرب فعلاً له (١) . وفي ضوء هذا النص وما تحدثنا عنه فيما مضى من حدّ المجاز واقسامه يظهر أنّ المجاز اللغوي الذي يجري في الكلمة ينقسم على أساس طبيعة العلاقة بين معنى الكلمة الحقيقي ومدلولها المجازي إلى مجاز بالاستعارة إذا كانت تلك العلاقة مشابهة وإلى مجاز مرسل إذا كانت العلاقة ملازمة وصلة من الصلات التي حددتها طائفة منها في البحث السابق :

أركان الجملة :

أما للمجاز العقلي فهو يستمد مقوماته من الجملة ، ومن هنا حلل عبد القاهر بناء الجملة ، وقسمهم من تحليله أن مدار القائده من الجملة يكون على الأليات ، والتي :

إن الخبر أول معاني الكلام وأصلها ، والذي تستند سائر المعاني إليه وترتب عليه وهو ينقسم إلى هذين الحكمين . وإذا ثبت ذلك فإن الأليات يقضي مثبتاً ومثبتاً له ، نحو أنك إذا قلت : «ضرب زيد» أو «زيد ضارب» ، فقد أثبت الضرب فعلاً أو وصفاً ، وكذلك المنفي يقضي مضافاً ومضافاً عنه فإذا قلت : «ما ضرب زيد» و«ما زيد ضارب» فقد أثبت الضرب عن زيد وأخرجته عن أن يكون فعلاً له : فلما كان الأمر كذلك احتج إلى شيئين يتعلق الأليات والتي بهما فيكون أحدهما مثبتاً والآخر مثبتاً له ، وكذلك يكون أحدهما مضافاً والآخر مضافاً عنه ، فكان ذلك الشيطان البتداً والخبر والفعل والتفاعل ، وقبل للثبت والمضفي «مسند» و«حديث» وللثبت له والمنفي عنه «مسند إليه» و«محدث عنه» (٢) وإذا فالجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية مثبتة أم منفية تتألف من ثلاثة أركان متحدة في العقل :

أولها : الأليات في الجملة للثبة وهو الترابط بين اللبث والثبت له ، والتي في الجملة للنفيه ، وهو التي الترابط وسلبه عن اللبث والثبت له ،

والثانية : اللبث في الجملة للثبة والمنفي في الجملة للنفيه .

(١) أسرار البلاغة ص ٢٢٦ .

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٢٨ .

وفي هذه المساحة التي تقوم عليها أركان الجملة اثباتاً وتقياً الشمس عبد القاهر
والبلاغيون الذين قبلوه موضوع المجاز العقلي الذي تناورته في تحليلات عبد القاهر.
أربعة اصطلاحات هي المجاز العقلي ، والمجاز الحكمي ، والمجاز في الاثبات ،
والاستاد المجازي .

وعلى ابن يعقوب المغربي تسميات هذه الاصطلاحات فقال: «ومن الاستاد مطلقاً
مجاز عقلي ، لان حصوله بالتصرف العقلي ، ويسمى مجازاً حكماً لوقوعه في
الحكم بالسند اليه ، ويسمى ايضاً مجازاً في الاثبات لحصوله في اثبات أحد
الطرفين للآخر والسلب حقيقته ومجزؤه تابع لما يحقق في الاثبات . ويسمى
ايضاً اسماً مجازياً نسبة إلى المجاز بمعنى الصلح ، لان الاستاد جاوز به للتكلم
حقيقته وأصله إلى غير ذلك (١)».

وأياً كان فإن اعتماد اصطلاح المجاز العقلي دون سواء من تلك الاصطلاحات
يجسد الفرق الرئيس الذي نوعاً به بين هذا الضرب من المجاز والمجاز اللغوي.
حد المجاز العقلي :

ويجلى حد المجاز العقلي الذي نعرضنا له في مطلع هذا البحث اذا ما وقفنا
مع عبد القاهر وهو يحلل شواهد التي منها قوله تعالى : «فما ربحتم تجارتهم» (٢)،
فالمجاز في هذه الآية الكريمة ليس في «ربحت» ولكن في استدعائها إلى التجارة:
ومنها قول القرطبي :

«فما عروق في السامع لم تكن» عيلاً ولا مطبوعة في اللامع (٣)
ف قوله : «فما عروق ليس التجوز في كلمة «سماها» ولكن في ان استدعائها
إلى العروق .

-
- (١) مواهب اللامع - خروج التلخيص - ج ١ ص ٢٣٦ ، وتكون بلاغية ص ٩٦ .
(٢) البقرة ١٦ .
(٣) حلف الناقة : ومنها بالطلاء وهي صفحة القتل أو حبل يحمل في متن البحر .
العلم : القم والائف وما عروقها . والجسم : ملائم .

أفلا ترى أنك لا ترى شيئاً منها إلا وقد أريد به معناه الذي وضع له على وجهه
وحقيقته فلم يرد به «ربحت» غير الفرج ولا «هدفت» غير السقي كما أريد في قوله:
«وسالت بأعناق المني الأباطح» (١) غير السيل.

وكما المجاز العقلي :

والمجاز العقلي - شأنه شأن سائر الخرب المجاز - ينبغي أن يتوفر فيه ركنان
أساسيان هما : القرينة الدالة على أن في الجملة مجازاً والعلاقة التي تسرع ذلك
المجاز في العقل والذوق .

أما القرينة فقد تكون لفظة كقول أبي النجم :

نقد أصبحت أمّ الخيار قد عني عليّ ذنباً كله لم أصبغ
من أن رأيت رأسي كمراس الأضلع مبرز عنه قترعاً عن قترع (٢)
جذب القبلي : أبطلني أو أخرني

فهذا مجاز بدليل قوله بعده :

أفناه قبل الله الشمس اطلعي حتى إذا وافاك أفتق قارجمي
فهو قد استند تمييز شعر رأسه واستقله إلى جذب القبلي على سبيل المثال بقرينة
قوله :

أفناه قبل الله الشمس اطلعي حتى إذا وافاك أفتق قارجمي
وقد تكون غير اللفظة تتجلى في استحالة صدور السند من السند إليه كقوله:
«أني نبي الشرق» إلى «فانك» و«ساربي الحنين» إلى «رؤيتك» و«بني الأمير»
للديرة» (٣) .

ففي هذه الجملة لا تصدق حقلاً أن «الشرق» فاعل الفعل «أني» ، وأن «الحنين»
هو الذي أجرى الفعل «سار» ، وأن «الأمير» هو الذي قام وحدة ببناء للديرة.

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٧ .

(٢) القترع : شعر حوالى الراس .

(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

علاقات الجازر العقلي :

لأما العلاقة في الجازر العقلي فمتنوعة أشهرها (١) :

الأول : المفعولية : فيما بُني للفاعل واستند إلى المفعول به الحقيقي نحو قوله تعالى : « عيشة راضية » (٢) فالراضية مبنية للفاعل وحقيقته مرفوعة : وكقوله تعالى : « ماء دافق » (٣) أي مدفوق .

الثانية : الفاعلية : وهي على خلاف الأول ، إذا بُني للمفعول وأستند للفاعل الحقيقي مثل « سَيْلٌ مَفْعَمٌ » لأن السيل هو الذي يعم ويملأ .

الثالثة : المصدرية : فيما بُني للفاعل واستند إلى المصدر مجازاً كقول أبي فراس الحمداني :

سيد كبرني قومي اذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء بُشَّتْكَدُ البَدْرُ
فقد استند « جدّ » إلى المصدر « الجدة » وهو ليس بفاعل له ، بل فاعله الجادّ .
الرابعة : الزمانية : فيما بُني إلى الزمان مثل « نهارٌ صائمٌ » وليثه قائمٌ » ، إذ
إن النهار لا يصوم والليل لا يقوم وإنما يُصام في النهار ويُقام في الليل والفاعل
الحقيقي هو الصائم والقائم : وكقول الشاعر :

لقد لنا بأُمّ غيلانٍ هي السرى ونبت وما ليل الطلي بنائس
ليل الطلي لا ينام والما ينّام فيه :

الخامسة : المكاتبة : فيما بُني للفاعل واستند للمكان ، كقوله تعالى : « وجعلنا
الأنهار تجري من تحّتهم » (٤) لأنه مكان جري الماء والما يجري مائه وهو الماء ،

(١) راجع الأيلصح ص ٢٢ ، وفنون بلاغية ص ١٠٥ .

(٢) القارعة ٧

(٣) الطارق ٦

(٤) الانعام ٦

السابعة : السبية : فيما بين الفاعل والسند للجب كقول الشاعر :
 إني لمن معشر أنني أولئكهم قيل الكساء : ألا أين الحمامونا
 والقبل لم يفتقر ، وإنما الذي أنني هو الشجعان ، وذكر القبل لأنه السبب في
 دفع الكساء إلى المقاتلة والفرار بلا تردد .

أنسام المجاز العقلي :

صنف المجاز العقلي باعتبار طريقه - السند والسند إليه - أربعة أقسام (١) :
 أولاً : المجاز العقلي الذي طرفاه حقيقيان ، كقول الشاعر :
 وشيبت أيام الفرائر مفارقي وأنشزن نفسي فوق حيث تكون
 الثاني : ما طرفاه مجازيان ، كقولنا : « أحيا الأرحى » شباب الزمان .
 الثالث : ما السند فيه مجاز والسند إليه حقيقة ، كقول الرجل لصاحبه : « أحييتني
 رؤيتك » أي : آمنتني وسررتني ، فقد جعل الحاصل بالرؤية من الأتس والسرة
 حياة ، ثم جعل الرؤية طاعة له ، ومثله قول أبي الطيب :
 ونحسبي له السال الصورم والفسا ويقتل ما تحيي التيسم والجدا (٢)
 جعل الزيادة والوفرة حياة المال ، وتفرقة في المعطاء قتلا له ، ثم أثبت الأحياء
 فعلا للصورم ، والقتل فعلا للتيسم ، مع أن الفعل لا يصح منهما .
 الرابع : ما يكون فيه السند حقيقة والسند إليه مجازاً كقولهم : « أثبت البقل »
 شباب الزمان ، فاسند إثبات البقل وهو حقيقة إلى شباب الزمان الذي هو مجاز ،

(١) الألفاظ ص ٢٢٠ .

(٢) الصورم : السيوف ، والفسا : جمع فاة ، وهي الفرج ، والجدا : الطار .

الفصل الرابع المجاز بالاستعارة المبحث الأول تعريفها وأركانها

تعريفها :

إن كلمة الاستعارة لغة مأخوذة من تولم : و استعار المال : طلبه عارية ،
أما اصطلاحاً فإن تعريفها قد تقلب (١) على أيدي اللغويين والصنفيين للكتب
العلمية وعلماة البلاغة بين السعة لتشمل المجاز المرسل وبين التقصير والفساد وعدم
الدقة .

ولعل الجاحظ أول من عرف الاستعارة في ميدان الدراسات العامة بقوله :
« الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه » (٢) .

يستمد هذا التعريف مقوماته من المعنى اللغوي لكلمة الاستعارة ولا يوضح
أركانها وخصائصها توضيحاً دقيقاً :

وتناول ابن المعتز الاستعارة لأول مرة في كتاب بلاغي متخصص جعلها
الباب الأول (٣) من أبواب البديع ، وأورد لها شواهد من آي الذكر الحكيم
وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة والعرب :

والاستعارة عنده هي : « استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء عرف بها »
وهذا التعريف على غموضه واتساعه يجمع في التصريح التي ساقها ابن المعتز

(١) غنون بلاغية ص ١٢٢ .

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٢ .

(٣) البديع ص ٣ .

شئى التعبير التى مالت عن معانيها الحقيقية إلى مدلولات جديدة ، ففُتحت
عليها المجاز ببعض الرواى التى وضع البلاغيون بعده . ألد عليها .

ويظهر هذا من أنه أورد قول الطائي مخاطب منزلاً :

بامتزلاً أعطى الجواهر حُكْمَهَا لا مَسْطَلَّ في عِدَةٍ ولا تَسْوِيفاً
أرسي بناديك السدى وثَقَّتْ نَسْماً بحقوقك الرياحُ ضَمِيناً
ولكن ثوى بك مُلْتَقِياً بجيرانه ضيف الخطوب لقد أصاب مضيقاً
ثم علق عليها قالاً : والمعنى انه أصاب موضعاً يضيف اليه فيه أي يحل اليه
لاناعه قد فارقه ومضيف محال لان البلد لا يضيف ولأن الزمان لا يحتاج
وانما المعنى ان الزمان مال عليك فأصاب موضع محل ومزول (١) .

فهو في هذا النص يتحدث عن كلمة مضيق التى استعمالها الشاعر فيما لم يعرف
به من مدلول وهي مجاز مرسل علاقته للمكانية في حين انه اوردها في باب الاستعارة
مبتدأً قريتها التى من اجلها انصرف الذهن إلى انها لم تستعمل في المعنى الذى عرفت

١٤

إن ابن المعتز لم يعرف الاستعارة تعريفاً دقيقاً يميزها عن المجاز بشئ
انواعه ، وانما كان ذلك منه لطبيعة منهجه الادبي التاريخي الذى سعى في ضوئه
إلى التمهيد على أن تكون البديع لم يبتدعها الشعراء المحدثون من امثال بشار (٢)
ومسلم واري نواس ومن تقيتهم وسلك سبيلهم بل جرث به اقلين اللغة العربية
منذ سالفات جهودها .

وتصحى لينة تعريف ابن المعتز للاستعارة على اساس منهجه ذلك في أنه تَبَّ
على طائفة من التصوص أدار فيها اصحابها كلمات فيما لم تعرف بمن قبل ، فبين
انهم قد خرجوا على القنوق والسليقة العربية الاصيلة في صياغة الكلام فقال : وبعدها

(١) البديع ص ٢٢ .

(٢) البديع ص ١ .

وامثاله من الاستعارة صائب من الشعر والكلام وانما تخير بالتقليل ليعرف فيجب عليه
 قال المهلب لرجل من الأزد متى أنت ؟ قال : أكلت من حياة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم . فقال أعطمك الله لحملك . وقال عبيد الله بن زياد يوما ، وكانت
 فيه لكثة : اقتحوا سيفي ، يريد ملأوه ، (١) .

فذلك الأزد في قوله : فأكلت من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بتعبيره هذا وخالف الحسن اللغوي السليم فيما أثر عنه من التعبير عن المقاصرة
 والمصاحبة . وكذلك عبيد الله بن زياد لم يقل من العرية في التعبير عن المداورة
 بالسيف فبهر عن جردها فقال بما عرف عن غيرها من الأشياء التي تغلق ويوسع
 عليها القطاء .

فإن ابن المعتز قد وضع لاستعمال الكلمة فيما لم يعرف بها من مدلول قبولا
 من العرف اللغوي والذوق السليم والاصالة العربية ، فرسم بذلك للاستعارة مدارها
 تعريفيا واستعمالا وأتى عبد القاهر في ميدان الدراسات البلاغية بعرف الاستعارة
 تعريفيا مبتدئا به عن المجاز المرسل فقال : «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء
 وظاهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعبيره بالمشبه وتجرده عليه» (٢) .

فهو هنا يقيم الاستعارة على أساس التشبيه ويضع الحد الفاصل بينها وبين
 المجاز المرسل الذي علاقته بالمعنى الحقيقي هي غير التشابه فتصبح معه من المجاز
 اللغوي .

إن تعريف عبد القاهر الجرجاني هذا ليس جامعا شاملا ، وآية ذلك أنه حصر
 الاستعارة في المشبه به الذي حذف من تشبيهه وكن المشبه ، فحصر بذلك الاستعارة
 على أحد ضربيهما الذي هو الاستعارة التصريحية وأبعد عن التعريف الاستعارة
 المكنية التي هي تشبيه حذف منه المشبه ، وتصور هذا التعريف وبما يعود الى ان صاحبه

(١) البديع ص ٢٢ .

(٢) دلائل الأسماء ص ٥٢ .

كان يتردد فيها، فجعلها مجازاً اعتياداً مرة ومجازاً ألفياً أخرى. وجعله إياها من المجاز العقلي
أو بما هي أقرب إليه يستند إلى أنه نظر إلى تعريف ابن العزّ للاستعارة قرأها ليست
والفعل اسم عن شيء إلى شيء. ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء (١) :

وأما كان شأن هذا التعريف فإن ربطه بين الاستعارة والتشبيه قد رسم له دائرة
ضيقة وضع للكافي ومن قبله (٢) من البلاغيين في إطارها حداً راسخاً
للاستعارة لم يخرج عن مداه حتى إيماناً هذه فأصبحت تعرف بأنها : وهي أن
تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول التشبيه في جنس
التشبيه به دالاً على ذلك بالإنابة للتشبيه ما يخص التشبيه به (٣) .

فهذا التعريف يجري في دائرة تعريف عبد القاهر ذلك متصفاً ببعض الشيء
لبناتني تصوره ويضم إليه الاستعارة بضميها المذكورين .
أركانها :

إن للاستعارة في تعريفاتها المختلفة أربعة أركان :

أولها : المستعار منه ، وهو التشبيه به .

وثانيها : المستعار له ، وهو التشبيه .

وثالثها : السمار ، وهو اللفظ المتقول والمستعمل فيما لم يعرف به من معنى .

ورابعها : القرينة المنطوقية أو المعنوية التي تمنع أن يكون المقصود بالاستعارة

معانها الذي ورد به المستعار منه .

(١) دلائل الإعجاز ص ٢٢٣ .

(٢) الأيضاح ص ٢٨٠ .

(٣) مقدح العلوم ص ١٧٤ .

ففي قوله تعالى : « حتى تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون » (١) ،
 كلمة « حقيق » مستعارة ، والمستعار منه التي لا تحصى بولد ، والمستعار له هو
 إن ذلك اليوم لم يأتي بغتة حين جاء ، ولم يبق غيراً حين مر ، والقرينة معنوية
 ذلك لأن العظم من صفات المرأة .

وفي قول الرسول الكريم (ص) : « خير الناس رجل تمسك بعنان فرسه في
 سبيل الله كلما سمع هيفة طار إليها » : فلفظ طار مستعار ، والمستعار منه
 الطيران ، والمستعار له الأسراع بقرينة أن الرجل لا يطير .

وفي قول الاخوه الأودى :

مُلْكُنَا مِلْكُكَ لِنَفَاحٍ أَوْكٍ وَأَبْرُنَا مِنْ بَنِي أَوْكٍ خَيْبَارُ
 لفظ «النفاح» مستعار ، والمستعار منه لنفاح الابل ، والمستعار له هو الاستغناء بما عندهم
 من العز عن غيرهم ، والقرينة معنوية .

بين التشبيه والاستعارة :

ان الجمع بين التشبيه والاستعارة في الكتب البلاغية وجعلهما بمثابة الاصل
 والفرع نتج عنه خلط بينهما لدى بعض علماء البلاغة ، وقد حكي ابن الاثير هذا
 الخلط قائلاً : « على أن أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى كان أثبت القوم قديماً
 في فنّ الفصاحة والبلاغة ، و... وما أعلم كيف غشي عليه الفرق بين الاستعارة
 والتشبيه المفسر الاداة ؟ »

من ذلك قول امرئ القيس :

قللت له لما تمطى بسكبه وأردفت أعجازاً ونماءً بكلالير
 وهذا البيت من التشبيه المفسر الاداة ، لأن المستعار له مذكور - وهو الخيل (٢) ،

(١) صبح ٥٥ .

(٢) لئيل السراج ٢ ص ١١٠ .

وقد اتفق القيف من علماء البلاغة لازالة دواعي ذلك الخلط **والفرق** للفرقات العقلية والذوقية بين التشبيه والاستعارة ، من هؤلاء العلماء عبدالقاهر (١) والقاضي أبو الحسن الجرجاني (٢) والفخر الرازي (٣) :

وهذه الفارقات التي استقرت بصورة رتيبة على يدي عبدالقاهر تناولت الاستعارة التصريحية وتجنبت الاستعارة اللمنية لعلها ربما تعود إلى انه راعا لا يندم منها تشبيه مثل التصريحية وانما تقوم على التوهم والتخيل :

ونحن اذا تعدد الاستعارة اللمنية تشبيها حذفت منه الشبه به وانهم الشبه مقامه ، نستطيع أن نطبق عليها تلك الفارقات التي هي : -

أولاً : في الاستعارة يسقط ذكر الشبّه حتى لا يعلم من ظاهر الحال أنك أردته مثل : « عنت لنا ظبية » ، وللقصود امرأة . أما التشبيه فهو أن تذكر كل واحد من الشبّه والشبّه به ، على قول أبي نواس :

والحبّ ظهراً أبيت راكبه
فإذا صرقت عتاته انصرفا
فهذا البيت ليس فيه استعارة لأن معناه أن الحب مثل ظهر ، أو الحب كظهر فظهره كيف شئت اذا ملكت عتاته .

ثانياً : ان حقيقة الاستعارة في اللغة والعادة يوضع الفرق بين الشين وذلك ان من شرط الاستعار أن يحصل للمستعير متاعاً على الحد الذي يحصل للمالك ، أما في التشبيه فلا يقع ذلك الموضع ففي قولنا : « عنت ظبية » يعقل أن إطلاقه إنما قصدنا الجنس المعلوم من الحيوان ولكن استعارة المرأة ، ولا يقع مثل هذا في قولنا « زبد أسد » ؛
ثالثاً : ان اللمنة التي يخطف في الاسم اذا وقع فيها ليس استعارة أم لا يسى هي الحالة التي يكون الاسم فيها خبر مبتدأ لومئذ لا متركة كخبر « كان » أو

(١) راجع اسرار البلاغة ص ٣١٩ وما بعدها وص ٢٩٩ وما بعدها.

(٢) راجع القوساة ص ١١٠.

(٣) راجع نهاية الأيجار ص ٨٩.

المفعول الثاني لباب « علمته » أو الخال . والاسم في هذه المواضع يكون إيجاباً معناه في مثل : « زيد متعلق » فالاسم هنا إيجابيات الانطلاق لزيد ، أي حين لا يكون مثل ذلك في « زيد أسده » لأننا لا نستطيع أن نثبت الجنسية لزيد على حقيقته .

إن هذه المفارقات إذا ما ضمنا إليها مفارقة عدم جواز ذكر أداة التشبيه وطرفي التشبيه معاً في الاستعارة وذكر الأداة وجواز حذفها وجوب ذكر التشبيه والتشبيه به في التشبيه تشكل قواعد علمية منطقية للتمييز بين الاستعارة والتشبيه ، بيد أن أساس هذا التمييز كما نوه به ابن الأثير ينبغي أن يؤسس على قضية فوقية فنية ، ذلك إنك إذا أظهرت الأداة والمستعار له في الكلام ذهب حسه ، ألا ترى أننا إذا لوردنا هذا البيت الذي هو :

فأمطرت لسؤلواً من فرجس وتستتت وروداً وعصفت على العناب بالبرود
وهو بيت فيه استعارة وقلت : وأمطرت صمداً كالقزلو من حين كالترجس ،
وسقت خفاً كالورد وعصفت على أنامل مخفوية كالعناب بأستان كالبرود
صرفاً إلى كلام غث لاطلاوة عليه .

أقسام الاستعارة :

لقد قسم البلاغيون (١) المفارعون الاستعارة إلى أقسام كثيرة استعملها عبد القاهر بن شبعة على أساس الأداة إلى استعارة مفيدة واستعارة غير مفيدة (٢) ويريد بالمفيدة ما كان لفظها قائداً ، ويريد بغير المفيدة ما لا يكون لها فائدة في النقل ، وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق لريد به التوسع في الوضوح التامة والتفوق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني للشلول عليها كوضعهم للمضوء الواحد أساسية كثيرة بحسب اختلاف أجناس المبروان نحو وضع الشفة للإنسان والمظهر للجبر والحفلة للفرس .

(١) الخليل السمرج ٢ ص ٧٠ .

(٢) اسرار البلاغة ص ٢٩ .

وقسمت باعتبار ما يذكر من الطرفين الى استعارة تصريحية واستعارة ممكنة ،
وباعتبار تحقق الشعار له حسا وعقلا وعدم تحققه الى استعارة تحقيقية واستعارة تخيلية ،
وصفت باعتبار اللفظ الشعار الى استعارة اصلية ونهية تصريحية ونهية
ممكنة اذا كان الشعار اسما مشتقا ، أو اسما مبهما : وباعتبار ما يتصل بها من
العلامات وعدم اتصالها الى استعارة مطلقة ومرشحة ومجردة . وبوبت باعتبار
الجامع بين الشعار منه والشعار له الى خمسة اقسام هي :

الأول : استعارة حسي لحسي بوجه حسي .

الثاني : استعارة حسي لحسري بوجه عقلي .

الثالث : استعارة مفقول لمفقول والجامع أمر عقلي :

الرابع : استعارة محسوس لمفقول بوجه عقلي .

الخامس : استعارة مفقول لمحسوس لاشتراكهما في أمر عقلي :

وواضح من هذه التقسيمات أن منطلها يرجع الى الباحث التي عقدتها علماء
البلاغة لفن التشبيه متناولين مادة طرفيه أي حسية أم عقلية أم وهنية وإلى طبيعتهما
أي جامدة مشقة كما تعود إلى الألوان وجه التشبه الجامع بين الطرفين تحقفا وتخيلا
وتوهما .

ونحن في الباحث القادمة سوف نتطرق من بين هذه التقسيمات الى ما يتعلق
بالنتهج للقررمترشحين لإتمام المصوء على التقسيمات الرئيسة التي لم يرد لها ذكر في هذا المنهج ،

المبحث الثاني الاستعارة التصريحية

التصريح لغة واصطلاحاً :

التصريح لغة :

مصدر منه الفعل صرح بكذا (١) إذا أظهره : واصطلاحاً يأتي صفة لأحد ضربي الاستعارة وهو الاستعارة التصريحية التي حدتها البلاغيون بقولهم : هي ما صرح فيها بلفظ التشبيه به دون التشبيه .

وقد تسمى هذه الاستعارة مصرحة أو تحقيقية ، ولفظ المصراحة هو من مادة التصريح ويدل على ما يدل عليه من أن المستعار مذكور ومتعصم عليه : أما الحقيقة : فمن تحقق معنى المستعار حساً أو عقلاً أي : التي تتناول أمراً معلوماً يمكن أن ينص عليه ويشار إليه إشارة حسية أو عقلية ، فيقال : إن اللفظ نقل من معناه الأصلي ، فجعل اسماً له على سبيل الإعراف للمبالغة في التشبيه .

أما الحسي فنقولك « رأيت أسداً » وأنت تريد رجلاً شجاعاً ، وعليه قول زهير :
لدي أسدٌ شامي السلاح مُتَدَكِّفٍ له لبدٌ - أخفاره لم تُفَكِّمَ (٢)
وأما العقلي : فنقولك : « أهديت ثوراً » وأنت تريد « حجة » فإن الحجة ما يدرك بالعقل من غير وساطة حس ، إذ المفهوم من الالفاظ هو الذي يتوزع القلب ويكشف عن الحق ، لا الالفاظ أنفسها : وعليه قوله تعالى : « أعدنا الصراط للمستقيم » (٣) أي : للذين الحق (٤) :

(١) أساس البلاغة (صرح)

(٢) شامي السلاح : قوي ، ملوكي : شجاع . لبد : جعب لبد ، وهي الشعر المذكبات بين كفتي الأسد . أخفاره : لم تقلم : عزيز منيع قوي ، بطريق التكاثر .

(٣) الفاتحة ٦ .

(٤) الايضاح ص ٢٧٥ .

اسما الاستعارة التصريحية :

نسَمِّى المُتَأَخَّرُونَ الاستعارة التصريحية باعتبار طرفيها - المتعار والمستعار له -

أو التشبه والتشبه به إلى قسمين :

أولهما : الاستعارة التصريحية الوفاقية وهي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لعدم التناقض ، مثل : اجتماع الحياة والمداية في كلمة وأحياء التي جاءت في قوله تعالى : « أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَئِنًا فَأُحْيِيْنَاهُ ؟ » (١) فالمراد بأحييناه عديناه أي : أَرَمَنْ كَانَ ضَالًّا فَهَدَيْنَاهُ ؟ والمداية والحياة لاشك في جواز اجتماعهما في شيء (٢) ، وثانيهما : الاستعارة التصريحية العنادية وهي التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد لنتائجهما كاجتماع الموت والفضلال كما في الآية السابقة : « أَوْ مَنْ كَانَ مَبْتَئِنًا فَأُحْيِيْنَاهُ » أي ضالا فهديناه . فكلمة مَبْتَئِنًا استعارة تصريحية عنادية إذ شبه الضلال بالموت ، يجمع ترتيبه لفي الانكضاح في كل ، واستعير الموت للفضلال ، واشتق من الموت بمعنى الضلال ، « مَبْتَئِنًا » بمعنى « ضالا » ، وهي عنادية ، لأنه لا يمكن اجتماع الموت والفضلال في شيء واحد :

والاستعارة العنادية في ضوء السياق والقربة ربما تكون تملحجية ، أي المقصود منها التمليح والقرابة . وقد تكون نهكية - أي المقصود منها التهكم والاستهزاء - بأن يستعمل المفظ الموضوع لمعنى على ضده وتقييده : نحو قولك للعلم تملحا فربيت بدراء ونحو قوله تعالى : « يَتَشَرَّهْم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » (٣) أي : ألذهم فاستعيرت الإشارة التي هي الخبر السار ، للانداز الذي هو غيبه بادخال الانتقار في جنس الإشارة على سبيل التهكم والاستهزاء

(١) الانعام ١٢٢ .

(٢) راجع الايضاح ص ٢٨٩ .

(٣) آل عمران ٢١ .

البحث الثالث الاستعارة المكتبة

المكتبة لغة واصطلاحاً :

المكتبة لغةً : اسم مفعول من كَتَبَ بمعنى أخطى وستر ، واصطلاحاً هي بيئة
مميزة للضرب الثاني من الاستعارة الذي سمّاه القزويني الاستعارة بالكاتبه أيضاً
وحدةً قائلًا : « قد يضمّر التشبيه في النفس ، فلا يصرّح بشيء من أركانه سوى
لفظ التشبيه ، وبدل عليه (١) بأن بيت التشبيه أمر مختص بالتشبيه به ، من غير
أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً يجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى
تشبيه استعارة بالكاتبه ، لو مكّتها عنها ، وإثبات ذلك الأمر للتشبيه استعارة
تخييلية والعلم في ذلك قول لبيد :

وغداة ربيع قد كَشَفَتْ وفَرَكَه
إذا أصبحت بيد الشمال زمامها (٢)

فانه جعل الشمال بدأ ، ومعلوم أنه ليس هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً تجري
اليده عليه ، كما جاء الاسد على الرجل الشجاع ، ولكن لما شبه الشمال - لتصرفها
بقرة على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصروف لما زمامه يده ، أثبت
لما بدأ على سبيل التخيل ، مماثلة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته
بقرة - حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل للقرّة زماماً ، ليكون أتمّ في
إثباتها مصروفة ، كما جعل للشمال بدأ ، ليكون أبلغ في تعيينها مصروفة فوفى
المبالغة حقها من الطرفين (٣) :

(١) عليه : أي حل التشبيه المتصر في النفس .

(٢) كَشَفَتْ : غزمت وأزالت وتخلّصت عليها .

قرة آخر : يريد الشمال : الريح قادمة من جهة الشمال . وهي أبرد الرياح .
زمامها : قيادتها .

(٣) الاصطاح ص ٢٠٩ .

لازم الاستعارة المكنية :

لقد اعتمد المعاصرون حدّ القزويني ذلك للاستعارة المكنية وتحليله لشواهد ،
فاستخلصوا تعريفاً قوامه حذف طرف التشبه به من التشبيه مؤكدين أن الاستعارة
المكنية أو بالكناية : « هي التي اختفى فيها لفظ التشبه به واكتفى بذكر شيء
من لوازمه دليلاً عليه » (١) :

ومن هنا فإن استكمال صورة الاستعارة المكنية لدى القزويني ألزمه بتبني
لازم التشبه به الحلوّف وعلاقة هذا اللازم بعملية التشبيه فقال : « واعلم أن الأمر
الخاص بالتشبه به للثبوت للتشبه ، منه ما لا يكمل وجه التشبه في التشبه به بلونه ،
كما في قول أبي نؤيب الهذلي :

إذا المني أنشبت أنفاسها فكبت كل نسيمة لا تنفتح (٢)

فإنه شبه المني بالسبح ، في اغتيال النفوس بالقهر والظلمة ، من غير فرقة بين
نسيح وطيركو ، ولا رقة لرحوم ، ولا يقيا على ذي غصيلة ، فأثبت للمنية الانفتاح
التي لا يكمل ذلك في السبح بنونها ، تحقيقاً للمبالغة في التشبه .

ومنه ما به يكون قوام وجه التشبه في التشبه به ، كما في قول الأعمر :
ولئن نطق بشكر برك مستصيحاً فسان حالي بالشكابة أنطقس
فإنه شبه الحال الدالة على المقصود بالسان متكلم في الدلالة ، فأثبت لها اللسان
الذي به قوام الدلالة في الإنسان (٣) »

إن ما جعله القزويني استعارة تخيلية ينبغي أن يرافق الاستعارة المكنية ويأتي
معها ويبرز في سياقها ، ذلك لأنه يكمل وجه التشبه في التشبه به ويتعصب قواماً له
في كيانها ، وهو يرتبط من خلاله بالتشبه :

(١) غرور بلائية ص ١٢٢.

(٢) تشبيه الخمرة وشبهها يستصيح بها الأثبات ويصوفون بها من غير تعيين.

(٣) الإيضاح ص ٣١٠.

السكاكي والاستعارة التخيلية :

إن هذه النتيجة منطقية مادامت الاستعارة اللفظية هي أحد طرفي التشبيه الفصير
يبد أن السكاكي نظر إلى الاستعارة التخيلية نظرة أخرى وفسرها وبما استعمل في
صورة وعية محضة قدّرت مشابهة لصورة محفلة هي معناه كللفظ الاختصار في
قول الهذلي ، فإنه لم يشبه الشيء بالسبح في الاختصار على ما تقدم ، أخذ الزعم في
تصويرها بصورته ، واختراع مثل ما يلائم صورته ويتم به شكله لها ، من الهيات
والجوارح ، وكل الخصوص ما يكون لتمام الخيال للفرس به ، فاعتبر للتمية
صورة مشابهة لصورة الاظفار المحفلة ، فأطلق عليها اسمها (١) .
حقيقة الاستعارة التخيلية :

ودّ القزويني على تفسير السكاكي هذا بوجه عقلي ومنطقي أفتحت أعظم
الباحثين المعاصرين برأيه ، ولكننا نشتد إلى ما نعتقد عليه رأي جمهور البلاغيين
من أن الاستعارة اللفظية والاستعارة التصريحية كلتاهما تشبه مختصر ، ونستذكر
ما يتبادر من أن الاستعارة التخيلية ستعزى هؤلاء الجمهوري لازم التشبه به
المحذوف من التشبيه الذي هو أساس الاستعارة اللفظية فنقرر مطمئن أن الاستعارة
التخيلية ليس لها كيان مستقل وإنما قرينة الاستعارة اللفظية (٢) .

وعلية فلا داعي في رأينا من اقامة الاستعارة التخيلية ضرباً ثالثاً لضميمة إلى
طرفي الاستعارة : التصريحية واللفظية ونفرض وتصحيح الاقسام بلا أساس من
حقيقة الشواهد الأدبية والفنون التصويرية .

غرض الاستعارة اللفظية :

إن النصوص التي جرت بالاستعارة اللفظية قد اعتمدتها أدلة قنينة التحليل
أحد غرضين حسب طبيعة التشبه به المحذوف ولازمه التثبت للتمية :

(١) الإيضاح ص ٣١٤ .

(٢) راجع قول بلاطية ص ١٣٨ .

الأول هذين الغرضين هو تجسيد الأمور المعنوية وإبرازها للحس في كيان مادي ملموس من ذلك قوله تعالى في تجسيد ذل الولد لوالديه : « وَالْحَيْضُ لَهَا جَنَاحٌ لِذَلِكَ » من الرحمة وقُلْ رَبُّ ارْحَمَهُمَا كَمَا رَبيَانِي صَفِيًّا » (١) .

فالذكَ في هذه الآية الكريمة يتجسد في هيئة ماله جناح خفيض ويرز للبيان في أضحت صورة ارتضاء الله تعالى للولد تعبيراً لطاعة والبر .

ومنه قول الامام علي (عليه) في كتابه إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة في بعض كلامه : « أَرْغَبُ رَاغِبَتِهِمْ وَأَحْلَلُ عَقْدَ الْخُوفِ عَنْهُمْ » (٢) .

فالخوف في هذه الرسالة استعارة مكتبية ، اذ شبهت بما يتعقد من المواد ويلتص حول الاعناق ثم حذف هذا المشبه به ورمز اليه بكلمة العقد التي هي من لوازمه ولينت هذه العقد إلى الخوف فتجسد في هيئة قيد يقبل الاعناق والايدي ويمنع الناس عن الحركة ، واذن فلا بد أن تحل هذه العقد ليعود أولئك الناس إلى التجاوب والعمل .

والذي الغرضين : هو تشخيص الجمادات وبث الحياة فيها ومنحها الحركة بشئ مظاهرها ، من ذلك قول أشجع :

وَجَارِيَةٌ لَمْ تَسْرِقِ الشَّمْسُ نَظْرَةً إِلَيْهَا وَلَمْ يَتَعَبَّثْ بِأَيَّامِهَا الدُّهْرُ
فَالشَّمْسُ الَّتِي هِيَ مِنَ الْجَمَادَاتِ تَتَخَفُّ فِي حَرَكَاتٍ مِنْ لَهْ نَظَرٍ وَمَعَ ذَلِكَ
لَهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَرَى تِلْكَ الْجَارِيَةَ وَتَكْهَلَ عَيْنُهَا بِجَمَالِهَا .

(١) الاسراء ٢٤ .

(٢) البقيع ص ٤٠ .

الاستعارة المرحضة والمجردة

أولع البلاغيون المشاهرون (١) بتفصيلات الاستعارة وتفرع أنواعها ، فتعليلها في خارج لو كانت الأربعة التي هي المستعار منه والمستعار والاستعار له والقرينة ، ووفقوا بها مع الملامات التي تذكر المستعار منه أو المستعار له أو لكليهما أو يحمل ذكره قسموها في ضوء أحد هذه الاعتبارات إلى ثلاثة أصناف :

لونها الاستعارة المرحضة :

إن الترشيح لغةً يعني التفضيد والتضوية ، واصطلاحاً هو أن يقرن لفظ المستعار بلام المستعار منه أي الشبه به ، كقوله تعالى : «لَوَلَّكُ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْغَدَىٰ فَمَا رَبَّحَتْ تِجَارَتُهُمْ» (٢) : فكلمة «اشترُوا» استعارة بقرينة الضلالة إذ إن الضلالة ليست بما يباع ويشترى : والمستعار له هو الاستبدال والاختيار ، ثم وضحت هذه الاستعارة وقويت بالذكر ما يلائم المستعار منه من الربح والتجارة .

لأنها : الاستعارة المجردة :

المجردة لغةً اسم مفعول من الفعل جرد بمعنى عثر وثرع وسلب (٣) .

واصطلاحاً هو أن يقرن لفظ المستعار بوصف المستعار له أي تشبه وملائمة وذلك لجريده عن بعض المبالغة ، وسلبه ما يجعل التشبه به متحدداً مع التشبه كما هو أساس الاستعارة المرحضة والمطلقة ، من ذلك قول كثير :

عَثَرُ الرِّدَاءِ : إِذَا نَسِمَ صَاحِبُكَ فَكَلَفْتُ لِفَصْحِكَ رِقَابُ الْمَالِ (٤)

قوله استعار الرداء المعروف ، لأنه يصون عرض صاحبه كما يصون الرداء ما يلقى عليه ،

(١) راجع الإيضاح ص ٣٠٠ .

(٢) البقرة ١٦٠ .

(٣) انظر من المحيط (جرد) .

(٤) لعمركم ، أو راجع الرداء : العطاء التشبه بالرداء في صون العرض وستر القيوب ظلت : انتقل ملكها إلى أيدي السائلين ، كما ينتقل ملك العرض إلى المرتين إذا نقل ، أي عيز صاحبه من اقتكائه .

ووصفه بالشعر الذي هو وصف المعروف لا الرداء ، فنظر إلى المستعار له :
وعليه قوله تعالى : «أَذَانُهَا أَفْهٌ لِّبَاسٍ الْخَوْفِ وَالْخَوْفُ» (١) حيث قال :
«أَذَانُهَا» ولم يقل «كساعاء» فإن الرائد بالإذاعة أصابهم بما استعبره القياس ، كأنه
قال : «أَصَابَهَا أَفْهٌ بِلَبَاسٍ الْخَوْفِ وَالْخَوْفُ» (٢) :

الثالث : الاستعارة المطلقة :

والمطلقة لغة اسم مفعول من الفعل أطلق بمعنى أرسل ولم يقيد : واصطلاحاً صفة
للاستعارة التي لم تقترن بما يلائم المستعار منه أو بما يلائم المستعار له ، كقوله تعالى :
«وَقَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» (٣) فلفظ اشتعل مستعار
والمستعار له الشيب الذي يشبه بشواظ النار في يابسه وانلته وانشاره في الشعر
وغشوه فيه واحده من كل ماخذ بالاشتعال النار (٤) . وكلمة الشيب قريبة الاستعارة
«الاشتعل» واذ لم يذكر في الآية ما يلائم المستعار منه الذي هو الاشتعال وملائم
المستعار له الذي هو انتشار الشيء عسى ذلك التحق فإن هذه الاستعارة مطلقة :
واذا ذكر ملائم المستعار منه وملائم المستعار له معا ، فإن تلك الاستعارة تعدّ
مطلقة أيضا كقول زهير بن أبي سلمى :

لدي أسد شامي السلاح مقلد له ليد أخطاره لم تُفسّر
فكنا من بني استعار الشاعر لفظ الأسد للرجل الشجاع وقد ذكر ما يلائم المستعار له
في قوله «شامي السلاح مقلد» فجرده ثم ذكر ما يناسب المستعار منه في قوله
«له ليد أخطاره لم تقلم» فرسخه ، واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما
وتناقضهما فكان الاستعارة لم تقترن بشيء ، وتكون في صورة المطلقة وربيتها من
قوة المبالغة .

(١) التعليل ١١٢ .

(٢) - الإيضاح ص ٣٠١ .

(٣) مزمع ٤ .

(٤) الكشف ج ٣ ص ٤ .

البحث الخامس الاستعارة التمثيلية

يتخذ بحث الاستعارة التمثيلية مقومات موحدة بالولادة مع الاستعارة المفردة التي تقع في غير الصورة المركبة من متعدد والمتزعة من أمور في هيئة : وقد تعددت في كتب البلاغة المصطلحات الدالة عليه ، فذكر منها الزريني (١) « المجاز المركب » والتمثيل على سبيل الاستعارة والتمثيل مطلقاً ونص " على أنه متى نشأ استعماله كذلك سمي تمثلاً .

تعريفها :

حد الاستعارة عند القدماء والمعاصرين (٢) هو المقتضى المركب للتعامل فيما شبه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للبالغة في التشبيه ، أي تشبيه إحدى صورتين متزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى ، ثم تدخل للتشبيه في جنس التشبيه بها ، بالغة في التشبيه ، فلذلك بقطعها من غير تغيير بوجه من الوجوه : كقوله تعالى : « والارض جيباً قبضتك يوم القيامة (٣) » إذ المعنى - والله اعلم - أن مثل الارض في تصرفها تحت أمر الله تعالى وتقدرته مثل الشيء يكون في قبضة الآخذ له متى ، والجامع يده عليه ، (٤) .

ففي بيان معنى تلك الآية الكريمة شبهت صورة ثم خلقت صورة التشبيه وأداة التشبيه وضمت صورة التشبيه به على سبيل الاستعارة التمثيلية وكقول الرسول الكريم رواية عن أبي هريرة : « إنا أهدكم إذا تصلق بالتمر من الطيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - جعل الله ذلك في كفه ، فبرئها كما يرئ أهدكم غلوه ، حتى يبلغ بالتمر مثل أحد » (٥) .

(١) راجع الإيضاح ص ٢٠٤ .

(٢) الإيضاح ص ٢٠٤ ، فتون بلاغة ص ١٤٢ .

(٣) الزمر ٦٧ .

(٤) الإيضاح ص ٣٠٥ .

(٥) غلوه : مهر ، حل وزن « غلوه » أو « غلوه » أو « غلوه » .

والمنى في اللين على اتزان الشبه من الجموع : (١)

مضام الاستعارة التشيلية :

ان الاستعارة التشيلية كثيرة الجريان في الامثال لحرف : « الصيف ضيقت اللين » يضرب لمن قرط في تحصيل امر في زمن يمكنه الحصول عليه فيه ، ثم طلبه في زمن لا يمكنه الحصول عليه فيه .

وكما يقال لمن يعمل في غير مهله : « أراك تنضج في غير فحم » ، ونخط على الماء « والمنى : انك في فعلك كمن يفعل ذلك » ، وكما يقال لمن يعمل الحيلة حتى يميل صاحبه الى ما كان يمنع منه بما زال يقتل منه في الدروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد « والمنى أنه لم يزل يرفق بصاحبه وفقا بشبه حاله فيه حال من يهيئ الى البعير الصعب ، فيحككه ، ويقتل الشعر في ذروته وغاربه حتى يسكن ويستأنس (٢) : وفي قول الشاعر :

من يسلخ البنيان يوماً تمامه اذا كنت تبتيه وغيرك يتهدم
استعارة تشيلية ايضا اذ شبهت حال المصلح بجهل نفسه في الاصلاح ثم يأتي غيره فيعطل ثمار جهده بحال البنيان يتهدس به حتى اذا الوثك أن يتم جاء من يهدسه ، ووجه الشبه بين هاتين الحالتين هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول الى الغاية لوجود ما يفسد عمل المصلح جهوده الاصلاحية ثم حطفت الشبه واستعير التركيب الدال على الشبه به لشدته وذلك على سبيل الاستعارة التشيلية :

(١) الايضاح ص ٣٠٧ .

(٢) راجع الايضاح ص ٣٠٥ .

المبحث السادس بلاغة الاستعارة وسمّ جمالها

تحدث السلف من البلاغيين والباحثون. للعاصرون عن بلاغة الاستعارة وسمّ جمالها ، وحديث القوم في هذا الجانب النقدي البلاغي من جوانب موضوع الاستعارة ربما يأتي علما مطلقا مادام مذهبهم يستقبلون الاستعارة أداة فنية لتصوير ويلمسونها لغة مبنحة للتخيل .

مدار بلاغة الاستعاره وجمالها .

ويقتد هذا الاطلاق ويخصص ذلك العموم لدى بعض البلاغيين والنفاد القندامي في موضوعين :

اولهما : تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع بين المستعار منه والمستعار له الى قسمين هما : الاستعارة العامة والاستعارة الخاصة ، فالعامة المبتذلة لظهور السامع فيها ، كقولك : « رأيتُ أسداً » ، ووردتُ بحراً . والخاصة الغريبة التي لا يخطر بها إلا من ارتفع عن طيفه العامة كقول طليل الغوي :

وجعلت ككُورِي فوق ناجيةٍ يفتاتُ شحْمٌ سناميها الرحلى (١)
وموضع النطف والغرابية منه أنه استعار الاتقيات لانذهاب الرحل شحم السنام،
مع ان الشحم مما يفتات (٢)؛

وعمل اساس هذا التقسيم فان الاستعارة العامة التي يدنو فيها وجه تشبه من الطالب حتى يلمسه في أحاديثه اليومية وعباراته العابرة لا يمكن أن تكون بلغة مؤثرة وأن البلاغة وسمرار الجمال تكمن في الاستعارة التي يصعد وجه تشبه على أوجحتها في مراتب التخيل ويبعد عن المألوف المبتذل .

(١) الكور: الرحل، الناجية: الناقة العربية تنجو براكبها.

(٢) راجع الايضاح ص ٢٩٢.

ولأنهما : ترسيخ الأسس الفنية من اللون السليم والحس القوي الرفيف والاستعمال
لبرقي الأصيل : وهذا الموضوع ربما يبدو معاكساً في نتائجه وأعدائه للموضع الأول
ذلك لأن الذين كتبوا فيه لم يروا الاستعارة للمنطقة بلا قيود وبلا حدود بليغة ،
أسس الاستعارة البليغة الجميلة :

والحقيقة أن تقوم هذه الأسس في تحديد الاجزاء التي تلتقي فيها الاستعارة
مسألة تاريخية ترجع بخورها الى حركة شعر المولدين والمحدثين التي انخرت صوراً
بيانية واساليب تعبيرية خرجت على عمود الشعر العربي فتعزب ازانها علماء اللغة
والفناء والبلاغيون فريقين ، فريق يناصرها ويشد من أزر متقبلينها وفرق ينده
بها ويتنصص من ملكات مبتدعها . وفيما يتعلق الامر من هذه المسألة بإلاحة الاستعارة
سر جمالها تصدئ الآمدي لاستعارات أبي تمام المفرطة في الانطلاق والاعراب
أسس تصديه الأسس اللوقية والقوية والحرية للاستعارة البليغة الجميلة :

ومن صور تصديه هذا أنه أورد قول أبي تمام :

لم تُسقى بعد القوي ماءً أقلّ لذى من ماءٍ قافيةٍ يشبكه قوسم
ثم علق عليه قائلا : « فيجعل لقافية ماء على الاستعارة فلو أراد الرواقى لصالح
ولكنه قال : يشبكه ، ففسد معنى الرواقى ، لانتك اذا قلت : « هذا ثوب ماء »
: « لفظ له ماء » لم يجعل للماء مشروباً على الاستعارة فتقول : « ما شربت ماء أعذب
من ماء ثوب شربه عند فلان » و « رأيت على فلان بوسكذلك لا تقول : « ما شربت
ماء أعذب من ماء قفا نيك » أو « أعذب من قصيدة كذا » ، لأن للاستعارة حداً
صالح فيه فإذا جاوزته فسدت وتبحت » (١) :

ففي هذا النص يرى الآمدي حداً للاستعارة التي تصلح فوقاً ولا تصد لفة
مرقاً :

سر بلاغة الاستعارة وجمالها :

ولعل عبد القاهر هو البلاغي القديم الذي تمكن أن يرسم لبلاغة الاستعارة وجمالها مفضلها الخفيفي بالتماس هذا المجال وتلك البلاغة في النظم الذي يجمع الاستعارة بناءً عاماً متكاملًا مع سائر اللفاظ التي وردت في تركيبها فقد أشار إلى ضروري الاستعارة العلمي المبذل والطامعي القادر وأكد على أن الضرب الثاني لا يوجد إلا في كلام النحول ، ولا يقرى عليه إلا أفراد الرجال كقول الشاعر :

أعزلنا بأطراف الأحقاد ^{القدم} بيننا وسالت باعناق الطهي ^{الأيام} الأباطح
أراد أنها سالت سراً حثية في غاية السرعة ، وكانت سرعة في إين وسلاسة كأنها كانت سيولا وقعت في تلك الأباطح فجرت بها ، ومثل هذه الاستعارة في الحسن والطف وحلو الطلبة في هذه المقظة يبينها قول الآخر :

سالت عليه شيعاب الحمي حين دعا أنصاره ^{بوجوده} كالندابير
أراد أنه استطاع في الحمي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لحرب أو نازل خطب ، ألا أهوء وكثروا عليه ، وأزدحموا حوالبه ، حتى تجدهم كالسيول تجري من ههنا وههنا ، وتنصب من هذا وذلك حتى يفيض بها الوادي ويطلق منها ومن يدبج الاستعارة وادرها - ألا أن جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرسانه ، وأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه والى عتاته في فرجوس سرجه وقف مكانه إلى أن يعود إليه :

عسودته ^{فيما أروى} حياثي إحصائه ، وكذلك كل مخاطر
وإذا احتبى قربه ^{بوسه} ببعينائه عكث ^{الشكيم} إلى انصراف الزائر
فالغرابة ههنا في قلبه نفسه ، وفي أن استدرك أن هيئة العنان في موقفه من

الاستعارة
التي هي
التي هي
التي هي

٢٦

٢٦

قبريوس العرج ، كالمخيط في موقع الثوب من ركني الحضي (١) : وليست الغرابة في قوله : « وسالت بأعناق اللطفي الأباطح » على هذه الجملة ، وذلك انه لم يغرب لان جعل اللطفي في سرعة سيرها وسهولة كلاله يجري في الأباطح ، فان هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة والطف في خصوصية أفادتها بأن جعل « سال » فعلا للأباطح ثم عداه بالباء ، ثم بأن ادخل الاعناق في البيت فقال « بأعناق اللطفي » ولم يقل باللطفي ، ولو قال : « سالت اللطفي في الأباطح » لم يكن شيئا :

وكذلك الغرابة في البيت الآخر ، ليست في مطلق معنى سال ، ولكن في تعديته على والباء ، وبأن جملة فعلا لقوله وشعاب الحني . ولولا هذه الامور كلها لم يكن هذا الحسن (٢) :

ففي هذا النص يتجلى لنا في ضوء منهج تحليلي موازن أن الاستعارة لن تكون بليغة جميلة بلانها وبلفظها للمفرد وأن ما بعد منها عاميا مبهلا اذا ما تناول الشاعر الفنان في نظم دقيق وبناء رصين استوى خاصها نادراً

وعلى هذا الأساس فانه رأى أن اللفظ المستعار بهته يبدو بليغا أعلا بمجامع القلوب في بيت من الايات ثم يظهر قبيحا سمجا ينو عنه اللوح في بيت آخر ، وفي بيتنا أن ما ذهب اليه عبد القاهر في تقويم بلاغة الاستعارة وبيان سر جمالها يمثل دعوة نقدية اساسها النظر الشامل في النص الأدبي وتلمس وشائج اللفظ المستعار المبتدأ في نفس مبدعها والمداخلة مع الالفاظ المتكافئة في سياقها لرسم الصورة بالخطوط والالوان والاشكال والحجوم :

شروط حسن الاستعارة :

ان المزيخ للبلاغة العربية لا يكاد يلمس صدى هذه الدعوة العلمية الفنية بشكل واضح فيمن جاء بعد عبد القاهر من البلاغيين بل ان بعض هؤلاء البلاغيين من انما

(١) انشبه هنا واقع بين مفردين باختيار ما قسمته كل منهما من البيئة لا أنه واقع بين حيتين وفي «حسين» استعارة شبيهة من إطلاق الاحياء على لقاء الفنان .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٥٩ - ٦٠ .

السكاكي ومن تتبع خطاه قد حولوا دراسة بلاغة الاستعارة وسر جمالها إلى وصايا ونصائح ممتدة في قواعد ٥

فلقد تصدى السكاكي نفسه لهذه المسألة اللدنية بقوله : « فاعلم أن الاستعارة لها شروط في الحسن أن صادقتها حسنت والآ عريت عن الحسن ، وربما اكتسبت قبحاً ، وذلك الشروط رعاية جهات حسن التشبيه ١٠٠ بين المستعار له والمستعار منه في الاستعارة بالتصريح الحقيقية والاستعارة بالكناية وأن لاشتمها في كلامك من جانب اللفظ ورائحة من التشبيه ولذلك نوصي في الاستعارة بالتصريح أن يكون التشبيه بين المستعار له والمستعار منه جلياً بنفسه أو معروفاً مثلاً بين الاقوام والآ عريت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والالغاز كما إذا قلت : رأيت حوقاً مسقياً أو أن الفرس وأردت إسقاط مؤدبا في صباه لوقت : هربت إبلا مائة لتجد فيها راحته ولأردت الناس ، وأما حسن الاستعارة التخيلية فيحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لما كنا في قولك فلان بين أنياب المنيعة ومخالبها ثم إذا انضم إليها المشاككة كما في قوله عز اسمه : « يكذّبونني بأنبيهم » (١) كانت الحسن وأحسن وقلنا تحسن الحسن البليغ غير تابعة لها ولذلك استهجت في قول الطائي :

لأنسني مائة للام فأنسي صنباً ، قد استعذبت مائة بكائي (٢)
المظاهر الحقيقية لبلاغة الاستعارة وجمالها :

ولعلنا نلاحظ هنا أن قواعد بيان حسن الاستعارة بالاضافة إلى ما قدمنا نفضل قضية الإبداع في صياغة الاستعارة وتهمل دور الخيال في اتخاذها وسيلة للتصوير بالتصوير وللتأثير بشحناتها النفسية وومضاتها الحسية والفكرية التابعة عن التجربة الصادقة ٥

والاستعارة (٣) بعد ذلك تفيد شرح المعنى وتعمل في النفس مالا تفعل الحقيقة ، وتفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والإيجاز وتحسين المعنى وإبرازه ، ثم هي إلى جانب ذلك كله طريق للتوليد والتجديد ، لأنها تكشف عن صور جديدة ومعانٍ جديدة ٥

(١) القصص ١٠٠

(٢) مفاخر العلوم ص ١٨٣

(٣) راجع فنون بلاغية ص ١٦٠

المجلد الرابع

الفصل الخامس الكتابة والتعريض البحث الأول الكتابة وأنواعها

الكتابة لغة : هي

الكتابة : هي مصدر وفعله ثلاثي جاءت لانه ياء وواو ، قبل كئي يكنى
وكنا يكتو : وذكر ابن منظور في كئي (١) ثلاثة اوجه :
أحدها : أن يكنى عن الشيء الذي يستحسن ذكره .
وقال : أن يكنى الرجل باسم توفيرا وتنظيما :
وقالت : أن تقوم الكتابة مقام الاسم فيعرف بها :
وتلحق هذه الواجه الثلاثة في مادة كئي معنى لغويا رئيسا هو أن لا تعبر عن
الشيء بظاهر ما وضع له من تعابير : وقد اثار العلماء الاسلاف (٢) مصدر هذه
الذي هو الكتابة في مؤلفاتهم بمدلولات متقاربة :
الكتابة اصطلاحاً :

والعل ابن المعتز أول من عقد لهذا الفن عنواناً التعريض والكتابة (٣) في الكتب
البلاغية المتخصصة وساق له شواهد من الشرواح الشعر : وما يلاحظ على عمله هذا
انه لم يعرف الكتابة ، ولم يفرق بينهما وبين التعريض كما انه لم يوجد شواهدا
ولم يجرها على حد مقرر ، وإنما ساقها سقوا بلا شرح وتبيين : ويبدو أن الكتابة
بقيت على هذه الحال في العهود
الفرس القرام للهجرة وعملت وجوه
معانيها لغوية ثلاثة تحكم
في دراسة البرد لشواهد الكتابة واستنتجها ونوال القضاء في التصوحي القرآنية

- (١) راجع لسان العرب (كئي) .
- (٢) راجع فنون بلاغية ص ١٦١ .
- (٣) راجع البديع ص ١١٠ .

لأنه أو كوها على غير ظواهر معانيها ، وإن كان له فضل في ذلك على ابن المعتز البلاغي ، ذلك لأنه لم يترك مواضع الاستشهاد بلا تبين وشرح بل حلقها ووجّهه معانيها حسب المراد منها فقد أورد قوله تعالى في المسيح واسمه مريم : « كاتاً بأكلاين الطعام » (١) : ثم شرح الكتابة في هذه الآية قائلا : « كتابة باجماع عن قضاء الحاجة ، لأن كل من أكل الطعام في الدنيا أكل في الدنيا » ، وقال : « نجا وأنجي إذا قام حاجة الإنسان » (٢) . وربما يلتصق العذر للميردني ذلك بما حُرف عنه من اشتغاله بالدراسات اللغوية والنحوية ، ولكن هذا العذر لا يمثل لأنني خلال العسكري الذي تجرد في كتابه الصائغين لمباحث بلاغية وقندية صرطة . فلقد خلط بين الكتابة والتعريض كما فعل ابن المعتز وأدار مصطلح الأرواف مدار الكتابة ، واعتمد مصطلح اللامثلة في شرح ما عرّف من الكتابة قائلا : « وهي وأن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتي بنفسه تكون موضوعا لمعنى آخر ، إلا أنه ينبغي إذا أوردناه عن المعنى الذي أراده كقولهم : « فلان بقي الثوب » يريدون أنه لا عيب فيه : وليس موضوع قضاء الثوب البراءة من العيوب وإنما استعمل فيه تشبيهاً » (٣) .

فتعبر « فلان بقي الثوب » كتابة عن النسبة ويدل على معنى لازم له هو البراءة من العيوب ، ولكن أبا هلال — كما يظهر — من ذلك كله لم يكن على هيئة من مدلول مصطلح الكتابة كما لم تستقر لديه مدلولات اصطلاح التعريض والأرواف والمائلة .

وقد كان هذا شأن ابن رشيق القيرواني أيضا ، ذلك لأنه قد اعتل الكتابة في باب الإشارة وعدّد من أنواعها : الوحي والتضخيم والأياء ، والتعريض ، والطوبى ، والتعليل ، والرمز ، واللفظ ، والحقن ، والحاجة ، والتعصية ، والخلف ، والتورية (٤) وسارها مما استوى بعضها أنواعاً من الكتابات واستعمل بعضها الآخر عن علم البيان والتفصيص تحت موضوعات من علم البديع كما سرى .

(١) المائدة ٢٥ .

(٢) الكامل ج ٢ ص ١٣١ .

(٣) كتاب الصائغين ص ٢٥٢ .

(٤) راجع المدة ج ١ ص ٢٢١ .

تعريف الكتابة :

انطلقت الكتابة طابعها السيمي ومدلولها الاصطلاحي العلمي وترسخت شواهدنا على يدي عبد القاهر الذي عرفها بقوله : « الكتابة أن يريد المتكلم الثبات معنى من المعاني فلا يذكره ، باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يعينه إلى معنى هو قائله وورثه في الوجود غير ميم » به اليه ويجعله دليلاً عليه .

مثال ذلك قولهم : « هو طويل النجاد » يريدون طويل القامة ، « وكثير رماة القصر » يعنون كثير القرى ، وفي المرأة « تقوم الضحى » والمراد : أنها مترقة مغلومة ، لها من يكفيها سرها . فقد أرادوا في هذا كله - كما ترى - معنى ، ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا اليه بذكر معنى آخر ، من شأنه أن يردفني الوجود وإن يكون إذا كان : أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ؟ وإذا كثرت القرى كثرت رماة القصر ؟ وإذا كانت المرأة مترقة لها من يكفيها سرها ودف ذلك أن تمام إلى الضحى « (١) .

وجد عبد القاهر عاش معظم البلاغيين على ما كتبه عن الكتابة مستبشرين بتعريفه إياها ومكررين شواهد . ومن بين هؤلاء البلاغيين يبرز السكاكي (٢) منظرأ تعريف الكتابة ضمن مبحث دلالات الالفاظ ، كما يأتي القزويني ليجسد ذلك التعريف في قائله المعطوف قائلا : « الكتابة : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حيث » (٣) .

الفرق بين الكتابة والمجاز :

وأي ضوء هذا التعريف فرقى ما بين الكتابة والمجاز بقوله : « الفرق بينهما وبين المجاز من هذا الوجه ، أي من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمته ، فإن المجاز يتأني ذلك فلا يصح في نحو قولك : « في الحسام أسده » أن ترصد معنى الأسد من غير تأني ، لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة ، وملزوم معاندة المعنى معاندة لذلك المعنى .

(١) دلالات الاصطلاح ص ٥٢ .

(٢) راجع مقتضب العلوم ص ١٨٩ .

(٣) الإيضاح ص ٣١٨ .

ولفرق المخاكي وغيره بينهم بوجه آخر أيضاً . ومراراً مبنى الكتابة على أن تكون
 من اللزوم إلى اللزوم ، ومبنى المجاز على الانتقال من اللزوم إلى اللزوم .
 وفيه نظر ، لأن اللزوم صار يمكن موزوماً ينتج أ . ينتقل منه إلى اللزوم ، فيكون
 الانتقال حيثل من اللزوم إلى اللزوم .

ولو قيل : اللزوم من الطرفين من الكتابة دون المجاز أو شرط لها قوله ، الصلح
 هذا الاعتراض ، لكن الجواب : صلح الاختصاص والاشتراط (١) .

إن هذه الأوجه من التفريق بين الكتابة والمجاز في أحدها وردوها لا تستوي خصوصاً
 فاصلة في غيره الشواهد ، وذلك لأن الكتابة والمجاز في جوهرهما من أساليب البيان
 وعليه فلا يمكن أن تملك الكتابة مثلاً على ظاهر معناها ولا يمكن أن تكون كما هي
 دائماً والأخيراً فاتها تفقد لثبوتها لثبوتها ، تصبح عبرة فيها به وتصبح لفظاً ظاهراً للمعنى
 حقيقياً للقول .

ومن هنا فإن محاولات بولس الطائين بهذا الصدد سمحت إلى أن كان تعريف
 الكتابة واقتضاه حدّاً جاسماً مانعاً لها .

أركان الكتابة :

تتألف الكتابة في بنائها التعبيري من ثلاثة أركان .

أولها : اللفظي به ، وهو دلالة اللفظ لظاهرة التي تنوم دليلاً على مراد للكلمة ؛
 وثانيها : المعنى عنه ، وهو المعنى اللزوم الممكن به الذي يرمي إليه الساطن
 بالكتابة .

وثالثها : القرينة النشائية التي يبرزها سياق الكلام لترشد إلى المعنى منه وتوضح
 لروادة المعنى اللفظي به .

(١) الإيضاح ص ٢١٩ .

اسماء الكتابة :

قسم البلاغيون الكتابة أنواعاً متعددة نستطيع أن نربطها من صريحين :
أولاهما : مجموعة التواضع الكتابة على أساس طبيعة المكتنى عنه ، وتدخل على ثلاث
أنواع هي الكتابة عن الصفة والكتابة عن الموصوف والكتابة عن السبب .

والثانية : مجموعة أنواع الكتابة في ضوء السياق والروابط التي نوصلها إلى
المكتنى عنه ، وبرزها أربعة أنواع ، هي التعريض والتلويح والعمد والاشارة .

انواع الكتابة :

قسم البلاغيون القاعرون (١) انواع الكتابة وفق المكتنى عنه ، وفي ضوء
ماهية وطبيعة تفسيرها على ثلاثة انواع متميزة :

أولها : الكتابة عن الموصوف : وهو المراد به غير صفة والصفة ، فمثلاً إذا
قيل : "واحد كقولنا : "الضيف" كتابة عن زيد ، ومع قوله كتابة عن القلب .

فصاريسن بكلل "أيضاً" عظيم والطاعنين "أيضاً" الاستغناء (٢)
ونحو قول البحري في قصيدته التي يذكر فيها قطه القلب .

فأزيمتها أخرى ، فأصلها تصليها بحيث يكون القلب والرسالة والحيث (٣)
فقوله : "بحيث يكون القلب ، والرحب ، والحقد ثلاث كتابات لا كتابة واحدة ،

لاستقلال كل واحد منها بالمادة المقصود .

ومنها ما هو مجروح معان ، كقولنا كتابة عن الإنسان : "حي" مستوي لقامة
مريض الاطفاً . وشرط كل واحدة منهما أن تكون مخصصة بالشيء عنه لا بغيره ،
ليحصل الانتقال منها إليه (٤) .

(١) راجع مفتاح العلوم ص ١٩٠ ، والابيض ص ٢١٩ .

(٢) أيضاً : أيضاً . مستخدم : قاطع الاستغناء : الاستغناء .

(٣) أصلها : دفعت رفيت . النص : حيدة الترحج والصفحة .

اللب : العقل الذكي .

(٤) راجع الابيض ص ٢١٩ .

وللاحظ أن ما كنى عنه في هذه الشواهد : زيد والقلب والإنسان ، وكل واحد منها موصوف يمكن كنه . وعليه قوله تعالى كتابة عن النساء : « أَوْ مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ فِي الْخِلْعَامِ غَيْرُ مُبِينٍ » (١)

لأنها : الكتابة عن الصفة : والمراد الصفة المعنوية ، كالجرد ، والكرم ، والشجاعة ، وأمثالها ، لا التمت كقوله تعالى : « وَلَا تَجْعَلْ بِذَلِكَ مَقُولًا إِلَىٰ صُنُوفِكَ » وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ » (٢) . فجعل اليد مقلولة إلى المعنى في هذه الآية التكريمة كتابة عن البطل وجعلها مبسطة كل البسط كتابة عن الأسراف ، وبطل الأسراف كلاهما صفتان معنويتان : ومن ذلك قوله ابن القيم :

أَيْبِنِي أَوْ يَبْسُ بِدَيْكَ جَعَلَنِي قَامِرَحَ أَمْ صَبْرَتَنِي فِي شِمَالِيكَ ؟
لقوله : « فِي يَمَنِ بِدَيْكَ جَعَلَنِي » كتابة عن إكرام المترلة ، وقوله « جَعَلَنِي فِي شِمَالِكَ » كتابة عن هوان المترلة . ولا كان الكنى عنهما إكرام المترلة وهوانها صفتين معنويتين فنوع الكتابة فيهما : كتابة عن الصفة وكقول الشاعر :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَدْمَىٰ كَلِمَتَا وَلَكِنْ عَلَىٰ أَيْدِيهِمَا تَقَطَّرُ الدَّمَا
ففي هذا البيت كتابة عن الصفة لأن الكنى عنه هو الثبات في المعركة ومواجهة الأعداء وجهها لوجه ، وعدم الفرار والتعير الدال عليه هو قوله « لَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ نَدْمَىٰ كَلِمَتَا » .

والألف : الكتابة عن النسبة ، وهي أن يأتي بالمراد منسوباً إلى أمر يشتمل عليه من هي له حقيقة والغاية (٣) منها تخصيص صفة أو مجموعة صفات بموصوف كقول زيد الأصم :

إِنَّ السَّاحَةَ وَالرُّومَةَ ، وَالنَّدَىٰ فِي قُبَّةٍ حُصِرَتْ عَلَى ابْنِ الْحَرْجِ
فإنه حين أراد أن لا يصرح بإثبات هذه الصفات لابن الحرج جمعها في قبة ،

(١) الزخرف ١٨ .

(٢) الإسراء ٢٩ .

(٣) راجع البرهان في وجوه البيان ص ١٠٤ .

تبييناً بذلك على أن محلها ذو قبة ، وجعلها مضروبة عليه ، لوجود ذوي قباب في الدنيا كثيرين ، فإلهاء آيات الصفات المذكورة له بطريق الكتابة (١) .
 وإذا كانت المكتوبات عنها صفات انصف بها المدحج عن طريق نسبتها إلى القبة كانت تلك الكتابة على هذا الأساس كتابة عن نسبة . ومنها قول الشنفرى في وصف امرأة بالغة :

بَيَّتْ بِمَنْجَاةٍ عَنِ الْقَوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بَيَّوتُ بِالْمَكَامَةِ حَلَا -
 فالشاعر هنا وصف بيت تلك المرأة بالنجاة عن الملائكة ، وكان مراده أن يـ
 المرأة نفسها بهذه الصفة على سبيل الكتابة عن النسبة .
 وتسم البلاغيون المتأخرون الكتابة في ضوء السياق الذي يفهم منها ، وفي ضوء
 الوسائط التي توصل القارىء إليها على أربعة أنواع :

أولها : التعريض :

والتعريض لغة هو خلاف التصريح ، والمعارض جمع معارض من التعريض
 وفي حديث ابن عباس : «ما أحب بمعارض الكلام حصر النعم» أما اصطلاحاً فهو أن
 يطلق الكلام ، ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول : وعند
 السكاكي : متى كانت الكتابة عرضية كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً (٢) :
 وقد فصل ابن رشيق بين الكتابة والتعريض وجعلهما نوعين مستقلين من باب
 الإشارة ، فقال : ومن أنواعها أي أنواع الإشارة التعريض كقول كعب بن زهير ،
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

فِي قَبْرِهِ مِنْ قَرِيبٍ قَالَ قَاتِلُهُمْ يَطْرُقُ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُؤُلُوا

(١) راجع الإيضاح ص ٣٢٤ .

(٢) راجع مفتاح العلوم ص ١٩٤ .

تفسيره من قبل المصنف - وقيل: يأتي بكر وهي الله عنهما - وقيل:
 من قول الله عز وجل: "عليه وسلم" - التعريض مدح ثم قال:
 "فإذا عزله السود الثنايل"
 قيل: لا يخرج من أي هذه البيت بالانصار، ففضيت، الانصار، وقال الهاجرون:
 لم يدعنا - فمدحهم في أبيات بقول فيها:

عن مروان بن الحكم: الحياة فلا يزال في منقلب من صالحي الانصار
 ومن من في غير بقول: أيمن بن عريم الأسدي بشر بن مروان بمدحه ويعرض
 كمدح كاهن: "أما بعد العزيز حين لقاء من مصر على يدي نصيب الشاعر مولا:
 "أنا السامع" يعني ميركلير
 جلوه لأعظم الأعياد حين
 يصاحب معاً شمر حين يمشي إذا الظلاء باشرت الخلدوا
 فهذا من غنى التعريض، لأنه أبهم السامع أنه أراد المبالغة بذكر الظلاء لاسيما
 وقد قال - حين يمشي - وإنما أراد التكلف.

ومن الغنى: "أما بعد" مما يحل من جميع الكلام قول الله عز وجل: "وذلك"
 إنك أنت العزيز الكريم" (١) أي: الذي كان يقال له هذا أو بقوله، وهو أروع جمل
 لأنه قال: ما بين جليلها - يعني مكة - أعز مني ولا أكرم، وقيل: بل ذلك
 على معنى الاستعزاء به (٢).

يوضح من هذه الشواهد من تطبيقات ابن رشيق عليها، أن التعريض قد يكون
 مدحاً وقد يكون ذمّاً، وأن القارئ لا يدرك منه المعنى الكنى عنه إلا إذا كان
 ملماً بالسياق الذي ورد فيه، وأن هذا السياق يظهر بوسائل تتفرع بين طرف
 القول ومناسبه كما هو الحال مع أبيات كعب بن زهير وبين الحدث التاريخي
 كما هو أمر بيتي أيمن بن عريم الأسدي وبين أسباب النزول ودواعيه كما هو
 شأن الآية الكريمة.

(١) الدخان ١٩.

(٢) المسد ج ١ ص ٢٧٢.

ومع هذا فإن مفلول مصطلح التعريض فإنه لا بد من عند ابن رشيدي ، ولا يستوي في نصه ذلك تعريفاً جازماً ، عن سائر أساليب الكتابة .

وقد اتفق ابن الأثير إلى هذه الحقيقة وأكد أن بلاغين قد خطبوا بين الكتابة والتعريض وأوردوا فيما شواهد منسوبة في القئين ، ومن هنا عرف التعريض بهذا . ولما التعريض : فهو القصد الدال على الشيء من طريق المفهوم - لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي - فذلك إذا قلت إن تتوقع صفة ومعروفه بغير طلب : هو الله إلى محتاج ، وليس في شيء ، وأنا حرمان وكفره قد أكتفى به ، فإن هذا والزيادة تعريض بالطلب ، وليس هذا الكثرة موضعها في مقابلة الطلب لأحقيقة ولا بجزءاً ، إنما كل كلمة من طريق المفهوم ، وإنما سمي التعريض تعريضاً لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي من جانب ، وعرض كل شيء جانباً (١) .

وبهذا التعريف التوازن بين الكتابة والتعريض وضع الحد الفاصل لهذا الفن ومميزه نوعاً من أنواع الكتابة الذي يستخلص منه المعنى عنه بواسطة السياق ورسالة القول .

فالله : الطرح :

والطرح لغة : هو أن تشير إلى غيرك من بعد .

واسطلاحاً : هو الكتابة التي بينها وبين المعنى عنه مسافة متباعدة لكثرة الوسائط كما في كثير الرماد (٢) .

لأن المعنى عنه في هذا الشاهد هو الكرم ويوصل القارئ إليه بخمس وسائط :
أولها : أعداد ما يطبخ من جزور ومواه .

وثانيها : إيقاد النيران .

وثالثها : القطيع واستهلاك الرقود .

ورابعها : دعوة الضيفان .

(١) الفيل السائر ج ٣ ص ٥٦ .

(٢) الأيضاح ص ٢٢٧ .

وعلمتها : ترك الرماد الكبير الذي يستل منه على الكنى عنه صفة للملوح .
ونحو قول الشاعر :

ومالكُ فسيُّ من عَيْبٍ لاني جبانُ الكُتُبِ مهزولُ التَّصَبُّرِ
فقد كُنِّي عن كرم الملوح بأنه جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، فان الفكر
يتظل إلى جملة وسائله .

ولها : الرمز :

والرمز لغة : أن تلجأ إلى قريب منك خفية - بنحو شفة - أو حاجب - وأصله
الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة وقال القراء :
الرمز بالشفتين خاصة (١) .

واصطلاحاً : هو الكناية التي تلت وسائلها إلى الكنى عنه مع غطاء نحو :
« فلان عريض القفا » أو « عريض الرسادة » كناية عن بلادته وبلاحة . فالكنى عنه
خفي غير ظاهر ويتوصل إليه السامع بواسطة واحدة هي عرض القفا وكبر الرأس
وهما صفتان تعارفت العرب على أن المتصف بهما ليس من الأذكىاء وكقول أحد
القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت :

خلقتُ لها من زوجها عذَّةً الخصى مع الصبح أو معَ جُنْحٍ كلِّ الصُّبْرِ
يريد أي لم أعطها حلاً ولا قوداً بزوجها ، إلاّ لهم الذي يدعونها إلى عذَّة
الخصى (٢) .

(١) السدة ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) السدة ج ١ ص ٢٧٤ .

رابعها : الإيماء أو الإشارة :

والإيماء لغة : أن تشير إلى قريب منك إشارة واضحة :

واصطلاحاً: هو الذي قلّت وسائطه ، مع وضوح المقوم ، كقول أبي تمام (١) :
أَبَيِّنَ ، لَمَّا يَزُرُّنَ سَوَى كَرِيمٍ وَحَسْبُكَ أَنْ يَزُرُّنَ أَبَا سَعِيدٍ
فانه في الآية أن أبا سعيد كريم غير عارف ، وكقول البحري :

أَوْ مَرَّابِئْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِي آلِ طَلْحَةَ ، ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلْ ؟
فانه في الآية أن آل طلحة أمجد ظاهر .

(١) راجع الأيضاح ص ٢٢٨ .

مبادئ البلاغة :

رصد فلاحيون القمص الملائم من تخصص الكتابة « تصوير » و « مذكاة » .
والدقيقة من شؤون الخبير والأخلاق بالصيد . ومن هؤلاء البلاغيين :
الأصح المصري الذي قال بهذا الصدد : « الكتابة هي عبارة عن تعين الغرض
من المعنى القبيح بالنظم الحسن . وعن مدحس الظاهر : وعن بلادي
بالخفيف ، هذا إذا قصد الكتاب زيادة كلامه عن طبعه ، وقد قصد بالكتابة
عن ذلك ، وهو أن يبرز من لسانه ما يشاء . وعن الشبلي بالابحار : « يأتي
تقصية والافتاز أو التبر وتقصية (١) .

فالكتابة بشي أغرضها التي مر بها يحصل أليها تحقق أهدافاً لغوية وفنية
وفكرية يمكن تجسيدها بعبارة تؤكد أن هذا الفن القوي يمتاز بحسن التعبير وعنق
تأثير .

سر بلاغة الكتابة :

كشف عبد القاهر عن سر في فقه الكتابة على ذلك كله وحل لإختياها
فيمن قبل كل شيء : أنه « قد أصبح الحديث على أن الكتابة أبلغ من الأصابع .
والمرغى أوقع من التصريح » (٢) . قد نفس ما أصبح عليه الجميع وأورد شواهد
من الكتابة والجزاز والاستعارات السلبية موزناً بينها وبين معانيها الحقيقية ، وطرح
السؤال الذي يستتر عن حيلة بلاغة هذه الشواهد ومثلياتها ، وأجاب عنه بقوله :
« اعلم أن سيك .

أولاً : أن تعلم أن ليست المزية التي تتبها هذه الأجناس على الكلام التروك على
ظاهره ، والمبالغة التي تدعى لها في نفس المداني التي يقصد المتكلم إليها بخبره ، ولكنها

(١) ينسج القرآن ص ٥٢ .

(٢) دلائل الإبحار ص ٥٥ .

في طريق إثباته لما وتقريره إيجاباً : تفسير هذا : أن ليس معنى : « يحتاج إلى فكرة »
 أبلغ من التصريح أنك لما كتبت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى : «
 زدت في إثباته ، فبعبارة أبلغ وأكد واشد : فليست الزيادة في نوعه ، بل في
 الله دل على قرى أكثر ، بل أنك أثبت له القرى لكثير من وجه موافق
 إيجاباً هو اشد ، وأدعيت دعوى بها أنطلق ، وبصحتها أوتر ، (١) »

ويعد هذا أوضح وأبسط في أن مزية الكتابة وسر بلاغها يبرهن من آياتها :
 تغيير واسلوب المادة معنى ، فربط الأمر بنظريته في النظم : «
 يقولون : أن من شأن هذه الأجسام أن تكسب المعاني تبلاً وعصاً ، وهو هذا
 شرطاً ، وأن تضغطها في قعر السامعين وترفع أقدارها عند مخاطبتهم ،
 لا يريدون الشجاعة والقرى ، وأشباه ذلك من معاني الكلام المعرمة ،
 إثبات معاني هذه الكلام لأن ثبت له وبخبر بها عنه :

هذا ما ينبغي للعامل أن يجعله على ذكر منه لهذا وأن يعلم أن ليس لهذا ما نحن
 نكلمه في البلاغة والقصاحة مع معاني الكلام المفردة شغل ، ولا هي :
 وإنما نعتمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب ، (٢) »

والكتابة في ضوء هذا النص ليست مجرد أداة معنى وإنما هي : «
 مدلولها ، وإنما هي صياغة فكرة تتبع من وجدان صاحبها فتستحدث اللهجتها وتنطق
 تعبيراً لكل لفظ من مكانة ووشيجة التي تربط بها إلى قلبه وتأييده بصحة : «
 بالمعاني وخلال المعاني والأحاسيس إنساناً أو ترزعج ذلك اللفظ أو سواه من
 مولفه لسبب التعبير كله عن أداء مهمته البلاغية :

تأثير الكتابة في المخاطب :

هذا من جانب الكتابة تعبيراً وأداة تؤدي عن صاحبها ، أما من جانب
 تأثيرها في المخاطب وتخلق مولف له مما يسبح قال عبد القاهر قد قال : «
 (١) دلائل الإعجاز ص ٩٤ .
 (٢) دلائل الإعجاز ص ٩٧ .

عرفت مكان هذه الزينة والمبالغة التي لا تزال تسمع بها ، وأنها في الآليات دون
الحيث فإن لها في كل واحد من هذه الأجناس سبباً وعلة .

أما الكتابة : فإن السبب في أن كان للآليات بها مزينة لا تكون للتصريح ان كل
عقل يعلم - اذا رجع إلى نفسه - أن اثبات الصفة بأثبات دليلها وإيجابها بما
هو شاهد في وجودها أكد وأبلغ في الدعوى من أن تأتي إليها فتثبتها هكذا ساذجاً
خفلاً : وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا "والامر ظاهر معروف ، وبحيث
لا يشك فيه ، ولا يظن بالمخير الجزر والفظ" (١) :

يريد من هذا التحليل أن عبد القاهر يقيم بلاغة الكتابة على أساسين متلازمين :
أولهما : أساس لغوي في ينهض على رؤية في أن الكتابة أسلوب ، ونظم وصورة ،
وأما ليست كلمات مفردة وجمل متفككة وأجزاء ملفقة .

والثاني : أساس نفسي عقلي يقتضيه ما بين الأدب النثري للكتابة والمبدع لأفانيتها
وبين الخطاب السامع لها ، ويشتمل فيما تصطبغ معه الكتابة من دليل وشاهد
يخطره الأدب عن وعي أو عن غير وعي فيكون رسولا مت لا تناع مخاطبه
وسامعه : وعلى هذين الأساسين تتولد من الكتابة معانيها المسترسلة المتتابعة المتجددة
التي تصل من وجدان مبدعها وتكره إلى عقل متلقيها وقلمه .

بلاغة الكتابة بين القديمي والحاصرين :

بحدثنا تاريخ البلاغة العربية بالشواهد والنصوص ، ان البلاغيين الذين أتوا
بعد عبد القاهر واستلخوا رؤية البحث البلاغي من يده ، لم يزيدوا على ما قاله في
بلاغة الكتابة وإنما لخصوه وكرروا شواهد أو أطالوا فيه ونسجوا حل منوال
أشبهه ، فتركوا لنا بعد ذلك كله الموضوع في أثناء كتابه ، دلائل الأحكام :

(١) دلائل الأحكام ص ٥٧ .

وأية ذلك أن القزويني الذي يعدّ وارث علم البلاغة عن السكاكي بتلخيص آرائه وإذاعة تلخيصه إلهاماً تلقفه مع تلخيصه الشراخ ومتفقوه لم يزد في الكلام على بلاغة الكتابة عن إيراد آراء عبد القاهر وتلخيص عله بقوله : « والسبب في ذلك (بلاغة الكتابة) أن الانتقال في الجميع من المزموم إلى اللازم ، فيكون الثبات المعنى به كدعوى التي بيّنته ، ولا شك أن دعوى الشيء بيّنة أبلغ في الإثبات دعواه بلائية (١) » .

وأما كان الأمر فإن الدراسات المعاصرة في الكتابة وسائر أساليب البيان العربي لم تفتح باباً جديداً على مسألة بلاغة الكتابة ، وإن كان بعض الباحثين المعاصرين قد ربط بين الموضوع وبين لداعي المعاني (٢) والرمز إلا أن هذا الربط ينبغي ألا يتخذ على علته ولا سيما إذا كان يؤكد الصلة الوثيقة بين الرمز الأدبي المعاصر والكتابة العربية الأصيلة ، ذلك لأن مفهوم الرمز في البلاغة العربية لا يمكن أن يدخل في الألفاظ والمعاني التي ألوح بها طائفة من أدبائنا المعاصرين الذين تجردوا لتقييد مدرسة الشعراء السرياليين الذين ظهروا في أوروبا ، وإنما هو فن من القول وفرع في دوحه الكتابة يدل على المكتنى عنه دلالة خفية تكشف عنها القوافي والوسائط ويدل عليها السياق المعقول والفهم .

(١) الإيضاح ص ٣٢٩ .

(٢) راجع كتاب دراسات في علم النفس الأدبي ص ١١٩ ، وقول بلائية ص ١٩١ .



المحصل السادس

تطبيقات

(١)

لاحظت آثار ورويت نعروس في البلاغة العربية صفة أثر البيان في الجمع وميزة سلطانه على النفوس

فأش من هذا المعلق ولي مد القاهر لبرجاني (٢) في أن البيان يعرض المعاني المذلة ، فيجذب من السامعين وخفا وقناعة

(٢)

مد دهرية أصاليب ياقبة مستقيمة في التركيب كظبا في المبالول قتال في تصريف المعاني : ولما السقيم الكلاب ففرك : حمدت كحل ، وشربت ماء البحر ونحوه (٣) وشاع في الدراسات النقدية والبلاغية قضية قولهم : وغير الشعر ، وقوله البحري في مشلحة له مع المصنفين والناطقة :

كلتصوننا حقدون حفاطكم في الشعر بكفي عن حيدته ككديته وعمل الغيف من هنا قول بعضهم : غير شعر أصابه : وروي قول الشاعر في هذا المعنى :

زيت أحسن بيت أنت الله بيت يقال إذا تشبهت صديكا
والشبه أن علم القضية البلاغية والنقدية التي أثارها صهرية على ذلك الشعر
ووجدت لها صدى في مواقف الشعر والسلاطين (٤) والنقاد - تقوم أساسا
على نظرية صدق التجربة الأدبية في تقويم الأصاليب النهائية .

١ - راجع كتاب سرور البلاغة ص ١١٨ وما بعده لوقوف على هذا الرأي
٢ - الكتاب ج ١ ص ٧٠

(٣) راجع سرور البلاغة ص ١١٩

اعرض المخطوط العلمية لهذه النظرية مقوما لصين أدبيّة : أحدهما من عصر ما قبل ظهور الإسلام ، وثانيهما من العصر الحديث :

(٣)

سأ يدل على أن نظرية البيان في البلاغة العربية أصيلة في نشأتها بعيدة عن التأثير الأجنبي في تطورها ، أن عبد القاهر الجرجاني ربط بين مصطلح البيان وأقوى من الذكر الحكيم (١).

تبع في ضوء هذا الربط مادة «بين» ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢) :
وفي الحديث النبوي الشريف (٣) محلا للتصريح التي وردت فيها لتجسيد أصالة نظرية البيان العربي وملاحمها الفكرية والفنية .

(٤)

الملاحظ :

أن البلاغيين (٤) مذاهب مختلفة في حصر موضوعات البيان وترتيب مباحثه :
اعرض لبروز هذه المذاهب مبثا وأبك فيما تسمحته خطة لدراسة البيان العربي :

(٥)

تعرض للبره تشبيهات في ضوء منهج النوي تقريري تبين اسمه نصوص منها قوله :

ومن تعليل المرى القيس العجيب قوله :

كان عيون الرخش حول عباتنا وأرجلكم الجزع الذي لم يقتصد (٥)

(١) راجع اسرار البلاغة ص ٢.

(٢) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) راجع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف.

(٤) راجع اسرار البلاغة ص ٢٨.

(٥) الجزع : عجز لم يمس صوابه.

ومن ذلك قوله :

إذا ما التريا في السماء تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَتْ أَشْأَمُ الْوُشَاحِ الْفَصْلُ (١)
ولقد اِكْتَرَوْا في التريا فلم يَأْتُوا بما يَلْزَبُ هذا المعنى ولا بما يَاقُرب سهولة هذه
الالفاظ

ومن عجيب التشبيه قول ذي الرمة :

وَرَدَّتْ احْتِصَافًا وَالتريا كَأَنَّهَا عَلَى قَيْمَةِ الرِّاسِ ابْنُ مَاءٍ مُحْتَكِرٌ (٢)
وقوله :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عَصْوِيهَا سَابِرِي مُشْبِرِي (٣)
وتأويله أنه يصف ماءً قد بدأ لا عهد له بالورود ، فقد اصفرّ واسودّ ، فقال :

وماءٍ قد بصر العهد بالناس آجِنٌ كَأَنَّ الدُّيَا مَاءَ الْفَضَا فِيهِ يَنْهَضُ (٤)
وقد اجاد خليفة بن خديجة الفحل في وصف الماء الآجِن ، حيث يقول :

إذا وردت ماءً كَأَنَّ جِيَمَاتِهِ مِنَ الْأَجْنَرِ حَنَكةٌ مَعَا وَصَيَّبُ (٥)
فقال ذو الرمة في وصف هذا الماء ، فخرن بتغييره بعد مطلبه فقال :

فأدرك خلاصي ذكوةٍ ينقي بها شفاءً الصدى والليلُ أدقَمُ أَهْلُ
يريد أن القجر قد نجى فيه ، فجاءت - يعني الدلو - بنسج العنكبوت كأنه على

عصويها سابري مشبري : الرقيق من الثياب والدموع ، والمشبرق : المشرق .
وانشد أبو زيد :

(١) تعرّضت أي : أركب عرضها ، أي فاصيتها ، والوشاح الفصل : الذي جعل بين كل عروقتين فيه لوحان
والاشداد : جمع تهي .

(٢) الاحتصاف : السور على غير عدى . وابن الماء : طير من الطيور يحل على مرتفع .

(٣) العَصْوَان : عروقها الدلو ، والعرويان : عشبها .

(٤) آجِن : متغير الطعم واللون ، والدُّيَا : الجراد ، والفضا : شجر له حطب ، إذا اكثله الليل انشككت
بطونها .

(٥) الحمام : اجتماع الماء الصبيغ : الدم ، عصار النعنع ، والنعنع : عشب نبات يصنع به ، ويقال له
أيضاً دم الآخرين .

لهذا سِيرَالُ الشَّابِ مُلَاوَةٌ فاصْبَحَ سِيرَالُ الشَّابِ شَارِقًا (١)
وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب :

يَضَاهُ فِي دَهْجِ صَفَرَاءُ فِي تَمَجُّجٍ كَأَنَّهَا لَفْجَةٌ لَدَى مَتْنِهَا لَأَعْبُ (٢)
ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عبد :

كَأَنَّ إِبْرِيْثِمَ ظَنَنِيَّ عَلَى شَرْقٍ مُكْدَمٌ بِهَا الْكَفَّانُ مَكْلُومٌ (٣)
فهذا حسن جدًا .

ومن التشبيه المتجاوز قول النخلاء :

وَأَنْ صَخْرًا لَأَتَمُّ الْهَدَاةِ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِ رَأْسٍ لَسَارٍ
فجئت المتهدي بأنم به ، وجعلته كثير في رأس علم ، والعلم : الجبل ،
ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار :

كَأَنَّ فُلَّانَهُ كَمَرَةً تَسْرَى حِيَاذَ الْبَيْنِ إِنْ تَلَفَعَ الْحِطَارُ
يُرْوَاهُ السَّرَّارُ بِكُلِّ أَسْرٍ مَخَالَةٌ أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَّارُ (٤)
فالمراد (٥) - كما يظهر - من هذه القصيدة يعتمد منهاجا نستطيع أن نثبت
له أربعة أسس :

أولها : بيان مدلولات الكلمات الغريبة وشرح بعض الشواهد وتأويل مقاصدها ،
والأخرى : إحصاء أحكام مطلقة في استنباط التشبيهات بخمسة مصطلحات

(١) للذوق : الخبي من الشعر .

(٢) الدهج : صوار العين . والتمج العيش من المعاصر .

(٣) الشرف : ما ارتفع من الأرض وشرف عن ماحوله . سمع . صلي بالجمع ، أو مومن
وصف الأبريق ، وصفا الكفان : برب سائب لكس . وكسبت - جمع حبة - وهي
شقأ ينفذه . مكلوم : من الدم . وهو مذكور في القم واحده لآبريق .

(٤) السرار : أمر يله من الشعر ، وهي التي يظهر فيها الشعر ويخفي .

(٥) راجع كتاب الكامل ج ٢ ص ٢٢ - ٢٧ .

هي : «عجيب ، واجادة ، ومصيب ، مستحسن ، مستطرف» وادارتها بلا ضابط وبلا تحليل واعتماد مصطلح تجاوز ومقروط في الاستهجان .

واللها : ادارة تشبيهات شعراء في موضوع موحد كما فعل في اشارته ذل اكثر الشعراء في وصف القريا تطبيقا على بيت امرئ القيس وروايته لايات في وصف الله الآجن :

ورابعها : تجنب تحليل اركان التشبيه واستعمال مصطلحاته من التشبيه ، والتشبيه به ووجه التشبيه ، واداة التشبيه :

«تقول ابن الاثير تشبيهات في ضوء منهج آخر فقال :

قول بعضهم :

«لا حاجيلك الشهب حتى كانت طباء جرت منها منيح وسارح» (١)
وكذلك قول الآخر يصف السهام :

«كماها وطيب الريش فاعتدت له قيداح» كأعناق الطيباء للصوراني
فانه شبه السهام بأعناق الطيباء ، وذلك من ابعد التشبيهات ، وعلى شعر من قول القزويني :

«يتحشون في حلقهم الحديد كما مشت جرب الجمال بما الكحشيل المشعل» (٢)
فشبه الرجال في دروع الزود بالجمال الجرب ، وهذا من التشبيه البسيط ، لانه ان اراد السواد فلا مقارنة بينهما في اللون ، لان لون الحديد ابيض ومن اجل ذلك سميت السيوف بالبيض ، ومع كون هذا التشبيه بعيدا فانه تشبيه ضعيف ، ومن التشبيهات القارئة قول ابني الطيب المتنبي :

«وتجرى على الوزي النجيج لقاني فكأنه التارنج في الأخصان» (٣)

(١) السارح : ابيض ، بالي من جانب اليسار ، ويقال السارح وهو الذي يأتي من جانب اليسار . والتارنج : قنديل بالبلخ . وتكلمهم بالبلخ .

(٢) الكشيل : القطران ، وحسن الحديد : دروع . والمشت : الحديدة التي يحرق بها الخشب . ويرويهم : كأنهم يوضع : كما مشته .

(٣) النجيج : الدم ، والذي : الاحمر الشديد الحرارة .

وهذا تشبيه ينكره أهل التجسيم ، وإذا لم تكن التشبيهات بين البعد والورد
حاز طريق ذلك التفسير .

وأشبع من هذا قول أبي نواس في الخبر :

كأن بواسل رواقد حولها وزُرقي منابر تُدبر جيونتها (١)
والعجب أنه يقول مثل هذا الذي لا ملاسة بينه وبين ما شبه به ، ويفسر له
بالبديع الذي أحسن فيه وأبدع ، وهو :

كأننا حولون بين أكتاف روضة إذا ما سليناها مع الليل طينتها
فانظر كيف قرّن بين وردة وسعدانة ، لأجل بين بكرة ومرجاة .

وقد أكثر في تشبيه الخمر ، فأحسن في موضع وأساء في موضع ، ومن أساءته
قوله أيضاً في أبيات لامية :

وإذا ما الساء واقمتها أظهرت شكلاً من الغزلي
لؤلؤات يتحدرون بها كندار الدار من جبرلي
فشبه الحبيب في انداره بمنل صفار يتحدّر من جبل ، وهذا من البعد على غاية
لا يحتاج إلى بيان وإيضاح (٢) .

ففي هذا النص يتضح لنا أن ابن الأثير لا يقرر أحكامه تقريراً ولا يفضل الإشارة
إلى بعض أركان التشبيه كالأفعال كما فعل المبرد ، وإنما يسعى جاهداً أن يعطي
لأحكامه ويبدع تقريره لما حكم عليه من الشواهد بعد بيان طريق التشبيه : كما أنه
يورد أكثر من شاهد لأبي نواس في موضع وصف الخمرة فينوه بإساس
منهجي له صلة بأحد أسس منهج المبرد وهو أساس جمع الشواهد في موضوع
محدد .

(١) حكاه في الأصل ، ولم أقف لهذه الكلمة عن معنى ، ولكني رأيت في القاموس (٣٧٢) :
أن الياسرة جبل بالسنه تستأجرهم التواعدة لمعارفة العدو . التواعد يسري . والتواعدة :
عم أهل السنن ، قتل اليواحد منها .

(٢) الملل السائر ج ٢ ص ١٥٩ - ١٥٤ .

ومن هنا يمكننا أن نميز منهج ابن الأثير هذا بصفة المنهج التحليلي الموضوعي لما فيه من تحليل للاحكام البلاغية والفنية واتساعه لشرح الشواهد في موضوع بعينه ولشاعر بعينه :

وفي ضوء هذين المنهجين وملاحظاتنا عليهما نستطيع ان ندعو الى منهج متكامل في تحليل التشبيهات يقوم على أربعة اساس :

أولها : اعتماد المصطلحات البلاغية بدقة في تحليل اركان التشبيه .

ثانيها : تحليل التشبيه جزءاً متكاملاً مع سائر أجزاء النص الأدبي الذي ورد فيه ، ولجنب الاكتفاء به شاعراً قائماً بذاته .

ثالثها : الاستغناء بالقضايا النفسية والاشارات البيئية في تتبع مصدر مادة التشبيه وكثيثة به والنمط المتكاسها من وجدان الشئ وتأثيرها في شعور القارئ .

رابعها : تفريم التشبيه على اساس ما حقق من الفرائض مضمونية وشكلية .
حلل في ضوء هذا المنهج النصوص الآتية :

١ - قال أبو نؤاس في وصف الخمرة (١) :

فلإذا ما لمستها فهباء	تبع الشمس ما تبع القهونا
دوس قدهر ما تجسم منها	وبقي لها بها المكنونا
فهي بكر كأنها كل شيء	يبنى مخبر أن يكونا
في كؤوس كأنهن نجوم	جاريات يروجها أيدينا
طالعات مع السفرة علينا	فلإذا ما غربن بغربن أيضا

٢ - قال أحمد شوقي في الملحن :

لو لم يهودوا بدين فيه متبهة	لناس كانت لهم أخلاقهم دينا (٢)
لم تشمر من حرم إلا إلى حرم	كالبخر من بابل صارت الدارينا (٣)

(١) التكميل ج ٣ ص ١٧٧ .

(٢) متبهة : ظرف ورفعة .

(٣) - بابل ودارينا : مدينتان مشهورتان بجودة البخر .

٣- قال ابن المعتز :

ظلت يلهي خمر يوم وليلة تدور علينا الكأس في قبة زُهر
بكف غزال ذي صلتار وطرة وصدوين كالتابين في طرقي سطر
لدى نرجس غصن وسرو ككاه قدود جولر ملن في أذر حُصن
٤- قال الزحواوي :

أشدُّ ما طير لامتدَّك خبير صوتك القصد وحده خبير
لا تخف ما عليك مني خبير أنا أيضا بإخبر مثلك طير
فلمني في شدة الحوى منقاري

٥- قال شاعر يصف كومة من القمح تأجج في داخلها النار :

كأنما النار في قلبها والقمح من لولها يطيبها
زنجية شيكات أقاسلها من فوق نارنجة لتخلفها

(٦)

قال تعالى : «وَأَنهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ : كَأَنَّهُ جِمَاةٌ صُفْرَةٌ» (١)

وجاء في التفسير : أن القصر واحد القصور ، وقيل : القصر جمع قصرة
وهو الغلط من الشجر ، وقوله : «كأنه جمالة صفراء بكسر الجيم ، جمع «جمال»
كما تقول : «بيوت وبيوتات» وهو جمع الجمع ، ويقال للابل السود التي تضرب
إلى الصفرة «هي ابل صفراء».

والشرر : قطع من النار تطير في الجهات وأصله : الظهور ، من قوله :
«شررت الثوب» إذا ظهرته للشمس ، وشبه الشرر بالقصور في العظم : ثم قال :
«كأنه جمالة صفراء» أي : سود تشبه في اللون ولي العظم ، والعرب تشبه الأبل
بالقصور فعابا إل تمام خلقها وحسن صورتها .

(١) الرسائل ٢٢-٢٣.

وفي ضوء هذا البيان اللغوي لكلم الآيين حاق ابن نائقا لبيدادي على تشبيه الشرر بالقصر تارة وبالحمامة العطر للذة أخرى بقوله : «وانما ظاهر في تشبيه الشرر تأكيداً للتخويف من النار التي تراسي بها وتعطيها لثانها وارهاباً للكاترين من سطوتها والتشبيه على هذا النحو بغير حرف العطف أكد في صفة الموصوف ، وأبلغ في نعت من التشبيه للمطوف» (١) .

وهرنا فيما مضى بيان حالات طرفي التشبيه من وجوه كافة وأكثنا أثر التشبه به في تصوير الشبه في ضوء اعتبارات تعود إل طبيعته ومصدر مادته وبنائه اللغوي .

حلل في ضوء ذلك طرفي التشبيه في النصوص الآتية شارحاً دور كل شبيه به في تصوير التشبه ومينا الغرض منه : -

١ - قال طرفة :

وأي الخي أخرى بنفسى "المرء" شادين^(٢) مظاهر^(٣) سطحي لوقم وزبرجد
خلولاً^(٤) تراسي ويرياً يخيلسة تلؤل اطراف البيرير وثرتدي (٣)
في هذين البيتين تشبيه المرء بالفضال في بعضها ، وبالبقرة في حسن حينها .

٢ - قال أبو القاسم الشابي :

عذبة^(١) أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد
كالسما^(٢) الضحك كالقبة القمر كالورد كالشام القويسد
أنت من^(٣) أنت ؟ أنت رسم جميل عبقري من فن هذا الوجود

(١) الجنان في تشبهات القوم ص ٣٧١

(٢) الأخرى أي في شغلة سرية . تشدين . الفضال الذي قوي واستغن عن غيره السطى : الضبط الذي تطلعت فيه الجواهر والجمع سوط .

(٣) خلول : قد خللت أولامها . التزييب : القطع من الشيء ويشر قولحق . التبرير : تبرئة الإراء .

٣- قال جرير بن الصفة :

ولا رأيت الخيل قبلًا كأنها جرار ياري وجهة الريح مقلدي
لرئهم لمري بمنعرج القوي فلم يسيروا الرشدا إلاَّ ضلّى القدي

دماني أخي والغول بيني وبينه فلما دعاني لم يمدني بتخاذل

لجئتُ إليه والرماحُ حوشه كزفر الصباصي في النجج المصدد
وكننت كذات البو ريعت ، فأقبلت إلى قبطير من جلد بوّ مجلد (١)

(٢)

به عبد القاهر الجرجاني إلى أن مجرد القاء طرفي التشبيه في صفة لا يعمل التشبيه
مستأغاثي الذوق مقبولاً في العقل سارياً في العرف والعادة :
فثبت قول البحرى :

ويأض البازي أضيق حسناً إن تأملت من سواد الضراب
ثم هلّنى عليه فالألا :

فوليس إذا كان البياض في البازي أثنى في العين وأخلق بالحسن من السواد في
الضراب ، وجبذلك أن لا يلزم الشيب ولا تنفر منه طباع قوي الالباب ، لأنه ليس
الذهب كله لتحول الصبغ وتبدل اللون ، ولا أثنى الثواني ما أثنى من الصدا
والاعراض لمجرد البياض ، لأنّ بريقه في قباطي (٢) مصر فيأثنى ، وفي أنوار

(١) البطل : اسم جنس للأفراس ، ويطن على الفرسان . قولاً : يضم القاف أي

مقاومة ومبالاة ، منعرج القوي : منطفاً ، والقوي : المروّع . قعد : جهة

لنجم ينشأ من الحرب والكاظم . الصباصي : جمع صبيحة وصبيحة بالتخفيف

وهي الشوكة التي يمدى بها السباع حيوط فسيحة المدودة لأمه . ذات البو :

كناية من الناقة أو البقرة يبيع ولدعا أو يموت ليتمش جلد ثيلاً ويجعل لها

فراء له ويحفظ عليه وكادر العين . والبو : مرحلة الجلد المشوي .

(٢) القباطي بالضم : جمع قطيعة ، وهي ثياب من كنان تصنع بمصر .

الأرض ولأوراق الترحس النفس فلا يحسن ، فما أنكرن أبسطا شعر النفس
 نفس اللون وذاته ، بل للعاب بهجائه ، وانبارء في حياته ، وأنتك ترى الصفرة
 الخالصة في أوراق الأشجار الناضرة عند الحريف وأقبال الشتاء وهبوب الشمال
 فتكرها وتفر منها ، وترها بعينها في أقبال الربيع في الزهر المتفتق ، وفيما ينشع
 ويشبه من التيهاج اللون ، فتجد نفسك على خلاف تلك القضية ، وتمتلئ من
 الاربعية ، ذاك لآلئك رأيت اللون حيث النماء والزيادة ، والحياة المتفاداة ،
 وحيث ابشرت أرواح الرياحين وتبشرت أنواع التحاسين (١) ، ورأيت في
 الوقت الآخر حين ولئت السعد ، واقترب العود (٢) ، وذعبت البشاشة والبشر ،
 وجاء العيوس والصر ، كذلك لم يحسن سواد الشعر في العيون لكونه سواداً
 فقط : بل لآلئك رأيت رونق الشباب ونضارته ، وبهجته وطلوته ورأيت برقة
 وبصيصه بعدائك الأقبال ، وبريانك الأقبال (٣) ، وبمحضراتك الثقة باللقاء ،
 وببعدان عنك الخوف من الفناء (٤) .

وفي ملاحظتنا أن عهد القاهر في تعليقه هذا وفي تشبيه ذاك يدعو بمقاييس
 الفنية والبلاغية المعاصرة الى وجوب توفير الجو النفسي المنسجم في التشبيه واتساع
 وحدة عاطفية ملائمة لخلق التجالوب الشعوري مع النفس الأدبي ، كما يدعو الى
 قاعدة بلاغية تؤكد أنه لا يمكن في التشبيه أن يتلاقى طرفاء في وجه التشبه الثاني ،
 بل ينبغي أن يخلق جواً نفسياً ملائماً لذلك .
توأم في غموض هذه القدوة القصوى الآتية :

- (١) يقال ابشرت الأرض إذا خرجت بشرتها أي ماظهر من ثيابها وأما بشر فلا في ظهور
 من بشر في خلاف أي نفسي وهو حسن ليس طلق الوجه ، والتحسين : الاقيد
 المسنة جمع تمسين .
- (٢) اقترب العود : أي لطفن وتغير لونه لعدم الري .
- (٣) الأقبال : استئناف الأمر ونشأته .
- (٤) إسرائيل القلابة ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

١ - قال دحبل بن علي في صفة الصلوب :

لم أرَ صَبْرًا مثلَ صَبْرِ الصُّلْبِ نَسِيتُ منهم صَبْرًا في غَبْطِ (١)
من كلِّ عالٍ جَدَعُهُ بالثَّطِّ كأنه في جَدَعِهِ المُنْتَشِطِ (٢)
أخبر نَعَامِي جَدَعُ فِسي التَّنَطِّي قد غامر التَّزَمُ ولم يَنْطُ (٣)
٢ - قال أحمد شوقي في القصود التي طغى عليها فيضان الليل فغرقت منها أجزاء
وحملت أجزء :

فَيْتَ بِذلك القصور في اليمِّ غَرَنِي مُتَّكِئًا بَعْضُهَا من الذعر بَعْضُهَا
كَمَافِرِي أَخْضِرَ في لَيلٍ بَقَا صَابِحَاتٍ به وأبدن بَقَا
٣ - قال الشاعر حبه المبرد توبة بن الحميز وروى أبو الحسن أنه لمجون يني
عاصم وهو الصواب :

كَانَ القَلْبُ لَيْلًا قَلِيلَ بَغْدِي بَلِيلُ العاصمِ بَغْدِي أو بِرَاحِ
فَطَلَّ غَرَمَهَا شَرَكُ فَبَاتَ تُجَانِبُهُ وقد عَلِقَ الجَنَاحُ
لَهَا غَرَمَانِ قد خَلَقَا بِرَكْرِ فَعَثَمَها نَصْدَمَةُ الرِّيحِ (٤)
٤ - قال ابن وكيع إتيحي :

ومحباب إذا عسى الماءُ منه أَلْهَبَ الرَّمْعُ في حشاه البروقا
مثل ماءِ العيونِ لم يَجْزُرْ إلَّا ظِلٌّ يَدْكِي على القلوب حريقا

(٨)

لقد برع عبد القاهر في تحليل شواهد كثيرة من تشبيه الصورة ، فخرج آخرها
والرأيا والسهب في بيان الترابط بين المشبه والمشب به مُتَوَهَّأً بأسس هذا الترابط
الحسية والمثالية والظنية

(١) الصُّلْبُ : جبل السود من أمه أو الفتاة .

(٢) الثَّطُّ : الطويل .

(٣) التَّنَطِّي : صوت نفس التام .

(٤) ظِلٌّ : من الظل ، وهو العيس .

ولعل المثال الذي يصح تطبيقاً في هذا الميدان قوله : «ان مما يزداد به تشبيه
 دقة وسحراً أن يبيّن في الهيئات التي تقع عليها الحركات فوهذه الهيئة قد تفرق
 بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ونحوهما ، مثال ذلك قول الشاعر :

والشمس كالمرآة في كسف الأشمل

أراد أن يريك مع الشكل الذي هو الاستدارة ومع الأشراق والتألق على الجملة
 الحركة التي تراها الشمس إذا قصت الأشمل ثم ما يحصل في نورها من أجل تلك
 الحركة ، وذلك أن الشمس حركة متصلة دائمة في غاية السرعة ولتنورها بسبب
 تلك الحركة تنوع واضطراب عجيب ، ولا يتحصل هذا تشبه الأمان تكون
 المرآة في يد الأشمل ، لأن حركتها تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وتلق شديد
 حتى ترى المرآة لا تفرق العين ويبدوام الحركة وشدة التلق فيها يتسرح نور المرآة
 ويقع الاضطراب الذي كأنه يسحر الطرف وتلك حال الشمس بعينها حين تخذ
 النظر وتتلذذ البصر ، حتى تبين الحركة العجيبة في جرمها وضوئها فالتك
 ترى شعاعها كأنه بهم بأن ينسبط حتى يفيض من جوانبها ثم يملأه فيرجع
 في الانسباط الذي بدأه الى القباض ، كأنه يجمع من جوانب الدائرة الى الوسط :
 وحقيقة حالها في ذلك مما لا يكمل البصر لتفريده وتصويره في النفس ، فضلاً
 عن أن تكمل العبارة لتأديته ويبلغ اليان كنه صورته (١) :

١ - قال تعالى : « متكلّ قلين حسكوا الثروة » ثم لم يحملوها كمتكلر الحمار
 يتحمل أسفاره (٢) :

٢ - قال الرصافي في قصيدته معرك الحياة :

وليس قلبي إلا غنى العلم الله نور قلبي يجلو ظلام الغشاور
 ولا تحسن العلم في الناس منجياً إذا فكيت أعلالهم عن ملر

(١) إمرار البلاغة من ١٦١ - ١٦٥ .

(٢) الجيفة .

٣ - قال أبو نؤاس :

والله يفصل بين روض الزهر في الشطين فصلا
كيسا وتشي جردت أدي القيون عليه نصلا (١)

٤ - قال غزوي العلوف من قصيدته : شاعر في طياره :

هو في معة الشباب ولكن جسم في يرديه شيباً عزلاً
شارد الطرف ، نائه الفكر يحكي مدليجاً في اللطام ضل السلا
فوجين ألفت عليه شجون الدغس خلا من العيوس غليلاً

(٩)

يرحم المستشرق غارنيا غوث في فصل عقده للكلام على ابن قزمان أحد
الشعراء الاتدلسين للأعرين :

« إن الصناعة اللغوية هي موضع العناية الكبرى في الأدب العربي ، بين نثر
مفيد بالأسجاع وبين ألوان من المجازات والأشياء ، والطلاوات والقوازم ، نعرها
الحرارة والشعور ، وكأنها هي كلها عرّض من العروض المنقطة بالبراقع حيث
السمات لآلئ والعيون ازهار بفلسفيات ، والرياحين ، والجدلول سيوف ،
وان القارئ ليجهده اجتهداه بين ترجمات بير peres أو شاك Sehaak فيؤد
ذهنه بما يطبق عليه من التنق المثق المترار . خصوص كالأخصان تثبت من أحكام
الرمال ، أو شاعر يشبه نفسه بالطير الذي أقل لدى الممدوح جناحه فأعياه إن بطير ،
أو يرق يرمض بين السماء كأنه ضرام العشق في قلب الشاعر ، يتوهج من خلل
دموعه ، ونصفها - أو أكثر من نصفها - قوالب منقولة يحكيها النظمون من
وحي المذاكرة . »

وقد فسر الأستاذ عباس محمود العقاد المجاز العربي بخاتمة وأساليب البيان
بعلامة فقال : والمجاز هو الإداة الكبرى من أدوات التعبير الشعري ، لأنه تشبيهات

(١) القيون : سمع ابن وهو صمد .

وأخيلة وصور مستعارة وإشارات ترمز إلى الحقيقة المجردة بالشكال المحسوسة ،
وهذه هي العبارة الشعرية في جوهرها الأصل ،

ولا تسمى اللغة العربية - فيما نرى - بلغة المجاز لكثرة التعبيرات . المجازية
فيها ، لأن هذه التعبيرات قد تكثر في لغات عديدة من لغات الحضارة . وإنما تسمى
اللغة العربية بلغة المجاز لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة
للحدود المعاني المجردة . فاستمع العربي إلى التشبيه فلا يشغل ذهنه بتشكاله المحسوسة
الأيديما ينتقل منها إلى المقصود من معناه . فالقمر عنده بهاء ، والزهرة نظيرة ،
والفصن اعتدال ورشاقة ، والطود وقار وسكينة (١) .

إن هذا الضمير - بلا شك - هو رد على آراء المشرقين بين لماذا أخطأ
هذا المشرق وغيره من المشرقين في فهم أساليب البيان العربي .

وفي اعتقادنا أن هناك علة أخرى لهذا الخطأ تكمن في أن معظم المشرقين الذين
درسوا الأدب العربي تشبعت عنهم الأسماء للتطبيق العقلية التي أقام عليها أرسطوطاليس
منهج في دراسة المجاز إذ عرّف المجاز وبين العلاقات بين الدلالات المجازية
والمعاني بقوله : والمجاز نقل اسم يدل على شيء إلى شيء آخر ، والنقل يتم إما من
جنس إلى نوع ، أو من نوع إلى جنس ، أو من نوع إلى نوع أو بحسب التمثيل :
واعني بقولي : من جنس إلى نوع ما مثاله « هنا توقفت سفيتي » ، لأن « الأرساء
ضرب من التوقف » (٢) وأما من النوع إلى الجنس فمثاله : « أجل ، لقد قام
أوديسوس بالآلاف من الأعمال المحيطة » (٣) ، لأن « الآلاف » معناها كثير والشاعر
استعملها مكان « كثير » . ومثال المجاز من النوع إلى النوع قوله : « انتزع الحياة
يسيف من نحاس » « عندما قطع بكأس منين من نحاس » : لأن « النزع »

(١) اللغة الشاعرة ص ٣٧ .

(٢) المؤلف : جنس ، من النواحي المترجمة تحت « الأرساء »

(٣) كثير : جنس من النواحي « الآلاف »

ههنا معناها «قطع» ، و «قطع» معناها «الترج» ، وكلا القولين يدل على تصرف الأجل
(الموت) .

واعني بقولي : « بحسب التمثيل » - جميع الأحوال التي فيها تكون نسبة الحد
الثاني إلى الحد الأول كنسبة الرابع إلى الثالث ، لأن الشاعر يستعمل الرابع بدلا
من الثاني والثاني بدلا من الرابع ، وفي بعض الأحيان يضاف الحد الذي تنطق به
الكلمة كبديل بها الجاز . ولا يخفى ما أعني بالأمثلة أقول أن نسبة بين الكأس
وديونوس ، هي نفس النسبة بين قترس وأرس ، ولهذا يقول الشاعر عن الكأس
إنها « قترس ديونوس » ، وعن قترس أنه « كأس أرس » .

وكذلك : نسبة بين الشيوخوخة والحياة هي بعينها نسبة بين العشية والنهار ،
ولهذا يقول الشاعر عن العشية ما قاله أنبا دقيس أنها « شيوخوخة نهار » وعن الشيوخوخة
أنها « عشية الحياة » أو « غروب الشمس » .

وفي بعض أحوال التمثيل لا يوجد اسم ، ولكن يبرر عن نسبة ، فمثلا نثر
الحب يسمى « البئر » ولكن للتعبير عن فعل الشمس وهي تشر اشعتها لا يوجد لفظ ،
ومع ذلك فإن نسبة هذا الفعل إلى أشعة الشمس هي بعينها نسبة « البئر » إلى الحب ،
ولهذا يقال : « لا تيلو نوراً إليها » .

ويمكن أيضاً استعمال هذا القسرب من الجاز بطريقة أخرى : فبعد الدلالة على
شيء باسم يدل على آخر ، فنكر صفة من الصفات الخاصة بهذا الأخير ، فمثلا
بدلاً من أن نقول عن قترس أنه « كأس أرس » نقول عنه أنه « كأس بلا حصر » (١)
وبدعي أن منهج أرسطوطاليس باسمه المنطقية هذه يقف على طريقي تقيس
من المنهج القرني الأصل الذي يعتمد استفراء للتوصيخ الترميخ أسه للتمتوخة
المنطوخة في تجديد التناوخ لرصد علاقات الجاز وأجرائه في شئ أخضربه : الجاز
للمرسل والجاز العقلي والجاز بالاستعارة ، فلا يتهي بهذه العلاقات إلى التواخ

(١) من الشعر ص ٥٥ .

محددة ولا يحصر طريقة الاتصال والجواز بالكلمة الخفيفة في أمر محصورة
والأما بقدر القواعد والقوانين العامة لم يترك للتأديب المبدع حرية صياغة مجازاته؛
ومن المجازات العربية الأصلية :

١ - قال تعالى : « وأسأل القرية التي كنا فيها » (١)

٢ - قال النبي واصفاً لحاطة جيوش سيف الدولة بأعدائه :

والأصوبية "مِلَّ الطُّرُقَ عَنَّا فَنَهَمُ" والشرية "مِلَّ الْيَوْمَ فَوْتَهُمْ" (٢)
عليه اليوم، يراد به ملء القضاة الذي يشرق عليه النهار ، فالجواز مرسل
علاقته الحالية .

٣ - قال أبو تمام في المديح :

نكاد عطاياه يمنن جنسوتها إذا لم يموذها يرقية طالب (٣)
فقره : « نكاد عطاياه يمن جنوتها ، استد فيه فيه المصير ، جنون ، إل فعله
« يمن ، فهو إذن » هاز عطل علاقته للمصدرية .

أجتر في غموض هذه الأمثلة المجازات المرسل والمجازات المنطوق التي وردت
في النصوص الآتية :

١ - قال تعالى : « وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم » (٤) .

٢ - قال تعالى : « يترع عنهما لابسهما » (٥) :

٣ - قال رجل من بني تميم :

إن الذين يورغ في أعناقهم زاد^١ يسن^٢ عليهم قتام^٣
لعن^٤ الآله تبعك^٥ بن مسافر^٦ لعتا^٧ يسن^٨ عليه من قدام^٩

(١) يوسف ٨٢ .

(٢) الأعرابية : القبيل المسمى إلى أموج وهو فرس كريم لبني حلال .
والشرية : السبيكة .

(٣) يورغ : يحضنها ، والرقية : العودة حبسها دني .

(٤) فصلت ١٢ .

(٥) الأعراف ٢٧ .

٤ - قال أبو نواس :

قلمضير لا تمشن عليّ هذا

منك المعروف من كدّره

٥ - قال أحمد شوقي في لبنان :

البحر من سود الميون لقيه

والبابلي بلحظهن مئيسه

٦ - وقال أحمد شوقي :

وإذا أراد الله إشفاء القرى

جعل اللذات بها دعاة شقاق

٧ - قال طرفة :

سجدي لك الأيام ما كنت جاهلاً

وبأنك بالأخبار من لم تزود

٨ - قال الشاعر :

بُعْثَنِي كما صدحت أبكة

وقد لبك الصبح أطوارها

٩ - قال المتنبي :

صحية الناس قبلنا ذا الزمان

وعظم من أمره ما حالنا

وتولوا بخصه كلهم منه

وإن سرّ بغضهم أحياناً

وما نحن الصنع لئاليه

ولكن ذكّروا الاحسانا

وكانوا لم يترصّ فينا يريسي

للمصر حتى أعانه من أعانا

كلما أثبت الزمان قضاة

ركبة المروء في القضاة ستاناً

١٠ - قال الشاعر :

تسيل على حدّ القطبات قروماً

وليت على غير الطيات تسيل

١١ - قال المتنبي :

إني تزكيت بكذايين ضيقهم

عن القرى وعن الترحال محدود

١٢ - قال عترة :

فتكككت بالرمح الاسم ثابته

ليس للكريم على القنا محرم

أجرى البلاغيون المتأخرون الاستعارات في ضوء المصطلحات التي وضعوها
تصحيح أخطاءها وقترح فروعها ووفق قواعد مرّ بعضها وتجميل بعضها
الأخر فيما يأتي :

١ - إذا كان اللفظ المستعار « اسماً جامداً قللاً » كاليد إذا استعير للجميل
« أو اسماً جامداً لغني » كالقتل إذا استعير للضرب الشديد ، سميت الاستعارة
« أصلية في كل من التصريحية والكناية » وقد سميت أصلية لعدم بنائها على تشبيه
آخر معتبر أولاً .

٢ - إذا كان اللفظ المستعار « فعلاً ، أو اسم فعل ، أو اسماً مشتقاً ، أو اسماً
مبهماً أو حرفاً » ، فالاستعارة « تصريحية تبعية » .

٣ - إذا كان اللفظ المستعار اسماً مشتقاً ، أو اسماً مبهماً دون باقي أنواع
التبعية الثلاثة ، فالاستعارة « تبعية مكنتية » ، وسميت « تبعية » ، لأن جرياتها في
الشتات ، والحروف تابع لجرياتها أولاً في الجوامد ، وفي كليات معاني الحروف ،
يعني أنها سميت تبعية لتبعيتها لاستعارة أخرى ، لأنها في الشتات تابعة لمصادر ،
ولأنها في معاني الحروف تابعة لمعانيها ، إذ معاني الحروف جزئية لا تتصور
الاستعارة فيها إلا بواسطة كل مستقل بالمفهومية ، لينتهي كونها متشبهاً ومتشبه
بها أو محكوماً عليها ، أو بها .

أجزم الاستعارات في النصوص الآتية معضداً للمصطلحات التي تبين أنواعها
وتوضح علاقاتها :

١ - قال تعالى : « وَلَا صَلَاحَ لَكُمْ فِي جُلُوعِ الْفُخْرِ » (١) .

٢ - قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « رب قليل توبتي واغسل حوبتي » .

٣٢ قال الجعزي .

يُسَوِّدُونَ الصَّحْبَةَ مِنْ بَعْدِ إِنْ قَسَمَ مِنَ الْإِيْرَانِ بَادٍ
٤- نَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جِيَدَ الْكُدَّةِ (١) فَقَالَ : بَاعِذْهُ ، إِنِّي أَرَى عَيْنَكَ
تَطِيفُ مَحْكَمَةً مِنْ نَجِجِ أَسْرَاسِكَ :

٥- قال الرصافي :

دَعَوْتُ عُرَّةً قَتَوَاتِي وَهِيَ شَاوِدَةٌ قَالِيَتْ وَهِيَ تَحْتَضِي مَشْيِي مُعْتَكِدَةٌ
وَسَلَمَتِي عَنْ طَرَفٍ مَقَادَتِهَا فَرَحَتْ فَيَهِنَ أَجْرِي جَرَّتِي مَقْدَمُ

٦- قال أبو ماضي من قصيدته والفراسة المحضرة :

يَارَوْحَةَ فِي سَهَاءِ الرُّوحِ طَائِرَةٌ وَطَائِرٌ كَالْأَقْلَاقِ ذَا شَفَا ذَاكِي
مَضَى مَعَ الصَّبِّ عَهْدٌ كَتَبَ لَاهِبَةٌ فِيهِ عَلَى رَقَرَفٍ بِالزَّهْرِ ضَحْكِي
فَرَاثَةُ الْخَفْلِ فِي رَوْحِي كَأَنَّهُ مِمَّا عَرَاهُ وَمِمَّا نَسَدَ فَوَلَاكِ
خَلَسَتْ لِرَاثَتُكَ كَأَنَّ أَسْرَ آهَلَةٍ غَشَاءَ قَالِيَوْمَ لَا شَاوِدَ وَلَا شَاكِي
أَرْضٌ عِلَاءٌ وَجَوْزٌ غَيْرُ ذِي أَلْيِ بَلْ هُنَاكَ غِيَابٌ فَوْقَ أَشْيَاكِ

(١١)

وَأَمَّا فِي دِرَاسَتِنَا لِلتَّشْبِيهِ التَّمَثِيلِ وَالِاسْتِعَارَةِ التَّمَثِيلِيَّةِ : أَنَّ مَعْظَمَ الْبَاحِثِينَ الْبَلَّاحِينَ
يَحْتَسِرُ أَقْلَامَهُمْ بِمَشْكَلَتَيْهِ :

أَوَّلَاهُمَا : الْخَلْطُ بَيْنَ التَّشْبِيهِ التَّمَثِيلِ وَالِاسْتِعَارَةِ التَّمَثِيلِيَّةِ وَجَعَلَهُمَا فَنِينَ مَرَادِفِينَ
يَقْرَأُ أَحَدُهُمَا مَقَامَ الْآخَرِ وَيُزِيدُ عَنْهُ فِي الْإِسْلُوبِ الْبَلَّاحِيِّ .

ثَانِيَهُمَا : تَعَدُّ الْمَصْطَلَحَاتِ الَّتِي سَمَّيَتْ بِهَا الْإِسْتِعَارَةَ التَّمَثِيلِيَّةَ :

وَلَوْ وَقَفْنَا بَيْنَ يَدَيْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَنَحْنُمُ بِأَيَّامِهِ الْبَيِّنَاتِ عَالِينَ الشُّكْلَيْنِ وَنُضْفِرُ
عَلَى مَلْعَبٍ لَاحِظٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ لَقَيْنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى : « لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى

(١) كُدَّةٌ : قُوَّةُ الْجِسْمِ ، قَالَ ابْنُ الْقَلَوَيْةِ فِي الْأَفْخَالِ كَدَّتْ الثَّلَاةُ كَتُونًا : اِسْوَدَّتْ ،

كَدَنَ الْبَحِيرُ : كَثُرَ شَعْرُهُ .

جَبَّكَرَ لِرَأْيِهِ خَائِطاً مُتَصِداً مِنْ غَشَقَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، (١) لقد فسر الزمخشري هذه الآية ثانياً :

« هذا تمثيل وتخييل ... وقد دل عليه قوله ، وتلك الأمثال نضربها للناس ،
والفرض توخيح الإنسان على قسوة قلبه وللة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قواعده
وآزواجه » (٢) :

ويبدو من هذا التفسير ان الزمخشري على رأي من خلط بين التمثيل والاستعارة
التمثيلية ، وأنه يؤثر مصطلح التمثيل على مصطلح التمثيل الذي ورد في الآية الكريمة
جسماً .

وفي رأينا أن هذه الآية الكريمة تضي لنا الدرب لاستخلاص ثلاث قواعد
من نصها الصريح الذي لا يأتية للباطل من بين يديه ولا من خلفه :

اولها : ان التشبيه التمثيلي غير الاستعارة التمثيلية ، ففي الآية الكريمة لم يرد
ذكر للمتشبه الذي هو الانسان في حاله تلك كما لم تذكر أداة التشبيه ، ولم ينص
على وجه التشبه ، وعليه فان تصوير الجبل على وضعه فالتشبيه به في تشبيه حذف
منه طرف من التشبيه ، فهو إذن استعارة تمثيلية وليس بتشبيه تمثيلي .

الثاني : ان المصطلح الذي نص عليه القرآن الكريم دالا على هذا الفن التصويري
هو التمثيل ، ومن هنا فان المصطلحات الاخرى التي ذكرها علماء البلاغة لم تحرها
على الآية الكريمة .

الثالث : ان الفرض من ضرب الأمثال هو حمل الناس على التفكير والتدبر ،
وإن كان هذا الفن التصويري ليس غاية ب نفسه ، وإنما هو وسيلة لتحقيق أهداف
وأغراض .

(١) البشر ٢١ .

(٢) التكتاف ج ١ ص ٥٠٩ .

اعرض في ضوء هذه القواعد التصويص الآتية مبراً تشبيه التمثيل من الاستعارة
التشبيبية ومعللاً سر بلاغتها وجمالها:

١ - قال تعالى: «واطعوا أمراً الحياة الدنيا لعباً ولهواً وزينةً وتفاخراً بينهمكم
ونكالاً في الأموال والأولاد» فكيف يمكن فهم «لعباً ولهواً وزينةً» ثم يتبع «فراء»
مُصَنَّفراً ثم يكون حطامه (١) .

٢ - قال الشاعر:

إذا جاء موسى وألقى العصا قد بطلَ السحرُ والسحرُ
٣ - قال المتنبي:

ومن بكّ ذا لغير من مريض بتجدُ مرأً به الماءُ قولا
٤ - قبل الرمي يروا من السهم:

٥ - قال الشاعر:

إذا بسط الزمانُ يديَّ للغير نصبتُ رأً فلي تملُ الزمانُ
فقد تملو على الرأس اللغابي كما يملو على النار الدخانُ

(١٢)

مرّ بنا في المباحث التي عتدناها لتعريف الأساليب اللفظية من تشبيه ومجاز
واستعارة وكتابة وتحديد أنواعها أن بينها مفارقات تميز كل واحد منها عن الآخر.
وقد حرص البلاغيون القدماء على التحدث عن هذه المفارقات، ونصدي الرافعي
للذين عدّوا الكتابة مجازاً ورّد عليهم بقوله: «ويقال أن الكتابة عبارة عن أن
تذكر نقطة وتفيد بمعناها معنى ثانياً هو المقصود، وإذا كانت تفيد المقصود بمعنى
اللفظ ويجب أن يكون معناه معبراً، وإذا كان معبراً، فما قلت النقطة عن
موضوعها فلا يكون مجازاً، مثله إذا قلت: «كثير الرماد» فالت تريد أن تجعل

حقيقة كثيرة الرماد، حبلا على كونه جوادا، فالت قد استعملت هذه الالتاظ في معانيها الأصلية، ولكن "فرسك في افادة كونه كثير الرماد معنى ثانٍ يازم الأول وهو للجد، وإذا وجب في الكتابة اعتبار معانيها الأصلية لم تكن ملزم أصلا» (١) :

ثم ان لفظة المجازية قريبة لفظية أو معنوية تمنع ارادة معانها الحقيقية، وتتلوا ابن الأثير ما يميز الكتابة عن التعريض فقال: «التعريض أخفى من الكتابة، لان دلالة الكتابة لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة الفهم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، :::: واعلم أن الكتابة تشمل القطف المفرد والركب معا، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا أخرى، وأما التعريض فانه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في القطف المفرد» (٢) :

والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وأما يفهم من جهة التلويح والاشارة : وذلك لا يستل به القطف المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى القطف المركب» (٣) :

اعتمد مادرت من الفروقات بين الأساليب البيانية وما يميز انواع كل أسلوب عن بعض ثم حدد الأسلوب البياني في النصوص الأدبية ذاكراً اسمه ومحتلا أركانها،

١ - قال تعالى : «هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ مُّحْكَمَاتٌ مِنْ أَمْرِ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَابِهَاتٌ» (٤) .

٢ - قال تعالى : «قَالُوا: أَلَمْ نَقُلْ لَهُمْ: هَذَا بَالِغُتَا إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: بَلْ لَعَنَهُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ هَذَا قَوْلُهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْشَقِقُونَ» (٥) :

(١) نهاية الإيجاز ص ١٠٢ .

(٢) النمل البائر القسم الثالث ص ٢٤ .

(٣) آل عمران ٢ .

(٤) الأنبياء ٦٢ - ٦٣ .

٣ - ويزوي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : «السلعون تنكفأ دملهم ويسى
بفتحهم أذناهم ، وهم يتدّ على من سواهم ، والرء كثير بأعيه» :

٤ - يزوي عن لقمان الحكيم انه قال لأبيه : يا بني اذا أثبت مجلس قوم فارمهم
بسم الاسلام ، ثم اجلس ، فان أفاضوا في ذكر الله فأجلّ سهلك مع سواهم
وإن أفاضوا في غيره فغلّهم وانهم» :

٥ - وكان العجاج بن يوسف يقول على المنبر : «أيها الناس ، اقدعوا هذه
الانفس فانها أسأل شي اذا أعطيت ، وامنع شي اذا منعت ، فرحم الله امرأ جدل
لنفسه خطايا وزمانا فتادعها بخطاياها (١) إلى طاعة الله ، وعطفها بزمانها عن
محبة الله ، فاني رأيت العير عن محرم الله أيسر من العير على عذابه» .

٦ - قال ابو الفندي ، وهو عبد المؤمن بن عبد القنوس :
مقدمة لمرأ كان رقابها رقابُ بنات الماء أغرعهما للرؤس» :

٧ - قال عيران بن حيدان في الحجاج :
هلا يرزّت إلى غزاة في الوضى بل كان قلبك في جناحتي طائر

٨ - قال بشار بن برد يذكر عبيد الله بن قرعة :
قل لا يبيحني شئ قد ترك العلا وفي كل معروف عليك بعين
اذا جئت في حاجة سدّ بابي قلم لكنته إلا وأنت كمين

٩ - قال أحمد شوقي :
ضحكت إلي من السرور ، ولم تزل بيتك للكروم كريمة الأعراق

١٠ - وقال ابن خلدون في عصر المختار :
واناء مرفوعة للجبين كأنه سقراط جتسر إلى القضاة ردلا

(١) القدحوا : انموا ، الضمام : حبل من ليف أو شعر أو كان يشي طرفه على مضطج
البحر ليقاد به ، والزمام : حبل دقيق يجعل في الفه .

١١ - وقال أيضاً من قصيدته - السابعة - :

فإن بك الجنس يابن الطلح شرقتا إن الصالب يتجشعن الصابنا

١٢ - قال الرصافي في قصيدته - الثامنة - :

أسكان بطن الأرض فلا ذكرتم عهداً مفت منكم ولستم على الظاهر

وخصم بالكفان قبل حلفكم وكنتم أولي الديار والحلكر الحضر

١٣ - كان عروة بن الزبير إذا أسرع إليه انسان بسوء لم يجته ويقول إني لأتركك

رفعاً لنفسي عنك فجرى بينه وبين علي بن عبد الله بن عباس كلام فأسرع إليه

عروة بسوء فقال إني أتركك لما تحرك الناس له .

١٤ - قال شاعر في مهنة رجل :

أبوك أباً مازال الناس موجعاً لأعنائهم نقر كما ينقر الصقر

إذا عوج الكتاب يوماً سطورهم فليس بمعوج له أبداً منظر

* * *

الباب الرابع علم البديع

الفصل الأول

البدع

البحث الأول

نشأته وتطوره

يقضي معرفة مدلول البدع اصطلاحاً مؤدياً عن علم مخصوص من علوم البلاغة أن نلمّ بالمعاني اللغوية التي تقلبت عليها هذه الكلمة في المعجمات .

البدع لغة :

من يطلق في هذه المعجمات يدرك أن كلمة البدع «فعل» من القعل «بدع» الذي ورد بمعان (١) ، منها «بدع الشيء يبدعه يبدعاً وابتدعه: أنشأ وبدأ» و«بدع الرزمة: استنبطها وأحدثها» و«ابتدعت الشيء: اخترعته لأجل مثله» .

وعلى هذه المعاني اللغوية لتلك الأفعال دللت كلمة البدع ، ففي القرآن الكريم: «البدع من أسماء الله تعالى لأبداعه الأشياء وإحداثه إياها» وذلك في قوله تعالى: «بدعُ السماوات والأرض وإذا تنقضى أمراً فاتمماً يقول له كُنْ فيكون» (٢) ، وفي قوله جلّ اسمه: «بدعُ السماوات والأرض أنى يكون له وكده ولم تكن له صاحبة» ، وعلمت كل شيء وهو بكل شيء عليم» (٣) .

وركي بدع: حديثة الحفر: والبدع: المحدث العجيب ، والبدع: البدع: وحبل بدع: جديد .

وعلى هذا فإن لكلمة البدع لغة ثلاثة معان متقاربة تستمد مفاهيمها من الاختراع والحداثة والجددة في أمور مادية ومعنوية:

(١) لسان العرب (بدع) .

(٢) البقرة ١١٧ .

(٣) الأنعام ١٠١ .

لقد تتبع المؤرخون المعاصرون (١) البلاغة العربية تطور كلمة البدیع ودورها في ميدان الدراسات البلاغية اصطلاحاً مخصوصاً ، فذهبوا على ان بين القديسي علاقة في شخص على الذين استعملوا مصطلح البدیع لأول مرة :

لقد ذكر الجاحظ (٢) (- ٢٥٥هـ) ان الرواة هم الذين اطلقوا مصطلح البدیع لأول مرة على المستطرف الجديد من القنون الشعرية وعلى بعض الصور اليبانية التي يأتي بها الشعراء في اشعارهم فزيدنا حساً وجمالاً : في حين ان لها الفرج الاسفهاني (٣) ذكر ان الشاعر العباسي مسلم بن الوليد (- ٢٠٨هـ) كان أول من اطلق هذا المصطلح :

وأما كان فان مصطلح البدیع قد ولد في أوائل القرن الثالث للهجرة واعتمده الرواة والباحثون من النقاد والبلاغيين واللغويين ليدلوا على ما انصفت به الشعراء الموهوبون من أمثال كلثوم بن عمرو ومنصور النعري وبشار بن برمك وسلم بن الوليد ، وابي تمام ، الذين أكثروا من الاساليب اليبانية في قصائدهم وألغوا فيما بينها من الحسن واللمح :

فنون البدیع :

ولعل عبد الله بن المعتز (- ٢٩٦هـ) هو أول من صنف في هذا الميدان كتاباً سماه «البدیع» فهو يقول : يوما جمع فنون البدیع ولا سبقني اليه أحد وألفته ستة اربع وسبعين ومائتين (٤)

والؤلف في كتابه هذا لا يعرف البدیع ولا يسعى الى تعديد فنونه وابوابه بما يجعله موضوعاً واسع العالم منطلق الملامح متميز الأركان ، وغاية ما يقرره

(١) راجع البلاغة تطورو تاريخ ٢٥٥هـ وكتاب فنون بلاغية ص ١٩٦ .

(٢) راجع البيان والتبيين ج ٤ ص ٥٥ .

(٣) راجع الاغانى ج ١٩ ص ٢١٠ .

(٤) البدیع ص ٨٠ .

بهذا الصدد ، بعد أن يذكر أبوابه الخمسة التي هي : الاستعارة ، والتجنيس ، والمقابلة وردّ اعجاز الكلام على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي قوله : وقد قلنا أبواب البديع الخمسة وتكمل عندنا وكثافي بالمعاني الثموم بالاعتراض على النضائل قد قال البديع أكثر من هذا ، وقال البديع باب أو بابان من الفنون الخمسة التي قلناها فيقول من يحكم عليه لأن البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد التأدين منهم فأما العلماء باللغة والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو (١) :

ثم يحلف على ذكر بعض محاسن الكلام والشعر ويعلن أن محاسنها كثيرة لا ينبغي للعالم أن يدعي الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه وذكره ثم يقول : وأحبنا لذلك أن نذكر فوائد كتابنا للتأدين ويعلم الناظر أننا نقصرت بالبديع على الفنون الخمسة اختصاراً من غير جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليقل ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره (٢) :

ومحاسن الكلام والشعر التي ذكرها ثلاثة عشر وهي : الانفات ، واعتراض كلام في كلام لم ينسج معناه ثم يعود إليه فينسج في بيت واحد ، والرجوع ، وحسن الخروج ، والتأكيد مدح بما يشبه الذم ، وتجاهل العلوف ، وهزل يراد به البهز ، وحسن التضمين ، والتعريض ، والكتابة ، والأفراط في الصفة وحسن التشبيه ، وإحداث الشاعر نفسه في القوافي وحسن الابتداءات :

ويتضح من هذا أن ابن المعتز إلى جانب ما قلنا من تجهيز تعريف البديع وتحديد أبوابه ، ينسب إلى أبواب البديع ثلاثة فنون من أبواب علم البيان وهي : التشبيه ، والاستعارة ، والكتابة ، وبذلك سنّ الذين صنفوا في هذا الباب من بعده سنّة

(١) البديع ص ٨٨ .

(٢) البديع ص ٨٨ .

توسع في معنى البديع ليترجم في معناه نظام البلاغة حتى بعد أن استقلت فيها علوم
البيان والبديع والمعاني .

وعمل هذه السنة جري المصنفون في إحصاء القرآن والمؤلفون في علم البلاغة
والتحدثون في موضوعات الأدب منذ أول الأمر للقرن الثالث للهجرة ، فأخذوا
يضيفون إلى ما اكتشف ابن العز من فنون البديع ويحسن الكلام والشعر ما وأروه
سبقا فوصلوا إليه وكشفوا عنه إذ لم يلبث أن فقد قدامه بن جعفر إلى زيادة ثلاثة
عشر همنا ، ثم ثلاثة أشهر لغالل العسكري بعد من المحسنات خمسة وثلاثين ،
وكذلك صنع ابن رشيق في كتابه «العمدة» (١) .

وقد غل مصطلح البديع على هذا النحو من الخيال ثمريته وإقامة حدوده وتركه
شاملا متصفا حتى لدى الذين أخذوا لفظه وأقاموه عنوانا لمصنفاتهم ، فأسامة بن
منذر (- ٢٥٨٤هـ) سمي أحد كتبه «البديع في نقد الشعر» جمع فيه خمسة وتسعين
لنا بلاغيا ، لم يعرف البديع أو يتحدث عنه وإنما أشار إلى أنه جمع في كتابه
ما تفرق في كتب العلماء المتقدمين المصنفة في نقد الشعر ، وذكر محاسنه وعيوبه
ليكون متبنا عن تلك الكتب انضمامه أحسن ما فيها (٢) .

وكذلك فعل ابن أبي الأصم العمري (- ١٦٥٤هـ) في كتابه «بديع القرآن»
إذ جعل منه الإشارة إلى مصادره ولقد من سبقه وثنوه بما انتهى إليه فذكر :
أن شرف الدين النيفاني جمع في كتابه البديع عالم بجميع علومه ، لولا تراجم
لقلها كما وجدنا ولم يتم النظر فيها ثم روى قصة جهوده مع البديع في مصنفاته
فقال : « غير أنني توخيت تحرير ما جمعت جهدي ، ودققت النظر حسب طائفتي
وروسي ، فتجئبت للتدخل ، وتحرست من التوارد ، وتحت ما يجب تعقبه ،
وصححت ما كثرت على تصحيحه ، ووضعت كل شاهد في موضعه ، وربما
أقبلت اسم الباب وغيرت مسماه ، إذا رأيت اسمه لا يطابق معناه ، إلى أن

(١) البلاغة تلوه وتاريخ ص ٢٥٨ .

(٢) راجع البديع في نقد الشعر ص ٨ .

جست من ذلك خمسة وتسعين باباً اصولاً وفروعا ، فالأصول منها ما يذكر
 المتفرعان الأولان للتوبة ، وهما قدامة بن جعفر الكتاب وابن المعتز ، وعدتها
 ثلاثون باباً بعد حذف ما تواردا عليه منها ، وما تدخل عليهما فيها ، وخمسة
 وستون باباً لمن جاء بعدهما ، إل زمني هذا على ما قدمت من الشرائط ، ورأيت
 أن أنضيف إلى ذلك الأصل والمضاف لذلك أنا مخرج أسانها ، ومستخرج
 شواهدنا فاستبقت واحداً وثلاثين باباً لم أسبق في غلبة ظني إلى شيء منها ، إلا
 أن يوجد في زوايا الكتب شيء من ذلك لم أفت عليه ، فأكون أنا ومن سبني
 متوكلين عليه ، وما أمثال ذلك أن شاء الله تعالى .

فأنفست ما استبقت إلى الأصل والمضاف الذي جست فصارت تلك مائة
 باب وستة وعشرين باباً كلها في كتابي الخلع البديع جميع الكلام الموسوم بصحير
 التحرير ، وما فتح على بعمل الكتاب الذي وسعته «بيان البرهان في أحجار القرآن»
 وعلمت أنه لا بد له من نسخة تضمن ما في الكتاب العزيز من أبواب البديع فأقررت
 ما يخص بالقرآن . فكان ذلك مائة باب وثمانية أبواب (١) .

ثم يسرع في سوقه الأبواب مبتدئاً بأبواب الاستعارة كما فعل ابن المعتز قبله
 بثلاثة قرون من غير أن يعرف البديع ويقتصر من أطرافه ويفرق ما بينه وبين البلاغة
 بل أدخل فيه بعض أبواب المعاني مثل الاطناب والتكرار والتشليل والاستقصاء
 والافصاح والبسط والابحار .
 البديعات :

ويعد هذا دخل البديع في دائرة القريض فتجرد طائفة من الشعراء لنظم فنونه
 وترصيع نصوصهم بالكوافه وفق طراز مخصوص ، وبخشنا تاريخ البلاغة (٢)
 العربية بهذا الشأن أن علي بن عثمان الأربلي (١٠٧٠هـ) : نظم قصيدة في مديح

(١) بديع القرآن ص ١٣-١٤ .

(٢) راجع البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٠ .

بعض معاصريه مفسراً كل بيت منها محناً من محنات البديع ، ولإزاء كل بيت المحسن الذي يشير إليه .

ونظم صفي الدين الخلي (- ٧٥٠هـ) قصيدة في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - على طراز بركة البوصيري المشهورة ، وقد امتدت إلى مائة وخمسة وأربعين بيتاً وضمن كل بيت فيها محناً من محنات البديع ، بحيث ضمت مائة وخمسين محناً وسماها «الكافية البديعية في الدائع النبوية» وألف عليها شرحاً سماه «التلخيص الألفية في شرح الكافية البديعية» .

ثم أخذ العلماء يبنون في نظم قصائد بديعيات على طراز بديعية صفي الدين الخلي بمدحون بها الرسول الكريم ويضمنون كل بيت فيها محناً بديعياً : ومن هذه البديعيات بديعية ابن جابر الأندلسي (- ٧٨٠هـ) المسماة «الحلة القسرية في مدح خير النورى» ، وبديعية الشيخ عز الدين الموصلي (- ٧٨٩هـ) وبديعية ابن حجة الحموي (- ٨٣٧هـ) وبديعية عائشة الباعونية للمشفية (- ٩٢٢هـ) وبديعية صدر الدين بن منصور الحسيني الدمشقي (- ١١١٧هـ) التي صنف عليها تأطيرها شرحاً سماه «أثوار الربيع في أنواع البديع» وهي من طراز بديعية ابن حجة وعز الدين الموصلي .

ولبعد الفتي القاهلي القسوي (- ١١٤٣هـ) بديعتان : أولاهما على مثال بديعية صفي الدين الخلي وعائشة الباعونية ، أي أن أبياتها لا تتضمن أسماء المحسنات البديعية واختار لها اسم «نسمات الأسرار في مدح النبي المختار» .

وثانيتهما من طراز بديعية عز الدين الموصلي وابن حجة الحموي أي أن أبياتها تتضمن أسماء المحسنات البديعية .

وجرى شعراء معاصرون في هذه الحيلة فتظنوا بديعيات لتتقي مع البديعيات التي تلتزمها في أنها تأخذ شكل مختصرات بحملة لكاد تكون دموماً ، ولذلك كان تأطيرها أو غيره يعدد إلى شرحها ، فوصلنا مع علم البديع في هذه البديعيات إلى .

وصلنا إليه مع البلاغة العربية كلها عند السكاكي ومن جاء بعده . فلو كانت بعد
 ال تلخيص الشديد ، وبحاج عمله ال شرح ، وتوضيح الشروح ، ولما يظهر
 البديع للمهتمة بغية سوى الاطراف والتفريط في تصنع أنواع البديع واختلافها
 وتسميتها بهذا المصطلح أو ذاك من المصطلحات التي كان تشغل الشاغل لتأليفها
 أن يكتفوا عنها عدداً ويزيدوها احصاء حتى ولو لم تكن مسيبتها من البديع في شيء .
 لذلك انته البديع ليشمل الصور اليازية وكثيراً من صور علم المعاني ، وأخذ المؤلفون
 فيه يضيفون أشياء واسماء لا يمكن أن تدخل في المحسنات كالقسم والاستفهام
 والتثنية ، وذكر أوصاف عدة لموصوف والبسط والاعتراض ، والتكرار ،
 وتوحيها في تسمية صوره ، وصوم الخطاب مثل : يا أيها الناس ، والتنقيب والتسليم
 والأجلاء ال غير ذلك (١) ، مما أحال الكلام في البديع ومحسناته ال صورة لغة ،
 ضرورها أكثر من قطعها ، لأنها خلطت بينهما مزيفاً بالبديع الحقيقي (٢) .

أهمية البديع

إن هذه الحقيقة التاريخية لا تغفل أهمية البديع في البلاغة العربية ولا تنكر دور
 فتواه المبكرة في بناء الأسلوب الفني للأدب العربي ، ذلك لأن هذه لقنون
 أصلية في هذا الأدب جرت في أوصاله منذ أقدم عصوره وفي شتى موضوعاته
 والمراحل وأنها لم تكن بدعة شكلية اصطفتها لشعراء المؤلفون في العصر العباسي
 الأول وفرضوها فرضاً على اللغة العربية .

وقد اتفق ابن النحر ال هذه المسألة واحصاها منها تاريخها في تأليف كتابه
 الذي هو باكورة المصنفات في البديع فقال : " وقد قدما في أبواب كتابنا هذا
 بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلام
 الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتنبيين من الكلام الذي سماه المحققون

(١) راجع البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٦٦ .

(٢) انظر لقنون بلاغية ص ٢١١ وما بعدها .

الْبَدِيعُ لِبُعْتُمَ أَنْ يَشَارُوا وَمِثْلًا وَأَبَا نَوَاسٍ وَمَنْ تَقَبَّلْتُمْ وَمَنْ تَقَبَّلْتُمْ وَمَنْ تَقَبَّلْتُمْ
يَسْتَقِرُّ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ ، (١) .
أَصَالَةُ قَوْلِ الْبَدِيعِ :

لقد سعى عبد القاهر الجرجاني إلى ترسيخ معايير تطبيقية لتمييز فنون البديع
الأصيلة عن التزيين التقني والصناعة الشكلية مقررًا بذلك أهمية هذه الفنون
وحددًا سبيل تحقيقها وتجنب الإفراط فيها فقال متحدثًا عن البديع عامة وعن
التجنيس والسجع خاصة : «إن ما يعطي للتجنيس من التفضيلة أمر لم يتم إلا بتصرف
اللفظ إذا لم يكن باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ، ولما وجد له إلا عيبه
مستحسن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به » ولهذه الحالة كان
كلام المتذممين الذين تركوا فضل العناية بالسجع ، ولزموا سجة الطبع ، أبسكن
في المقول ، وأهد من القلق ، وأوضح المراد ، وأفضل عند ذوي التحصيل ،
وأسلم من الغفوات واكتشف عن الأغراض ، وانصر للجبهة التي تنحو نحو العقل ،
وأهد من التعمد الذي هو ضرب من الخداع بالتزيين ، والرضى بأن يقع التفضية
في نفس الصورة وأفات الخلقة إذا اكثر فيها من الوشم والنقش ، وانقل صاحبها
بالحل والوشى ، قياس الحل على السيف الدان (٢) والتوسع في الدهوى بغير رعان ،
كما قال :

إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيْئَانِهَا وَأَعْلَانِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مَقْبُوبٌ (٣)
وقد نجد في كلام المتأخرين الآن كلامًا حمل صاحبه لفظ شغفه بأمر ترجع
إلى ماله اسم في البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبن ، ويخيل
ليه أنه إذا جمع بين القسام البديع في بيت فلا ضير أن يقع ماعناه في عناه وأن

(١) البديع ص ١٠٠ .

(٢) الدان بالفتح : التكليل فهو كاللحم وزلا ومعنى ويطلق على غده وهو القطع .

(٣) الشيات : جمع شية كلمة وحدات ، وهو كل لون في الشيء يختلف سطر
لونه الأصلي وهو من الوشي . والكلام في الشيل .

يوتج السامع من طلبه في غبط عشواء وربما طمس بكثرة مايشكله على المعنى
واقصده ، كمن نزل المروس بأصناف الخلل ، حتى ينالها من ذلك مكرره في
نفسها (١) .

لهذا يذاكر عبد القاهر أربعة مغاير لبيان دور فنون البديع ووضع اليد على
حالة الضرب فيها :

أولها : ملاحظة في البديع المعنى والسمجاء معه والتمسكه به .
والثاني : صدوره عن الطبع وقيادته عن السليقة والأساك به اذا ما جاء عن تصنع
وتكلف .

والثالث : توظيفه من اجل الانهاام والآهالة .

ورابعها : تجنبه للاكثر والتراكم بلا طائل وبلا هدف .

ان هذه المعايير - بلا ريب - تصح في ميدان التطبيق مؤشرات لتعيز البديع
الاصيل عن المزيف ووضع حد للاكثر من فروعه وشعبه حتى يوضح معها
دوره الاصيل في اشراقه الأسلوب العربي ووضوحه وبيانه وتأثيره :

(١) استمرار البلاغة من ٩-٨ .

البحث الثاني

الحسنات المعنوية واللفظية

رأينا فيما مضى ان مصطلح البديع ولد في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ليدل على مفهوم عام اتسع لموضوعات من علم البيان والمعاني ، وانه ظل كذلك طوال العصور المختلفة حتى كاد يقوم في مدلوله مقام علوم البلاغة كلها ويضم اليه فنون القول والروان والتعبير المتعددة .

السكاكي وقسم البديع :

وفي هذا الخضم من قلب مصطلح البديع تصدى السكاكي (- ٩٢٦هـ) لطائفة من فنونه فتناولها بمنهجه الكلامي وأولع بتقسيماتها وتفرعاتها ، وما يلاحظ بهذا الصدد انه لم يُسم " ما تناول من فنون البديع بديها ولم يحدد مصطلحه ، كما انه لم يدخلها في البلاغة وانما سماها محسنات ورأها وجوها (١) مخصوصة كثيراً ما يصار اليها لتعدي تحسين الكلام ، وذكر منها ستة وعشرين لونا وترك باب الفقيه على المزيد منها مفتوحا لباحثين والتأملين . والسكاكي في تصديده لافانواع البديع تلك صنفها إلى قسمين : قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ . فمن القسرين الاول : الطائفة ، والقابلة ، والمثابكة ، ومراحاة النظر ، وهو الجمع بين التشابهات كقوله :

وحرف كتون تحت راء ولم يكن بدال بلزم الرسم غيرهُ للشدط والزوجة وهي أن تراوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، كقوله :

اذا ما نهى الثاني فلج يسى المسوى اصاح إلى الواسي فلتج في المتجسر^٢
والف والنشر ، وهو أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تبعهما كلاماً متصلاً^٣
على متعلق بواحد ويكثر من غير تعيين لغة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ماعوله كقوله عز وجل : " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتعبثوا من فضله " (٢) .

(١) راجع محتاج العلوم ص ٢٠٠ .

(٢) القصص ٧٣ .

والجمع هو أن تدخل شيئين فصاعداً في نوع واحد كقوله :
 إن الصراخ والشهاب والجدة مفسدة القوم أي مفسدة
 والضيق ، وهو أن قصد إلى شيئين من نوع فتوقع بينهما تابناً كقوله :
 ما نوال الغمام وقت ربيع كوال الأمير وقت سخاء
 نوال الأمير بكرة عين ونوال الغمام فطرة ماء
 والتقسيم : وهو أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تنيف إلى كل واحد من
 أجزائه ما هو له عندك كقوله :

أنهسان في بليخ لا ياكلان إذا صحبا القوم غير الكيد
 لهذا طويل كظلم القصة وهذا قصير كظلم التوكيد
 والجمع مع الضيق : وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرق جهتي
 الامثال كقوله :

قد اسود كالسك صدغاً وقد طاب كالسك غلغاً
 فانه شبه الصدغ والخلق بالشك ثم فرق بين وجهي الشبهة كما ترى
 والجمع مع التقسيم : وهو أن تجمع أموراً كثيرة تحت حكم ثم تقسم أو تقسم
 ثم تجمع ، مثال الاول قول النبي :

الدهر مغلر والسيف منتظر وأرضهم لك بمطاف ومزق
 لبي ما تكحوا وقتلوا ما ولدوا وانهب ما جمعوا واتار ما زرعوا
 فانه جمع في البيت الاول أرض العدو وما فيها في كونها خالصة للمملوك
 وتسم في الثاني ، ومثال الثاني قول حسان رضي الله عنه :

قوم اذا حاربوا خسروا علومهم اوحلوا الفتح في اشياهم نفعوا
 سجية تلك منهم غير محدلة إن الخلاق فاعلم شرها ليدع
 فانه قسم في البيت الاول حيث ذكر ضرهم للاعداء ونفعهم للاولياء
 جمع في الثاني قال : وسجية تلك ،

والجمع مع الثرين والضم ، كما اذا قلت :

فكانتار ضوءاً وكانار حترأً عياً حيسي وحسرة بالي
فذلك من ضوره في افعال وهذا حرفته في افعال
والايام ويقصد به الثورية ، وتأكيده اللوح بما يشبه القدم .

والترجيح : وهو ايراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين :

وسوق العلوم ساق غيره ، كقوله تعالى : «وإنَّ أو لياكم على هدى لو في ضلال
مين » (١) :

والاعراض : ويسمى الحشر ، والاستبعاد ، وهو اللوح بشئ على وجه يستوعب
ملحا آخر كقوله :

تهبَّت من الاعجاز ما لو حوته لهنَّت لعدنيا بألك خاليسد
والانكفات ، وتقليل اللفظ ولا تخليه :

ومن القسم الثاني : التجنيس ورد العجز ال العسر ، والقلب ، والاسجاع ،
والقواصل القرآنية ، والتمريض ، وهو ان تكون الالفاظ مستوية الاوزان متلفة
الاعجاز لو مقارنتها كقوله عز اسمه : «إنَّ اليا ابايهم ثم إنَّ عليا حاسبيهم » (٢) ،
وواضح من هذا : أن السكاكي (٣) ينقسم لأول مرة غنون البديع الى ضربين :
لوحيا : الحسان المعنوية .

لاليهما : الحسان اللفظية .

(١) س٢٤ .

(٢) القاشة ٢٥-٢٦ .

(٣) راجع مفتاح العلوم ص ٢٠٠-٢٠١ .

وعندما يخص بدر الدين بن مالك (٥٦٨٩ -) القسم الثالث من «مفتاح العلوم» ،
 السكاكي في كتابه «المصباح في علم المعاني والبيان والبديع» ، أطلق مصطلح
 «البديع» على القسم الثالث من البلاغة (١) .

وعلمته بالنصاحة ، إذ شهد له بقوله : « وهو معرفة تواضع النصيحة فلا بد للخصم
 فيه من تقديم ذكرها فتقول : «النصيحة» هي صوغ الكلام على وجه له تولية بنصام
 الانقياد لمناه وتبيين المراد منه ، وهي نوعان : معنوية والتنظيية (٢) .

وبعد ان ذكر طائفة من شروط النصيحة للتنظيية والنصيحة المعنوية استرسل في
 حديثه عما ينطبق بفنون البديع فقال : «ولقد ظهر من هذا ان لا بد من تكميل
 النصيحة من إثبات المعنى باللفظ المختار وهي من مسميات البلاغة وما يكسو الكلام
 حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، وينفع منها وجوه كثيرة يصار
 إليها في باب تحسين الكلام ، فليعرض لذكر الأهم منها في ثلاثة فصول لأنها
 إما راجعة إلى النصيحة للتنظيية وإما راجعة إلى المعنوية ، والراجعة إلى المعنوية
 إما مختصة بالانقياد والتبيين ، وإما مختصة بالتزيين والتحسين (٣) :

وذكر مما يتعلق بالنصيحة للتنظيية أربعة وعشرين نوعاً ، وما يخص النصيحة
 المعنوية تسعة عشر نوعاً ، وما يرجع إلى النصيحة المختصة بتحسين الكلام وتزيينه
 ثلاثة عشر نوعاً ، وما عرضة للكلام وتسعة عشر نوعاً ، لهذه المثابة وخمسون
 نوعاً من فنون البديع القيس أربعة وعشرين فناً من كتاب «مفتاح العلوم» وللفق
 سائرنا من الكتب الأخرى التي رأيناها تضمن منذ أيام ابن المعتز في الأكثر منها
 وزيادة عندنا .

(١) ينظر البلاغة عند السكاكي ص ٣٧٠ وتكون بلاغية ص ٢٠٥ ، ومصطلحات
 بلاغية ص ٨٨ ، ومناهج بلاغية ص ٣٢٢ .

(٢) المصباح ص ٢٥ .

(٣) المصباح ص ٢٦ .

لما قسمت هذه الثلاثية فليس لها أي أساس موضوعي وإن تميزه بين المحسنات المعنوية وغيرها إلى قسمين لا يوضح ولا يستقيم ثم إنه قد خالف البلاغيين بادخاله المطابقة والمقابلة في المحسنات اللفظية وهو في مخالفته هذه لا يكاد يستند إلى شيء ذلك لأنه لا يشك أحد في أن هذين القسمين القديمين يتفقان بالمعالي ولا يستأن إلى الالفاظ بصفة غنية ومهما يكن فإن عمل بشر الدين بن مالك مظهر لما وصلت إليه البلاغة العربية لدى اتباع المدرسة الكلامية من الجلود والولع بالتضخيم والتضريعات .

٢- فنون البديع بين محسنات معنوية ومحسنات لفظية:

لقد أقرم الخطيب التزويني (١٧٣٩هـ) بقسمة السكاكي لفنون البديع إلى محسنات معنوية ومحسنات لفظية ، مضيقا إلى ما أورد السكاكي قولاً جديدة ذلك لأنه ذكر من المحسنات المعنوية اثنين والثلاثين نوعاً ومن المحسنات اللفظية تسعة أنواع وفصله عن البلاغة فصلاً تاماً إذ عد البلاغة علمين هما : علم اللغوي وعلم البيان .

ومن هنا قد حدد البديع بقوله : «علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رحابة تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة» (١) .

وفي ضوء هذا التعريف اتضح عن البديع ما عده بعضهم من فنونه ونحو ما يرجع في التحسين إلى الخط دون القفط مع أنه لا يخلو من التكلف ، تكون الكلمات متماثلتين في الخط ، تكون الحروف متقوطة أو غير متقوطة ، ونحو ما لا أثر له في التحسين ، كما يسمى التوردد .

أو لعدم جودها ، نحو ما يوجد في كتب بعض المشائرين مما هو داخل فيما ذكرناه ، كما ساء الإيضاح ، فإنه في الحقيقة راجع إلى الاطباء ولو خلط فيه ، كما ساء حسن البيان ، (٢) .

(١) الإيضاح ص ٣٢١ .

(٢) الإيضاح ص ١٠٩ .

ان البلاغيين بعد القزويني لم يأتوا بشيء ذي بال في تسمية المحسنات البديعية الى
محسنات معنوية ومحسنات لفظية وغاية ما اشتهروا اليه انهم علقوا المحسنات المعنوية
بما يدخل في التحسين للمعنى وتزيين الكلام من حيث مضمونه .
اما المحسنات اللفظية فقد جعلوها خاصة بالمسموع من ظواهر الالفاظ وأجرائها
فاسلموا بذلك بين اللفظ والمعنى في بنية النص الادبي الذي لا يمكن تصور ذلك
الفصل فيه إلا فرضاً وتوهماً :

الفصل الثاني المحسنات اللغوية المبحث الأول النورية

النورية لغة :

النورية لغة (١) : مصدر ورث الحديث : اذا أغفبه وأظهرت غيره ، قال أبو حبيدة : لا أراه إلا مأخوفاً من وراء الإنسان ، فإذا قال : ورثته فكانه جثته وراءه بحيث لا يظهر .

النورية اصطلاحاً :

أما في الاصطلاح (٢) : فهو أن يذكر لها معنيان ، أما بالاشتراك ، أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، والمجاز أحدهما قريب ودلالة القطع عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة القطع عليه خفية ، فيقصد للكلمة المعنى البعيد ، ويورث عنه بالتقريب ، فيتوهم السامع أنه يريد للتقريب من أول وهلة ، ولهذا سمي أيها ما : كما سمي توجيهها وتخيلاً ، والنورية أول في التسمية لتقريبها من مطابقة المعنى ، من ذلك قوله تعالى : « قالوا تألف إناك نبي ضلالتك القديم » (٣) ، فانظر إلى كون الضلال ههنا يحتمل الحب وضد الهدى ، وكيف استعمله أولاد يعقوب عليه السلام ضد الهدى ، فوردوا به عن الحب ليعلم أن المراد ما أضلوا لا ما استعملوا (٤) . ومن ذلك قول أبي العلاء المعري :

وحرف كتنون تحت راي ولم يكن بذلك يلوم الرسم غيرهُ النقطة
لمن سمع هذا ليت توهم أنه يريد برأي وهذا حرفي المجيء لانه صدقَ بيته

(١) راجع عزارة الألفب ص ٢٢٩ والتوار لربيع ج ٥ ص ٥ .

(٢) السابقان والابيض ص ٢٥٢ .

(٣) يوسف ٩٦ .

(٤) راجع بدیع القرآن ص ١٠٢ .

بذكر الحروف واتبع ذلك بالرسم والنقش ، وهذا هو المعنى القريب للتباعد
أولاً إلى ذهن السامع :

والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقرب لأن المراد بها الحرف الثاقبة وبالحرف الثون
تشبيه الثاقبة به في تقويمها وضموها وبراء اسم الفاعل من رأى إذا ضرب الرقة
وبدال اسم الفاعل من دلا يدلوا إذا رقت في السير ، وبالرسم : أثر القادر ، وبالنقش :
المطر (١) ومعنى هذا القيت : أن هذه الثاقبة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت
رجل يضرب رجليها ولم يرق بها في السير فهو غير دال وقد تقدم أن الثاني هو
الترقيق وإلزام بها علواً غير المطر ومساها : واجتماع هذه الأوصاف دليل على
ضعف الثاقبة لأنها لو كانت قوية لما احتاجت إلى ضرب رجليها وإلى الفرقين بها مع
شدة شوقه إلى جوار أحبابه وذلك باعث على شدة السير .

وكما التورية :

ويظهر من تعريف التورية وتحليل ذبئك الشاهدين أن هذا الفن من فنون
البدع ركبتين معنويتين :

أولهما : المورى به وهو المعنى القريب للنقطة الذي لا يبعد فيه التكلم ويستر به
سواء .

ثانيهما : المورى عنه وهو المعنى البعيد المسور الذي يعنيه التكلم .
أقسام التورية :

لقد قسم القزويني التورية (٢) على أساس ما يذكر معها إلى ضربين هما :
المجردة والمرشحة؛ ثم زاد في هذين الضربين المتأخرون فأوصلها إلى أربعة بإضافة
البيئة والمبيئة إلى النوعين الأولين .

(١) راجع حواشي الآداب ص ٢٣٩ .

(٢) راجع الإيضاح ص ٣٠٢ .

أما للجردة : فهي التي تنجرد عما يلائم كلا من المعين ، أي المورى به والمورى عنه : مثال ذلك قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » (١) . فان الاستواء يطلق على معنيين هما الاستقرار في مكان ، والقدرة :

والثبوتية في الآية الكريمة لم تجامع شيئا يلائم المورى به ولا المورى عنه : واعترض بعض المحققين بأن فيه ما يلائم المورى به وهو على العرش ، لأنه ملائم للاستقرار . ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في خروجه إلى بدر ، وقد قيل له : من أنتم ؟ فلم يرد أن يعلم السائل فقال : من ماء ، أراد أناسطوق من ماء لمورى عنه بقية من العرب : ومن ذلك قول القاضي عياض :

كان كساون أعنى من ملايه شهر تميز أنواعاً من الحنكل
أو الغزاة من طول الذي عرفت فما تفرق بين الجدي والحنكل
بني كان الشمس من كبيرها وطول مدتها صارت خرقه الليلة العقل فترات
في برج الجدي في أو ان الطول برج الحمل : والشاهد في الغزاة ، فإنه لم يذكر
معها شيء من لوازم الغزاة الوحشية ، وهو المورى به كطول العنق ، وحسن الالتفات
ومرحة الثور ، وسواد العين : ولا شيء من لوازم الغزاة الشمسية ، كالاشراق ، والطلع ، والأفول .

وليس لقائل أن يقول : ان الغزاة قد ترشحت بالجدي والحمل ، وهي مرشحة
لهما ، لأنه يشترط في لوازم الثورية ان لا يكون اللفظ مشتركاً ، والغزاة هنا
مشتركة ، وكذا الجدي والحمل فأنهما يطلقان على الحيوان المعروف وعلى بعض
البروج ؟

وأذا أتت في الثورية بلازم لكل من المعين فكيفاً ولم يفرج أحدهما على
الأخر فكذلك لم تذكر شيئاً من اللازمين ، وصار المعنى القريب والمعنى البعيد

بذلك في درجة واحدة فتلحق هذه الثورية بالمجردة ، وتعد منها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار .

كقول ابن الوردي :

قالت لينا كُنْتُ تَهْوَى وَتَحْسِي نَحْوِي
صِفْ وَرْدَ عَدِّي وَلَا أَجُورَ قَابِلَتِ جُورِي

فقوله : وَرْدَ عَدِّي يلائم ان يراد بقوله : جوري اسم نوع من الورود ، وهو المعنى البعيد للورى عنه وهو المقصود ، وقوله : « وَلَا أَجُورَ » يلائم لان يراد به فعل الامر المستند الى ضمير الواحدة ، وهو المعنى القريب للورى به .

ولما الرشحة : فهي التي تجامع ملائمتا المعنى القريب للورى به وهي قسان : أولهما : ما جامع ملائمتا قبل الثورية ، كقول الشاعر :

حَسْبُكَمْ طَرًّا عَلَى دَهْنِهِمْ بَعْدَمَا خَلَعُوا عَلَيْهِم بِالْظَمَانِ مَلَابِهَا
الشاهد في كلمة « دَهْنِهِمْ » ، فانه يحتمل الخيل فدهم وهو المعنى القريب للورى به ، وقد تقدم لازمه الرشح له وهو لفظ الحمل ، لانه من لوازم الخيل .

ويحتمل التقييد وهو المعنى البعيد للورى عنه وهو المراد ، لانه أراد تقييد الدهن ، والليها : ما جامع ملائمتا بعد الثورية ، كقول الشاعر عطاء الملك في امرأة اسمها شجر :

بِاحْتِبَادٍ شَجَرٍ وَطَيْبٍ نَسَبِهَا لَوْ أَنَّهَا تَحْسِي بِمَا وَاحِدٍ
الشاهد في « شجر » فانه يحتمل ماله مائة من الثبات وهو المعنى اللورى به ، وقد رشحه بعد الثورية بما يلائمه وهو طيب النسب والسقي بماء واحد ، ويحتمل اسم المرأة وهو المعنى اللورى عنه وهو المقصود .

أما الثانية : فهي التي تجامع ملائمتا المعنى البعيد للورى عنه اما قبلها او بعدها .
فهي أيضا قسان :

الأول : ما جامع ملائكا قبل الثورية كقول الشيخ بصحة :

قالوا أما في جاني نسرعة تنبئك من أثبت به مقسري
يا عاذلي دولك من لحظة سهماً ومن عارضه سطر
الشاهد هنا : السهم هو السطر ، فإن المعنى الجيد المورى عنه هما الموضعان المشهوران
من منزهات دمشق ، وقد جادعا ما يلائمهما قبلهما وهو ذكر التزعة ، وأما المعنى
لقرب فهم الحق ، واطر العارض .

الثاني : ما جامع ملائكا بعد الثورية ، كقول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خوف سخطك لكان علي ما ألقى برحطك
ملكك الخافقين فتهت عجبا وليس هذا سوى قلبي وقسطك
فانه أراد بالخافقين لله وقرط محبوبته ، وهذا هو المعنى الجيد المورى عنه ،
وقد يته بالنس عليه في الصراع الأخير . ويحتمل أن يريد للشرق والمغرب ،
وهذا هو المعنى لقرب المورى به .

أما النهاية : فهي التي تخطر ال ذكر شيء يبيها لاحتمال الضيق اما قبلها ،
أو بعدها ، إلا لم تنهيا الثورية ، أو تكون بلقطين أو أكثر لولا كل منهما لم تنهيا
الثورية في الآخر ، فهي بهذا الاعتبار ثلاثة السام :

الأول : ما نهيات بلفظ قبلها كقول الشيخ أحمد بن عيسى الرشدي في شداد
فافة شريف مكة للشرق ، والشداد في عرف أهل الحجاز الرحل :

ألقى الشداد بدت بسـ شمس الخلافة والهلل
ومن العجائب جمعه لبث القراملة والخرال

الشاهد في الهلال والنزال ، فأنهما يحتملان أن يكونا بمعنى قصر وواللطف ،
وهذا هو المعنى لقرب المورى به ويحتمل أن يراد به جزآن من الرحل ، فإن
هلال في اصطلاحهم مفرج مقدم الرحل ، والنزال الرحل كالتقريبوس للرج .

وهذا هو المعنى البعيد للورى عنه : ولولا ذكر التشديد قبلهما ما نهيت التورية
فيهما

الثاني : ما نهيات يلفظ بعدها كقول ابن الربيع :

لولا التطيرُ بالخلافِ وانهم قالوا مريض لا يعود مريضاً
لنسبت لخصي في جنبك علةً لا يكون متدبياً نفسى مفروضاً
لان التدبب يحتمل ان يكون اسم مفعول من ولذب لبيت ، اذا بكاه ، وهو
نمى البعد الذي قصده الناظم وورى عنه ، ويحتمل أن يكون خلاف المفروض
وهذا هو المعنى القريب للورى به ، وذكر المفروض بعده هو المعنى هيا التورية ،
ولو لم يكن ما كان فيه تورية لينة .

الثالث : ما وقعت فيه التورية بلفظين أو أكثر ، لولا كل منهما لم تنهيا التورية ،
في الآخر ، كقول صر بن أبي ربيعة في ثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية
الأصغر ، وقد تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

أيتها الكنجُ ثريا سهيلاً عَشْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هي شاميةٌ اذا ما استقلتِ وسُهَيْلٌ اذا استقلَّ يسماني
فان كلا من ثريا وسهيل هيا صاحبه التورية ، فلفظ ثريا هيا سهيلاً لاحتمال ان
يراد به الكوكب المعروف ، ولفظ سهيل هيا ثريا لاحتمال أن يراد بها المعلقة
المروقة ، لكون احدهما شمالياً والآخر جنوبياً ، وهذا هو المعنى القريب للورى
به : ومراد الشاعر النما هو صاحبه الشامية للدار والقبيلة ، لأنها من بني أمية
الأصغر بن عبد شمس ، وسهيل القبلي للدار لا القبيلة ، وهذا هو المعنى البعيد
للورى عنه ، ثم له ما أراد من الابتكار على من جمع بينهما باللفظ وجه .
ومث قول المعري :

إذا صدق الجِدُّ انترى الصم قنسى مكارم لا تكبرى وان كلب الخال
فان كلا من الجِد والعم والخال يعني صاحبه التورية بظاهر معناه ، ومراده
بالجد : الحظ ، وبالعالم : الجماعة ، وبالخال : المخيلة .

البحث الثاني

حسن التعليل

قال عبد القاهر الجرجاني هو أول بلاغي درس موضوع حسن التعليل والتمهيد (١) له حده وتعيينه وراثياً شواهداً وأمثله ومنهياً بأنواعه وأضرابه، وذلك في أثناء بحث التخييل وأضرابه من تشبيه الصورة وسوق العلل. فقد تحدث عنه بصورة مباشرة قائلاً: وهو أن يدعي في الصلة الثابتة للتشبيه أنه إنما كان لعله يضعها الشاعر ويختلقها، أما الأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح أو تعظيم الأمر من الأمور (٢). ومثل ما يدخل في هذا الفن يقول المتنبي:

لَمْ يَتَحَكَّرْ تَأْتِكَ السَّحَابُ ، وَإِنَّمَا حُشِنَتْ بِهِ ، فَصَيَّهَا الرَّحْمَاءُ (٣)
ثم حمله مولانا بين أسلوبه وبين التشبيه من حيث يشبه الجواهر بالتيث فاته وضع المعنى وصوره في صورة خرج معها إلى مالا أصل له في التشبيه فهو كالواقع بين الضربين وقریب منه في أن أصله التشبيه ثم باعده بالصيغة في تشبيهه ، وخلق عنه صورة خطا قوله:

وما ربح الرياض لها ولكن كساحها وفنهم في القرب طيبا
ومن لطيف هذا النوع قول أبي العباس القضي:

لَا تَرَكْنِي إِلَى الْفَسَا فِي وَإِنْ صَكَنْتَ إِلَى الْعَنَاقِ
فَالشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا تَحْتَرُّ مِنْ قَرَقِ الْفَيْسَرِاقِ
ادعى لتعظيم الفراق أن ما يرى من الصفرة في الشمس حين يرق نورها بدونها

(١) اسرار البلاغة ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٦ .

(٣) الرحضاء : البرق في البحر الحمر ، أي للصوب من السحاب هو برق الحمر .
فتزول النظر من السحاب ونصف ثابت لا يظهر له في المادة عذوقه طه باله برق
ساحها الطامة يسبب تأكل الممدوح وتقرقه حبه .

من الأرض لما هو لأنها تفارق الآن الذي كانت فيه أو الناس الذين طلعت عليهم ،
وأنت بهم وأنتوا بها وسرهم وفيها (١) .

ثم عقد عنوان فصل وهذا فن (٢) آخر في التحليل وقال :

وهو أن يكون المعنى من المعاني والفعل من الافعال علة مشهورة من طريق القادرات
والطباع ثم يحرم الشاعر ليمتنع أن يكون لتلك المعروفة ويضع له علة أخرى (٣) ،
وأورد لهذا النوع شواهد كثيرة حلل معانيها ووازن بين عطلها للمخرعة وبين
عطلها الحنطية التي يتعارف عليها الناس واتخذ بعضها لآخراتها في البائنة وضعت
أسبابا ويمكن لشعر التفتيح من الأخذ عليها ، ومن الشواهد التي لوتضاها في هذا
الباب قول أبي طالب التأموني في المديح :

مفرم بالثناء صب بكسبه لا جد بهتر قساح لرباسا
لا يذوق الاغضاء إلا رجاء أن يرى طيف مستبج رواحا
ثم علق عليه بقوله : وكانه شرط الرواح على معنى أن الغداة والراجين لما
يحضره في صدر النهار على عادة السلاطين لما كان الرواح ونحوه من الاوقات
التي ليست من اوقات الاذن قلوا فهو يشاقق اليهم ليلام لئامس برؤية طيفهم (٤) ،
ويظهر من هذا كله ان عبد القاهر الجرجاني درس حسن التحليل ضمن موضوعات
البیان وفي معرض نقد التحليل عارضا لعل المخرعة على اللوق السليم مبرراً فيها
مابلانم هذا اللوق صا يخالفه :

تعريف حسن التحليل :

وتلقت علماء البلاغة المتأخرون دراسة عبد القاهر وأدخلوها في انواع البديع
مفروين له حدّاً جامعاً عالماً وجاعلين إياه من المعينات المنوية متجهين أغربه
وأصله من اشاراته وفي ضوء شواهد :

(١) المصدر السابق ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٤ .

وملاك الامر عندهم جداً وتعرفنا: أن حسن التحليل هو أن يذكر الاديب صراحة، أو ضمناً، حلة الشيء المعروفة، ويأتي بحلة اخرى ادية طريقة، لها اعتبار لطيف، ومشتتة على دقة النظر، بحيث تناسب الغرض الذي يرمي اليه؛ وعليه فان الاديب في هذا الفن يدعى بوصف حلة مناسبة غير حقيقية، ولكن فيها حساً وطرافة، فيزداد بها المعنى المراد الذي يرمي اليه جتماً^(١) وشرقاً.

المعرب حسن التحليل :

أما اضربه فهي عندهم اربعة اقسام (١) : لان الوصف الذي أدعى له حلة مناسبة، أما ثابت أريد اتيته أو غير ثابت، والاول اما أن لا يظهر له في العادة حلة أو يظهر له حلة غير المذكورة والثاني اما ممكن أو غير ممكن *

اما الاول: وهو الذي لا يظهر له في العادة حلة فنقول الشيخ جمال الدين الحلبي: ولما نكسنا وجهه الربيع نقابه ولاحق بأطراف الرياض النسيم^١
فطارت عتول الطير لما رأينه وقد بهتت من بينهن الحسائم^٢
عشقين جنونا بالرياض وحشها فرحن وفي أحضانهن النسيم^٣

واما الثاني: وهو الذي يظهر له في العادة حلة غير المذكورة، فنقول الشاعر: أكنسى لؤلؤي بالبكسا مقاعلاً بها وبأليها
تجول وفي عينها حشمة أنكسي بعين لرائي بها
فقلت اذا امتعت غيركم أسرت للمسرح بتأنيها
فان العادة في دمع العين أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب واعتراض الرقيب ونحو ذلك من الأسباب الموجبة للاكتساب، لاما جعله من التأنيب على الاساءة باستحسان غير الحبيب *

(١) داج انوار الربيع ج ٦ ص ١٢٦.

وأما الثالث: وهو الوصف غير الثابت الذي أريد إثباته وهو ممكن، فנקقول الشاعر:
 ولقد همت بقتلها من حبها كما تكون خصيئي في المحشر
 حتى يطول عسل الصراط ونفوسنا فلهذا عيني من لهذا المنظر
 لما ادعى أمراً غير ثابت ولا معتاد، وهو همّ العاشق بقتل محبوبته، عليه بطول
 الزحف معها للمخاصمة يوم المحشر على الصراط، فנקلط عنه بالنظر إليها.
 وأما الرابع: وهو الوصف المذكور غير الممكن، فנקقول الشاعر:

لولم تكن نية الجوزاء عسمة لما رأيت عليها حقد منقطيق
 غبة الجوزاء خضعة المدحوص وصف غير ممكن، أراد الشاعر إثباته، فجعل
 الانقطاع علة له. وإلى جانب هذه الاغرب الأربعة ألحق بحسن التعليل ما بني
 على التشكك، وأما الحق به ولم يجعل منه، لأن حسن التعليل فيه ادعاء واصرار
 والتشكك يتنافى، ومثاله قول أبي تمام:

رأى شفتي ربح الصبا بنسبها إلى الزن حتى جادها وهو هامع
 كأن السحاب الغر غيبين تحتها حبياً لما ترقى لهن مدايع
 فعلى سبيل التشكك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت حبياً تحت تلك
 الرمي لمحي تكمي عليه.
 طبيعة حسن التعليل والقره:

لقد لاحظ باحثون معاصرون (١) أن الأسس التي أقام عليها البلاغيون القدماء
 قسمة حسن التعليل إلى تلك الاغرب الأربعة لا تعتمد النظر العقلي ومساءلة الممكن
 وغير الممكن المطلقة، في حين أن هذا الفن مرده إلى التمثيل الذي ربما لا يكون
 مستكناً. ومن هنا قلهم رأوا أن التعليل الأدبي الذي سمّاه البلاغيون «حسن التعليل»،
 أساسه الخيال والملاحظة، والفرض منه فتأثير في الوجدان وادخال السرور على السامع
 بدمجه أو التخفيف من وقع مصيبة أصابته أو شدة أليته به. ثم ولزوا بينه وبين

(١) راجع دراسات في علم النفس الأدبي ص ٤٩ - ٥١، وبنون بلاغية ص ٢٩٢

التعليل العلمي مبین أن التعلیل مرده التعلیل والتدبر العقلی والبحث فی طبائع الأشياء
ثم انه تعلیل واقعی موضوعی یرجع فیہ العالم إلى الواقع والحقیقة ، وان التعلیل
الأدبی تعلیل ذاتی نفسی یرجع فیہ الأدب إلى ذوقه الفني وخیاله الأدبی وعاطفته
الجمالية .

البحث الثالث

الطباق

الطباق لغة:

الطباق ويقال له المطابقة والتطمين لغة - على رأي الفراهيدي - من قولهم :
« طبقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذر واحد » (١) .

وقيل بل هو في اللغة « أن يضع البحر رجله في موضع يده فإذا فعل ذلك قيل
طابن البحر » وقال الأصمعي: للمطابقة أصلها وضع الرجل موضع يده في شيء فوات الأربع ،
الطباق اصطلاحاً :

أما اصطلاحاً فهو التجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر كالإيراد والاصدار
والليل والنهار والياض والسموات (٢) .

ولاحظ بعض البلاغيين أنه لا مناسبة بين معنى المطابقة لغة ، ومعناها اصطلاحاً
فإنها في اللغة الموافقة ، والتجمع بين الضدين ليس موافقة .

وقد ذهب ابن أبي الحديد إلى إيجاد صلة بين المعنى اللغوي للطباق وبين مندرجه
الاصطلاحى فقال : « يطبق بالتحريك في اللغة : هو المشقة »

قال الله سبحانه : « وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْ ظُلُمٍ » (٣) أي : مشقة بعد مشقة .
ولما كان التجمع بين الضدين على الحقيقة شاقاً بل متعباً ، ومن عادتهم أن
تعملى الإلفاظ حكم الحقائق في أنفسهم توسعاً ، سموا كل كلام جمع فيه بين
الضدين مطابقة وطباقاً (٤) .

(١) البديع ص ٣٦ .

(٢) راجع خزاعة الأدب ص ١٥ .

(٣) الانشقاق ١٩ .

(٤) راجع النوار المربع ج ٢ ص ٢٢ .

نصوص من فن الطباقي :

وأما كان وجه المناسبة بين المعنى القمري والدلول الاصطلاحي لكلمة الطباقي ، فإن نصوص اللغة العربية قد زخرت بالشواهد التي حملت إلينا هذا الفن من البديع .

فقد نقل إلينا ابن المعتز في عبوه منهجه التاريخي طائفة من هذه النصوص التي منها قوله تعالى : «ولكنكم في التقصير حياة» بالرئي الألياب » (١) إذ جاء الطباقي بين التقصير والحياة ، وقول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - للاقصار وإنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطبع ، فالطباقي في هذا الحديث الشريف بين «تكثرُونَ» و «تقلُونَ» وبين «الفزع» و «الطبع» .

وقول عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله «إن ذهب أعونك علينا فقد بقي أعرك» فالطباقي هنا بين «ذهب» و «بقي» وبين «أعون» و «أعرك» . (٢) .

أنسام الطباقي :

لقد قسم البلاغيون الطباقي قسمين رئيسين :

أولاهما : قسمته على أساس الآليات والتي ، وصنفوا الطباقي على هذا الأساس صنفين :

أولهما : طباقي إيجاب وهو التجميع بين لفظين مثبتيين متضادين مثل : لفتة «أبظاظ» و «رقود» في قوله تعالى : «وَنَحْنَبُهُمْ أبْظَاظًا وهم رُقُود» (٣) .
وثانيها : طباقي سلب وهو التجميع بين لفظ ومنفيه نحو «لا يطمرون» و «يطمرون» في قوله تعالى : «ولكن أكثر الناس لا يطمرون» ، يطمرون ، ظاهراً من الحياة الدنيا» (٤) .

(١) البقرة ١٢٩ .

(٢) راجع البديع ص ٣٦ .

(٣) الكهف ١٨ .

(٤) الروم ٦ - ٧ .

ولذلكهما : تست في ضوء نوع التضاد المتضادين ، وبهذا الاعتبار لاحظوا
أن طباق ثلاثة أنسام :

أولها : الطباق الذي يأتي فيه المنطقتان المتضادتان إسمين نحو : الحي ، و البيت
في قوله تعالى : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ » (١) ، ونحو
« ساحرة » و « نائمة » في قول الرسول الكريم : « غير المال عين ساحرة
لعين نائمة » .

وثانيها : الطباق الذي يكون فيه المنطقتان المتضادتان فعلين مثل :
« تَوَيَّ » و « تَزَع » و « تَزَّ » و « تَعَلَّ » في قوله تعالى : « يُكَلِّمُ الْفُكَّكَ مِنْ تَعَاهٍ وَتُشْرَعُ
الْفُكَّكُ مِنْ تَعَاهٍ وَتُشْرَعُ مِنْ تَعَاهٍ وَتُكَلِّمُ مِنْ تَعَاهٍ » (٢) ،
ولذلكها : الطباق الذي استوى المنطقتان المتضادتان فيه حرفين : كالحرفين :
« لاء » و « عياء » في قوله تعالى : « لاء ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٣) .
بين الطباق والمقابلة :

لقد أدخل ليف من علماء البلاغة في الطباق المقابلة ومن هؤلاء القزويني الذي
قال : « ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة ، وهو : أن تأتي بعينين مترافقتين
ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ، والمراد بالتوافق خلاف التقابل .
ولقد تتركب المقابلة من طباق وملحق به . مثال مقابلة اثنين باثنين قوله تعالى :
فَلْيَسْحَرَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونَا كَثِيرًا » (٤) ، ونقول النبي - عليه السلام - « أن الرقيق
لا يكون في شيء إلا زانه ولا يرتج من شيء إلا ضالته » ومثال مقابلة ثلاثة بثلاثة
قول أبي دلالة :

(١) التورم ١٩ .

(٢) آل عمران ٢٦ .

(٣) البقرة ٢٨٦ .

(٤) النوبة ٨٢ .

ومثال مقابلة أربعة بأربعة قوله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ: فَتَنْتَبِهْ إِلَيْهِ» وأما من يتخيل واسطى: وكذا تب بالهسنى فتنتبه لهسرى» (١).

ومثال مقابلة خمسة بخمسة قول المتنبي: «أزورههم» وسواد الليل يتشقق لي والثني وياض الصبح يتخري بي (٢) ورد بعض الباحثين (٣) على أولئك البلاغيين الذين أدخلوا المقابلة في الطباق مفردون أن المقابلة أهم من المطابقة وهي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق فيما يوافق صارت المقابلة أهم من المطابقة فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب ابن أبي الأصم (٤) فإنه قال صحة المقابلات عبارة عن نوعي التكلم بين الكلام على ما ينبغي فلذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب بحيث يقابل الأول بالاول والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق ثم أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين شيئين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة أضداد، فإذن في صدر الكلام ، وإضدادان في عجزه وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد خمسة في الصدر ، وخمسة في العجز .

وإلى جانب ذلك فإن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغير الأضداد ولكن بالأضداد أملا رتبة وأعظم موقعا .

ولعلنا نلاحظ بجلاء أن أوجه التفريق بين المقابلة والطباق على ذلك النحو لا نستقيم حدودا فاصلة تقطع ما يصل بين اثنين ككل القطع ، وآية ذلك أن أولئك

(١) الليل ٥ - ١٠ .
 (٢) على أن المقابلة الخاصة بين ي و ي فيه نظر ، لأن اللام والياء فيها مثلتا المعين .
 فيها من تملها . (راجع الأيضاح ص ٢٤١) .
 (٣) راجع النوار الرابع ج ١ ص ٢٩٨ .
 (٤) راجع بلع القرآن ص ٢٣٠ ٢٣١ .

الباحثين انفسهم الروايات المتعاقبة اعظم من الطباق ، ومعنى هذا انهما يتلازمان
تلازم تمام والخاص ، كما ان حصرهم للطباق في لفظين متضادين واحلاق
هذا العدد للمقابلة إلى عشرة أمر شكلي لا يغير من وحدة طبيعة الفنين .

زاد على هذا أنهم حين رأوا المقابلة تكون بالاضداد وغير الاضداد ، عاصروا
فأكدوا أن ما يكون بالاضداد أحلا رتبة ، وهذا يدل على أن المقابلة إذا كانت أحلا
رتبة فينتهي أن تكون بالاضداد مثل الطباق ؛ وإن فلا غير أن نوحده مصطلح
المقابلة والطباق وندخل الفنين في نوع واحد نسبه للطباق ونجنب بحث هذا
الموضوع كثرة الخلافات بين البلاغيين الاسلاف .

شرح الطباق :

أكد بعض البلاغيين أنه لا يمكن أن يلزى بالطباق بعيداً عن أي هدف ومجرداً
عن كل تأثير ، وإنما ينبغي أن يأتي مرشحاً بنوع من البديع لكي يكتبه جديلاً
وبهاء . ومن هؤلاء البلاغيين ابن حجة الذي قال بهذا الصدد : «إن المطابقة التي
يأتي بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضم وهو شيء سهل
التهتم إلا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه في البهجة والرواق كقوله تعالى :

«تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي وترزق من شاء بغير حساب» (١) ؛ ففي العطف بقوله تعالى :

«وترزق من شاء بغير حساب» دلالة على أن قسراً تلك الأفعال العظيمة قدر على
أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقوة
الرب سبحانه وتعالى فانظر إلى عظم كلام الخالق هنا لقد اجتمع فيه المطابقة
الحقيقية والمكس الذي لا يترك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التي لا تليق
بغير قدرته» (٢) .

(١) آل عمران ٢٧
(٢) عزالة الادب ص ١٠١

تأثير الطباقي :

إن الطباقي - فتا بديماً خالصاً - تأثيره الخاص المتميز ، ويتجلى هذا التأثير في أنه يجمع بين الانحداد يخلق صوراً ذهنية وتقسمة متعاكسة يوازن فيما بينها عقل القارئ ووجدانه فيتبين ماعز حسن منها ويفصله عن ضده ومن هنا كان هذا الفن البديهي يستوي بحد ذاته معرضاً للمعالي اللغوية والنفسية والعقلية المتنافرة فتترك في الشعور أثراً عميقاً بأسلوبها المتوازن المقارن

المبحث الرابع المشاكلة

المشاكلة لغة واصطلاحاً :

إن المشاكلة في اللغة هي الشابة والمواقفة (١) ، وفي الاصطلاح البلاغي هي ذكر الشيء بلفظ غيره ، لوقوعه في صحبته كقوله تعالى : «وجزاء سيئة سيئة» مثله (٢) . فالجزاء عن السيئة في الحقيقة غير سيئة والأصل وجزاء سيئة عقوبة مثله ، وقد استبدلت كلمة «عقوبة» بكلمة سيئة لمشاكلة كلمة سيئة في صدر الآية . ومثله قوله تعالى : «وَتَعَلَّمْ^٣ مَآءِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَآءِي نَفْسِي» (٣) والأصل تعلم مآئي نفسي ولا أعلم ماعدك فإن الحق تعالى وتقدس لا يستعمل في حقه لفظ النفس إلا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس .

ومن ذلك ماحكى عن بعضهم أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى الصبح في يوم بارد ، ويقولون له ، ماذا تريد أن تصنع لك طعاماً وكان فقيراً ، ليس له كسرة تقيه البرد ، فكتب إليهم يقول :

أصحابنا قصدوا الصبح بحرارة^٤ وأنى رسولهم إلى^٥ عصبها قالوا اقترح شيئاً نحبك^٦ لك طبخة^٧ قلت : اطلبوا لي جبنة^٨ وقصبها أي : عبطوا لي جبة وقصبها ، فذكر الطبخة بلفظ الطبخ لوقوعه في صحبة طبخ الطعام . وانقرر في هذا الفن أنه لا يلزم تقديم صاحب لحيته متأخراً ، كقول النبي الكريم : «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» فعليكم من الأعمال بما يطيقون فإن الله لا يسل حتى ثملوا^٩ فمعبّر عن قطع الثواب بالثلل لوقوعه في صحبته وهو متأخر عنه .

(١) راجع خزائن الأدب ص ١٥٦ ج ٤ ، والوارد الربيع ج ٥ ص ٢٨٤ .

(٢) الشرح ص ٤٠ .

(٣) اللغة ص ١١٦ .

ضرباً المشاكلة:

إن المشاكلة ضربان:

أولهما: المشاكلة التي وقعت تحقيقاً كما في الشواهد التي مرّت بنا .

ثانيهما : المشاكلة التي وقعت تنديراً وهذا كما تقول لمن يفرس الأشجار
والفرس كما يفرس فلان، تريد رجلاً يصطنع الكرام ويحسن إليهم ، فتعبر عن
الاصطناع بلفظ الفرس للمشاكلة ، وقرينة الحال ، حيث كان مشغولاً بالفرس وإن
لم يكن له ذكر في القال:

المبحث الخامس

تأكيد المدح بما يشبه الذم

وتأكيد الذم بما يشبه المدح

يتناول البلاغيون تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح في معرض واحد ، ذلك لأن الموضوعين مبنيان على أسلوب بلاغي واحد هو بناء حكم معنوي موهم بخلاف المقصود ثم الاستثناء منه بما يثبت غرض التثكيل .

تسميات موضوع تأكيد المدح بما يشبه الذم :

لقد تحدثت تسميات موضوع تأكيد المدح بما يشبه الذم منذ أن استخرجه ابن المتر وعده مُحْكَمًا من محاسن الكلام (١) ، فقد سمي والمدح في معرض الذم واللفظي والجهرود ، (٢) كما سمي الاستثناء ، لأن حسه المعنوي من أثر أداة الاستثناء التي ينشأ عليها .

حد تأكيد المدح بما يشبه الذم :

وحده قائم على لفظي صفة ذم أو صفة مدح ثم يستثنى صفة مدح كقوله تعالى :
« لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأليماً : إلا قليلاً سلاماً سلاماً » (٣) .

وفي هاتين الآيتين بقيت صفة ذم في قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأليماً » ثم ذكرت أداة الاستثناء « إلا » وبعدها وردت صفة مدح في قوله تعالى « سلاماً سلاماً » ، فتأكد بذلك مدح ما يقتضيه الالذان في البنية من عدم سماع للغو والتأليم وذلك بإيراد صفة مدح أخرى هي القول « سلاماً سلاماً » .

(١) البديع ص ٦٢ .

(٢) انوار الريح ج ٦ ص ٢٧ .

(٣) الواقعة ٢٦ - ٢٧ . ومثل أداة الاستثناء في ذلك ، أداة الاستدراك في قول الشاعر :
وجسود كآلهار الرياض نفاذة ولكنها يوم الفلج مسفود

ههنا تأكيد المدح بما يشبه الذم :

ويستتبع من ذلك الحد أن تأكيد المدح بما يشبه الذم ضربان :

الأول : أن يستثنى من صفة ذم متفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها كقول الشاعر الليثي :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بين فلول^١ من قيراع الكتاب

ففي هذا البيت تقي الشاعر عن مملوحيه صفة ذم هي العيب فيهم ثم استثنى بأداة الاستثناء «غير» صفة مدح هي أن سيوف أولئك المملوحين فيها فلول من قيراع الكتاب وبنازلتها فدخلت صفة المدح هذه في صفة المدح السابقة مؤكدة إياها ومثبتة حكمها :

الثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ، ثم يأتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى كقول الشاعر الجعدي :

فسي^٢ كملت أخلاقه غير أنه جواد لما يبني من المال باقيا
فالشاعر قد أثبت لمملوحيه صفة مدح هي كمال أخلاقه ثم أتى بأداة الاستثناء «غير» فوهم أنه سيأتي بصفة ذم ، ولكنه أورد صفة مدح ثانية هي أنه جواد لما يبني من المال باقيا ، فتأكد مدحه وترسخ :

طبيعة تأكيد الذم بما يشبه للمدح :

لما تأكيد الذم بما يشبه المدح فهو مثل تأكيد المدح بما يشبه الذم قائم على الاستثناء وهو ضربان : (١) .

الأول : أن يستثنى من صفة مدح متفية عن الشيء صفة ذم بتقدير دخولها فيها نحو قوله :

حكلا من الفضل غير أنسي لراء في الحُمن لا يُجسارى

(١) راجع الإيضاح ص ٢٧٤ .

لها نقيض من المجهول صفة مدح هي خلوه من الفضل ثم ذكرت أداة استثناء
 وغيره وأعقب بصفة ذم هي عدم مجاراته في الحق ، فأكدت صفة الذم هذه
 صفة المدح الثانية فثبت ذم المجهول بصفتين متعارضتين .

الثاني : أن يثبت الشيء صفة ذم ، ويعقب بأداة استثناء تليها صفة ذم أخرى
 له ، نحو قول الشاعر :

لثيم الطباع سوى أنسه جبان^١ بهون عليه الهوان
 قال الشاعر في هذا البيت أثبت للمجهول صفة ذم هي لوم الطباع ثم بنى عليها أداة
 الاستثناء وسوى صفة ذم ثانية : البهون وهوان الهوان عليه ، فالتفت الصلتان
 لليمينان لتأكيد ذمه .

بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وتقليبه :

يقوم بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح في الأصل على
 مباغضة السامع بخلاف ما يتوقعه ، ذلك لأن التكلم عن مایسوی صفة مدح ثم يورد
 أداة استثناء يتوقع السامع أن يسمع منه صفة ذم يحكم هذه الأداة التي تعيد أن
 ما بعدها يأتي بخلاف ما قبلها حكما ومعهما .

أما حينما يسمع مدحا آخر فإنه يباغت ويقع في حالة الشعور بما طلع عليه من
 أمر توقعه وتقليبه وبخلافه . وكذلك عندما يلقى صفة ذم بعدها أداتاستثناء يتوقع
 أن يسمع صفة مدح ترشحها أداة الاستثناء وتقتضيها ، ولكنه حين يسمع صفة
 ذم أخرى يشعر بخيبة توقعه ويباغت بخلاف ما تنبأ له فينبأ (١) :

(١) ينظر توتون بلاغية ص ٣٠٨-٣٠٩ .

فصل ثالث المحركات النحوية البحث الأول الجناس

يبدو أن الجنس من أقدم الموضوعات البلاغية التي صنف فيها اللغويون كتباً، وعيّن له علماء البلاغة مباحث من مصنفاتهم ، فقد ألف فيه الأصمعي كتاباً سماه الجنس (١) وصنف فيه أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب : الجنس من كلام العرب وما اشبه في القنط والحظف في المعنى ، ذكر فيه الألفاظ المشقة في الشكل والمختلفة في المعنى .

كما بحث عبدالله بن الحارث في الباب الثاني من كتابه (٢) البديع التجنيس وتحدّه ، لهذا واصطلاحاً وأورد له شواهد ثم نقله المؤلفون في علم البديع وقاطعو الهدايا وشرحها فاقروا في اتواعه وتفرّج على هذه الأنواع .

الجناس اشتقاقاً ولغة :

والباحث المعاصر إذا يريد أن يقدم عن الجنس صورة واضحة مشقة لابدّ قبل كل شيء - من أن يلمّ به اشتقاقاً ويحدد معناه لغة .

ونقرر في كتب البديع أن الجنس والتجنيس والمجانسة والتجانس كلها ألفاظ مشتقة من الجنس ، فالجناس مصدر جناس ، والتجنيس تفعيل من الجنس ، والمجانسة مفاعلة منه ، لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة ، والتجانس مصدر لتجانس الشئان إذا دخلتا تحت جنس واحد (٣) ، ولال الخليل : « الجنس لكل غريب من الناس ، والظهور والعروض والنحو » (٤) ، كما حكى عنه قوله : « بهذا يجانس هذا أي يشاكله » (٥) :

(١) راجع كتاب الصناعات ص ٢٢١ ، والنوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

(٢) راجع البديع ص ٢٥ .

(٣) راجع النوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

(٤) البديع ص ٢٥ .

(٥) النوار الربيع ج ١ ص ٩٧ .

لقد نبى البلاغيون (١) وعلماء البديع (٢) على ما حكى عن الخليل حدّ الجناس اصطلاحاً فقررُوا أن الجناس بين اللفظين هو تشابهُهُما في اللفظ أي في النطق وفي ضوء هذا الحد يعدّ الجناس عند جمهور البلاغيين من المحسنات اللفظية بحدّ أن "هذا القاهر أكد دور هذا النوع في تصوير المعنى وتمكيته من العقل تعبيراً وتأثيراً فقال : « أما التجنيس فالتك لائمحين تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعاً حيداً ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً ، أراك استعصفت تجنيس أي تمام في قوله :

فَأَعْيَبْتُ بِمَذْهَبِهِ السَّاحَةَ فَأَكْثَرْتُ لِيهِ الظُّنُونَ أَمْكَهَبُ أَمْ مَكْهَبُ ؟ واستعصمت تجنيس التائل وحيّ نجا من خوفه وما نجا ، (٣) ، وقول المحدث : ناسطراه لهما جنس ناسطراه أو دعائتي أمت بما أودعائني لأمر يرجع إلى اللفظ ؟ أم لالتك رأيت القائلة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني ؟ ورايتك لم يزدك ، « مَكْهَبُ » و « مَكْهَبُ » على أن اسمك حروفاً منكورة ، تروم لها قائلة فلا تجعلها إلا مجهولة منكورة ، ورايت الآخر قد أعاد إليك اللفظة كأنه يمدحك عن القائلة وقد أعطاه ، ويوهبك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ودعاها . فبهذه السريرة صار التجنيس - وخصوصاً المستوفى منه للخلق في الصورة - من حل الشعر ومذكوراً في أقسام البديع ، (٤) :

يضيف هذا التأكيد إلى حدّ الجناس ذلك مسألة معنى اللفظين للتجانس ، وتوضح هذه المسألة في أن حقيقة الجناس هي أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً (٥) ،

(١) راجع الإيضاح ص ٣٨٢ .

(٢) التوارق ج ١ ص ٩٧ .

(٣) نجا الأول بمعنى : أحدث ، وثانية بمعنى : غلب .

(٤) لسان البلاغة ص ٦ - ٨ .

(٥) راجع للعل السائر ج ١ ص ٢٤٤ .

أو بعبارة الطوسي : « أن تتفق اللفظان في وجه من الوجوه ويختلف معانيهما » (١).
السواع الجنس :

لقد تبارى بعض البلاغيين وعلماء البديع في تلمس أنواع الجنس وانتهوا في ذلك إلى الغاية القصوى في التخصيم والتفريع ، واقرب التفسيرات إلى حقيقة الموضوع هو أن الجنس ضربان رئيسان :

أولهما : الجنس التام : وهو أن تتفق اللفاظ في أربعة أمور هي : أنواع الحروف ، وأعدادها ، ومبانيها ، وترتيبها ، نحو قوله تعالى : « يوم تقوم الساعة » بمقتسم الجرْمون عايشوا غير ساعة ، (٢) : قلنظة « الساعة » الأولى معناها يوم القيامة ولفظة « الساعة » الثانية معناها وحدة قياس الزمن ، واللفظان متفقان في أنواع الحروف إذ أن كل واحدة منهما مؤلفة من السين والالف والعين والهاء . وفي عدد الحروف ، فبئة كل واحدة منهما أربعة أصوات ، وهما هما الحركات والسكنات غير الأخرى متحدة ، كما أن أصواتهما متساوية في الترتيب ، ذلك لأن الصوت الأول فيهما هو السين والصوت الثاني هو الالف والصوت الثالث هو العين والصوت الرابع هو الهاء :

ثانيهما : الجنس غير التام : وهو أن يختلف اللفظان في أمر واحد من الأمور التي ينت الجناس التام ويضفا في سائرهما وهو بذلك على أربعة أنواع :

أولها : اختلاف اللفظين في الهيئة ويسمى جناسا محرفا . ثم إن الاختلاف من هذا القبيل قد يكون في الحركة فقط نحو قوله تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرِينَ فانظروا كيف كان عاقبة المُنذَرِينَ » (٣) .

ففي هذه الآية الكريمة اللفظان المتجانسان « منذرين » و « المنذرين » اعطفوا في

(١) راجع الطراز ج ٢ ص ٣٠٦ .

(٢) الروم ٥٥ .

(٣) الصافات ٧٢ - ٧٣ .

حركة (٦) حرف اللال اذ هو مكسور في اللفظ الاول لانه اسم فاعل ، ومفتوح في اللفظ الثاني لانه اسم مفعول .

وقد يكون الاختلاف في الحركة والسكون نحو قول ابي العلاء المعري :
والحسن يظهر في يمين روثه يَمِيتُ من الشجر أو يَمِيتُ من الشجر (٣)
الشاهد في لفظي «الشعر» و «الشعر» اذ حرف العين في اللفظ الاول ساكن وحرف العين في الثاني متحرك بالفتح .

فاليهما : اختلاف اللفظين في أعداد الحروف وهو ما يسمى جناساً ناقصاً ، ويكون ذلك على وجهين :

احدهما : ان يختلفا بزيادة حرف واحد في الاول كقوله تعالى : «والتَّت السَّاقُ»
بالساق إلى ربك يومئذٍ السَّاقُ ، (٣) ، فاللفظان «الساق» و «السَّاقُ» اختلفت فيهما عدد الحروف فالاول مؤلف من ثلاثة حروف والثاني من أربعة حروف بزيادة حرف الهم في أوله . أو تكون زيادة الحرف في الوسط كقوله : «جدي جهدي»
فاللفظان «جدي» و «جهدي» يختلف فيهما عدد الحروف بزيادة حرف الهاء في وسط اللفظ الثاني . أو تكون زيادة الحرف في الآخر ، كقول البحري :
لئن صدقت عن غرقت أنفسهم صوادٍ إلى تلك الوجوه الصوادِ (٤)
الشاهد في اللفظين «صوادٍ» و «الصوادِ» إذ زاد اللفظ الثاني على اللفظ الاول بحرف الفاء في آخره (٥) .

(١) والشدة في هذا الباب يقوم مقام اللفظ نظراً إلى الصورة. (الايضاح ص ٣٨٥).

(٢) روثه : ملاوكة ، وحسنه ، واشراقه .

(٣) الآية ٢٩ - ٣٠ .

(٤) صدقت أمرقت وانصرفت ، دبت : وب ولعلتها انه لتأثرت الفظ وهي في

الاصل كالتليل . صواد : جمع صادية أو عصابة. الصوادف : جمع صادقة
أو مائلة منصرفة .

(٥) وربما سمي ما اختلف فيه اللفظان المتجهين في الحرف الاخير جناساً مطرماً

(الايضاح ٣٨٦) .

الوجه الثاني : ان يختلفا بزيادة أكثر من حرف واحد (١) نحو قول الخصاء :
 "إنّ قبيكاه" فهو الشفاء من الجسوى بين الجوانح (٢)
 قلظ الجوانح الذي يمانس لفظ الجوى يزيد عليه بحرفين هما التون والحاء .
 ثالثها : اختلاف القظين في أنواع الحروف (٣) ويشترط ان لا يقع الاختلاف
 بأكثر من حرف . والحرفان المختلفان نوعاً إما ان يكونا في أول القظين كقول
 الحريري : "بني وبين كثنى ليل دلس وطريق طامس" (٤) : الشاهد في القظين
 "دلس" و "طامس" : ان اختلف فيهما الحرفان الأولان فقال : والشاهد .

وأما في الوسط كقوله تعالى : "وهم ينتهون عنه" و "يتأون عنه" (٥) .
 فالقظان المتجانسان "ينتهون" و "يتأون" قد اختلف فيهما حرف الهاء وحرف
 الحزة المتوسطين ، وأما في الآخر ، كقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :
 "الليل معقود" بتواضعها الخير إلى يوم القيامة (٦) . الشاهد في لفظ "الليل"
 ولفظ "الخير" المختلفين نوعاً في الحرفين الأخيرين اللام والراء .

(١) وربما سمي هذا الضرب مبيلا (الايضاح ص ٢٨٦) .

(٢) جسوى : ثمة الوعد من الحزن أو العناء : الجوانح : الضلوع فوق القراتب
 واحدا جانبا .

(٣) الحرفان المختلفان ان كانا متطابقين في المخرج سمي الجانسان متطابقين في المخرج .
 واليرانا اختلفان في الابداء : فالقظان المتجانسان اليرانا والابداء قد اختلفا في حرف
 الراء وحرف اللام وعد حرفان متطابقان في المخرج . وان كانا غير متطابقين في المخرج
 سمي جانبا لا حاكيا لقوله تعالى : "ويل لكل همزة لمزة" (الآية ١ من سورة
 الحمزة) والحرفان الهاء واللام المختلفان نوعاً في لفظ همزة وقلة متجانسان
 في المخرج .

(٤) كثنى : عني .

(٥) الا نعام ٢٦ .

(٦) معقود : مربوط ومثوق . التواصي : جميع فاصلة : وهي مقدم الرأس .

رابعها : اختلاف النطق في ترتيب الحروف ويسمى جنس القلب ، وهو ضربان :

أولها : قلب الكل كقولهم : «حسامه رقت» لاوليائه حثث لأعدائه ، فالنطق وحيد ، قد اختلف ترتيب حروفه الحاء واثاء وفاء اختلافاً كلياً عن ترتيب حروف النطق «فتح» اذ جاء فيه حرف الحاء في الاول وحرف الفاء في الأخير ، وجاء حرف الفاء في لفظ «فتح» في الاول وحرف الحاء في الأخير :

وثانيهما : قلب البعض كما جاء في الخبر «اللهم أسر عورتنا وآمن ووعاتنا» ففي المنطوق المتجانسين «عورتنا» و«ووعاتنا» تبدل مكان حرف العين فقط اذ انتقل من الحرف الاول في اللفظ الاول الى الحرف الثالث في اللفظ الثاني ، اما سائر الحروف فلم يثبت في مواضعها :

مر جمال الجناس :

لعل السؤال الذي لابد منه هنا بعد أن أوردنا بعض أمثلة هذا الفن هو :

ما سر جمال الجناس وما صي ان تكون اعينته في النص الأدبي ؟

لقد أجاب عبد القاهر عن هذا السؤال بصورة غير مباشرة ، فقال : «وعلى الجملة فذلك لا يجد تبحراً مقبولاً ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى يجده لا يفتني به بدلاً ولا يجد عنه حولا ، ومن هنا كان الحل تجنيس لسمعه وأفعاله ، وأحسه بالحسن وأولاه طابع من غير قصد عن التشكلم الى اجتلابه وأغلب لطلبه ، أو ما هو الحسن ملاسته - وان كان مطلوباً - بهذه الترتبة وفي هذه الصورة» (١) .

ففي هذا الجمال يحرر عبد القاهر أربعة معايير لبلافة الجناس وشروط حسنه لوفاً : ان يكون المعنى مقتضياً إياه وموجياً لايراده ؛ وفي ضوء هذا المعيار يرفض

(١) اسرار البلاغة ص ١٠ .

كل جناس جيء به زحرفاً صوتياً وصناعة لفظية ، ذلك لأنه في هذه الحالة لا يتصادم مع المعاني ولا يسهم في ادائها بقصد التعبير والتأثير .

لأنها : أن يستوي في بناء النص الفني وكماً لا يستغنى عنه ولا يستبدل بسواء ، ومعنى هذا المعيار أن الجناس إذا كان مقصداً على التعبير دعيلاً بين اللفاظ بدا غريباً متكلفاً ، وهو في هذا الوضع لا يثير في النفس أحسناً ولا يجد في الذوق استجابة .

لأنها : أن يطلع في كلام المتحدث عن سابقة وفطرة ، وعلى أساس هذا المعيار فإن الجناس الذي يتكلف له مجنسه ويأتي به عن إرادة لا يحمل بين طياته أية شحنة شعرية ولا يؤدي عن أية فكرة .

وأبعها : أن يتساقط مع سائر ألفاظ النص مثلاً معها في موسيقى أجراس الحروف ومتجاوياً في تعاطف مع أصداؤه أبنيتها .

ولعل هذا المعيار يؤكد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في النص الأدبي وبناء ما بين الفاعلها من ورائج التناغم .

لقد سعى بعض المعاصرين إلى الإجابة عن ذلك السؤال أيضاً ، فتحدث الدكتور إبراهيم سلامة عن جمال هذا الفن قائلاً : أنه لا يخرج عن نظرية تصاعدي الالفاظ وتصاعدي المعاني في علم النفس ، فهناك اللفاظ متفقة كل الاتفاق أو بعضه في الإعراس وهناك ألفاظ متضاربة أو متشابهة في المعنى بحيث تذكر الكلمة أحدها في الإعراس وأحدها في المعنى ، كما يولد المعنى الأول معنى ثانياً وثالثاً ، وهذه الناحية النفسية هي التي تشرح لنا كيف يقع للجناس لشاعر دون معاناة إذا كان ملهماً بقلته ، محملاً بذوقها ، علماً بتضاريفها وأشتقاقها (١) :

ورد الأستاذ علي الحفندي جمال الجناس إلى ثلاثة أسباب :

(١) راجع ثلاثة أرسطو بين العرب واليونان ص ١١٧ ، وفنون بلاغية ص ٢٢٢ - ٢٢٧ .

الأول (تناسب الألفاظ) في الصورة كلها أو بعضها ، وهو مما يطمئن إليه الذوق ويرتاح له .

الثاني : التجلوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً فيطرب الأذن ويوقن النفس ويبرز أوتار القلوب .

الثالث : التلاعب الاختياري الذي يلجأ إليه الجيئس لاختلاف الأذهان واختراع الأفكار (١) .

وما قاله عبد القاهر قبل الدكتور إبراهيم سلامة وعلى الجندى يوضح هذا لقين (٢) ، ولا يكاد كلامهما يخرج عما ذهب إليه ، وإن كان الدكتور إبراهيم سلامة قد استخدم المصطلحات الحديثة كتداعي الألفاظ وتداعي المعاني وغير ذلك مما لم يكن معروفاً عند القدماء .

(١) فن الجدل ج ١ ص ٢٩ .

(٢) راجع فنون بلاغية ص ٢٣٦ .

البحث الثاني الانقباس والتضمين

لقد أدرك علماء البديع المتأخرون مصطلح الانقباس ومصطلح التضمين بصورة عامة باحسين ما يبروه الأدباء في إنتاجه مما ليس من الشك .
الانقباس لغة واصطلاحاً :

والنقطة عليه ان الانقباس في اللغة : مصدر انقبس اذا انحط من معظم النار شيئاً ، وذلك للأخذ قبس - بالتحريك - أما في الاصطلاح لجمهور البلاغيين يعنون به على أنه تضمين النظم أو الشعر بعض القرآن لعل انه منه ، بأن لا يقال فيه : قال الله أو نحوه ، فإن ذلك حيث لا يكون انقباساً (١) .

الانقباس بين الشعر والجواز :

لقد اعتنقت المذاهب الفقهية الإسلامية في مسألة الانقباس من أي للذكر الحكيم ، فذهب المالكية الى تحريره وتشديد التكبير على فاعله ولم يتعرض المتفلسون من الشافعية المتأخرين منهم له مع شيوعه في أخصارهم ، واستعمال الشعراء له قديماً وحديثاً ، وقد تعرض له جماعة من الفقهاء المتأخرين ، فاستدل عنه الشيخ عز الدين بن عبد السلام فأجازه ، واستدل بما ورد عن النبي الكريم في قوله في الصلاة وغيرها : «وجهت وجهي» وقوله : «اللهم فائق الأصباح وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حساناً اقتض عني ديني واغنني من الفقر» وفي سياق كلام أبي بكر : «وسيعلم الذين ظلموا أي مقلب ينقلبون» وفي آخر حديث لابن عمر : «قد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» (٢) .

فهذه النصوص المحررة عن النبي - صل الله عليه وسلم - وبعض الصحابة - رضي الله عنهم - تقوم أدلة على جواز الانقباس من القرآن الكريم في مقام الراءض والثناء والنداء في الشعر ، ولا دلالة فيها على جوازه في الشعر .

(١) راجع انوار البريح ج ٢ ص ٢١٧

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٧ .

ويبين ان هذه القضية تستوي - بلا ريب - وجهة نظر دينية واجتهاداً
 مذهبياً. ولما كانت تصوم اديّة تستفيض بهذا الفن الديهي نراً ونظماً وتبني عليه
 فان بعض علماء البديع حاولوا ان يوفقوا بين الامرين ففسروا (١) الاقتباس من
 القرآن على ثلاثة اقسام : محمود مقبول ومباح مبلول ومردود مرفول ؛ فالاول
 ما كان في الخطب والمواعد والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك .
 والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص ؛ والثالث حل خبرين : أحدهما
 ما نسب الله تعالى الى نفسه ، ونعود بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن احد الولاة ، الله
 ولمح على مطالعة فيها شكاية من عماله بان " ايها إياهم ثم إن " علينا حسابهم " (٢)
 والآخر تضمن آية كريمة في معرض هزول أو سخط .

وأضاف الشيخ بهاء الدين السبكي الى القسم الثالث ما اذا أخذ شيء من القرآن
 وجعل بيتاً أو مصراعاً كقول الشاعر

كتب المحبوب مطراً فسي ككتاب الله موزون
 لمن تسالوا قبل حسبي تلتفوا منّا تحبون
 انضرب أساليب الاقتباس :

لقد حرر علماء البديع قاعدة تنص على أن " المتنبس ليس بقرآن حقيقة بل
 كلام بمثاله ، وهم بهذه القاعدة إنما أرادوا اطلاق ايديهم في دراسة اساليب
 الاقتباس ما دام حليفة واقعة لا سبيل الى انكارها ودفعها ؛ وعليه فإنهم قد صنّفوا
 هذه الأساليب الى ثلاثة انضرب :

أولها : ضرب لا ينقل المتنبس فيه عن معناه الاصل ، كقول الشاعر ، وقد طلب
 من بعض اصحابه الذين بمكة حباً فاعتلّوا منه :

طلبنا منكم حبّاً أجبتكم فيه بالمتن
 عزّلاً زناكم لأنكم سواد غير ذي زرع

(١) راجع خزنة الادب ص ١٤١٢ ، وانوار الربيع ج ٢ ص ٢١٨ .

(٢) الماتية ٢٥ - ٢٦ .

فالمراد بـ « غير ذي ذرع » مكة المشرفة كما في قوله تعالى : « وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ » (١) .

فإنهما : ضرب ي نقل من معناه الأصلي بناء على أنه ليس بقرآن حقيقة كقول ابن الرومي :

لَسْتُ أُعْطِيتُ فِي مَدْحِكَ مَا أُعْطِيتُ فِي مَعْصِي
لَقَدْ انْزَلْتُ حَاجَاتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
لأنه قد كتبت بقوله تعالى في الآية المذكورة عن الرجل الذي لا نفع لديه :
لَا تِلْكَ : ضرب تليق به القنيس بزيادة أو نقصان ، أو تقديم أو تأخير ، أو
إبدال الظاهر من الضمير ، أو نحو ذلك بناء على القاعدة التي تؤكد أن القنيس هو
غير القرآن : ومثاله قول أبي تمام في قصيدة يرثي بها أبا له :

كَمَا أَنَّ الَّذِي خُفِيَ أَنْ يَكُونَ : إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونا
أَمْسَى الْمَرْجِيُّ أَبُو عَلِيٍّ مَوْثِقاً فِي قَسْرِ يَمِينَا
حَسَنَ امْتَوَى وَانْتَهَى شَأْبَانَا وَحَقَّقَ السَّرَّاءَ وَالظُّلُومَا
كَانَتْ عَزِيزاً بِهِ كَثِيراً وَكَانَتْ صَباً بِهِ ضَمِينَا
خَالَعَتْ إِلَّا النُّسُونَ عَنْهُ وَالسُّرُءُ لَا يَسُدُّعُ التَّنُونَا
فقوله : « إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ » القياس لكنه زاد الالف في راجعون على جهة
الاشباع ، وإلى بالظاهر مكان الضمير في قوله : « إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ » ومراعاة آية الاسترجاع
وهي قوله : « إِنَّمَا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ » (٢) :

الاعتباس من الحديث الشريف :

لقد تبين علماء البديع في جعل الأخذ من الحديث النبوي الشريف اقتباساً ، إذ
حصر فريق منهم في القرآن الكريم وذهب فريق آخر إلى أن الأخذ من الحديث
النبوي الشريف اقتباس أيضاً . أما الخلاف المذكور في الاعتباس من القرآن الكريم فإنه
فلا يجري في الحديث ، وذلك لتجاوز روايته باللفظ وغير ذلك مما لا يجوز في القرآن (٣) ،

(١) إبراهيم ٢٧ .

(٢) البقرة ١٥٦ .

(٣) راجع أنوار التبريج ج ٢ ص ٢٢٢ .

وأما كمال غسال الاقتباس من الحديث ، في أنثر قول الحريري : « كتمان الفقر زهادة » وانظر الفرج بالصبير زهادة . ومثاله من الحديث في الشعر قول الشاعر :

قال في : أن رقبسي مني بالخلسي فسدله
قلت : دعتني وجهك الجنة حقت بالكاره

التضمن لغة واصطلاحاً :

لم يفرق معظم علماء البديع في الاستعمال بين مصطلح الاقتباس والتضمن وإنما أدروهما لفظين مترادفين (١) ، ذلك لأن معنى التضمن لغة هو مصدر الفعل ضمن الذي من معانيه أن « ما جعلته في وعاء فقد ضمته إياه » (٢) . فالتضمن مثل الاقتباس يلقي معه في انراج شيء في شيء « يتبدد أن » بعض من كتب في فنون البديع من المتأخرين (٣) عرّف التضمن في الاصطلاح بقوله : « هو أن يضمن الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير مع التنبه عليه أن لم يكن مشهوراً لدى قراء الشعر ، ولذي اللسان كقول الشاعر بن عباد :

إذا ضاني صدري وغفت الهدا تملكت ينسا بحالسي يلبق
(بأنه أبلغ ما أرتجى وبأنه أدفع مالا أطلب)

فتوله في الشعر الثاني من البيت الأول تملكت ينسا تنبيه على أن البيت الثاني تضمن . أما إذا كان مشهوراً لدى القوم فيجوز ألا ينبه عليه كقول الشاعر :

قد قلت لا اطلمت وجنته حول الشقيق الفخر روضة أمر
اعذاره الساري المجلول رزقا ما في وقوفك ساعة من بامر

فالمصراع الأخير مطلع قصيدة مشهورة لأبي تمام :

ما في وقوفك ساعة من بامر تنفسي حقوق الأريج الأندلس

(١) أنوار البديع ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٨ .

(٢) القاموس المحيط (ضمن) .

(٣) راجع الايضاح ص ٢١٩ .

أهمية الاقتباس :

وفي رأينا أنه لابد من تخصيص مصطلح الاقتباس بما يؤخذ من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وجعل مصطلح التضمين قاصراً على ما يتفرع من فنون الأدب شعراً ونثراً ، وذلك دلماً للاقتباس بينهما وحسباً لأهمية كل منهما في ميدان البلاغة

ومن هنا فإن للاقتباس أهمية مشهورة في السمو بأساليب المتكلمين ورفعة فنون قولهم ، لأن للتكلمين من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة من البلاغة والآخذ من أحاديث النبي الكريم وهو المصحح العرب يزيد قدر لمار ترجمته ويزينها بأجمل العبارات وأبلغ الصياغات : أما الذي يضمن كلامه بصداعة غيره ويحاكي أسلوب سواه من الأدباء فإن في قيمة عمله نظراً لآبد من تقريره والوصول به إلى قاعدة حسن التضمن :

لقد ذهب بعضهم (١) بهذا الصدد إلى أن أحسن التضمن أن يزيد المضمن في كلامه نكتة لا توجد في الأصل كالتورية والتشبيه ، كما في قول ابن أبي الأصم مضمناً :
إذا قوهم أبدى لي لماعاً ونفراً تذكرت ما بين الطبيب وبارق
وبذكرني من لدها ومدامي ومجرى حوالينا ومجرى السوايق
فالمصراعان الأخيران مطلع لأبي الطيب المتنبي :

تذكرت ما بين الطبيب وبارق مجرى حوالينا ومجرى السوايق
يريد المتنبي أنهم كانوا نزولاً بين هذين الرفضين ، يحررون الرماح عند مطاردة القرمصان ، ويساقون على الخيل : أما الشاعر المضمن فأراد بالطبيب تصغير المذهب وعنى به شفة الحية . وأراد ببارق نفراً تشبیه بالبرق ، وبما بينهما ريقاً ، وهذه تورية بدعية نادرة في بابها ، وشبهته بخرقة شهابيل الرماح ، وتنازع سموه بمجريان الخيل السوايق .

أما للمضمن الذي لا يزيد في كلامه نكتة لا توجد في الأصل فإنه مقدّم يحاكي بحاروب غيره وينقل عن أبداع سواه ، فلا يقدم بذلك شيئاً جديداً بل ربما يشوّه ما ضمنه ويؤول به عن رتبته إلى مستوى التكرار الملل والمجرج

(١) الأضاح ص ١١٦ .

المبحث الثالث

حسن الإهداء

درس البلاغيون وعلماء البديع بناء النص الأدبي وترايط أجزائه وتماثلت موضوعاته ، فانتهوا إلى جملة قواعد تحدد أوجه الحسن في ثلاثة مواضع هي :
حسن الإهداء وبراعة الطبع والتخلص ، فقد ذكر ابن المعتز مصطلح «حسن الإهداء» (١) في محاسن الكلام ، وانتظر نطاع القصائد من عصر ما قبل الإسلام وعصر صدر الإسلام وغيرهما ، ومن هذه الطالع قول النابغة الغدياني :
كلبي لهبر بالأنمة ناصيب
وليلر أناسيه بطي الكواكب
وقول بعضهم :

كان السواني قلن لي أنبهر
فصون ومالير لوقتهن يسور
وقول أبي تمام :

بأي وغير أبي وذلك تسيل
ثاير عليه ثرى التبايح مهيل
ان ابن المعتز لم يبين مقصده من هذا الحسن البديعي ولم يشر إلى خصائص الطالع التي اعطاها وانما أثبتنا تحت ذلك المصطلح بلائيق :
شروط حسن الإهداء :

وتتفق علماء البلاغة (٢) وشراح البديعيات (٣) مصطلح حسن الإهداء وأوردوه مفرداً وحسن الإهداء وحققوا في دياحة التحدث عنه فصولاً تعرضت لثائق التحدث في أول كلامه مؤكبين فيها أنه ينبغي ان يأتي بأطبب الالفاظ ، وأجزئها وأرقها وألصها ، وأحسنها ، نظماً وسبكاً ، وأصحها مبنى ، وأوضحها معنى وأعللها من الحشو ، والركة والتعقيد :

(١) راجع البديع ص ٢٠ .

(٢) راجع الإيضاح ص ٤٢٨ .

(٣) راجع عزالة الأدب ص ٢٢ ، والوارد لربيع ج ١ ص ٢٤ .

وينبأ أن جميع فوائد السور من القرآن المجيد أنت على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها ، كالتحديدات ، وحروف الهجاء ، والانداء وغير ذلك (١) .

وعلاوة على بسطه من تلك الشروط قائلين : لانه أول ما يقرع السمع ، فان كان كما ذكرنا قبل السامع على الكلام ، فبشيء جميعه ، وان كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وان كان في غاية الحسن (٢) :

براعة الاستهلال :

ويبدو أن تلك الشروط التي بسطها علماء البلاغة وشراح البدعيات عامة تناول ابتداءات السور والمنظوم ، لذلك فان بعضهم (٣) قد عصب "مصطلح براعة الاستهلال" بالمنظوم ودعب إلى أن أحسن الابتداءات ما يناسب المقصود ، ويسمى براعة الاستهلال كنول أبي تمام يعني المتعصب بالله ينتج عمورية ، وكان أهل التنجيم زعموا أنها لا تنتج في ذلك الوقت :

السيفُ أصدقُ أباءٍ من الكسبي
في حدِّ الحدِّ بين الجدِّ والعب

براعة المطلع :

واعتمد بعضهم الآخر مصطلح "براعة المطلع" (٤) بدلا من حسن الابتداء وأداره مرادفاً لمصطلح حسن الاستهلال ، وعصبه بابتداءات القصائد ومطالعها ، وعرفه بأنه عبارة عن طلوع امة المعاني والحسنة في استهلالها وأن لا يتجاني جهنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب بنسبها مرقصاً عند السماع وطرق السهولة متكلفة لها بالسلامة من تجشم الخزن . وعرض في ضوئه شروطاً اضافية ينبغي توفرها في مطلع القصائد إلى جانب الشروط العامة التي لابد أن تتوفر في ابتداءات فنون المنثور ومن هذه الشروط : ألا يكون مطلع القصيدة متعلفاً بما بعده من الايات ، وان يناسب بين قسمه أهم المناسبة ، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنبياً عن الآخر لفظاً ومعنى .

(١) راجع التوازي الرابع ج ١ ص ٣٤ .

(٢) راجع الايضاح ص ١٢٤ .

(٣) الايضاح ص ١٣١ .

(٤) راجع غزاة الادب ص ٢ .

وسائل إجابة مطالع القصائد :

لقد تضمنت مشايخ البديع في الرسائل التي ترسل بها القشاعر إلى إجابة مطالع قصائده قنبراً على نقطة التألم في حسن الابتداء وبينوا أنه يتعين عليه أن ينظر في أحوال المخاطبين والمندوحين ويضقد ما يكرهون سماعه ويتطهرون منه ليتجنب ذكره ويختار لأوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العبداء في حسن الأدب.

ودروا تجسيدا لهذه الترصيات أن ذا الرمة أنشد هشام بن عبد الملك قصيدته التالية:

ما بالُ عبيك منها الماءُ يتسكبُ ؟ كانه من 'ككي' مفرقة صرَبُ(١)

قال هشام: بل عبيك:

وحكروا أنه لما بنى المتحصن بانه قصره بالميدان ، وجلس فيه ، أنشده اسحق الرصافي :

يادلُ غيرك اليل ، ومحالك ياليت شيعري مسالني أهلاك ؟
تطير المتحصن بهذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر .

ولذلك تردوا أنه من أراد ذكر النبار والاطلال في مديح فليقل مثل قول القشامي :
إن محبوك فاسلكم أبها الطنكل وإن بليت ، وإن طالت بك الطنكل(٢)
أو مثل قول الشيخ السلي:

تصبر عليه نجة وسسلام خلتعت عليه جمالها الأيام

(١) ككي : اسم جنس واحدته ككية بفهم أوله . وهي الغصن المعروف في حشا الانسان

ملوية : منطقة مشاقة . صرب : سائل .

(٢) الطنل : الاثر الشائع من آثار النبار ، الطيل : آداة الدهر ، واحدا طيلة .

البحث الرابع حسن التخلّص

احمد ابن المعتز مصطلح «حسن الخروج» وأداره نوحثة الشواهد ويبيّن مقصده
منه قائلاً: «ومنها أي من - محضات الكلام - حسن الخروج من معنى إلى معنى (١)،
من هذه الشواهد قول أبي النعامة :

وَأَحْبَبْتُ مَنْ حَبَّاهُ الْبَاطِلُ نَ حَيٍّ وَمَيَّتٍ أَبْنُ سَكْرٍ مَعْدَا
إِذَا سَبَلَ عَرَقاً كَمَا وَجْهَهُ لِيَأْبَى مِنَ النِّعِ صَكْرٌ وَسُودَا
يَتَبَرَّعُ عَلَى الْمَالِ فَعَلَّ الْجَسُودَا وَتَأْبَى غِلَاتُهُ أَنْ يَجُودَا
لم يبين ابن المعتز وجه حسن الخروج في هذا الشاهد وفي سائر شواهد التي
تتبع في أعصرها ويثبتها العربية بيد أن صحة استشهاده ذلك واضحة لأن أبا
النعامة قد انتقل في الشطر الأول من البيت الأول عن النزول إلى المجيء في الشطر
الثاني منه متوسلاً ببخل صاحبه ليان بخل سعيد بن سلم وعجوه .

تعريف حسن التخلّص :

لقد تناول علماء البلاغة (٢) وشراح البديعيات (٣) مقصد ابن المعتز من مصطلحه
ذلك وتصلّوا القول فيه معتمدين مصطلح حسن التخلّص الذي حدّوه بقولهم :
هو أن يشترط الشاعر المتكلم من معنى إلى معنى آخر يتعلق بمحلّونه يتخلّص سهل
يتملّص اختلاصاً رشيماً دقيقاً المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول
إلى وقد وقع في الثاني لشدة الملازمة والالتصام والانسجام بينهما حتى كأنهما أفرعاً
في قالب واحد .

وبدعي أنه لا يشترط أن يمين للتخلّص منه في غرض محدد بل يجري ذلك في
أي معنى كان فالشاعر ربما يتخلّص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف أو روى أو

(١) التاج ص ٦٠ .

(٢) داسج الايضاح ص ١٢٢ .

(٣) خزائن الادب ص ١٢٩ والولاء الربيع ص ٢١٠ .

وصف ظل بال أو ربح حال أو معنى من المعاني يؤدي إلى مدح أو عجز أو
وصف حرب أو خير ذلك .

موازنة بين الاستطراد وحسن التلخيص :

لقد فرق الأسلاف من البلاغين بين الاستطراد وحسن التلخيص فبينوا أن
بشرط فيه الرجوع إلى الكلام الأول أو قطع الكلام فيكون المستطراد يمتد
والشرطان معدومان في التلخيص فإنه لا يرجع إلى الأول ولا يقطع الكلام بل يستمر
على ما يتلخص إليه .

طائيس حسن التلخيص :

وقد عللوا لوجوب التأني في هذا الوضع من النص الأدبي بقولهم : أن السامع
مؤنب للانتقال من الافتتاح إلى المقصود كيف يكون ، فإذا كان حسنا تلازم
الطرفين حركة من نشاط السامع ، وأحيان على إعطاء ما بعده ، والأول في العكس ؛
لقد حاول بعض علماء البديع المتأخرين تقرير مقاييس لتحديد الصور البلاغية من
التخلص ، فذكروا مقاييسين : نص أولهما : هل أن الأ حسن أن يتخلص الشاعر
من القول إلى المدح . ويقين أن هذا المقياس يتناقض مع ما أكدته جمهور البلاغيين
من أن التلخيص لا يقيد بغيره دون غيره ولا يقتصر على معنى دون سواء ، وإنما
يمتد منه وشيجة لجميع ما بين الأ فرائض المنطقة ولقد معنى بمعنى .

أما ثاني المقاييسين : فيجزم بأن أحسن التخلصات ما كان في بيت واحد نحو
قول زهير بن أبي سلمى :

إن البخليل ملوم حيث كانوا كمن الجسود على علاقه حرم
فالشاعر في هذا البيت قد انتقل من ذم البخليل ابتداء إلى مدح حرم بن سنان
إن هذا المقياس بلا شك يرسخ قاعدة التلازم التي بين التلخيص مه والتخلص
إليه كما يؤكد أن هذا التلازم يكون على غير وجه إذا ما تم التلخيص في بيت واحد ،
لأن البيت الواحد هو وحدة البناء الأساسية في القصيدة العربية القديمة ،

البحث الخامس

حسن الانتهاء

لقد أدار علماء البديع الشاعرون ثلاثة مصطلحات دلالة على ما ينبغي أن تكون عليه خاتمة النص الأدبي :

أولها : مصطلح حسن الانتهاء (١) ، وثانيها : حسن المنطق ، وثالثها : حسن الخاتمة (٢) .

حد حسن الانتهاء :

ويبدو أن مقصدهم من هذه المصطلحات لا يختلف فيه ، ذلك لأنهم حددوه بقولهم : هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه الخطيب أو القارئ أو الشاعر مستطفاً حسناً وأحسناً ما أذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى قلبس تشوقاً إلى ما وراءه :

بلاغة حسن الانتهاء :

وقد علقوا لوجه بلاغة هذا الحسن اللغوي مفردون : أنه آخر ما يفرغ السمع ويرسم في النفس ، وربما حكيماً لقرب العهد به ، فإن كان سائطراً حسناً تلقاه السمع واسطفاً حتى جبر ما وقع فيما سبق من التعبير .

لقد نبه علماء البديع على أن سور الذكر الحكيم هي مستند مقاييس هذا النوع البديعي ، ذلك لأن جميع حركاته السور كقولها ، واردة على أحسن وجه وبلاغة واكتسبها ، لأنها بين ادعية ، ووصايا ، وفرائض ، وتحميد وتهليل ، ومواظب ووعود ووعيد ، إل غير ذلك مما يناسب الاحتتام (٣) ، ومن العجز في ذلك قوله تعالى : «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَلًا ، وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ بُقْعًا ، وَأُخْرِجَتِ الْوُجُوهُ» .

(١) راجع الأملح ص ١٣٤ .

(٢) راجع عزلة الأملح ص ١٦٠ .

(٣) انوار التبرج ج ١ ص ٢٢٠ .

يرشد بـصَدْرُ الناسُ اثْنًا لِيُتَرَا أَصْلَهُمْ : فمن يعمل مقال ذرةً غيراً
 يره . ومن يعمل مقال ذرةً شراً يره . (١) فهذه السورة الكريمة ابتدأت
 بأحوال يوم القيامة واعتصمت بقوله تعالى : ومن يعمل مقال ذرةً غيراً يره : ومن
 يعمل مقال ذرةً شراً يره . فجاء هذا الختام مثلاً سائراً وحكما قاطعاً جامع
 إلى إيجازه البليغ حكماً عادلاً يستوي لائقاً أساساً في المكافأة والمجازاة .

لقد تبارى الأدباء في كل فن من فنون المنثور والمنظوم ليحوزوا نصيب السبل
 بين أرواح هذا الميدان القصيح من ميادين البلاغة والقصاحة العربية .

ومن دان لهم علماء البلاغة بالفوز الحريري الذي قال في ختام إحدى مقاماته :
 ولم تدرت إليه كما يدنو المصالح ، وقلت : لو سني أبها لعبد الصالح ، فقال :
 اجعل الموت نصب عينك ، وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعيراني بتحدرن
 من أمانتي ، وزغراني تنصحن إلى التراقي ، وكانت خاتمة ثلاثي .

وأبو نواس الذي قال في خاتمة قصيدته التي مدح بها الخطيب :

واني جديرٌ إذ بلغفك بالمنى وأنت بما أملتُ منك جديرٌ
 فان شئتُني منك الجميلَ فاعله وإلا فاني عاصفٌ وشكورٌ
 وابن هاني المغربي الذي قال في ختام إحدى قصائده في المديح :

فنى كل مسمى من مسامح قبلة بصليتي فيها كل مجد وثائل
 وفي كل يوم فيه قشعر سائغ حل انه لم يُبكر قولاً لقائل
 وحلة النص الأدبي :

إن الباحث المعاصر حين يقوم بحث البلاغيين لأوجه الحسن في تلك الموانع من
 بناء النص الأدبي ويحلل شروط الحسن التي ترونها القواعدهم في ميدان التطبيق
 لابد له من تأكيد حقيقة رئيسة تنص على شروط حسن الإهتمامات والمخلصات
 والحرائم لا ينبغي أن تقتصر على موضع دون آخر في فنون المنثور والبران للمنظوم
 بل ينبغي أن تتجسد في سائر أجزاء النصوص الأدبية ، وأن صفات القبح فيها يجب

أن يتجنبها الأديب في كل منقطع من منقطات إنتاجه الفني ، كما أن منظار
الحسن في هذا الموضع أو ذلك لا يمكن أن تشفع لما تقتضيه القطوعة الأدبية من
حبوب ونصوب ، ذلك لأن نماذج القرائح وحدة متكاملة تتكاتف أجزاؤها وتتلون
أقسامها في تحقيق الحسن الأدبي والجمال الفني .

لقد اتفاهن طباطبا العلوي (- ١٣٢٢هـ) إلى الكثير مما قررره هذه الخليفة من
أحكام نقدية وإعلامية حول بناء النص الأدبي فقال :

« وأحسن الشعر ما ينظم القول فيه انتظاماً يتسق به أوله مع آخره فإن تقدم
بيت على بيت دخله الخلل ، فإن الشعر إذا أسس تأسيس كلمات الحكمة
المستقلة بذاتها ، والأمثال السائرة المرسومة باختصارها ، لم يحسن نظمه ، بل يجب
أن تكون القصيدة كلها ككلمة واحدة في انشائه أولها بآخرها تبحاً وحسناً ،
وفصاحة وجزالة ألفاظ ، ودقة معاني ، وصورات تأليف ، ويكون خروج الشاعر
من كل معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً ، حتى يخرج القصيدة
كأنها ملحوظة تقتضي كل كلمة ما بعدها ويكون ما بعدها متعلقاً بما ملغزاً إليها (١) »
ولذلك ينبغي أن تدرس الموضوعات الثلاثة : حسن الابتداء وحسن النظم
وحسن الانتهاء في مبحث واحد يشتمل النص الأدبي لتبدو صور الفن الرائع
متجانسة بشد بعضها بعضاً وأما فن بأطراف الفن الآخر ، وقد كانت دراستها
في مباحث مستقلة استجابة للمتوج الذي يضع أمامه الجانب التعليمي وتيسير
المادة وتقريرها إلى الأذهان :

١

(١) حيار الشعر ص ١٢٩ .

الفصل الخامس

تطبيقات عامة

(١)

مرّ بنا: أن علماء البلاغة قد تباروا في زيادة الرّواع البديع وسعوا إلى الكشف عن قدرته حتى بلغوا بهذه القنون وتلك الأنواع إلى ما ينفرد على ثلاثين ومائة نوع، ورأينا أيضاً أن الخطيب القزويني الذي غلب منهج السكاكبي في قسمة أنواع البديع وتصنيفها إلى محسنات معنوية ونظمية قد وضع اليد على اثنين وثلاثين محسناً معنوياً، وغلز تسعة من المحسنات الانظمية:

كما مرّ بنا أن لصائد البديعات في نظم المحسنات البديعية ضربان: ضرب أودع لظهور لصائده كل بيت من أبياتها محسناً لفظياً أو معنوياً بلا ذكر للمصطلح الذي سُمّي به، وضرب ثبت لظهورها في شطر من بيت أو أكثر اسم المحسن الذي أوردوه في الشطر الأخير من أمثلة بديعات هذا الضرب بديعية عز الدين المرصلي وبديعية ابن حجة الحموي، ومن شواهد هذه البديعيات بيت: بديعية عز الدين المرصلي في نوع الاستخدام:

والعين نزلت بهم لما بها سمحوا واستخدموها من الأعداء ظم تشمر
وبيت بديعية ابن حجة الحموي في نوع الف والنشر:

فالعي والنشر والتفسير مع لصر الظهر والعظم والأحوال والهمم
وبيت بديعية الشيخ عز الدين المرصلي في نوع التبريد المراد به التجدد:

عزّل أريد به جدّ حفاك لي كما كتبت يافى الشيب بالكثير (١)
وبيت بديعية الشيخ عبد القادر الطبري في نوع التزييف:

تجنّ أصير تذلّل لرض عزّامن ه احتدل مرطع صل مغولا أدم

(١) أنتم مكرّاة بالفتح : ثبت بالخطب به نشر ويصح منه مواد لكتابتها.

تتبع في آيات بديهيات هذا الضرب المحسنات المعنوية والمحسنات المنطقية التي
لوردها الخطيب القزويني (١).

(٣)

نظر رجل إلى روح بن حاتم بن ليعة بن المهلب وهو واقف يلب الثعور في
الشمس - فقال: قد طال وتوفك في الشمس + فقال روح: ليطول وتوفني في
الظل (٢).

إذا أخذنا كلمة «الظل» في هذا النص وأردنا أن نحدد لوجه الياضي أو الياضي
ربما حار بمفهومين أن يقول هي من أساليب البيان مجازاً أو استعارة أو كناية وبين
أن تقول أنها تنورية، بيد أن هذه الأخيرة تؤول إذا ما ذكرنا تعريفات كل أسلوب
من أساليب البيان وحدود كل نوع من أنواع البديع،

وعما يتعلق الأمر بهذه الحدود ولقد تعريفات هو أن أي أسلوب من أساليب
البيان يقوم على أربعة أركان متلازمة:

أولها: المعنى الحقيقي للكلمة، وثانيها: المثلول المقصود المجازي أو المستعار له
أو المكتفي عنه، وثالثها: العلاقة المترتبة المقررة بين المعنى الحقيقي للكلمة ومثلولها
المقصود من استعمالها، ورابعها: القرينة النطقية أو المعنوية التي ترشد إلى أن المعنى
الحقيقي للكلمة غير مقصود في النص.

أما التنورية التي نسمى أيضاً: «الأيهام والتوجيه والتخييل والمغالطة»، فإن المعنى
المرمى عنه مخفي عن قصد، وعليه فإن مثلولها غير الظاهر لا يرتبط بمثلها
الظاهر بعلاقة سرمدة مقررة كما أنها تظل أو تكاد من القرينة التي ترشد إليها تكشف
عن المقصود منها.

(١) يحدد في حل هذا التطبيق لصوص التطبيق لصوص البديعيات أو كتاب أنوار
الربيع في أنواع البديع حيث ذكر طائفة على صدر الدين المدني في نهاية كتابه.
وبن آيات البديعيات التي نطقت الحسن البديع الذي بحث.

(٢) «الزنج الكليل ج ١ ص ١٢٢».

ولي ضوء هذا كله فان كلمة «الظل» لا يمكن أن تكون ثورية لاذني النص أكثر من
ثورية تلال على مدلولها وتكشف عنها كما أن مدلولها غير الحقيقي يبدو بوضوح
في علاقته بمتاعها الحقيقي.

١ - حين نوع الأسلوب اليائس لكلمة «الظل» ثم حلل أركانها .

٢ - تتبع في قصود الأتية ما لها من معانيات واستعارات وكتابات وتواريخ
موازاة لها بينها وكلفاً مما يميز كل نوع من الأنواع :

١ - رؤي من الأصمعي أنه قال : هجم عليّ شهر ومكان وأنا بمكة ، فخرجت
إلى الطائف لأصوم بها عاماً من حرّ مكة ، فلقني أعرابي فقلت له : أين تريد ؟
فقال أريد هذا البلد الذي لا أصوم هذا الشهر المبارك فيه ، فقلت له : أما تخاف
الحرّ ؟ فقال : من الحرّ أفرّ .

٢ - قال رجل لرجل بن عليم ولد عليّ لعلّني أصبح : أثبت قلبك ، قال :
واحبها أطلب .

٣ - قال حمزة بن القزّاز :

فقول سكّيس لو ألفت بأرضنا
لعلّ قلبي حوّننا من ورائنا
١ - قال سراج الدين القزّازي :

أصود أدم وجهي من أناس
وربّ أقدار عندهم بنفسي
٢ - قال القاسمي :

أنا بين ربابة إنّ نفسي
٦ - قال الغزالي :

بالله لي بحر من ساعرة
٧ - قال الغزالي :

فما ليست الذي لم أخته
والذي لأبدي لي قريبي شكيني

وحتى تكلم في الصبر شعاعه

فربت كمن يستاء كفاً على كذا
وهذا الذي أهد به بعض قلبي أخيراً

٣

٨ - قال الشاعر :

تسيل على حدّ الطُّبَاتِ ققوساً وليست على غير الطُّبَاتِ تسيل

٩ - قال الشاعر :

عشت عيوفاً لا أرى لأين حرةً عليّ بدأ أغضي لما حين يغضب

١٠ - قال الشاعر رشيد سليم الخوري في عيد القطر المبارك :

صباحاً إلى أن ينظر السيفُ بالدم وصباحاً إلى أن يصدح الحقُّ بأفني

أنظرُ وأحرار الحمى في جماعة وعيدٌ وأبطالُ الجهاد بمأسر

بلادك قد دنتها على كل ملّة ومن أجلها أنظرُ ومن أجلها مسر

(١٢)

قال المتنبي :

بغضى ما يشكوه من راح طوله ونرجسه مما دعا حسه ورد

أراقت دمي عبداً محاسن وجهه فأضحى وفي جنبه آثاره تسنن

نمرض حمرة العين للأنسان عن مرض ، وأنى الشاعر باراقة دمه تعبيلاً لما في

عيني حبيته من علة . ووضح أن هذا التعليل لا يثير في النفس راحة ولا يخلق الجو

الشعوري الذي يفهم على العاشق الولدان ، كما أنه يصور العاشق قبيلاً ويخل حبيته

عطلة في طرفها ، فأي جمال في يبرز في هذا التشبيل وذلك التصوير ؟

مما لا ريب فيه أن متلقى هذا النص لا يمكن أن يقبل بما فيه من تعليل على

أنه حسن تعليل . هذا من جهة ومن جهة أخرى :

حكى ابن رشيق قال : كنت اجالس محمد بن حبيب وكان كثيراً ما يبالغ في الغلام

ذو الخال تحت حنكه ، فنظر إليّ ابن حبيب يوماً وأشار إلى الخال ، فقالت أنه

يريد أن يصنع فيه شيئاً ، فصنعت أنا بيتين فلما رفع رأسه قال لي : اسمع ، وأنتدلي :

يقولون لي من تحت صفحة خدك تنزل خالٌ كان منزله الخلد

فقلت وأنى حسن الجمال فيها به فحدثاً غصوعاً مثل ما يخفض التبد

فقلت له : أحسنت ، ولكن اسمع :

خدا الخال كالماء منه بين لا خلد والجلد رقة وحذارا

رام قبيله اخلاصاً ولكن عفاف من سيف لحظه قصاوى
قال : لمضحي قطع انه لائق (١).

وهذه الطارحة الشعرية تبين أن موضوع حسن التعليل ينعج للموازاة بين شاعرين
إذا ما تناولوا معنى بعينه .

فقوم في غموه ذلك ملجاء من تعليل في النصوص الآتية محدداً للفروق الأدبي
والاحساس الفني والخيال المبكر والموازاة بين المعاني :

١ - قال ابن المعتز :

لألوا : اشتكت عنه فقلت لم : من كثرة القتل نالنا الوصائب
جرحنا من دماء من فقتلت : والدم في الفصل شاهد عجب

٢ - قال النعماني في الرثاء :

وما كُنْتُ لهُ البدر القدير قدومه : ولكنّها في وجهه أترّ الأظفر
٣ - قال ابن الرومي :

أنا ذكاء لم تصغرت إذ جئتحت : إلا قسرة ذاك النظر الحسن
٤ - قال المتنبي في المديح :

ما به قتل أصادبه ولكن : بقى إعلانه مازجره اللباب
٥ - قال ابن نباتة في المديح :

لم يزل جوده يحور على السال : إلى أن كما اقتطار امفرار
٦ - قال شاعر في وصف فرس أدهم ذي غرة :

وأدهم كالغراب مراد لون : بطير مع الرياح ولا جناح
كساء الجبل شملته رؤى : قبل بين عينيه الصباح

٧ - قال الأرجاني :

أبدى صنيعة التعبير الزمان في : وقت الربيع طلع الرود من عجل
٨ - قال شاعر يرثي كاتباً :

استخرج الكتاب فتدك مائدا : وقضت بصحة ذلك الأيام

(١) انوار الربيع ج ٦ ص ١٣٧ .

فلذلك سررت القدري كتابه استأنا عليك وفقت الاسلام

(٤)

لقد أطلق الخطيب القزويني الطبايق شيتين (١) :

الاول : بحر فوله تعالى : واشدء على الكفار رجاء بينهم (٢) لان فرحة
سبية عن الدين الذي هو ضد الشدة .

الثاني : ما يسمى ايام القضاء كقول دجيل :

لا تمنني بماستكم من رجاءك فيحك الشيب برأه ، فبكى

ان ضحك الشيب من جهة المعنى ليس ضد البكاء لانه استعاره عن كثرة
الشيب ، ولكنه من جهة القف يروم الطاعة .

ولذهب ابن ابي الاصبح الى أن الطبايق على ضربين : خطبي وجازي ، وكل من
الضربين على قسمين : طلفي ومعنوي ، فما كان منه بالفاظ الخيلة ابتوا عليه اسم
الطبايق ، وما كان كله بالفاظ الجاز أربعضه سموه فكافراً (٣)

وبدهي أن أي علم من العلوم يهدف إلى تحديد مفاهيمه دلياً بالخط واللفظ ،
كما يعتمد في كل موضوع من موضوعاته مصطلحاً واحداً تحتها لغة العلمية
التي من خصائصها الميزة الدقة في الالفاظ والمعارات .

ناقش في ضوء هذه الشواهد التصور الآتي مستخلصاً منها الطبايق ومخرجاً
ماعداء مما ادخل في هذا الباب وضع له مصطلحاً آخر :

١ - قال تعالى : ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار ، لتسكنوا فيه ،
وليتقوا من قضاة (٤) ،

٢ - قال النبي :

لمن طلب الدنيا اذا لم تُردّها سرورٌ عجب لو اساءه حرم ؟

(١) راجع الايضاح ص ٢٤٠ .

(٢) التبع ٢٤٠ .

(٣) راجع شرح القرآن ص ٢١٠ .

(٤) القصص ٢٢ .

٢- قال أبو تمام :

ما إن ترى الأحساب يضا وضحا
إلا يبيت ترى النبا حنونا (١)

١- قال أبو تمام أيضا :

وتظري عيب الركاب ينصتها
عبي القريظ إلى مئسيت المال (٢)

٣- قال أده بن مالك بن زيد بن كهلان في وصية لولده : ولا تكونوا كالبخراء
أكل ما وجد وأكله من وجده .

٤- وقيل لابن عمر رضي الله عنهما : ترك فلان مائة ألف . قال : لكتشها لا تتركها .

٥- قال الحسن البصري : ما رأيت قلبا لا شك فيه أغبه بقله لا يمين فيه من
الموت .

٦- وقال أيضا : ولد أنكر عليه الأعراس في تخويطه فاس : إن من عورتك
حتى تبلغ الأمن غير ممن أمك حتى تبلغ الخوف .

(٣)

ظهر لنا من بحث المشاكلة والجناس تمام أن هذين الصطلحين يلتقي مدلولهما على
أن في كل منهما تقطين متقنين في التقاط : وعند التماس التفرق بينهما ثبتت لدينا
أن اللفظ المشاكلي لا يقصد به مدلوله الحقيقي بخلاف اللفظ المجانس الذي له معناه
الخاص به .

إن هذا التفرق لم يحد بعض علماء البلاغة من الخلط بين المشاكلة والجناس تمام ،
فقد حكى ابن حجة الجسري بهذا الصدد قائلا : « قد قرر أن هذا النوع أعني
المشاكلة المنطوق أن يأتي المتكلم في كلامه باسم من الأسماء المشتركة في موضعين
فمشاكل إحدى المشاكنتين التقطين الأخرى في الخط واللفظ ومفهوميهما مختلف ،
ومن اشتادات التبريزي في هذا الباب قول أبي سعيد الخروزي :

(١) إن : ذليلة مؤكدة له ماء ، وضحا : جمع واضح ، يعني جل من

(٢) تظري : انظري ، عيب الركاب : ضرب من سبوحا يحدد القصور فيه على إحدى

الرجلين وما يخالف جهتها من اليدين مرة ثم على الرجل الثانية وقيل المشاكلة

طأ مرة أخرى وهكذا على التبادل . ينصتها : ينصها ، عبي القريظ : الشاعر

نفسه . بيت المال : ماله الكريم .

حَسَدُكَ الْأَجْسَالُ أَجْسَالُ وَالْمَسْرُوقُ الْمَسْرُوقُ فَتَسْأَلُ
 فَتَقْتُلُ ، الْأَجْسَالُ ، الْأَوَّلُ أَسْرَابُ الْبَرِّ الْوَحْشَةِ : وَالثَّانِيَةُ مَتْنَى الْأَعْيَارِ وَبَيْنَهُمَا
 مُشَاكَلَةٌ فِي الْفَتْحِ وَالْخَطِّ :

قَالَ الشَّيْخُ زَكِي الدِّينِ بْنِ أَبِي الْأَصْبَحِ فِي كِتَابِهِ الْمَسِي بِصَحْرِ التَّحْيِيرِ هَذَا
 الشَّاعِدُ وَأَمَّا هَذَا فِي بَابِ التَّجَنُّسِ : قُلْتُ قَوْلَ الشَّيْخِ زَكِي الدِّينِ ظَاهِرٌ لَيْسَ فِي
 صَحِّهِ مَقَامٌ وَهَذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَشْدُّهُ التَّيْرُزِيُّ مِنْ أَحْسَنِ الشَّوَاهِدِ عَلَى الْإِخْتِصَافِ
 وَلَوْ اعْتَمَدَ الْبَدِيعِيُّونَ عَلَى الْمُشَاكَلَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ لَخَلَصُوا مِنْ هَذَا الْإِخْتِصَافِ (١) :
 يَمِيزُ فِي ضَوْءِ هَذَا كُلِّهِ مَا فِي التَّصَوُّصِ الْآتِيَةِ مِنْ مُشَاكَلَةِ وَجْهَانِ تَامٍ مَعْلَاً
 لِمَا تَقَرَّرَ :

- ١ - قَالَ نَعْلَى : « وَمَكْرُوا وَمَكْرُوا اللهُ وَافْعُ خَيْرٌ لِلْمَاكِرِينَ » (٢)
- ٢ - قَالَ نَعْلَى : « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَلُوا عَلَيْهِ بِمُكْرٍ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » (٣)
- ٣ - حَكَمِي أَنَّ مَقْبَرَةً وَلَفَتْ عَلَى بَعْضِ الْوَلَاةِ وَهُوَ بِفَرَسٍ فَسَيَلًا فَأَشْدُّهُ :
- إِنَّ الْوَلَايَةَ لَا تَسْلُومُ لِوَأَحَدٍ إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُهُ فَإِنَّ الْأَوَّلُ
 فَاغْرَسَ مِنَ الْقَمَلِ الْجَمِيلِ غَرَامًا فَإِذَا عُرِثَتْ قَانَهَا لَا تُعْزَلُ
- ٤ - قَالَ الشَّاعِرُ :

مَنْ مَلِغَ أَفْعَاءَ يَصْرَبُ كُلُّهَا أَنِّي بَيْتُ الْبَخَارِ قَبِيلُ التَّنَزُّلِ
 ٥ - قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلْتُومٍ :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْبَخَاعِلِنَا

(٦)

تَحَدَّثَ ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ عَنِ الْإِسْتِطْرَادِ الَّذِي هُوَ خُرُوجٌ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى قَالَ :
 « هُوَ لَيْلِي الْوَرَقُوعُ فِي الْكِتَابِ الْغَزِيرِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُهُ أَكْثَرُ مَا جَاءَهُ فِي الشَّعْرِ دُونَ
 الْفَنَرِ ، وَغَالِبٌ وَفَرَعُهُ فِي فَنَرٍ » لَمَجَاءُ مِنْهُ ، ٥٧٩ : وَلَمْ أَقْفَرْ مِنْهُ بِشَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ
 إِلَّا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : « أَلَا يُعَذِّبُكُمْ لِمَعْتَدِينَ » كَمَا
 يَمُتَدِّتُ لَعْنُهُ (٤) . .

(١) عَزَاهُ الْأَدِيبُ ص ٣٥٦ . (٢) آلِ حِرَانَ ٥٤ .
 (٣) أَبْهَرُهُ ١٩٤ . (٤) عَمْرُو ٩٥ .

ونحدث عن تأكيد المدح بما يشبه الذم، وقال : « وهذا الباب أيضاً كالذي قبله في عزة وقوة في هذا الكتاب العزيز ، ولهذا لم أجده إلا آية واحدة تحملت على تأويل لتخل به في هذا الباب ، وهي قوله تعالى : « فاعلُ بالفضل » الكتاب حملُ تنضمونَ منْ إلا أن آمنا بآله وما أنزلَ إلينا وما أنزلَ من قبْلُ ، (١) فإن الاستثناء بعد الاستثناء الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان بوجه بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن يتم على فاعله ، مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيد المدح بما يشبه الذم (٢) .

وقد لاحظ البلاغيون أن هناك نوعاً آخر من أساليب الهجو يسمى والهجاء في معرض المدح وهو أن يركب بكلام ظاهره مدح ويألفه ذم ، كقول الشاعر :

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح العبد القاسد
 يخوف تحفة أفساده فعودهم أكلة واحدة

تتبع أنواع أساليب المدح والهجاء مستكملاً ما مر بك في بحث تأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح ثم وازن بين أساليب القرآن الكريم وأساليب الأدب العربي في هذا الباب :

(٧)

لقد استخلصنا حدّ الجنس الذي يفتق عليه جمهور البلاغيين ولوردنا أنواعه قرينة وقد خرج بعضهم عن هذا الحد مرسماً في دائرته فألحق بالجنس شيئاً (٣) : أحدهما : أن يجمع اللفظين الاشتقائي كقوله تعالى « فاقم وجهك للدين القيم » (٤) والثاني : أن نجسهما المشابهة وهي ما يشبه الاشتقائي وليس به كقوله تعالى :

« وجنتي الجنّين دان » (٥) .

(١) اللطائف ٤٩ .

(٢) راجع . راجع . إقراء ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) راجع الإيضاح ص ٣٨٩ .

(٤) الروم ٤١ .

(٥) الرحمن ٥٤ .

وبالنسبة إلى التوافق الجنس لم يكتف معظم علماء اللمع (١) وبعض الباحثين المعاصرين (٢) بأنواع الجنس غير التام التي تهدأ بها معضدين عروجه على شرط من شروط الجنس التام الأربعة ؛ ومن هنا ذكروا التوافق واختلافوا في نسبتها وبرز هذه الأنواع :

الأول : التلقين : وهو أن يختلف الأحرف وتفق الكلمتان في أصل واحد بهما الاشتقاق ، كقول البحري :

صدقت الغراب لقد رأيت حمولم بالأس تغرب عن جرابلس غروب
فجاءت ثلاثة أشياء هي : الغراب ، وتغرب ، وغروب ؛

الثاني : التصحيف : وهو الالتئام بكلمتين متشابهتين خطأ لا لفظاً ، ويقال له : تجنيس الخطأ كقول البحري :

ولم يكن المغرب بكاء إذ شربى لهجز والمغز بكاء طسالبه
الثالث : التركيب : وهو ما جامل ركناه وكان أحدهما كلمة مفردة والآخر مركباً من كلمتين فصاعداً ، وهو على ثلاثة أنواع :

أحدها : الجنس المزدوج ويسمى التشابه ، وهو ما اتفق ركناه لفظاً وخطاً ، كقول أبي الفتح البستي :

إذا مكلت لم يكن ذاميتة فصدتة فبولستة فاعيتة
لأنها : الجنس المزدوج - وهو ما اتفق ركناه لفظاً وخطاً ، ونخص باسم

المزدوج لأنواع التركيب في الخط ، نحو قول الخاقاني الطوسي :

لا تهرضن على السرواق قصيدة ما لم تكن بالثلاث في تهذيبها
لعدني صرتمت الشعر غير مهذب صدوه مثل وسواس تهذي بها

(١) حواشي الأدب ص ١٣٠ ، وقراء الربيع ج ١ ص ٩٢ .

(٢) فنون بلاغية ص ٢٢٥ .

ثالثها : الجنس الرقوي ، وهو ما كان أحد وكنية مستظلا والآخر مرفوعاً من كلمة أخرى ، كقول الحريري :

ولا تَكُنَّ من تذكّار ذلك وإيكنه يمنع يحاكي الوزن حال مصابه
وإن لعينيك الحمام وورقه وروعة ملقاء ومطعم صابه
الرابع : الملقب ، وهو أن يكون كل من وكنية مركباً من كلمتين فصاعداً كقول الحاكم الطرمي :

أرى مجلس السلطان تفضي صفاته إلى روض مجد بالساح سجود
ركم أجهاد الهافين لديه من مجال سجود في مجالس سجود
الجناس : العنوي ، وهو فسان : لجنس اضمار و لجنس انارة : فجنس
الـ : ما هو أن يفسر المتكلم وكني الجنس ويظهر في اللفظ ما يرادف أحد
الركنين ، تبدل على ما أضمره ، فإن تعلل المرادف أي بلفظ فيه إشارة لطيفة
تدل على ذلك الضمر ، كقول أبي بكر بن عبيدون وقد اصطحب بخمرة وترك
بعضها إلى قليل قصار خلا :

ألا في سيل النهو كأس مدامة أتينا بطعم عهد غر ثابست
حكمت بنت بسطام بن قيس صبيحة وأست كجسم الشفري بعد ثابت
بنت بسطام بن قيس اسمها الصفاء ، وقوله : كجسم الشفري بعد ثابت ،
أشار به إلى قول الشفري يرثي عماله تأبط شرأ واسمه ثابت :

فاسقها أيا سواد بن عمرو أن جسمي من بعد غالي لخل
والخل : التحيف للهزل : فصيح مع جنسان مضمرا في صدر البيت وعجزه
فالأول في «صواء وصفاء والثاني في «خل» و«خل» .

لما جنس الإشارة بسبب وروده في النظم أن الشاعر يعقد المجازاة في يته
بين الركنين في الجنس فلا يوافق الوزن على إبرازهما فيفسر الواحد ويعدل إلى
مرادف فيه كتابة لطيفة تدل عليه ، وهذا لا يفتق في المتنور ومنه قول دهل في
أمرائه سلمى :

التي أحببتك حباً لو تضمنته سئمتي معبك ذلك الشاغل الراسي
 في الكتابة في «معبك» لأنها أثمرت أن الركن المضمّر في «سئمتي» يظهر منه
 الجنس الإشارة بين الركن الظاهر والمضمّر في سئمتي وسئمتي الذي هو الجبل .
 ١- ناقش مسألة اللحن بالجناس لما ليس منه حداً وتعريفاً ، ومسألة كثرة
 التقرّيبات والاختلاف البلاغيين في اعتماد المصطلحات الدالة عليها .

٢- حدّد الجنس وبين نوعه في النصوص الآتية متحداً المصطلحات التي
 ارتبطت بها تسميات هذه الأنواع :

١- قال أبو جعفر الأسدي :

فرشت نفسي أجلاً الباط فلم يخطب مجلأ غير راسي
 قللت لنفسي لا تكرهه فكم المشيب كراسي كراسي
 ٢- قال الحصري :

رُبّ مهولٍ على فتاتي فتاتي ترى حل سلا فتاعا فتاعا
 علمته جفونها أي سحر ما تلاها لي حبها ما تلاها
 ٣- قال الشاعر :

تفرق قلبي في هواه فعنده فريق وحفدي شعبة وفريق
 إذا ضللت نفسي أقول له اسقني وإن لم يكن ماء لبك ففريق
 ٤- قال أبو القحح البستي :

إن هزّ أدلاءه يوماً لعلها أنساك كل كسي هزّ عامله
 وإن أقمر على روق أنسابه أقمر بالرق كتاب الأنساب له
 ٥- قال الشاعر :

كُفّ عن الناس إذا شئت أن تعلم من حول جهول منيه
 من قذف الناس بما فيهم يخلفه الناس بنا ليس فيه
 ٦- قال الباعري :

عابت طيف الذي أموى قلت له كيف اغتديت وجح الليل مهول

فقال أبصرت لئلا من جو الحكم
قلت تبار الموى معنى وليس لها
فقال تبتا في الأمر واحدة
٧- قال الشاعر :

ولما تأيسم لسم أزل متربها
وأي اذا كان التراق معاندى
٨- قال ابن الشرف اللادني :

هلال في بروج السعد مار
٩- قال الخليل بن أحمد :

يا وبع للبي من دواعي المسوى
أبجهم طرفي وقد أزمعوا
بانوا وفيهم طفلة حسرة
١٠- قال أبو فراس بن حمدان :

من بحر جودك أغشرف
١١- قال المعري :

نهارهم ابن يطر في ضحاء

(٨)

قال عمر الغيام متخراً :

مبقت العالين إلى العالي
فلاح يحكمتي نور الهدى في
سريد الجاعلون لطيفته

يقبس الشاعر في هذه الآيات من قوله تعالى : « يريدون أن يظفروا نور الله
بأنفاسهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (٢)

بضيء منها لدى السارين لتبدل
نور بضيء فعادوا القول مقيول
أنا الخيال وقار الشوق تخيل

قدومكم في غسوة وماء
مطالع نساء من مطال غمام

غزال في مروج الصر سرح

اذ رحل الجيران عند الغروب
ودمع عيني كغيفي الطروب
فقر عن مثل أفاق الفروب

وبفضل عليك أغشرف

وليلة جازهم بنت الملق (١)

بصائب فكرة وحلو همة
لبال للضلالة مدلهمة
ويأبى الله إلا أن يتمه

يقبس الشاعر في هذه الآيات من قوله تعالى : « يريدون أن يظفروا نور الله
بأنفاسهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » (٢)

(١) ابن يطر هو الاسود بن يطر ، وبنت الملق اسمها ليلي .

(٢) التوبة ٣١ .

وواضح انه يبالغ مبالغة غير مقبولة في القصر بما أتى به في ميدان علم الفلك
والحكمة والتخلف ، اذ يقرون بين ذلك وبين نور الله سبحانه :
قال الصباحي بن خضاد :

أشكو إليك زماناً غلبت بهركني حرك الاديم ، ومن يعدو حل الزمر
وصاحباً كنت مضبوطاً بصحبته دهرأ فذاذني فهدأ بلا سكن
رباع صكتو وداد كنت أقصره عليه مجتهداً في السر والعسكر
كجانه كان مطوباً على إحسن ولم يكن في قديم الدهر انشدني
ان الكرام اذا ما أسروا ذكروا من كان بأنهم في المنزل العشن
فلاحظ ان الشاعر في هذه الأبيات يروي تجربته مع صاحب أهدى له صفاة
الود وحسن العشرة زماناً ثم تغير عليه وعجزه :

وهذه التجربة - بلا ريب- لا تحتاج إلى البيت المقتبس لتشكل صورتها
وتعمن أثرها في السامع والقاري بل ان البيت المقتبس يتحدث عن مسألة منطقية
لا تتصل اتصالاً عضوياً بتلك التجربة ذلك لانه يتحدث عن تذكر المرء لأصحابه
في حالة تدهل وضعه ساراً بعد فقر فأين هذا من معاناة الشاعر على يدي صاحبه
المخزون ؟ !

ثم ان هذا البيت المقتبس المنطوق بـ أسلوب التباه أن يضحى الشاعر بالبيت
الذي قبله مهدأ به لا يبراد مقتبسه بتصوير صاحبه راوية
كانه كان مطوباً على إحسن ولم يكن في قديم الدهر انشدني
ان الكرام اذا ما أسروا ذكروا من كان بأنهم في المنزل العشن
وعليه فان هذين البيتين يبدوان رقعة رثت بهما الشاعر سائر أبياته وألحدهما على
تجربته القحاما شكلياً ، لبرزت مقطوعته كلها مهلهلة ضعيفة اثباتك بعيدة
عن التماسق :

حل في لواء هذين الشائين ماني النصوص الآتية من التباس وتضمن مينا
الاسلوب الذي سلكه كل نص في ذلك ومنها على مدى اقادته من الفن الهديعي
الذي اعتلده :

١ - قال عبد المؤمن الاصمهاني في المقالة السادسة والثمانين من رساله اطباق الذهب : (١) « ذكر الله الشرف الاذكى ، فاذكروه بالعشي والابكر ، ذكره مقدحة الارواح الصدية ، كالصبا من وجه الاقاصي الندية ، فاذا ذكر الله ذكرا كثيرا وكثيرا تكبروا . فاذا انطلقت الذكر فانك الصوت والحرف ، واذا شربت وسكرت فانكسر الطرف : السجود ما جل عن قنرات الجلاء ، والذكر ما خطى عن حركات الشفاء ، فجهز لطفة (٢) الاثنية الى حظائر نفسه ، واذا ذكر ربك في نفسك بذكرك في نفسه ، ولعل لمن يذكر الله بلسانه تورعا اذكر وبك في نفسك تضرعا » (٣)

٢ - قال الاخوص :

إذا رمت عنها سلوة قال سامع من الحب ميعاد المرور المقابر
 يبقى لها في مضمر القلب والحشا سرائر ورد يوم تبلى السرائر
 ٣ - قال ابن نباتة :

وأفيد جازت في القلوب لحاظه وأسهرت الأجناف أجنافه الوسى
 أجل نظراً في حاجبه وطرقه تر السحر عنه قاب قوسين أو أدنى
 ٤ - قال ابن عبد القاهر في معشوقهم :

إذا كانت العشاق من أشواقهم جعلوا التسم إلى الحبيب وسولا
 فانا الذي أظن لهم باليسنى كنت اتخذت مع الرسول ميلا

٥ - قال الحريري ، بحكي ماقاله الغلام الذي عرض (أبو زيد) قبيح

على أبي سائده عند يمين وأماهوني وأي فتى أخاصوا
 ٦ - قال أبو جعفر الاندلسي :

لا تهاد الناس في أوطانهم قلما برعى غريب الوطن
 وإذا ما شئت حباً بينهم غصانت الشاس يخلق حسن

(١) هذه الرسالة مائة مثاقه عارض بها الطوائف الذهب الزمخشري .

(٢) اللطفة : وجه المسك .

(٣) الاعراف ٢٠٥ .

القبس الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة الآتية مع اجادة الاختباس واحكامه :

- ١- قال تعالى : « إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ » (١) .
- ٢- قال تعالى : « وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَعْلَهُ » (٢) .
- ٣- قال تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ » (٣) .
- ٤- قال الرسول الكريم : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صِدْقَةٌ » .
- ٥- وقال أيضاً : « إِنْ لَمْ تَسْتَخِرْ فَاصْبِرْ فَاصْبِرْ مَا نَشِئْتَ » .
- ٦- وقال أيضاً : « الظُّلُمُ ظُلُمَاتُ يَوْمٍ الْقِيَامَةِ » .
- ٧- وقال أيضاً : « الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ » .

(١٠)

ابن رشيق القيرواني من الباحثين القدامى الذين جمعوا بين مباحث حسن الاجتهاد وحسن التخلص وحسن الانتهاء في مبحث واحد عقد له عنوان « باب المبدأ، والخروج، والنهاية (١) » وقال فيه من بين ما قال : « قبل لبعض الخدّاق بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لاني أنزلت الخرز وطبقت القفص وأصبحت مقائل الكلام نورطست نكت الاغراض بحسن القوافي ولطف الخروج ونحو اتم إلى المدح والمجاء ، وقد صدق لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية التجاج ولطافة الخروج إلى المدح سبب لرياح المدح ، وعناية الكلام أبقى في السمع ، وألصق بالضم ، اقرب العهد بها » : « وان الشعر قلل أوله مفتاحه ، وبني الشاعر أن يتجنب « الا » و« على » ، ولقد فلا يشكّر منها في اجتهاده ، فانها من علاقات الضعف والفتكلان » : « ويرغب عن التقييد في الاجتهاد فقد حكى أن دحبل بن علي

(١) الخيرات ١٢ .

(٢) قلزم ٤٣ .

(٣) الزمر ٩ .

(٤) راجع المجلد ج ١ ص ١٩١ - ٢١٢ .

الخزاعي ورد حمص قصد دار عبدالسلام بن وغيان ذلك الحين فتأخذ بالشد
ذلك الحين ابتداء قصيدته :

كأنها ما كانته حبل ١ خلة والسف الملوكة إذ بغيا
فقال له دعبل : أمك ، فوافد ماظنتك ثم البيت الوافد غشي عليك :
والعري ماظلمه دعبل ، ولقد أبعد سافة الكلام ، وغالف العادة ، وهذا بيت فريح
من جهات : منها الضمار مالم يذكر قبل ، ولا جرت العادة بمثل فبنو ، ولا
كثر استعماله فيشهر ، مع إحالة تشبيه على تشبيه ، ونقل تجانسه الذي هو حشو
فارغ ، ولو طرح من البيت لكان أحزم ، واستدعى قافية لاشبه الألفاظ المعنى
واستحالة التشبيه ، ماالتي يريد : (بطله) في تشبيهه الوقف - وهو السوار -
ولم كان وقف الملوكة خاصة؟ ومعنى البيت أن عثيفته كأنها في جبينها وعينها
الفرار الذي كأنه بين بنات الحلة سوار الجارية الحصة التي لها لكة فيه ، وقيل :
الملوك : البهي القاجرة ، فما هذا كله؟ وأي شيء تحته ؟ ومن الشعر اسمن
لا يعمل لكلامه بسطاً من النسب ، بل يهجم على مايريد من مكافئة ، ويتناول مصانعة
وذلك عندهم هو : الوب ، والبئر ، والقطع ، والكعب ، والاكتساب ، كل ذلك
يقال : والتقصيدة إذا كانت على تلك الحال براء كالخطبة البراء والقطعة ، وهي
التي لايتبدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب :

قال أبو الطيب :
إذا كان مدحٌ فالتسبُّ التقديمُ أكملُ نصيح قال شعراً مُنتبهُم ؟
فالنكر النسب ، وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتح هذا المعنى أبو نواس
بقوله :

لا تبك لي ، ولا تطرب لي ليحتد واشرب على الورد من حمراء كالورد
وقوله وهو عند الخاقاني فيما روى عن بعض الثقاته الفضل ابتداء صنعه ظاهر
من القنماء والمحدثين :

صفة الطول بلاغة التقديم فاجعل صفاتيك لاهة الكثير

ولا صيته الخليفة على الشهادة بالظلم، وأخذ عليه أن لا يذكرها في
شعره قال :

أمر شعرك الاطلال والنزل الفترا فقد طالا أزدى به نعلك الخمرا
دعائي إلى نعت الطلول مسلط تضيق فراصي أن أرد له أسرا
لسمعا أسير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتني مركبا وعمرا
فجاءه بأن وصفه الاطلال والقفر إنما هو من خشية الامام ، والا فهو عنده فراخ
وجهل ؟؟؟

أما الخروج فهو عندهم شبه بالاستطراد ، وليس به لأن الخروج إنما هو أن
تخرج من سبب إلى مدح أو غيره بلفظ محيل ، ثم تتدأى فيما خرجت إليه كقول
أبي عبادة الجعفي :

سقيت وبك بكل نسوة عاجل من وبك حفا لها معلوما
ولو أنني أعطيت فيهن المني لسفينهن بسكف إبراهيم
وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب ، فإنه ما يكاد يفت له ، ولا يشك
عنه حتى ربما تبح سقوطه فيه ، نحو قوله :

ما فاطمني أو فطنتي بي نري حرفا من لم يلق طرفا منها فقد والا
حل الأمير يرى ذلي فيشفع لي إل التي تركتني في الدوى مثلا
وليس هذا من قول أبي نواس :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هوأنا لعل الفضل يسمع بيتا
في شيء ، لأن أبا نواس قال : يسمع بيتا ، ثم أتبع ذلك ذكر المال والنساء به ،
فقال :

أمير وأنت المال في حسابه مهينا ذليل النفس بالضم مرفا
فكانه أشار إلى أن جميع بينهما بلال عامة : بفضل عليه ، ويجزل عطية ،
فيزوجها ؟؟؟ أما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الاسماع ،
وسيله أن يكون حكما : لا يمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا
كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون الآخر قفلا عليه ؟؟؟

ومن العرب من يحتم القصيدة فينقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة مشتهية ،
ويشئ الكلام بهتوراً كأنه لم يعمد جعله غائمة ، كل ذلك رغبة في أخذ الغنى ،
واسقاط الكلفة ، ألا ترى معللة امرئ القيس كيف عتدها بقوله يصف السبل
عن شدة المطر :

كَانَ السَّيَّاحُ فِيهِ غَرَسِي غَدِيَّةَ بِأَرْجَائِهِ الْفُصْرَى أَنَابِيَشَ عَصَلِ
فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المقلات ،
وقد كره الخليل من الشعراء عظم القصيدة بالدعاء ، لأنه من عمل أهل الضعف ،
الأكملوك ، فأنهم يشتهون ذلك كما قدمت ، ما لم يكن من جنس قول أبي الطيب
بذكر الخيل لسيف الدولة :

فَلَا تَجَمَّعَتْ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَهْرِي وَلَا وَصَلَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى أُنْكَرِ
اعرض في غرضه هذه الملاحظات البلاغية والفردية وما دعونا إليه من منهج بناء
النص الأدبي بخصوص الشعرية الآتية :

١- قال أوس بن حجر :

أَيْتُهَا النَّفْسُ أَجْنَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي تَعْلَوْنَ قَسِدَ وَقَعًا
٢- قال أبو الطيب المتنبي :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَالِيَا وَحَسْبُ الْخَالِيَا أَنْ يَكُنْ أَمَالِيَا
٣- قال أبو النجم في مدح هشام بن عبد الملك :

وَالشَّمْسُ لَدَ كَادَتْ وَلَا تَعْلُرُ كَأَنَّا فِي الْإِثْقِ حَيْنُ الْأَحْوَلِ
٤- قال أبو تمام في المدح :

حَسْبُ الْفِرَاقِ عَلِيًّا حَسْبُ مَنْ كَسِبَ عَلَيْهِ اسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوحِ مَتَقَا
سيف الامام الذي سمته ميتة لما تخوم أهل الأرض مخزوما

٥- قال النابغة الذبياني في آخر قصيدة احتضر بها إلى النعمان بن الحر :

وَكَذَبْتُ مَنِي حِمْرَةً فَرَدَدْتُهَا إِلَى الْبَحْرِ مِنْهَا مَسْهَلٌ وَدَائِعُ
عن حين عاتيت المشيب على الصبا وَقَتَ لَنَا أَمَحُ وَالشَّيْبُ وَالزَّعْ ١١٩

٦ - قال ابو تمام:

ظلمتك ظالةٌ البسرى فلاحومٌ
رعمت هوائك حقا للعداء كما عفت
لا ، والذي هو عالم أن الثرى
مازلت عن بين الروداد ولا غدت
والظلم من ذي قدره ملاحوم
منها طول بالتسوى وروم
أجل وأن أبا الحسين كريم
نعمي على إلف سيواك نسحوم

٧ - قال ابو الطيب الخنيزي:

وقاؤكما كالرجح اشجاء طامسه
بأن تُسعيدا والتمع أشقاء ساجمه

٨ - قال احمد شوقي:

أذكر أميل ، ثم بنا يا صاح
حي الريح عذيقسة الأرواح

٩ - قال الرصافي في قصيدته النهر والحقيقة:

أصوغ بها حُرَّ الكلام لخرزل
مدحاً كعقد المؤلر الخناسر

المصادر والمراجع

- ١ - الاثنان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، القاهرة ١٣٦٨ هـ.
- ٢ - الأدب الصغير - آثار ابن المقفع، عبد الله بن المقفع «بيروت».
- ٣ - أدب الكتاب، ابن قتيبة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م.
- ٤ - أساس البلاغة - جرائد الزختمري، القاهرة.
- ٥ - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق دهر، استانبول ١٩٥٤ م.
- ٦ - إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاوي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف - القاهرة.
- ٧ - الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الكتب المصرية وطبعة القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م، (ج ١٩).
- ٨ - الأقصى القريب في علم البيان، محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
- ٩ - الامتاع والمزانة، أبو حيان التوحيد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، القاهرة.
- ١٠ - أنوار الريح في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق شاكركهادي شكر، نجف ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- ١١ - الأيضاح، الخطيب القزويني، (إشراف محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة.
- ١٢ - البديع، ابن المعتز، طبعة كراتشكولسكي، لندن ١٩٣٥ م.
- ١٣ - البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق الدكتورون أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.
- ١٤ - بديع القرآن، ابن أبي الأصم المصري، تحقيق الدكتور حفي محمد شرف، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.

- ١٥ - البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي : تحقيق ابراهيم بن الفضل ابراهيم : القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م :
- ١٦ - البرهان في وجوه البيان : ابن وهب الكاتب . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م :
- ١٧ - البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن : ابن الزملكاني . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م :
- ١٨ - البلاغة : للبهرد : تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب : القاهرة ١٩٦٥ :
- ١٩ - بلاغة أرسطو بين العرب واليونان : الدكتور ابراهيم سلامة : الطبعة الثانية القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م :
- ٢٠ - البلاغة تطور وتاريخ . الدكتور شوقي ضيف : القاهرة ١٩٦٥ م :
- ٢١ - البلاغة عند السكاكي . الدكتور أحمد مطروب . بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م :
- ٢٢ - البلاغة الواضحة . علي الجارم ومصطفى أمين : الطبعة العاشرة . القاهرة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م .
- ٢٣ - بيان إعجاز القرآن : الخطابي (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف القاهرة
- ٢٤ - البيان العربي : الدكتور بنوري طهانه : الطبعة الرابعة - القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م :
- ٢٥ - البيان والتبيين : الجاحظ : تحقيق عبد السلام محمد هارون : القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م :
- ٢٦ - تاريخ النقد الأدبي عند العرب : طه أحمد ابراهيم : الطبعة الثانية - بيروت :
- ٢٧ - البيان في علم البيان : ابن الزملكاني . تحقيق الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الخديجي : بغداد ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م :
- ٢٨ - تحرير التحرير : ابن أبي الاصمعي المصري . تحقيق الدكتور حفي محمد شرف : القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م :

- ٢٩ - التلخيص: الخطيب التزوتى: تحقيق عبد الرحمن البرقوقي: الطبعة الثانية القاهرة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م.
- ٣٠ - الجامع الكبير في صناعة النظم من الكلام والمطور: ضياء الدين بن الأثير تحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد: بغداد ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- ٣١ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: دار الكتب - القاهرة.
- ٣٢ - الجمان في تشبيهات القرآن. ابن تالبا اليغدادى: تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة عديجة الخديجي: بغداد ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
- ٣٣ - جواهر البلاغة. أحمد الهاشمي: الطبعة العاشرة. القاهرة ١٣٧٨ هـ - ١٩٦٠ م.
- ٣٤ - حاشية النسوي: محمد بن محمد عرفة النسوي (شروح التلخيص القاهرة) ١٩٣٧ م.
- ٣٥ - حقائق السحر في دقائق الشعر: رشيد الدين الطوطا: ترجمة الدكتور إبراهيم أمين الشواربي - القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م.
- ٣٦ - حسن التوسل إلى صناعة الرسل: شهاب الدين محمود الحلي: تحقيق الدكتور أكرم عثمان: بغداد ١٩٨٠ م.
- ٣٧ - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة. جلال الدين السيوطي: القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- ٣٨ - الحيوان. الجاحظ: تحقيق عبد السلام محمد هارون: القاهرة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م.
- ٣٩ - غزاة الأدب وغاية الأرب: ابن حجة الحموي: القاهرة ١٣٠٤ هـ.
- ٤٠ - التخصيص: ابن جني: تحقيق محمد علي النجار: القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
- ٤١ - دراسات في علم النفس الأدبي: حامد عبد - لقاهر - ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م.
- ٤٢ - غروس في البلاغة وتطورها. الدكتور جميل سعيد: بغداد ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.

- ٤٣ - دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني: تحقيق محمد رشيد رضا، القاهرة ١٣٧٢هـ.
- ٤٤ - ديوان جرير: القاهرة:
- ٤٥ - ديوان الرماثي، القاهرة، وطبعة وزارة الثقافة والإعلام ببيروت.
- ٤٦ - ديوان الفرزدق: القاهرة:
- ٤٧ - رسائل البلاء: محمد كرد علي: الطبعة الرابعة، القاهرة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ٤٨ - سر النصابة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المال الصمدي، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ٤٩ - سيرة ابن هشام (السيرة النبوية) ابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وجماعته: القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- ٥٠ - شرح ابن عثيم على آتية ابن مالك: تحقيق محمد مهدي الدين عبد الحميد: الطبعة الرابعة عشرة، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ٥١ - للشرح الأطول: الأسفرايني: تركيا ١٣٨٤هـ:
- ٥٢ - الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- ٥٣ - الصحابي أحمد بن فارس: تحقيق الدكتور مصطفى الشوابي: بيروت ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.
- ٥٤ - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجهمي: تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٤م.
- ٥٥ - الطراز المضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي: القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
- ٥٦ - عبد القاهر الجرجاني: بلاغته وقامه: الدكتور أحمد مطلوب: بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٥٧ - عروض الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: بهاء الدين السبكي: القاهرة ١٣٧٠هـ.

- ٥٨ - العبداء: ابن رشيق القيرواني: تحقيق محمد عيسى الدين عيد الحميد.
القاهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.
- ٥٩ - حيار الشعر: ابن طاطليا العلوي: تحقيق الدكتور بن طه الحاجري ومحمد
زطلول سلام. القاهرة ١٩٥٩م.
- ٦٠ - العين: الخطيب بن أحمد القراييدي.
- ٦١ - عيون الأخبار: ابن قتيبة. دار الكتب - القاهرة.
- ٦٢ - فن التشبيه: علي الجندبي. الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٩٦م.
- ٦٣ - فن الجناس: علي الجندبي: القاهرة ١٩٥٤م.
- ٦٤ - فنون بلاغية: الدكتور أحمد مطلوب: بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٦٥ - قواعد (المشوق إلى علوم القرآن وحلم البيان) ابن قيم الجوزية: القاهرة
١٣٣٧هـ.
- ٦٦ - الميزان الجديد: الدكتور محمد مندور: القاهرة - الطبعة الثانية:
- ٦٧ - القاموس المحيط: الفيروز آبادي.
- ٦٨ - القزويني وشروح التلخيص. الدكتور أحمد مطلوب: بغداد ١٣٨٧هـ -
١٩٦٧م.
- ٦٩ - قواعد الشعر. نعلب: تحقيق محمد عبد المنعم خطاطي: القاهرة ١٣٦٧هـ -
١٩٤٨م.
- ٧٠ - الكامل: البرد: تحقيق الدكتور زكي مبارك. القاهرة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.
- ٧١ - الكتاب. ميبوبه: بولاق - القاهرة ١٣١٦هـ وطبعة عبد السلام محمد هارون.
- ٧٢ - كتاب التمهيد: الباقلائي: تحقيق يوسف مكارني: بيروت ١٩٥٧م.
- ٧٣ - كتاب الصناعتين: أبو هلال العسكري: تحقيق علي محمد الجبلاوي ومحمد
أبو الفضل إبراهيم: القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ٧٤ - للكشاف: جابر الله مفسري. القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.
- ٧٥ - الباب - جميل صدقي الزهاوي: القاهرة:

- ٧٦ - لسان العرب : ابن منظور .
- ٧٧ - اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد : القاهرة .
- ٧٨ - النثر السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م وطبعة الدكتورين أحمد الحرفي وبديوي طيانة : القاهرة .
- ٧٩ - مجاز القرآن : أبو عبيدة : تحقيق الدكتور فؤاد مازكين : القاهرة ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥ م .
- ٨٠ - الزهر في علوم اللغة وانواعها : جلال الدين السيوطي : تحقيق محمد أحمد جاد الولي وجماعته : القاهرة - الطبعة الثالثة .
- ٨١ - الصباح في علم المعاني والبيان والبدع : بدر الدين بن مالك : القاهرة ١٣٤١ هـ .
- ٨٢ - مصطلحات بلاغية : الدكتور أحمد مطلوب : بغداد ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٨٣ - المعون في الأدب : أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري : تحقيق عبدالسلام محمد هارون : الكويت ١٩٦٠ م .
- ٨٤ - القول : سعد الدين التفتازاني : تركيا ١٣٣٠ هـ .
- ٨٥ - معجم الادباء . ياقوت الحموي : طبعة مرغليوث وطبعة الرفاعي . القاهرة .
- ٨٦ - المعنى في ابواب التوحيد والمثل (الجزء السادس عشر) القاضي عبد الجبار الاسد آبادي : تحقيق أمين الخولي : القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م .
- ٨٧ - مفتي القليب . ابن هشام الاتصاري : تحقيق محيي الدين عبد الحميد : القاهرة .
- ٨٨ - مفتاح العلوم : السكاكي : القاهرة ١٩٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- ٨٩ - المقدرات لغرب القرآن : الراغب الاصفهاني : تحقيق محمد سيد كيلاوي : القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .

- ٩٠ - مفاتيح اللغة : أحمد بن فارس : القاهرة .
- ٩١ - مقدمات ابن خلدون : ابن خلدون : دار الكشاف - بيروت .
- ٩٢ - مناهج بلاغية : الدكتور أحمد مطلوب - بيروت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ٩٣ - مناهج البلاغ وسراج الأدباء : طاهر القوطاني : تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة : تونس ١٩٦٦ م .
- ٩٤ - المزاينة بين أبي تمام والبحتري : الأمدي : تحقيق السيد أحمد صقر : دار المعارف - القاهرة .
- ٩٥ - مواهب القناع في شرح تلخيص القناع : ابن يعقوب المغربي (شرح تلخيص) - القاهرة ١٩٣٧ م .
- ٩٦ - الموضح : المرزباني : تحقيق علي محمد البجاوي : القاهرة ١٩٦٥ م .
- ٩٧ - نقد الشعر : قدامة بن جعفر : تحقيق كمال مصطفى : القاهرة ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- ٩٨ - نكت الاختصار لنقل القرآن : الباقلافي : تحقيق الدكتور محمد زحلول سلام : الاسكندرية ١٩٧١ م .
- ٩٩ - نكت في إعجاز القرآن : الرماني (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) دار المعارف القاهرة .
- ١٠٠ - نهاية الإيجاز في دراية الأعيان : فخر الدين الرازي : القاهرة ١٣١٧ هـ .
- ١٠١ - نهاية في غريب الحديث والآثر : أبو السعادات المبارك محمد بن محمد (ابن الأثير الجزري) تحقيق فزولي الطناحي : القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- ١٠٢ - الرواظة بين النبي وعصومه : القاضي الجرجاني : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي : الطبعة الثالثة - القاهرة .

الموضوعات

اللمعة

كتاب الأول

نشأة والتطور

٧ - ٧٩

فصل الأول : التاريخ

البحث الأول : نشأة والتطور

نشأة

الاحداث

الفرض البصري

الفرض التجلي

الفرض التقدي

التقنيات

تقنيات الكرم

المفردون

الفردون والجماعة

الشعراء والكتاب

التكلمون

البحث الثاني : المفاهيم البلاغية

المدرسة الكلامية

المدرسة الأدبية

فصل الثاني : النصوص والبلاغة

البحث الأول : القصيدة

القرآن والحديث

٣٧	الملاحظ
٤١	ابن قتيبة
٤٣	الميرد
٤٣	نطلب
٤٣	ابن المحر
٤٣	قضية
٤٤	ابن وهب
٤٥	المسكري
٤٧	ابن سنان
٥٤	عبدالقاهر
٥٩	الرازي
٥٩	ابن الاثير
٦٣	الكاسي
٦٤	ابن مالك
٦٤	القروظي
٧١	المبحث الثاني : البلاغة
٧١	في اللغة
٧١	في القرآن
٧٢	في الحديث
٧٢	في التراث
٧٤	الملاحظ
٧٤	الميرد
٧٤	المسكري
٧٥	ابن سنان
٧٧	عبدالقاهر

٧٧

قرآني

٧٧

ابن الأثير

٧٧

السكاكي

٧٨

القزويني

الباب الثاني

علم المعاني

٨٣ - ٢٤٧

٨٣

الفصل الأول: للمعاني

٨٤

للبحث الأول : نظرية النظم

٨٨

تطور النظرية

٩١

مجموع النظرية

٩٥

البحث الثاني : نقد المنهج

١٠٣

الفصل الثاني : الخبر

١٠٣

البحث الأول : أثره

١٠٥

تأثيره

١٠٦

أثره

١٠٨

مؤكده

١١٥

البحث الثاني : أغراضه

١١٥

الأغراض المتبقية

١١٨

الأغراض المجازية

١٢١

الفصل الثالث : الإنشاء

١٢١

البحث الأول : الأمر والنهي

١٢١

قسمه

١٢٣

الأمر

١٢٩

النهي

١٣١	مبحث ثانى : الاستفهام
١٣٩	المبحث الثالث : التمني والثناء
١٣٩	التمني
١٤٠	الثناء
١٤٣	الفصل الرابع : أحوال الجملة
١٤٣	المبحث الأول : التقديم والتأخير
١٥٢	المبحث الثانى : الفصل والوصل
١٥٥	مواضع الفصل
١٦٠	مواضع الوصل
١٦٣	التران الجملة الخالية بالواو
١٦٥	محسنات الوصل
١٦٦	الفصل والوصل في المقررات
١٦٩	المبحث الثالث : التقصير
١٦٩	طرقه
١٧٠	أنواعه
١٧٢	شروطه
١٧٣	طرقه
١٧٧	الفصل الخامس : الأيجاز والأطناب والمساواة
١٧٧	المبحث الأول : الأيجاز
١٧٩	الأيجاز
١٨٢	أنواعه
١٨٥	أدلة الخلف
٢٠٤	المبحث الثانى : الأطناب
٢٠٩	تعريفه

٢٠٢	المسام
٢١٧	المبحث الثالث : المسام
٢٢٤	الفصل السادس : تطبيقات عامة
	باب الثالث
	علم البيان
٢٥١ - ٢٥٧	
٢٥١	الفصل الأول : بيان
٢٥١	المبحث الأول : البيان لغة واصطلاحاً
٢٥٣	نشأة البيان
٢٥٥	جنود البيان
٢٥٩	المبحث الثاني : أهمية البيان
٢٦١	الفصل الثاني : التشبيه
٢٦١	المبحث الأول : تعريفه وأركانه
٢٦١	التشبيه لغة
٢٦٢	التشبيه اصطلاحاً
٢٦٨	طبيعة التشبيه
٢٦٩	طرق التشبيه
٢٨٠	وجوه التشبيه
٢٨١	أداة التشبيه
٢٨٦	المبحث الثاني : أنواع التشبيه
٢٨٦	التشبيه المرسل والتشبيه المؤكد
٢٨٧	أدوات التشبيه
٢٨٩	التشبيه للفصل والتشبيه للمجمل
٢٩٠	طبيعة وجوه التشبيه
٢٩١	التشبيه البالغ وتكراره

٢٩٣	البحث الثالث : تشبيه لفرد وتشبيه للركب
٢٩٧	البحث الرابع : التشبيه السنجلي
٢٩٧	أقسام وجه تشبيه
٢٩٩	السنجلى اصطلاحاً
٣٠٦	تشبيه الصورة
٣٠٨	البحث الخامس : التشبيه الضمني
٣٠٨	ذكره
٣٠٩	خصائصه
٣٠٩	تحليل التشبيه الضمني
٣١١	البحث السادس : اغراض التشبيه وبلاغته
٣١١	اغراضه
٣١٤	بلاغته
٣١٩	الفصل الثالث : الخبيطة والجاز
٣١٩	تعريفهما
٣١٩	الخبيطة لغة
٣٢٠	الخبيطة اصطلاحاً
٣٢١	انواع الخبيطة
٣٢٢	الجاز لغة
٣٢٨	مفردات الجاز
٣٣٢	البحث الثاني : المجاز للرسل
٣٣٢	تعريفه
٣٣٣	علاقته
٣٣٧	البحث الثالث : المجاز العلني
٣٣٧	بين المجاز العلني والعلوي
٣٣٨	أركان الجملة

٣٢٩	
٣٣٠	الاستعارة العقلية
٣٣١	أقسام الاستعارة العقلية
٣٣٢	أقسام الاستعارة العقلية
٣٣٣	أقسام الاستعارة العقلية
٣٣٤	المبحث الأول : تعريفها وأركانها
٣٣٥	تعريفها
٣٣٦	أركانها
٣٣٧	بين التشبيه والاستعارة
٣٣٨	أقسام الاستعارة
٣٣٩	المبحث الثاني : الاستعارة التصريحية
٣٤٠	التصريح لغة واصطلاحاً
٣٤١	أقسام الاستعارة التصريحية
٣٤٢	المبحث الثالث : الاستعارة اللمنية
٣٤٣	اللمنية لغة واصطلاحاً
٣٤٤	أقسام الاستعارة اللمنية
٣٤٥	اللمنية الكسبية والاستعارة التخيلية
٣٤٦	أقسام الاستعارة اللمنية
٣٤٧	أقسام الاستعارة اللمنية
٣٤٨	المبحث الرابع : الاستعارة اللمنية والمجردة واللمنية
٣٤٩	الاستعارة اللمنية
٣٥٠	الاستعارة اللمنية
٣٥١	الاستعارة اللمنية
٣٥٢	الاستعارة اللمنية
٣٥٣	المبحث الخامس : الاستعارة اللمنية
٣٥٤	تعريفها

مفان الاستعارة التمثيلية

- ٣٦٠
٣٦١ للبحث السادس : بلاغة الاستعارة ومرجعها
٣٦١ مدار بلاغة الاستعارة وجمالها
٣٦٢ أسس الاستعارة الجميلة
٣٦٢ مر بلاغة الاستعارة
٣٦٤ شروط حسن الاستعارة
٣٦٥ العناصر الحقيقية لبلاغة الاستعارة
٣٦٧ الفصل الخامس : الكتابة والتعريض
٣٦٧ للبحث الأول : الكتابة وأنواعها
٣٦٧ الكتابة لغة
٣٦٧ الكتابة اصطلاحاً
٣٦٩ تعريف الكتابة
٣٦٩ الفرق بين الكتابة والخط
٣٧٠ أركان الكتابة
٣٧١ أقسام الكتابة
٣٧١ أنواع الكتابة
٣٧٢ التعريض
٣٧٥ التلويح
٣٧٦ الرمز
٣٧٧ الأيماء أو الإشارة
٣٧٨ للبحث الثاني : بلاغة الكتابة
٣٧٨ مبادئ البلاغة
٣٧٨ مر بلاغة الكتابة
٣٧٩ تأثير الكتابة في الخطاب
٣٨٠ بلاغة الكتابة بين القديم والحديث

٢٨٢	١٢٦	الفصل السادس : تطبيقات عامة
	١٢٦	١٢٦
	١٢٦	١٢٦
	١٢٦	١٢٦
١١١	١٢٦	١٢٦
١١١	١٢٦	١٢٦
١١١	١٢٦	١٢٦
١١٢	١٢٦	١٢٦
١١٢	١٢٦	١٢٦
١١٤	١٢٦	١٢٦
١١٧	١٢٦	١٢٦
١١٨	١٢٦	١٢٦
١٢٠	١٢٦	١٢٦
١٢٠	١٢٦	١٢٦
١٢٤	١٢٦	١٢٦
١٢٧	١٢٦	١٢٦
١٢٧	١٢٦	١٢٦
١٢٧	١٢٦	١٢٦
١٢٧	١٢٦	١٢٦
١٢٨	١٢٦	١٢٦
١٢٨	١٢٦	١٢٦
١٢٩	١٢٦	١٢٦
١٣٤	١٢٦	١٢٦
١٣٥	١٢٦	١٢٦

٤٣٦	طبيعة حسن التعليل وأثره
٤٣٨	البحث الثالث : الطباق
٤٣٨	الطباق لغة
٤٣٨	الطباق اصطلاحاً
٤٣٩	نصوص من فن الطباق
٤٣٩	القسام الطباق
٤٤٠	بين الطباق والمقابلة
٤٤٢	ترشيح الطباق
٤٤٣	تأثير الطباق
٤٤٤	البحث الرابع : المشاكاة
٤٤٤	المشاكاة لغة واصطلاحاً
٤٤٥	ضرباً للمشاكاة
٤٤٦	البحث الخامس : تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٦	وتأكيد الذم بما يشبه المدح
٤٤٦	حد تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٧	ضرباً تأكيد المدح بما يشبه الذم
٤٤٧	طبيعة تأكيد الذم بما يشبه المدح
٤٤٨	بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وتوقيفه
٤٤٩	الفصل الثالث : المحسنات الفنية
٤٤٩	البحث الأول : الجناس
٤٤٩	الجناس اشتقاقاً ولغة
٤٥٠	الجناس اصطلاحاً
٤٥١	أنواع الجناس
٤٥٤	سر جمال الجناس

١٥٧	البحث الثاني : الاقتباس
١٥٧	الاقتباس لغة واصطلاحاً
١٥٧	الاقتباس بين النسخ والجواز
١٥٨	أنسب أساليب الاقتباس
١٥٩	الاقتباس من الحديث الشريف
١٦٠	التصنيف لغة واصطلاحاً
١٦١	أهمية الاقتباس
١٦١	حسن التصنيف
١٦٢	البحث الثالث : حسن الإهداء
١٦٢	شروط حسن الإهداء
١٦٣	براعة الاستهلال
١٦٣	براعة المطلع
١٦٤	وسائل اجادة مطالع القصائد
١٦٥	البحث الرابع : حسن التلخيص
١٦٥	تعريف حسن التلخيص
١٦٦	موازنة بين الاستطراد وحسن التلخيص
١٦٦	مقاييس حسن التلخيص
١٦٧	البحث الخامس : حسن الانتهاء
١٦٧	حد حسن الانتهاء
١٦٧	بلاغة حسن الانتهاء
١٦٨	وحدة النص الأدبي
١٧١	التفصيل الخامس : تطبيقات عامة
١٧١	المصادر والمراجع